ـيات فلسفية
(١)

كيركجور

رائد الوجودية



[حياته ومؤلفاته]

الجزء الأول

تأليف

دكتور إمام عبد الفتاح إمام

شخصيات فلسفية

١

كيركجور
رائد الوجودية

تأليف
دكتور إمام عبد الفتاح إمام
أستاذ الفلسفة المساعد
كلية الآداب - جامعة الكويت

الجزء الأول

حياته ومؤلفاته

١٩٨٢

دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة
٢١ شارع كامل صدقي - الفجالة
ت ٩١٦٠٧٦ - القاهرة



سورين كيركجور فى سنواته الاخيرة

Soren Kierkegaard inlater years
Woodcut by H.P. Hansen

الفصل الأول

هل كان كيركجور فيلسوفا ..؟!

« لقد تصورت ان مهمتى هى أن أخلق المشاكل والصعاب فى كل مكان .. » .

س. كيركجور : « حاشية ختامية » .

الفصل الأول

هل كان كيركجور فيلسوفا ٠٠ ؟ !

كان سرن كيركجور ٠٠ S. Kierkegaard (١) ٠

يقول عن نفسه ان مهمته فى هـذه الدنيا ان يثير الاشكالات فى كل مـكان لا أن يجد لها حلا(٢) وقبل أن نبدأ فى دراسة أشكالاته الفكرية ، نود أن نثير حوله ، هذه المشكلة ٠ هل يمكن أن يعد كيركجور فيلسوفا ٠٠ ؟ ! وهل هو جديـــر ببحـث فلسفى متخصص ؟ ! أول من يجيب بالنفى عن هذين السؤالين هو كيركجور نفسه ! ، فهو يرفض أن يكون فيلسوفا أو أن توصف افكاره بأنها فلسفة ، كما كان يخشى من ناحية اخرى انيتناوله « الاستاذ » بعد موته بالدراسة العلمية أو البحث الاكاديمى(٣) ٠

واندفع بعض الباحثين وراء اقواله تاره مسلمين ، على عجل ، بانه لا يمكن أن يوصف بانه « فيلسوف » أو ان يقال عن فـكره انه « فلسفة » واضعين تارة اخرى كلمة فكر كيركجور ، على استحياء ، بدلا من فلسفته ــ مع أنه كان ينبغى عليهم قبل هذا وذاك ان يسألوا انفســـهم : لماذا ، اذن الاهتمـــام به فى حقل الفلسفـة الاكاديمى ، ولم يجهدون انفســـهم فى دراسته ٠٠٠؟ !

---

(١) ربما تبدأ الاشكـــالات من نطق اسمه ، فالنطق الصحيح لهذا الاسم هو « كيركجور » وليس « كيركجارد » كما هو شائع فى اللغة العربية ، فالمقطع الاخير من اسمه gaard ينطق « جور ٠٠ gor » راجع فى نطق اسمه كتـــاب « ولترلـــورى » وهو من كبـــار المتخصصين فى هذا الفيلسوف :

Walter Lowrie: Soren Kierkegaard, Vol. I, P. 20, Torch Books

(٢) S. Kierkegaard : concluding unscientific Postscript P. 166.

(٣) Alasdi Macintyre S. Kierkegaard, art in The Encylopaedia of Philosophy Vol. 4 P. 336.

وربما كان « فالتركاوفمان Walter Kaufmann ·· أقوى من عبر عن هذه الوجهة من النظر ، فهو فى بحث له عن كيركجور « يتناوله من أربع زوايا هى : أسلوبه ، ومن حيث هو كاتب دينى ، ثم من حيث هو عالم نفسانى ، وأخيرا من حيث هو فيلسوف ، ثم يضيف قائلا « لقد كان كيركجور مبرزا فى هذه الزوايا الأربع ، لكنه كان عثرة ·· Skandalon إن شئنا استخدام لفظ محبب لديه استعاره من القديس بولس(٤) ·· »

وما يهمنا هنا هو الزاوية الرابعة التى طرح فيها « كاوفمان » هذا السؤال : « ماذا نقول عن كيركجور بوصفه فيلسوفا ؟ عندى أربعة اعتراضات ضده — أو قل ضد أولئك الذين يريدون أن يجعلوا منه فيلسوفا(٥) ·· » ثم يبدأ فى سرد هذه الاعتراضات : —

(١) أول هذه الاعتراضات ، وأكثرها أهمية ، هو أن كيركجور نفسه لم يكن فيلسوفا ولم يرد أن يكون كذلك(٦) وعند « كاوفمان » أن الفيلسوف العظيم يدرك عن وعى دوره « البناء » على نحو ما أشار هيجل فى تصديره لظاهريات الروح » ، ولهذا تراه يقول لك ، من بين ما يقول ، : « لابد لك أن تغير حياتك » ! وعنده أن هذا اللون من ألوان التحدى يتلخص فى شعار « سقراط » القائل : « بأن الحياة التى لايتم فحصها غير جديرة بأن يحياها الانســــان » · إنها دعوة لأن يصبح الانســــان ناقدا لمجتمعه ولما فيه من عادات وتقاليد — فى حين أن كيركجور يقول : « إن المهم أن أفهم مصيرى أنا ، وأن أدرك ما يريد منى الله أن أفعله ، أو أجد الحقيقة التى تكون كذلك بالنسبة لى أنا ، أن أجد الفكرة التى أكرس لها محياى ومماتى ··· ، (٧) · والفلسفة — فيما يقــول كاوفمان — لن تعطيه بالتأكيد هذه الفكرة ، لكنها على العكس ، تحميه من بعض الأفكــــار قائلة له : « إن من الأفضل لك ألا

(٤) Walter Kaufamann: From Skakespeare ta Existentialism P. 175 Anchor Books 1960.

(٥) Ibid, P. 189.

(٦) Ibid.

(٧) S. Kierkegaard: The Journal, P. 15 Eng. Trans. by A. Dru Oxford.

(سوف نشير باستمرار الى هذه الترجمة على أنها طبعة أكسفورد والى الطبعة اللينة الغلاف باسم طبعة فونتانا Fontana) .

تموت من اجلها ولا تحيا » ٠٠ ! واذا كان كيركجور يقول « ان الفلسفة لا يمكن أن تقدم لنا الايمان ، ولا ينبغى لها أن تفعل ذلك ٠٠٠ ولكن ينبغى لها أن تفهم نفسها ، وأن تعرف ما الذى ينبغى عليها أن تقدمه»(٨) (لاحظ أن كاوفمان يحذف الجزء الاخير من العبارة !) وينبغى على الفلسفة ـ فيما يقول كيركجوز الا تحذف شيئا ـ فى حين أن الفلسفة وممارستها تعنى أساسا أن تخرج الناس ، فيما يرى كاوفمان ، من كثير من المعتقدات الصبيانية : دينية وغير دينية لا عن طريق مهاجمتها على نحو مباشر فحسب وانما عن طريق تنمية ملكاتنا النقدية ولقد كان كيركجور بذلك معارضا للفلسفة وعلى نحو عميق(٩)

(٢) الاتهام الثانى الذى يوجهه كاوفمان الى كيركجور كفيلسوف هو انه ، على عكس اتجاه الفلسفة الحديثة كلها ، قد أعاد الثقة الى سلطة الكتاب المقدس ، واقتبس آيات كثيرة ، واحيانا كلمات متناثرة ليقيم عليها افكارا معينة ، فهو مثلا وعلى ، نحو دجماطيقى ، سلم بالخطيئة الأولى فكان لاهوتيا اكثر منه فيلسوفا ، وملاحظاته السيكولوجية ، ليست اكثر من « توابل » تضاف الى موقفه !

٣ ـ والاتهام الثالث هو أن كيركجور قبل مقولات مسيحية وهيجلية وانماطا من التفكير بغير فحص ثم راح يلعب بكلمات مثل « جدل » و « روح » و « أبدى » و « عدم » و « انعكاس لامتناه » ، و « ذات » و « حرية » و « خطيئة » ٠٠ الخ الخ ـ وكلمات كثيرة أخرى دون أن يجهد نفسه فى توضيح معانيها ! وحتى مناقشاته لوجود الله ، وللأدلة على وجوده ، و « للمجهول » فى كتابه « شذرات فلسفية » قد تحولت « بخفة يد » الى دفاع عن التعاليم المسيحية ٠٠٠(١٠) .

٤ ـ الاتهام الرابع والاخير ضد كيركجور بوصفه فيلسوفا هو ان ذلك اللون من الجدل الذى برع فى استخدامه يمكن ان يستخدم - للبرهنة على

(٨) S. Kierkegaard : Fear & Trembling P. 44 Eng. Trans by W. Lowrie Princeton University Press N.J. 1974.

(٩) W. Kaufmaan : op. cit., P. 189.

(١٠) W. Kaufmann, Ibid; P. 190.

أى شىء ! وعلى الرغم من أنه كثيرا ما يتحدث عن سقراط فانه فشل فى فهم النقطة المركزية فى رسالته وهى اثارة الأسئلة والشكوك التى لا ترحم حول الأوضاع السائدة ، والعمل على اقناع الناس بأنه مهما تكن الغايات سامية فانها لا تبرر وجود تصورات بغير تحليل أو وجود حجج ضبابية . ويختتم كاوفمان بحثه ـ كما بدأه ـ بسؤال لكنه هذه المرة تهكمى : « اذا كان كيركجور نفسه يصر على انه ليس فيلسوفا ، فلماذا نصر نحن بدورنا على انه كذلك ؟ »(١١) .

* * *

تلك هى باختصار الخطوط العريضة فى وجهة نظر قوية ترفض اعتبار كيركجور فيلسوفا . والحق أن المسألة كلها تتوقف ، فى رأينا ، على نظرتنا الى الفلسفة ، فاذا جعلنا : أفلاطون ، وأرسطو ، وكانط ، وهيجل ... الخ . هم « النماذج » الوحيدة للفلاسفة ، فان كيركجور بهذا المعنى ليس فيلسوفا بالقطع . وهو نفسه أول من يعرف ذلك ، ويعترف به فى صراحة ووضوح : « كاتب هذه السطور ليس فيلسوفا ، وهو لم يفهم ما المقصود « بالمذهب » . وهو لهذا لا يعرف ما اذا كان هناك ما يسمى بالمذهب الفلسفى أم لا ، أو أو اذا كان قد اكتمل أم لا .... »(١٢) . وكيركجور هنا يعارض بوضوح شديد مذهب هيجل الذى وصل اليه مشوها عن طريق « شلنج » كما قال « كاوفمان » نفسه فى مكان آخر(١٣) . لكن ألا يجوز أن يكون كيركجور فيلسوفا بمعنى مخالف للفيلسوف الهيجلى . ؟ أعنى انه لم يكن يستهدف معارضة كل ألوان التفلسف لكنه كان يستهدف أساسا الثورة على الفلسفة الهيجلية التى طمحت الى تفسير كل شىء تفسيرا عقليا خالصا مع أن حياة الانسان مليئة بألوان كثيرة من الغموض والاسرار والالغاز التى تستعصى على كل فهم ، ولا يستطيع العقل البشرى تفسيرها ، لأنها تحتاج الى منهج آخر يختلف عن منهج هيجل « فالخلط الذى أحدثته الفلسفة

---

(١١) W. Kaufmann, Ibid.

(١٢) S. Kierkegaard; Fear and Trenbling P. 234 Eng. Trans. by Y. Lowrie, Princeton University Press, N.J. 1974.

(١٣) W. Kaufmann : Hegel, P. 288 University of Notre Dame press 1978

الهيجلية فى الحياة الشخصية أمر لا يصدق ٠٠ »(١٤) ٠ ومن هنا كان يريد أن يحل « المفكر الذاتى » الذى ينشغل بدراسة « الصراع » و « التوتر » واليأس والقلق ، والالتزام ، والمخاطرة ، والمسئولية والمقارنة والحياة الجمالية الحسية ، والخطيئة ، والايمان والحياة الأخلاقية ، والحياة الدينية ، والعثرة ، و « اللامعقول » ٠٠٠٠٠ الخ الخ ــ محل « المفكر الموضوعى » أو « الفيلسوف الهيجلى » الذى حول الواقع العينى الحى الى مجموعة هائلة من التصورات العقلية ، والمفاهيم المجردة ٠ وسواء نجح أم فشل فى تحقيق هذا الهدف فذلك موضوع آخر : انه لا يقدح فى كونه فيلسوفا ، ولا يطعن فى أنه حاول تقديم فلسفة ذاتية جديدة تعتمد على فهم جديد للمسيحية ، وتقدم منهجا مخالفا للعقلانية الصارمة عند هيجل : « ذلك هو الطريق الذى ينبغى علينا جميعا أن نسير فيه : أن نعبر جسر التنهدات حتى نصل الى الابدية »(١٥) ٠ وانطلاقا من هذا المنظور الجديد لهذه الفلسفة الذاتية لم يهتم كيركجور بما يسمى بالوجود الموضوعى الخارجى : « أى فائدة يمكن أن تعود على اذا ما اكتشفت ما يسمونه بالحقيقة الموضوعية ، أى فائدة يمكن أن ترجى اذا درست جميع المذاهب الفلسفية وأظهرت ما فى كل مذهب من متناقضات وعدم اتساق ، ؟ أى فائدة تعود على لو أننى استطعت تطوير نظرية فى الدولة ورتبت جميع التفصيلات فى كل واحد ، وبنيت بهذا الشكل عالما لن أعيش فيه ٠٠ ؟ »(١٦) ألم يقل السيد المسيح « ماذا ينتفع الانسان لو أنه ربح العالم كله وخسر نفسه ؟ »(١٧) ٠ فكيف يمكن اذن أن أتجه الى معرفة العالم ؟ ان ما ينقصنى فى الحقيقة هو أن أرى نفسى بوضوح ، أن أعرف ما يجب على أن أعمله ، لا ما ينبغى على أن أعرفه الا بمقدار ما تسبق المعرفة العمل بالضرورة ٠ أن المهم ن أفهم مهمتى فى هذه الدنيا ٠٠٠(١٨) ٠ وهنا تأتى العبارة التى عابها « كاوفمان » : أن أدرك تماما ما يريد منى الله أن أفعله ، أريد أن أجد

(١٤) S. Kierkegaard : TheJournals P. 15 (Oxford).
(١٥) Ibid, P. 37.
(١٦) Ibid, P. 15.
(١٧) انجيل مرقس : الاصحاح الثامن : ٣٦ ٠
(١٨) S. Kierkegaard : op. cit., P. 15.

حقيقة تكون لى أنا . أن أجد الفكرة التى أكرس لها محياى ومماتى »(١٩) .
اننا هنا أمام نظرة فلسفية جديدة تجعل الذات البشرية محور اهتمامها ومدار بحثها . وتجعل العمل ــ لا النظر ولا المعرفة ــ اساس اهتمام الفيلسوف معتمدة فى ذلك على المسيحية . فليس فى الدين معرفة وانما عاطفة وحب ايمان . ومن هنا قال السيد المسيح : « الذى يحبنى . يحبه أبى . وانا احبه وأظهر له ذاتى »(٢٠) . وذلك يصدق على كل شىء اخر فما يحبه المرء يظهر له نفسه . والحقيقة تظهر لكل من يحبها(٢١) . ولهذا قال السيد المسيح « من يحبنى ولم يقل من يعرفنى » . بالحب وحده نؤمن لا بالمعرفة . بالقلب لا بالعقل(٢٢) .

واذا كان كيركجور يريد أن يعرف نفسه . وان يصل الى حقيقة ذاتية فانه لا يريد ذلك لنفسه فحسب وانما يود من الآخرين أن يسلكوا نفس الطريق : « فذلك هو الطريق الذى **ينبغى علينا جميعا** ان نسير فيه »(٢٣) . كما سبق أن ذكرنا الآن توا . ان كيركجور يقدم للانسان وجهة نظر عامة عن المنهج الذى ينبغى عليه ان يسير فيه ويقول له : لاتبحث عن الحقيقة الموضوعية فى الخارج وتنسى نفسك . ان الحقيقة لكى تكون جديرة بهذا الاسم لابد ان تكون ذاتية . فعليك ان تفكر فى ذاتك وان تصل الى هذه الحقيقة من المقولات التى تعيشها بالفعل : « ان ما اريده وما ابحث عنه فى كل انسان أعجب به . وفى كل شخص اعرفه معرفة حقيقية هو : الا يفكر بالنهار الا فى مقولات حياته وان يحلم بها فى الليل .. »(٢٤) لان ما تحتاجه البشرية . فى رأيه . هو المفكر الذاتى مثله الذى يعمل على استعادة الانسان من ضياع العالم الخارجى . اننا لا نحتاج ــ فيما يقول كيركجور الى المفكر الموضوعى الذى يجرد كل شىء فى عالم الانسان كما يفعل الفيلسوف الهيجلى الذى نسى أن يعيش نتيجة لتفكيره العقلى فى الوجود بحثا عن

---

(١٩) Ibid.
(٢٠) Ibid. P. 274.
(٢١) انجيل يوحنا الاصحاح الرابع عشر : ٢١ .
(٢٢) The Journals P. 274 (Oxford).
(٢٣) Ibid, P. 37.
(٢٤) Quoted by R. Jolivet : Introduction to Kierkegaard P. 230 Eng. Trans. by Frederek Muller, London 1950.

« الحقيقة الموضوعية » ! مثله مثل من كلف بتنظيم حفل فقام بدعوة الناس جميعا ولكنه نسى أن يدعو نفسه ٠٠ !

اننا بالطبع لا ندافع قط عن أية نظرية من نظريات كيركجور ولا نتبنى اى موقف من مواقفه التى قد تكون فى جانب كبير منها هشة لا تصمد لنقد متأن . وقد تكون فى جانب اخر منها معتمدة على فلسفة هيجل بحيث يمكن ان تفهم على نحو افضل لو اننا افترضنا باستمرار الخلفية الهيجلية — كل ذلك قد يكون جائزا وسوف يتضح بتفصيل اكثر طوال هذا البحث . لكننا مع ذلك كله نرفض ان يقذف به — ببساطة شديدة — خارج سفينة الفلسفة لانه لم يسر على نهج معين يرتضيه الباحث فى ميدان الفلسفة !

اننا نعلم بالطبع ان كيركجور لا يقاس بذرة من هيجل . وهو ليس فيلسوفا شامخا مثل افلاطون وأرسطو . وقد لا يكون « عظيما » عظمة كانط لأنه لم يدرك عن وعى « دوره الرسالى » — لكن ذلك كله لا يمنعه من أن يكون فيلسوفا من طراز « بسكال B. Pascal » او نيتشه F. Nietzsche » الذين مزجوا فلسفتهم بايمانهم تارة أو بدمائهم تارة أخرى ٠٠ ! ان من اعجب المبررات التى استند اليها « كاوفمان » قوله : « اذا كان كيركجور نفسه يصر على أنه ليس فيلسوفا . فلماذا نصر نحن بدورنا على انه كذلك ؟ ! » ونحن نود بدورنا أن نسأل « كاوفمان » : متى كان الباحثون يتقيدون بما يقوله الفلاسفة عن انفسهم ٠٠ ؟ الم يرفض فلاسفة الوضعية المنطقية المعاصرون هذه التسمية فقيل عنهم : « انهم الفلاسفة الذين يفاخرون بانهم ليسوا فلاسفة ٠٠ ؟ ! وان موقفهم من انكار الفلسفة موقف فلسفى لا محاولة ٠٠ ؟ ! الا تعتبر القدرة على « رفض الفلسفة » ونقد « المذهب الفلسفى » هى فى حد ذاتها تفلسفا مصداقا لقول ارسطو : « ان علينا أن نتفلسف اذا اقتضى الامر التفلسف . فاذا لم يقتضى الأمر التفلسف . وجب علينا ان نتفلسف لنثبت ان التفلسف لا ضرورة له ٠٠ » ؟ ! الم يرفض « وليم جيمس W. James » تسميته بالفيلسوف البرجماتى ثم عاد وقال : « انه لقب الصق بنا وقبلناه على مضض ؟ ! » ٠ ألم يرفض « هنرى برجسون H. Bergson » « المذهب الفلسفى » حتى اصبحت الصفة الأولى التى ينبغى ان يتحلى بها كل برجسونى هى « صفة اللامذهبية » ٠٠ ؟ !(٢٥) ٠

(٢٥) د٠ زكريا ابراهيم « برجسون » نوابغ الفكر الغربى (التصدير) ٠

بل ألم يشك سارتر نفسه من أن لقب « الوجودية » أصبح خاليا من المعنى . ؟ !(٢٦) . ألم يذهب هيدجر ، ويسبرز ، ومارسل جميعا الى رفض « لقب الوجودية » مع أن أى دراسة جادة لهذا المذهب لابد أن تشملهم كلهم كما يقول ماكورى بحق ؟ ! : « أصبح من الصعب أن تجد من الفلاسفة من هم على استعداد للاعتراف بأنهم أنفسهم وجوديون على الاطلاق ، حتى أولئك الذين يمكن أن ينظر اليهم على أنهم وجوديون رغم اعتراضاتهم لم يعد من الممكن النظر اليهم على أنهم يشكلون « مدرسة » بالمعنى المألوف لهذه الكلمة : فهيدجر ، ويسبرز ، ومارسل ، وهم الذين لابد أن يشملهم أى نقاش للوجودية ، قد رفضوا جميعا هذا اللقب .. »(٢٧) . بل يلاحظ بعض الباحثين من أمثال روجر شن .. « R. L. Shin » « أن الوجودى الذى يحترم نفسه لابد أن يرفض ان يطلق عليه لقب وجودى .. ! »(٢٨) . وهو يقصد ان الوجودى الحقيقى يرفض « التقولب » فى قالب معين بحيث يصبح فردا فى فئة تعرف بالوجوديين .. !(٢٩) .

ثم ماذا يحدث ، بعد ذلك كله ، اذا ما عرفنا أن موقف كيركجور المعلن من الفلسفة والفلاسفة و « المذهب الفلسفى » وأستاذ الفلسفة ... الخ ليس هو موقفه الحقيقى ، وأنه أخفى — بطريقته المعتادة — موقفه الحقيقى بداخله .. ؟ ! لقد كانت وظيفة أستاذ الفلسفة ، على سبيل المثال ، أمنية تداعب خياله ويتمنى لو تحققت يوما ما ، لكنه ، للاسف ، لما فشل فسر فشله — كالمعتاد أيضا — تفسيرا دينيا ! يقول يوهانس هولنبرج J. Hohlenberg مؤرخ حياته الشهير — أن هذه الأمنية ظلت تعتمل فى نفسه سنوات طويلة وازدادت حدة عندما توفى (فى ١٣ مارس ١٨٣٨) بول مارتن مولر Paul Martin Muller أستاذ الفلسفة الخلقية فى جامعة كوبنهاجن »

---

(٢٦) والواقع أن سارتر لم يطلق على نفسه صفة « وجودى » فى أول الأمر ، بل انه اعترض بشدة على هذه التسمية حين وصفه بها بعض الصحفيين — قارن د . أحمد أبو زيد « سارتر دراسة تمهيدية » فى العدد الخاص عن « جان بول سارتر » من مجلة عالم الفكر — المجلد الثانى عشر عدد ٢ يوليو ١٩٨١ .

(٢٧) John Macquarrie: Existentialism P. 5 - 6 Pelican Book.

(٢٨) Ibid. P. 6.

(٢٩) Ibid.

فراح يعمل بجد فى رسالته للماجستير عن « مفهوم التهكم » (التى ناقشها عام ١٨٤٠) آملا أن تفتح له هذه الرسالة أبواب التدريس فى الجامعة ، لاسيما وظيفة أستاذ الفلسفة الخلقية التى كانت شاغرة منذ وفاة مولر . لكن هذا الامل تبدد عندما انتدب « رازموس نيلسن . Rasmus Nielsen »(٣٠) لالقاء بعض المحاضرات فى الفلسفة ، ثم عين بعد ذلك باشهر قلائل أستاذا بالجامعة فاغلق تعيينه الباب نهائيا فى وجه كيركجور(٣١) . صحيح انه عمد خيبة الامل ، كالمعتاد ، تعميدا دينيا ورأى فيها « اشارة » من الله توحى اليه بأن طريقه ليس سلك التدريس الاكاديمى فى الجامعة وأن عليه ان يتجه اتجاها دينيا ، لكنه مع ذلك لم ييأس – فبعد مناقشة رسالة الماجستير التى أحدثت دويا فى « كوبنهاجن » لما احتوت عليه من مقدرة فلسفية ، وبراعة فى التهكم والسخرية ، وبعد أن طبعها فى كتاب باسمه الحقيقى وليس باسم مستعار مثل كتبه الاخرى – سافر الى مدينة برلين ليستكمل دراساته الفلسفية فى جامعتها(٣٢) : وجلس يستمع الى شلنج العجوز الذى بهره بحديثه عن « الواقع » فكتب فى يومياته بتاريخ ٢٢ فبراير ١٨٤١ يصف حالته آنذاك :

« أنا سعيد سعادة لا توصف لسماعى محاضرة شلنج الثانية حتى اننى تنهدت طويلا بما فيه الكفاية ، وتنهدت الافكار بداخلى ، فهو حين نطق بكلمة « الواقع » ركض جنين الفكر بداخلى فى فرح كما قفز الجنين من قبل فى بطن « اليصابات »(٣٣) ، وفى استطاعتى أن أتذكر تقريبا كل كلمة

---

(٣٠) يتحدث عنه كيركجور فى يومياته ويقول « اننى جعلت رازموس نيلسن صديقا حميما لأننى شعرت أن ذلك كان واجبا دينيا . » قارن يوميات عام ١٨٤٩ .

S. Kierkegaard. The Journals P. 162 (Fontana Edition) 1969.

(٣١) Johannes Hohlenberg: Soren Kierkegaard P. 1/1-102 Eng. Trans. by T. H. Croxall; Octagon Books U.Y., 1978.

(٣٢) قارن ما يقوله فثيوف برانت من أن كيركجور قد ذهب الى برلين التى كانت مركزا للفلسفة واللاهوت فى ذلك الوقت محاولا الحصول على درجات علمية جديدة تؤهله للحصول على كرسى الفلسفة الذى كان شاغرا منذ وفاة الشاعر الفيلسوف بول مارتن مولر عام ١٨٣٨ – ف . برانت : س . كيركجور : ص ٢٢ .

(٣٣) اشارة الى القصة التى رواها « انجيل لوقا » و « اليصابات »

قالها منذ هذه اللحظة »(٣٤) ·· أما المبدأ الذى أعلنه مرارا من أنه لايقدم فلسفة » ولا يعرف شيئا عن « المذهب الفلسفى » وهو لا يؤلف ولا يعد بتأليف مثل هـذا المذهب الفلسفى »(٣٥) ، فاننا نستطيع أن نقول مع ر · جوليفيه R. Jolivet اننا نشك كثيرا فى انه كان مخلصا دائمـا اخلاصا كاملا لكل ما يقتضيه هـــذا المبدأ من صـرامة كاملة ·· بل ان عناوين كثيـر من مؤلفاته تدل بوضوح على انتقاله من التحليل الوجودى الى فلسفة الوجود · ومن امثال هذه العناوين « مفهوم القلق » و « رسالة فى اليأس » ·· حيث نجد فى جلاء ضربا من المذهبية والتعميم(٣٦) ·· والحق أن كيركجور كان لديه ميل خفى لاقامة « مذهب مسيحى » رغم معارضته الشديدة للمذهب » وللنسق الفلسفى بصفـة عامة ، فقد استهوته « المذهبية الهيجلية » رغمـا عنه . ولهذا نجـده فى كثير من الأحيـان يعالج تصورات مجـردة ومفاهيم عامة ثم يحاول بعد ذلك ان يربط بينها · ويقول « سوء حظى : انتى حيثما أوجد لا أنشغل بالجزئى . لكنى انشغل باستمرار بمبدأ وبفكرة · ان الغالبية العظمى من الناس على احسن الفروض يفكرون فى الفتاة التى ينبغى عليهم أن يتزوجوا منهـا ، أما أنا فقـد كتب على التفكير فى الزواج من حيث هو زواج ، وهكذا فى بقية الاشياء ·· »(٣٧) ·

صحيح أن كيركجور أطلق على كتابين من أهم كتبه اسمين لهما دلالة واضحة هما : « الشذرات الفلسفية » و « حاشية ختاميـة غير علمية » ·

هى زوجة زكريا وأم يوحنـا المعمدان وكانت عاقرا فبشـرها مـلاك الرب بغلام : « ولما سمعت اليصابات سـلام مريم ارتكض الجنين فى بطنها » · لوقا الاصحاح الاول : ٤١ ·

(٣٤) S. Kierkegaard; The Journals P. 102 (Oxford).

(٣٥) كان هانز مارتنسن (١٨٠٨ ـ ١٨٨٤) H. Martensen أستاذ اللاهوت بجامعة كوبنهاجن ـ وهـو من كبار الهيجليين فى الدانيمارك ـ قد كتب مقالا بعنوان « أحاديث تمهيدية فى المنطق النظرى » وعـد فيه بتقديم مذهب فلسفى . واشارة كيركجور سخرية من هذا الوعد ·

(٣٦) ريجيس جوليفيـه : « المذاهب الوجـودية من كيركجور الى سارتر » ص٥٠ ترجمة فؤاد كامل عبد العزيز الدار المصـرية للتأليف والترجمـة ·

(٣٧) S. Kierkegaard : The Journals P. 314 (Oxford).



Soren Kierkegaard
After a drawing by P.C. Skovgaard
سرن كيركجور بريشة ب . س . سكفجور



Soren Kierkegaard, about 1836
سرن كيركجور حوالى عـام ١٨٣٦

مشيرا بذلك الى أنه يعارض مذهب الفلسفة الهيجلية ذا الصفة الشمولية(٣٨) ·
فهو يكتب « شذرات » وليس مذهبا فلسفيا مثل هيجل ، كما أنه يكتب « حاشية غير علمية » أو مجرد « حاشية » ليس لها الصبغة « العلمية » (وكان هيجل يستخدم كلمة « العلم » ··· Wissenchaft بمعنى واسع لتشمل الفلسفة أيضا ··) ـ ذلك كله صحيح لكن الأصح منه أنه لم يستطع أن يفلت من قبضة هيجل الحديدية(٣٩) ، وهو موضوع سوف نعود اليه بالتفصيل فيما بعد كما سبق أن ذكرنا ·

* * *

اما ما يقوله « كاوفمان » من ان كيركجور وقف ضد تيار الفلسفة الحديثة كلها عندما أعاد الثقة بالكتاب المقدس ، فهو اتهام فيه الكثير من المبالغة من زاويتين : ـ

الاولى : أن تيار الفلسفة الحديثة لم يكن قد تخلص تماما من « لاهوت العصور الوسطى » ، أعنى انه لم يكن عقلانيا بالدرجة التى تجعله يرفض سلطان الكتاب المقدس رفضا تاما ؟ فديكارت R. Descartes « كما يقول كيركجور نفسه ـ لم يتشكك قط فى مسائل الايمان ، وهو يقتبس منه قوله ان ما ينكشف لنا بواسطة الله يجب أن نؤمن به بوصفه أكثر الأشياء كلها يقينا ، واذا ما بدا نور « العقل الطبيعى » موحيا بشىء مخالف فاننا مع ذلك لابد ان نثق فى السلطة الالهية وحدها أكثر من ثقتنا فى حكمنا الخاص ···(٤٠) ·

·· يقول ديكارت ما نصه مترجما : ـ

« ينبغى قبل كل شىء أن نتمسك بقاعدة تعصمنا من الزلل وهى أن

---

(٣٨) John Macqurrie : Existentialism P. 1. (a Pelican Book 1972).

(٣٩) د· امام عبد الفتاح امام « كيركجور فى قبضة هيجل » ـ مجلة الفكر المعاصر عدد ٦٧ سبتمبر ١٩٧٠ ·

(٤٠) د· ديكارت « مبادىء » الفلسفة الجزء الأول فقرة ٢٨ وفقرة ٧٦ ويستشهد به كيركجور فى كتابه « الخوف والقشعريرة » ص٢٢ ومابعدها من ترجمة لورى السالفة الذكر ·

ما أنزله اللـــه هو اليقين الذى لا يعـدله يقين أى شىء آخـر ، فاذا بدا أن ومضـة من ومضات العقل تشير الينـا بشىء يخالف ذلك وجب أن نخضع حكمنا لما يجىء من عند الله ٠٠ »(٤١) ٠

واذا كان أبو الفلسفة الحديثـة يلزمنا بمـا أنزل اللـه ـ أى الكتاب المقدس ـ الذى هو يقين ما بعده يقين ، فان تلاميذه « أعلام الفلسفة الحديثة » يسيرون فى نفس التيار ، تشهد على ذلك خواطر ، بسكال ٠٠ B. Pascal ، (١٦٢٣ ـ ١٦٦٢) التى تكاد تذكر اياته الكتاب المقدس فى كل صفحة تقريبا دون أن تمل مطلقا من الاستشهاد بنصوصه ٠٠(٤٢) ٠

امـا ليبنتز G.W. Leibniz (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) الذى يفتتح كتـابه « أحاديث عن الميتافيزيقا » بالتفرقة بين « أعمال الله وأعمال المخلوقات » ، فانه يختتمه بتبرير العنـاية الالهيـة بالالتجـاء الى الانجيـل ـ يقـول : لم يعرف الفلاسفة القـدامى الا القليـل عن هـذه الحقـائق ، يسـوع المسيح وحـده هو الذى عبر عنهـا بطريقة الهية وعلى نحـو واضح جدا ومألوف للغاية لدرجة أن أبسط العقول تستطيع ادراكهـا ، كما أن انجيله غير تماما وجـه الأرض ٠٠ » ، ثم يستشهد بنصـوص كثيـرة من العهـد الجديد(٤٣) ٠

---

(٤١) مبادىء الفلسفة لديكارت ترجمة الدكتور عثمان أمين ص ١٨٠ مكتبة النهضة المصرية القاهرة عام ١٩٦٠ ٠

(٤٢) قارن « خواطر بسـكال B. Pascal: Pensées » ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ و ص ٣٧ ، و ص ٤٨ ، ٤٩ ، ص ٥١ ٠٠ الـخ الـخ من الترجمـة الانجليزية بقلم A.J. Krailsheimer عـام ١٩٧٧ طبعـة Penguin Books .

(٤٣) قارن الفقـرة رقم ٣٧ من أحاديث فى الميتافيزيقا ـ وتقـول الترجمة الانجليزية مارى موريس Mary Morris ان هذه الفقرة عبارة عن سلسلة من النصوص المقتبسة من الكتـاب المقدس (العهد الجديد) حيث يوضح « ليبنتز » كيف كشف يسوع للناس عن الاسرار والقوانين العجيبة فى مملكة السماء والسعادة القصوى التى أعدها الله للذين يحبونه :
G.W. Leibniz : Philosophical Writings P. 247 Eng.
Trans. by Mary Morris and G.H. Parkinson; Rowman and Littlefield, totowa, N. J. 1979.

واذن فان تيار الفلسفة الحديثة ، لم يكن قد تخلص تماما من سلطان الكتاب المقدس حتى يقوم كيركجور باعادته اليه ·· !

الزاوية الثانية : حين كان كيركجور يلجأ الى الكتاب المقدس فانه لم يكن يفعل ما يفعله رجل الدين التقليدى حين يعظ الناس بما جاءت به الاناجيل ويدعم ثقتهم فى نصوصه كما يوحى نقد « كاوفمان » . لكنه كان فيلسوفا دينيا ينظر الى هذه النصوص بمنظور « وجودى » يحتم على المرء ان يعيشها ويفهمها فهما ذاتيا – ولقد أدى هذا المنظور الى نشوب معركة عنيفة بينه وبين الكنيسة القائمة لم تنته الا بموته وهى معركة سوف نعود اليها فى فصل خاص عنوانه « الصراع حتى الموت » ··

ان كيركجور لم يسلم ، على نحو دجماطيقى ، بالخطيئة ، لكنه ذهب الى أن « الخطيئة » هى أقوى تعبير عن الوجود ، لان شعورنا بها ليس شيئا آخر سوى شعورنا العميق بوجودنا · وحينما يقول كيركجور ان : « الوجود هو الشعور بالخطيئة » فانه يعنى أن الذات تؤكد نفسها فى الخطيئة باعتبارها موجودا مستقلا عن الله ،ولكنها مع ذلك تشعر انها على صلة بالله بمقتضى ذلك الفعل نفسه الذى به انفصلت عن الله ·

وحينما يستولى الشعور بالخطيئة على النفس الآثمة المنسحقة أمام الله ، فانها لابد أن تجد نفسها بازاء الله وجها لوجه – وبهذا المعنى ذهب كيركجور الى القول بأن الوجود فى أعلى درجاته هو ألم وعذاب ، أو هو على وجه التحديد عذاب دينى لأن الخطيئة هى التى تقودنا الى أعتاب الوجود الدينى الصحيح ، والرجل المذنب أو الخاطىء يجد نفسه وحيدا أمام الله ، وهو لابد أيضا أن يتأمل حريته فى صميم تلك الخطيئة التى وقع تحت عبوديتها(٤٤) . وهكذا يؤدى الشعور بالخطيئة الى الشعور « بالقلق » وهو موضوع يصفه « فيجلينوس هوفينتز » – الاسم المستعار الذى ألف مفهوم القلق – بأنه من أصعب الموضوعات السيكولوجية بالاضافة طبعا الى « المعانى الدينية » التى يحملها الموضوع ، ومن ثم كان الكستدر درو A. Dru « مترجم يوميات كيركجور الى الانجليزية ، على حق تماما ،

---

(٤٤) د· زكريا ابراهيم « الفلسفة الوجودية » ص ٤١ – ٤٢ ·

عندما أشار فى تصديره لهذه الترجمة الى أن كيركجور استخدم « مفهوم القلق » بمعنى سيكولوجى ودينى وفلسفى » فاستخدام كيركجور لهذا المصطلح يتضمن استخداما ميتافيزيقيا بمعنى الكلمة ٠٠ »(٤٥) ٠

أما موضوع البرهنة على وجود الله فسوف نعود اليه فيما بعد عندما نتحدث عن « الايمان والمفارقة » فى الجزء الثانى من هذا البحث ــ ويكفى الآن أن نقول مع « ارك فرانك ٠٠ E. Frnak » ان كيركجور حاول أن يلجأ الى الانسان الحديث عندما افترض منذ البداية أن الله لا يمكن البرهنة عليه بالعقل . لأن الله يظل أمام عقل الانسان الحديث مجرد مفارقة خارجية . ولا يقوم وجوده الا على أساس ايماننا أعنى على قرارنا الحر الذى لا يدعمه أى دليل خارجى ٠ ومن هنا كان الله هو « المجهول The Unknown » او كان حجر عثرة Scandal أمام العقل(٤٦) ٠ ولهذا فان علينا أن ندرب العقل حتى يتقبل الله بوصفه موضوعا حقيقيا ووجودا صادقا حتى ولو كان ذلك يعنى أن نقوم « بقفزة فى الظلام » ! ٠ ان الطبيعة الحقيقية للايمان هو الا يحمل يقينا « والا لما كان الايمان على نحو ما هو عليه بالفعل : أعنى فعلا حرا(٤٧) ٠ يحمل « المخاطرة » ومن ثم المسئولية المترتبة على الفعل الحر ــ ومن هنا جاء

---

(٤٥) A. Dru Preface to English Translation of the Journals (Oxford).

(٤٦) كثيرا ما يترجم هذا المصطلح فى اللغة العربية بالفضيحة وهو خطأ ، أو على أقل تقدير يبتعد عن المعنى الدينى المراد ، فهو يصف اصطدام العقل البشرى (أو ما يسميه هيجل بالفهم) ــ بالمفارقة التى هى التناقض الظاهرى المتحقق فى العالم بالفعل ٠ أى أنه وجود حقيقى لكن لا يقبله العقل مثل أن تكون السيدة مريم أما وعذراء فى وقت واحد : وأن يكون المسيح الها وبشرا ، أبدى وزمانى فى آن معا ٠ ولقد كتب كيركجور جزء عن العثرة « فى كتابه « المرض حتى الموت ٠٠٠ ...Sickness unto Death » ٠ ص٢١٤ وما بعدهما ٠ والمصطلح مأخوذ من قول السيد المسيح « طوبى لمن لا يعثر فى » ٠ متى ١١ : ٦٠ وقول القديس بولس « لأننا نكرز بالمسيح مصلوبا ، لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة » ٠ كورنثوس الأولى ــ الاصحاح الاول اية ٢٢ ــ ٢٣ ــ وهى بالانجليزية Scandal, Offense, Stumbling block وبالفرنسية le Scandale

(٤٧) Erick Frank : Philosophical Understanding and Religious Truth P. 40 - 41 Oxford University Press, London, 1952.

قول القديس بولس « طوبى لم آمن ولم ير ‥ » ! ان الايمان الحقيقى لا يعتمد على الرؤية حسية كانت أم عقلية وانما يقوم على « اللايقينى » الذى هو العلامة الحقيقية الأصيلة على يقين الايمان ـ وهو موضوع سوف نعود اليه بالتفصيل فيما بعد ٠

والحق أننا نستطيع هنا أن نقارن بين فلسفة كيركجور وفلسفة ترتليان قديما Tertullian (١٦٠ ـ ٢٢٠) التى دمغت الايمان بأنه ايمان بالمفارقة واللامعقول . لكن كيركجور كان يمزج هذه الفكرة بالفلسفة الهيجلية ! لقد كان الفيلسوف القرطاجنى يدعو ، أحيانا ، مثل كيركجور الى الابتعاد عن « الفلسفة » التى يصفها بأنها « عدو للدين » ومن هنا نراه يتساءل أحيانا : « هل يمكن أن تكون هناك علاقة بين أورشليم وأثينا (٤٨) ؟ (أى بين الفلسفة والدين) ويجيب بالنفى لكنه يعود ، أحيانا أخرى ، فيرى أن هناك « تحالفا » واتحادا بينهما فيقول : « لقد كان سينكا ‥‥ Seneca واحدا منا ‥ »(٤٩) ٠ « وترتليان » فى الحالتين يدعو الى لون جديد من الفلسفة المسيحية ، والى فهم جديد لما ينبغى أن يكون عليه الايمان المسيحى الذى يتطلب الغاء العقل تماما ـ والعقل المرفوض هنا هو العقل الأرسطى الذى يؤمن بالهوية ويستبعد التناقض ! لقد أحب « ترتليان » المفارقة والتناقض حتى أنه جعلهما صريح الايمان ـ أى التعبير الصريح عن الايمان الحقيقى ومن هنا ذهب الى أن تجسد المسيح « مؤكد لأنه مستحيل ‥ Certum est quia impossibile » . ثم انتهى الى وضع الصيغة الشهيرة للايمان باللامعقول والتى ارتبطت باسمه فى تاريخ الفلسفة : « أومن لأنه لامعقول ‥ Credo ad absurdum » .

وعلى هذا الدرب سار كيركجور ‥ يقول جون ماكورى J. Macquarrie « فى نفس الطريق الذى سلكه ترتليان من قبل سار كيركجور فذهب الى أن المسيحية عثرة Offense أمام العقل ، لكننا نستطيع أن نتغلب على هذه العثرة بفعل من أفعال الارادة وليس بفعل من أفعال العقل أعنى بقفزة

---

(٤٨) The Encyclopaedia of Philosophy Vol. 8.

(٤٩) Ibid.

« الايمان . انها أيضـا « اللحظة » أمام الله ــ أعنى اللحظة التى يتصل فيها الأزل بالزمان اتصـالا وثيقا ، ولا يعنى ذلك ان المؤمن يتحرر من الزمان وما فيه من صراع ، وانما تعنى أن هناك بعداً أبديا فى صميم حياته »(٥٠) .

لو أن « كاوفمان » ذهب الى أن كيركجور أراد أن يحيى هــذه الفلسفة القديمة « فلسفة اللامعقول » أو « المذهب اللاعقلانى » القـديم ــ فى صــورة ذاتية حديثة مستعينا فى رسم هذه الصورة بخلفية هيجلية واضحة لقلنا انه أصاب . اما أن يقول ان كيركجور اقتبس مقولات من المسيحية وأفكارا من من هيجل ــ ثم راح يلعب بكلمات مثل « جدل » و « روح » و « ذات » ... الخ فربما أمكن أن نعتبر ذلك فى أحسن صوره نقدا للفلسفة المسيحية الجديدة التى قدمها كيركجور لكنه لا يمكن أن يكون حكما باعدامه فلسفيا .

نحن لا ننكر ان كيركجور كان يعكس فى كثيـر من كتـاباته حالاته النفسية المرضية فـكان هناك لون من الخلط الفـكرى فى معالجة الافـكار الميتافيزيقية والدينية والنفسية فى وقت واحد ــ وهو اضطراب يعلله هايكر Haecker بأن : « كيركجور كان يفـكر فى وقت واحـد فى الشـعر وفى الفلسفة وفى علم النفس وفى اللاهوت ! ولقـد وصـل الارتباك الى اقصـاه عندما اختلط الموضوع بالشخص ، والجزء بالكل ، والفكر بالوجود »(٥١) . لـكن ذلك كله ، وغيره كثير ، ليس سـوى نقد يمكن ان يوجه الى فلسفـة كيركجور ، والى غيـرها من الفلسفات التى مزجت فـكرها بدم صاحبهـا وبخلجات نفسه ! وفى استطاعتك ان توجه هـذا النقـد نفسـه الى فيلسوف مثل « نيتشه F. Nietzsche » لكن لا يمكن أن يكون هـــذا النقد مبررا لكى تقـذف به من سفينة الفلسفة ــ التى استوعبت كسفينة نوح ــ أنماطا لا حصر لها من التفلسف ! ذلك لأن الفلسفة فى النهاية هى « اثارة السؤال » حول الانسان : مسيره ومصيره انها تعبير فكرى عن وجـوده فى كل زمان ومـكان !

* * *

---

(٥٠) Jahn Macquarrie : Existentialism P. 170 - 171 (A Pelican Book).

(٥١) Cité Par Jean Wahl : Etudes Kierkegaardiennes P. 1 Librairie Philosophique J. Vrin Paris, 1967.

تنقلنا هـذه المناقشـة الى ما يقـوله « كاوفمان » من أن كيركجور لم يعمل على تنمية ملكاتنا النقدية ، أو يمارس ملكة النقد فى نقـد « الأوضاع القائمة » ، وأنه لم يفهم لب الفلسفـة السقراطية وهو انهـا اثارة للسؤال — والحق أن هذا الأتهام فيـه الكثير من الافتئـات على كيركجور ! فاذا كان الرجل قـد أخـذ على عاتقه اثارة « اشسـاكل » فى كل مكان ، « وتصعيب السهل » على حـد تعبيره — فكيف يمكن أن يعـد ذلك تقديما لجواب وليس اثارة لسؤال ٠٠ ؟ واذا كان قـد دأب طوال حياته على التهكم والسخرية — وكان موضوع اطروحته للماجستير — من الاوضـاع الموجـودة فى مجتمع الدانيمارك ، ومن الجيل الموجـود — أفلا يكون تجنيا عليـه أن يتهم بعـدم اثارة السؤال ؟ واذا كان كيركجور يصب حمـلات نقـدية لاذعة لا تخلو فى كثير من الأحيان من السخرية المؤلمـة — على أعظم تيـار فكرى فى عصره وأعنى به تيار الفلسفة الهيجلية ، ألا يكون ذلك ممارسة لملكة النقـد ؟ واذا كان قـد شن هجوما مماثلا على التيـار الدينى المتمثل فى الكنيسة القائمة حتى أنه أصدر نشرة صحفية خاصة هى « اللحظة » لتلاحق نقـل هجماته المتلاحقة ضد رجال الدين — ألا يكون ذلك ممارسة لملكة النقد انقول بعد ذلك أنه آثر الجواب لا السؤال ، وبحث عن الحـل ولم يطلب الاشكال ؟ يقـول كيركجور :

« انطلاقا من حبى للبشر ، ومن اليـاس الذى أشـعر به ازاء موقفى المحير ، ونظرا لاننى لم أنجز شيئا ، ولعجزى عن أن أجعـل الاشياء أكثـر سهولة مما هى عليه بالفعل : فقـد تصورت أن مهمتى هى أن أخلق المشاكل والصعاب فى كل مكان ٠٠ (٥٢) » وهو يقـول فى تأملاته التى لخص فيهـا جوهر مؤلفاته المستعارة كلها تحت عنوان : « خاتمة محتملة لجميع أعمالى ذات الاسماء المستعارة بقلم نقولاس نوتابن Nicolaus Notabene (٥٣) ٠ —

---

(٥٢) S. Kierkegaard : Concluding Unscientific Postscript; P. 166 Eng. Trans. by W. Lowrie.

(٥٣) هو المؤلف المستعار لكتاب كيركجور « المقدمات ٠٠ «Prefaces ولقد عبر « أوناموتو » الذى تاثر تاثرا قويا بكيركجور — عن هـذه الوجهة من النظر فوصف دوره بأنه يطلب الحرب ، ولهذا يقول : انا السيف وحجر الطاعون ، وأنا أرهف السيف فى نفسى » وأيضـا ان اللـه لم يبعثنى فى الدنيا رسـولا للسلام ، ولا من أجـل حصـاد التعاطف ، بل أرسلنى لأبذر =

يقول « سوف أخبــر الجمهور الـكريم الآن كيف أصبحت مؤلفــا . القضية بسيطة للغاية ..

« لقــد أنفقت بعض سنوات عمرى طالبا كسولا متعطلا الى حــد ما : أقــرأ قليلا وأفكر قليــلا . غير أن سنوات الراحة كانت لهــا عنــدى اليد الطولى . وقــد حـــدث أن جلست بعد ظهر يوم من أيام الآحــاد فى مقهى فردريكسبرج Frederisksberg أدخن سيجارا وأتأمل الفتيات العاملات . وفجــأة خطر لى خاطر فقلت لنفسى : انت لاتزال تضيع وقتك عبثا . مع أن العباقرة قد ظهروا . فى كل جانب . واحدا اثر الآخر . وحاول كل منهم أن يجعل الوجــود والحيــاة . ووسائل الاتصال عبــر التاريخ . والاتصــال بالسعادة الابدية : أسهل وأسهل . فماذا تفعــل انت ؟ الا يمكن أن تكتشف طريقــة ما تستطيع بواسطتها أن تعين الأجيــال وتساعدهم ؟ عندئذ سألت نفسى لم لا أجلس وأجعل كل شىء أكثــر صعوبة ؟ إذ لابــد للمرء أن يكون نافعا بطريقــة ما . وحتى اذا لم يرد الجيل (هذا التصعيب للأشياء) فسوف أكون محبوبا من أولئك الذين يريدون تسهيل كل شىء لأنه اذا لم يكن هنــاك من هو على استعداد لجعــل الأشياء أكثر صعوبة لأصبح من السهل أكثــر مما ينبغى أن تجعل الأشياء سهلة ! منذ تلك اللحظة أدركت أن متعتى تكمن فى هذا العمل .. »(٥٤) .

على هذا النحو يفهم كيركجور الدور الذى أراد أن يقوم به بمؤلفاته أن يثير المشكلات . وأن يصعب السهل . فتلك هى العبقرية الحقيقية كمــا يراها : « عنــدما يبحر الربان بسفينة شراعية فانه فى العــادة يعلم مقدما مسار رحلتــه . أما رجل الحــرب فانه لا يتلقى الأوامر الا وهو فى عرض البحر ـ وهذا ما يحــدث للعبقرى انه يغوص الى الاعمــاق قبــل أن تصله الأوامر .. »(٥٥) .

=

أنواع القلق والمضايقات . واحتمال الكراهية . وهـــذه الكراهية هى ثمن نجاتى » . قارن د . عبــد الرحمن بدوى « دراسات فى الفلسفة الوجودية » دار الثقافة ـ بيروت ط ٣ عام ١٩٧٣ ص١٤٧ .

(٥٤) S. Kierkegaard : The Journals P. 92 - 93 (Fontana).

(٥٥) Ibid, P. 93.

الى هذا الحد كان العبقرى عند كيركجو « رجـل حرب » ولقد خـاض هو نفسه الكثير من المعـارك لعل أهمها معركته مع « صحيفة القرصان » ثم معركته مع « رجـال الدين » ، وسوف نتحـدث عنهما فى الفصل الخـامس الذى جعلنا عنوانه « الصراع حتى الموت » ، كما خاض ايضا معركة كبرى ضـد الهيجلية سوف نتحدث عنها أيضـا فى الجزء الثانى من هذا البحث . ولما كانت الهيجلية قد انتشرت فى الدانيمارك انتشارا واسعا حتى سيطرت على الكنيسة اللوثرية التى ينتمى اليهـا كيركجور نفسه فقد وجه فيلسوفنا مدافعه نحو العصـر كله ، والجيل الجديد الذى اندفع وراء الهيجلية الى «الاعتزاز بالعقـل والايمان به حتى بـدا وكأنه مغروز فى طين العقـل على حد تعبيره يقول :

« هـل حـدث لك أن رأيت قاربا جانحا فى الطين . ؟ ! انه يستحيـل عليك فى الغـالب أن تجعله يعوم من جـديد ـ يستحيل عليـك أن تدفعه اذ لا توجد مدارة يمكن أن تصـــل الى العمق البعيد بحيث تستطيع دفعـه من جديد ، تلك هى حال الجيل كله ، ذلك الجيل الملتصق بطين العقل ، ولا أحد يحزن عليـه ، ولن تجـد فيــه الا غرورا ورضا ينبعان دائمـا من خطايا العقـل .. »(٥٦) .

هل يمكن بعـد ذلك كله أن نوافق « كاوفمان » على قوله ان كيركجور لم يمارس ملكة النقد ولم يطورها ؟ !

وفضلا عن ذلك كله فان « كاوفمان » لم يقدم لنـا كيف يمكن ان يتسق ما يقوله لنا مع ما يقوله المؤرخون ـ وهم فيـه على اجمـاع بان كيركجور هـو مؤسسـة ذلك النمط الجـديد من التفلسف المسمى باسـم « الفلسفـة الوجـودية » . . . ؟ ! يقـول ديفيد روبرتس ـ مثـلا ـ D.E. Roberts « سوف يكون سرن كيركجور فى أى مناقشة للوجودية المسيحية ـ الشخصية الرئيسية بغير جـدال »(٥٧) . وحتى لا يخطر ببال القـارىء ان كيركجور

---

(٥٦) S. Kierkegaard : The Journals P. 461 (Oxford), Fontana P. 214 - 215.

(٥٧) David E. Roberts : Existentialism and Religious Belief P. 63 (Oxford University Press 1968).

الى هذا الحد كان العبقرى عند كيركجو « رجـل حرب » ولقد خـاض هو نفسه الكثير من المعـارك لعل أهمها معركته مع « صحيفة القرصان » ثم معركته مع « رجـال الدين » ، وسوف نتحـدث عنهما فى الفصل الخـامس الذى جعلنا عنوانه « الصراع حتى الموت » ، كما خاض أيضا معركة كبرى ضـد الهيجلية سوف نتحدث عنها أيضـا فى الجزء الثانى من هذا البحث . ولما كانت الهيجلية قد انتشرت فى الدانيمارك انتشارا واسعا حتى سيطرت على الكنيسة اللوثرية التى ينتمى اليهـا كيركجور نفسه فقد وجه فيلسوفنا مدافعه نحو العصـر كله ، والجيل الجديد الذى اندفع وراء الهيجلية الى الاعتزاز بالعقـل والايمان به حتى يبدا وكأنه مغروز فى طين العقـل على حد تعبيره يقول :

« هـل حـدث لك أن رأيت قاربا جانحا فى الطين . ؟ ! انه يستحيـل عليك فى الغـالب أن تجعله يعوم من جـديد ـ يستحيل عليـك أن تدفعه اذ لا توجد مدارة يمكن أن تصـل الى العمق البعيد بحيث تستطيع دفعـه من جديد . تلك هى حال الجيل كله . ذلك الجيل الملتصق بطين العقل . ولا أحد يحزن عليـه . ولن تجـد فيـه الا غرورا ورضا ينبعان دائمـا من خطايا العقـل .. »(٥٦) .

هل يمكن بعـد ذلك كله أن نوافق « كاوفمان » على قوله أن كيركجور لم يمارس ملكة النقد ولم يطورها ؟ !

وفضلا عن ذلك كله فان « كاوفمان » لم يفسر لنـا كيف يمكن أن يتسق ما يقوله لنا مع ما يقوله المؤرخون ـ وهم فيـه على اجمـاع بأن كيركجور هـو مؤسسـة ذلك النمط الجـديد من التفلسف المسمى باسـم « الفلسفـة الوجـودية » ... ؟ ! يقـول ديفيد روبرتس ـ مثـلا ـ D.E. Roberts « سوف يكون سرن كيركجور فى أى مناقشة للوجودية المسيحية ـ الشخصية الرئيسية بغير جـدال »(٥٧) . وحتى لا يخطر ببال القـارىء أن كيركجور

---

(٥٦) S. Kierkegaard : The Journals P. 461 (Oxford). Fontana P. 214 - 215.

(٥٧) David E. Roberts : Existentialism and Religious Belief P. 63 (Oxford University Press 1968).

هو مؤسس الوجودية المؤمنة فقط فان روبرتس يستطرد قائلا « لم يقتصر أثره على ميدان اللاهوت وانما امتد الى أولئك الكتاب الذين سوف نعرض لهم فيما بعد بوصفهم ممثلين للوجودية غير المسيحية (كالوجودية اليهودية) وكذلك للوجودية الملحدة (كوجودية سارتر مثلا) ففى خلال جيل واحد قفزت مؤلفاته من ظلمات النسيان الى مركز السيادة · فحتى بداية القرن الحالى لم يكن أحد يعرف عنه شيئا خارج البلاد الاسكندنافية · ولم يكن أحد يعرف عنه الكثير حتى فى أوربا نفسها »(٥٨) ·

ويكمل روبتشك P. Roubiczeck الفكرة نفسها فيقول « لم يكن هناك فيما يبدو أدنى احتمال أن تبقى مؤلفات كيركجور بعد وفاته عام ١٨٥٥ ذلك لأن هذه المؤلفات قد كتبت باللغة الدانماركية ، وهى لغة يندر أن يعرفها أحد خارج الدانيمارك ، كما انه كان مجهولا تماما خارج بلاده نفسها التى كان فيها شخصية معروفة ، لكنه حتى داخل بلاده لم يكن معروفا بسبب مؤلفاته وانما بسبب هجومه على الكنيسة القائمة وبسبب بعض المسائل الشخصية الأخرى · أما اليوم ، وبعد أكثر من مائة سنة على وفاته ، فاننا نستطيع أن نقول بغير مبالغة انه واحد من أهم الفلاسفة واللاهوتيين — ان لم يكن أهمهم جميعا — فى عصرنا الحاضر · ان مدى تأثيره على الفكر الفلسفى واللاهوتى الحالى يدفعنا الى أن نقول انه يجب أن تكون لفلسفته مغزى خاصا بالنسبة لنا فى اللحظة الراهنة ، فهو الذى نحت مصطلح « الوجودية ··· Existentialism... وهو الذى تصدى للمحاولات التى بذلها الفلاسفة لخلق مذاهب ميتافيزيقية تجريدية وصلت الى قمتها فى بداية القرن التاسع عشر — كيركجور هو الذى تصدى لهذه المحاولات عندما هاجم هيجل بصفة خاصة الذى زعم أنه وجد تفسيرا لكل شىء — وأصر كيركجور على أن لا تكون الفلسفة تجريدية بل أن تقوم على التجربة الشخصية وعلى الموقف التاريخى الذى يجد المرء نفسه فيه ، وعلى هذا النحو يمكن أن تكون الفلسفة الأساس — لا للفكر النظرى التأملى — بل لحياة كل انسان ·

وبفضل هذا المنحى الجديد فهم كيركجور أفضل من معظم الفلاسفة

(٥٨) Ibid.

احـدى مشكلاتنا الرئيسية وأعنى بها مشـكلة الانسان الحديث عندما يريد أن يقبل الايمان الدينى لاسيما فى المسيحية ٠٠ »(٥٩) ٠

وباختصـار : اذا كانت الوجـودية فى نظر المؤرخين جميعـا أسلوبا جـديدا فى التفلسف يتسم بسمات خاصـة منها أنه يبـدأ من الانسان لا من الطبيعـة ، ومنهـا أيضا أن تفلسفـه ينصب على الذات لا على الموضوع ٠ ومنهـا أن الذات الوجـودية ليست ذاتا مفـكرة وانما هى ذات فاعلة ٠٠ الخ الخ ٠٠(٦٠) ٠ اذا كان هـذا التيـار يمثـل فلسفـة جديدة ، واذا كان كيركجور هو المؤسس الأول لهـذه الفلسفة الجديدة فكيف يمكن ان يستبعده كاوفمان من مجـال التفلسف ؟ ! ربما كان الأدنى الى الصواب أن نقول مع هربرت ماركيوز : « ان اعمال كيركجور تمثل اخـر محاولة كبرى لاسترجاع الدين بوصفه الأداة النهائيـة لتحرير الانسانية من التأثير الهـدام لنظـام اجتماعى ظالم ٠ وفلسفته تنطوى فى كل جوانبها على نقـد قوى لمجتمعه ، يدينـه بوصفه مجتمعا يشوه الملكات الانسانية ويحطمها ٠ أما العلاج فنجده فى المسيحية وفى تحقيق طريقـة الحيـاة المسيحية ٠ ولقـد كان كيركجور يعلم أن مثـل هـذه الطريقة فى الحيـاة تحتاج ، فى هـذا المجتمع ، الى صراع لا ينقطع ، وتنتهى الى المذلة والانهزام ٠٠ »(٦١) ٠ ولهذا فقد ظل يصارع هذا المجتمع الى آخر يوم فى حياته ٠ ومات وعلى مكتبه « العدد العاشر » من نشرة كان يصدرها ليهاجم بها الكنيسة القائمـة التى اتهمها بانها مؤسسة حكومية تكتفى بتصـدير الناس الى الحياة الاخـرة ! « فقد جعلت الـدولة من القساوسـة موظفين رسميين عندها ٠ لكما انهـا تقوم برصف الطرق ، واقامة الجسور وتنظيم مجارى المياه ٠٠٠ الخ ٠ فانها فى نفس الوقت اقامت مؤسسـة مهمتها تقـديم سـعادة العالم الآخـر بأبخس الأثمان ٠٠٠٠٠ »(٦٢) ٠

* * *

(٥٩) Paul Roubiczek : Existentialism : For and Against, P. 55 - 56 Cambridge Univ. Press 1966.

(٦٠) J. Mackuarrie: Existentialism; P. 2 (A Pelican Book).

(٦١) هـ ٠٠ ماركيوز « العقـل والثورة » ص٢٦٠ ترجمـة د٠ فؤاد زكريا الهيئة المصرية العـامة للتأليف والنشر القاهرة عام ١٩٧٠ (الطبعة الأولى) ٠

(٦٢) J. Wahl: Etudes Kierkegaardiennes; P. 43.

يمكن أن نقول فى النهاية ان « كاوفمان » وقع فيما يمكن أن نسميه بخطأ الفيلسوف . وهو خطأ يرتكبه الفلاسفة عندما يؤرخون لغيرهم أو يكتبون عنهم فاما أن يتفقوا معهم فى الرأى والمذهب او يحرموا من لقب الفيلسوف . اذ تراهم يرفعون شعار : « من ليس معنا فهو لا شىء على الاطلاق » تلك سنة استنها عمالقة الفكر اليونانى سقراط وافلاطون وأرسطو عندما سخروا من السوفسطائيين وجردوهم من لقب الفلاسفة لانهم خالفوهم فى الرأى بل وقفوا فى معسكر مضاد تماما ثم زادوا انهما عندما تناولوا اجرا على تعاليمهم وليس تلك هى السنة التى جرى عليها عرف الفلاسفة فحققت عليهم اللعنة فى كل كتاب !

وتلك هى نفسها نظرة المذاهب الفلسفية فى القرن العشرين فعلى هذا النحو ينظر الفيلسوف الماركسى أو البرجماتى أو الوضعى المنطقى .. الخ الى غيره من الفلاسفة « لست ماركسيا ، ذلك يعنى انك لست شيئا على الاطلاق » . أو « لست برجماتيا فلا تصيب لك عندنا » ! او .. من لم يكن وضعيا منطقيا فانه لايعرف شيئا عن فلسفة العصر .. ! الخ . وليس ذلك « نقدا » بالطبع لان نقد المذهب الفلسفى انما يأتى من داخله لا من الخارج والا لكنا نضرب المذاهب بعضها ببعض ... بل اننى استطيع ان اقول ان هذه النظرية الضيقة نفسها هى التى طبقها تلاميذ هيجل بعد وفاته واثارت سخط المفكرين والفلاسفة جميعا ، ذلك لانهم اندفعوا فى غمرة الحماس الجارف للهيجلية الى رفع شعار غريب عن الهيجلية نفسها وهو « من ليس هيجليا فهو احمق وجاهل » ! ففى الوقت الذى حرص فيه هيجل على ان يجمع الفلاسفة جميعا الى حظيرة الفلسفة على اعتبار أن كل فكرة مهما تكن بسيطة قالها فيلسوف أو قام عليها مذهب انما هى لبنة فى صرح الفلسفة الهائل ومن يرفضها على انها ليست فلسفة يكون : « اشبه بالمريض الذى نصحه الأطباء بالاكثار من تناول الفاكهة ولكنه رفض أن ياكل ما قدم اليه من كمثرى وعنب وبرقوق ، زاعما انها ليست فاكهة وانما بعضها كمثرى ، وبعضها الآخر عنب وبرقوق ! »(٦٣) .

---

(٦٣) Hegel: Lectures on the History of Philosophy Vol. 1. P. 18 Eng. Trans. by E.S. Haldane.

تلك نظرة « أحادية » حاربها هيجل وتمرد عليها كيركجور وكانت من بين الاسباب التى جعلته يشن حملة عنيفة على الهيجلية بوصفها الفلسفة السائدة التى يرى أصحابها أن من ليس هيجليا فهو « أحمق » ! ومادامت الهيجلية هى « الفلسفة » بألف لام التعريف فقد هاجم كيركجور الفلسفة بصفة عامة والمذهب بصفة خاصة لأنه « قيد » ينبغى للمفكر الذاتى أن يتخلص منه ، وهو موضوع سوف نعرض له فى نهاية هذا البحث .

الفصل الثانى

ذلك الفرد

« لو سئلت عن العبارة التى أتمنى أن تكتب على قبرى ، فلن أطلب إلا عبارة واحدة هى : ذلك الفرد .. » .

س. كيركجور : اليوميات

الفصل الثانى

ذلك الفـــــرد

كان « كيركجور » يتمنى أن يكتب على قبره بعـد وفاته عبـارة غريبة هى : « ذلك الفرد .. »(١) . فما الذى كان يرمى اليه من وراء هذه العبارة الغامضة ؟ أكان يريد أن يقول انه « الفرد » بألف لام للتعريف أى أنه « الفرد الحقيقى » . أو « الامثل » أو أنه « الأوحـــد » « و المستثنى » « الخارق للعادة » .. ؟ أم كان يريد أن يقول أنه ذلك الفرد الشقى البائس الذى عاش وحيدا ، ومات وحيدا دون أن يشعر بطعم الحيـــاة الحقيقية التى كثيرا ما تحدث عنها .. ؟ أم تراه قد احتفظ لنفسه بمغزى العبارة كسر ينضاف الى رصيدة من الأسرار .. ؟ وانه أراد أن يكون بعد وفاته . كما كان طوال حياته ، لغزا يستعصى على الفهم) مصداقا لقوله . « نقد مشحنى الله القدرة على أن أعيش لغزا .. » (يوميات ١٨٤٨) . أتراه كان يعتقد أنه ســوف ينام قرير العين كلما ازدادت حيرة الباحثين فى أمره دون أن يجدوا خيطا يرشدهم أو ضوءا ينير لهم الطريق فى دراستهم له : .

« عزائى أن أحدا لن يستطيع بعد وفاتى أن يجد بين أوراقى تفسيرا واحـــدا لما كان يملأ حياتى كلهـــا . لن يجـــد الكلمـــات التى تفسر له كل شىء .. »(٢) .

الحق ان هذا الرجل كان « خارقا للعادة » بالمعنى الحرفى للكلمة أى انه كان شاذا غريبـــا من زوايا متعددة . واذا كان هو نفسه قد أطلق على أسرته اسم « الاسرة اللغز » فربما كان فى استطاعتنا أن نقول عنه أيضا انه : « ذلك الفرد اللغز .. »(٣)أو تلك « الشخصية الغامضة » . فكيف يمكن

---

(١) A. Kierkegaard Anthology P. 258 ed. by P. Bretall & Ency. of Philosophy Vol. 4 P. 336.

(٢) S. Kierkegaard : The Journals, P. 115 (Oxford).

(٣) كتب فى ٣ مارس ١٨٤٧ كتابا بعنوان « أحاديث تهذيبية لأرواح مختلفة » وأهـــداه الى « ذلك الفرد .. » كما كتب فى يومياته تدوينة عـــام —

للباحث أن يتناول هذه « الشخصية » بالدراسة والتحليل ... ؟ ما هى أهم مفاتيحها ، أعنى أهم سماتها البارزة وملامحها الرئيسية .. ؟ ما هى العوامل التى لعبت دورا « حاسما » في تكوينها على هذا النحو الخارق..؟ تفسيرات كثيرة ، وآراء متعددة : « جورج براندز Georg Brandes يقول ان العامل الحاسم والاساسى فى شخصية كيركجور انما يكمن فى قدرته على الجمع فى مركب واحد بين « الاحترام والاحتقار » او « التوقير والازدراء » فى حين يذهب هوفدنج .. H. Hoffding الى ان العامل الحاسم فى تكوينه هو الاكتئاب أو « المزاج السوداوى » الذى ورثه عن أبيه . أما أ . ب . مونراد O.P. Monrad فيرى ان هذا العامل انما يوجد فى الانفعالات الجياشة والعاطفة المتوهجة التى كان يحملها فى صدره(٤) وربرت هيس .. R. Heiss يرى أنه التمزق النفسى او الانشطار الداخلى ان صح التعبير(٥) فى حين يذهب اخرون الى ان العامل الحاسم فى تكوين « الشخصية اللغز » هو ذلك الصراع الذى كان يعانى منه طوال حياته بين روحه وجسده ، بين طاقة روحية هائلة وجسد شائه سقيم ـ وهو ما كان يسميه احيانا باسم « الشوكة فى الجسد » والتى يقول عنها « هيرش E. Hirsh انها : « الدونية التى تحولت الى علو .. » . (٦)لانها جعلته يقفز الى أعلى . ويرى آخرون انها عزلته التى فرضها على نفسه وانعدام صلته بالواقع الحى الذى ظل طوال حياته يتطلع اليه - او انها خبراته الخشيلة الذى كان يجترها صباح مساء ذلك هى مكونات شخصيته والمفاتيح فى دراسة « هذا الفرد » ..

* * *

الحق اننا نستطيع أن نقول ان شخصية كيركجور كانت مزيجا من عدد

= ١٨٤٦ حول الاهداء الى ذلك الفرد .. » ، ثم كتب كتابا عن « الفرد : ملاحظتان حول أعمالى كمؤلف » نشر بعد وفاته عام ١٨٥٩ ـ مما يدل على أهمية الفرد عنده مما جعله يقول « الفرد هو المقولة التى لابد ان ينتقل اليها ـ من وجهة النظر الدينية ـ جيلنا وجنسنا مع تاريخه . » اليوميات ص ١٢٣ طبعة فونتانا ..

(٤) A. Grieve : S. Kierkegaard, art in: The Ency. of Ethics & Religion ; Vol. VII ed. by James Hastings.

(٥) R. Heiss Hegel, Kierkegaard, and Marx P. 206.

(٦) Cité par Jean Wahl : Etudes Kierkeg. P. 22.

العوامل جميعا فهى تجسيد حى « للمفارقة » التى جعلها مقولة رئيسية فى فلسفته بعد ذلك ، وهو يعنى بها « التناقض المتحقق فى عالم الواقع » خلافا للتناقض المنطقى أو التناقض المجرد الذى لا يكون الا فى عالم الفكر وحده · ان وجـوده الفعلى « وجـــوده العينى » انما هو نسيج من عوامل كثيرة متناقضة ومتنافرة تفاعلت معا وانصهرت فى « ذلك الفرد ·· »وهو نفسه يدرك أنه يحمل فى جوفه متناقضات لا حصر لها : فهو فى أعمــاقه حزين مكتئب يعانى من آلام وعذاب داخلى مستمر ونظرة سوداوية قاتمة ، لكنه من خارجه مرح يضحك ويسخر ويلقى النكات فى كل مكان · فرغم المزاج السوداوى الذى أنقض ظهره يحاول أن يسعد الآخرين ويضحكهم ، « أنا اشبه بجانوس ...Janus (٧) ذى الوجهين : اضحك بوجه وابكى بالآخر··»(٨) فاذا التقى بالناس أظهر لهم الوجه الضاحك لكنه عنــــدما يختلى بنفسه يقول : « ابانا الذى فى السموات ! افتح مصادر عينى واجعل سيل الدموع ينهمر ليغسل حيــاتى الماضية التى لم تكن فاضلة امام عينيك ·· »(٩) · فهــو مع النـــاس مرح ضاحك ، لكنـــه مع نفسه لا يجـــد سوى الدموع · فكأنما كتب عليه ألا يضحك لما كان يلقيه من نكات وسخريات لاذعة يسحر لها الآخرون · ولهذا فكثيرا ما نجده يتساءل : « أصحيح أننى ينبغى على الا اضحك من نكاتى الخاصة ؟ ! · »(١٠)وهو يسجل عام ١٨٣٦ بعد عودته من حفل مرح هذه التدوينة العجيبة : « عدت الآن توا من حـــفل كنت فيه الحياة والروح ــ ذكاء لماح ينساب من شفتى ، كل من بالحفل يضحك ويعجب بى ــ لكنى خرجت ــ وينبغى أن أرسم خطا طويلا بطول مدور الكرة الأرضية

كم أشتهى أن أقتــل نفسى برصاصـــة · ! » · (١١)الى هــــذا الحـــد

---

(٧) جانوس Janus اله البوابات عند الرومان ، وكانوا يصورونه حارسا بين السماء والأرض ، فهو القائم على فتح البوبات الرئيسية التى تفصل بين هذين العالمين : عالم السماء وعالم الأرض · ومن اسمه جاء فى اللغات الأوربية شهر يناير January لأن يفتح سنة جديدة ويفصلها عن السنة القديمة ·

S. Kierkegaard: The Journals P. 55 (Fontana).
(٩) S. Kierkegaard: Ibid, 69 (Oxford).
(١٠) Ibid, P. 51 (Fontana).
(١١) Ibid, P. 50 - 51 (Fontana).

العجيب يبلغ التناقض بين الظاهر والباطن عنده جانب المرح الظاهرى فى الحفل ثم يخرج ويرسم خطا فاصلا طويلا ليظهر بعده ما يخفيه فى أعماقه : الرغبــة فى الانتحـــار ! ولقد فكر بالفعل أكثر من مرة فى أن يتخلص من حياته ، كما أوشك مرات كثيرة على الجنون ، حتى أنه درس طويلا العلاقة الوثيقة بين « العبقرية والجنون » . » وبين الحقيقة والجنون » « والذاتيــة والجنون » ورأى أنهــا من مشــكلات المفكر الذاتى وحـــده(١٢) · ولقــد كتب فى يومياته يقول : « أريد أن اكتب قصة يصبح أحد أبطالها مجنونا ، واظل اكتب واكتب ·· حتى أتحدث اخر الأمر بلسانه ، او أجعله يتحدث بلسانى ·· ! » · (١٢)ليس غريبا اذن ان يقــول فى ١٤ يونيو ١٨٣٧ عن نفســه : « انا أجمع بين المأساة والملهاة . أقــول كلمات فيضحك النــاس ، وابكى أنا ! · » (١٤)واذا كان : كل انسان ينتقم لنفسه من العالم ، فان انتقامى يكمن فى محافظتى على الامى وهمومى داخل نفسى عميقة محلسورة وان أسلى الاخرين جميعا بضحكى ·· » (١٥)واذا كان يحمل فى أعماقه هذا التناقض » المتحقق بالفعل » فان جميع علاقاته : بالناس ، وبالواقع ، وبالحياة سوف تدمغ بهذه السمة البارزة : (١٦)فهو مثلا يحب اباه ويحترمه لكنه يشعر أنه المسئول عن مأساته ، « يا أرحم الراحمين ! كم أخطأ أبى فى حقى : أجل لقد اقترف فى حقى خطأ مروعا بكآبته : شيخ طاعن يحمل طفلا مسكينا كل كآبته ، وبرغم ذلك فهو أفضل الاباء ! » (يوميات ١٨٤٧(٧) وهو يلخص هذه العلاقة المتناقضة فى عبارة جامعة حيث يقول : —

---

(١٢) قارن مثــلا حاشية ختاميــة غير علمية » ص ١٧٢ — ١٧٥ من الترجمة الانجليزية بقلم ديفيد سوينسون وولتر لورى ·

(١٣) S. Kierkegaard: The Journals P. 46 (Oxford).

Ibid, P. 50

Ibid, P. 47.

(١٦) يقول لورى لا شك أن كيركجور كان مريضا وهو أول من يعترف بأنه وصل الى حافة الجنون وأنه كان يخشى على نفسه الجنون بالفعل وقد يكون غريبا أنه أستطاع أن يحافظ على اتزانه وهو فى الخوف والقشعريرة يقتبس عبارة لسنكا Seneca اقتبسها بدوره عن أرسطو يقول فيهــا لم يوجد قط عبقرى عظيم يخلو من مس من الجنون » قارن كتابه عن كيركجور حـ ١ ص ٩٧ ·

(١٧) قارن النصوص الكثيرة التى يسوقها جان ڤال لتوضيح هذه العلاقة =

« كل شيء يتعلق بوالدى الرجل الذى أحببته كثيرا ، وماذا يعنى ذلك ؟... ! يعنى أنه هو بالضبط الرجل الذى جعلنى شخصا بائسا ، لكن بسبب الحب ، لم تكن غلطته فى افتقاره الى الحب وانما كانت فى خلطه بين الرجل العجوز والطفل الصغير .. » (١٨)وعندما مات الأب فى أغسطس ١٨٣٨ مر الابن بتجربة جديدة لكنها لم تغير موقفه : « انه لم يبتعد عنى بموته . كلا ! لقد مات من اجلى . حتى يستطيع ، اذا امكن، أن يجعل منى شيئا ما ...»(١٩) انا مدين لأبى بكل شيء : أفكر فيه منذ موته ، وسوف أفكر فيه حتى يضمن القبر اليه فى وحدة سعيدة .. » (يوميات ١٨٤٠/٨) « لقد تعلمت منه كيف يكون الحب الابوى ، وتعلمت عن طريق ذلك كيف يكون الحب الأبوى لله . الركن الوحيد الذى لا يتزعزع من اركان الحياة . والنقطة الارشميدية الحقة .. » (٢٠)وهكذا نشأ ازدواج Ambivalence الذى يحبه ويكرهه فى آن معا ! يحترمه ويعتبره مسئولا عن مزاجه السوداوى وتربيته الغريبة التى وصفها هو نفسه بأنها « نشأة حمقاء » اذ بدلا من أن يظفر من أبيه بالمعاملة التى يظفر بها الأطفال عادة فى مثل سنه . اعتبره أبوه منذ البداية شخصا طاعنا فى السن . فلم يعرف كيركجور معنى الطفولة وكأنه لم يمر بهذه المرحلة من عمره فقد سيطرت عليه افكار الواجب والشعور الدينى والخطيئة ، وسوف نعود الى الحديث عن علاقته بوالده « ونشأته الحمقاء » فى شيء من التفصيل فى الفصل القادم .

كان كيركجور يريد لفلسفته أن تكون تعبيرا عن وجوده الخاص الذى هو نسيج من التناقضات ، وأن يستخرج من أعماقه ما يشعر به من ألم وتوتر وعذاب ومعاناة ليكون نظرية عن الانسان بصفة عامة . فما يعانيه من « قلق » و « يأس » و « شعور بالخطيئة » « و » مرض نفسى » .. الخ ليس حالة خاصة به هو وحده ، لكنها تمثل عوامل « تتألف منها الذات البشرية » .. وسوف نتحدث عن نظريته عن الذات البشرية ، فيما بعد .

=

فى الفصل الأول من كتابه « دراسات كيركجوردية » لاسيما ص٣ وما بعدها .

(١٨) Quoted by F. Brandt : S. Kierkegaard: his lifeand his Works, P. 9 Eng. Trans. by Ann Bonn.

(١٩) S. Kierkegaard: The Journals P. 60 (Fontana).

(٢٠) S. Kierkegaard: The Journals P. 61 (Fontana).

وما يهمنا ابرازه هو أنه كان يعتمدفى صياغة هذه « النظريات » على تأملاته الذاتيه واستبطانه لنفسه وما يستشعره بداخله من خلجات وأحاسيس ـ . وهو فى كثير من الأحيان يعتمد على « المنولوج » أو « الحوار الذاتى» الذى يجريه مع نفسه ثم يصبه على الورق فى شكل « يوميات » يدونها يوما بيوم أو ساعة بساعة ، وهو فى أحيان أخرى يقطع ذاته شرائح ليخلق منها مجتمعا بديلا عن المجتمع الذى افتقده فتراه يتحدث الى شخصياته المستعارة كما يتحدث أحيانا عنها ، بوصفها شخصيات حقيقية واقعية « : يوحنا كليماكوس » ، « وفكتور ارمتيا » و « يوحنا المغوى .. الخ حتى أنه يجمعهم معا حين يدعوهم الى وليمة فى كتابه « . مراحل على طريق الحياة » ويجعل هذه الوليمة باسم محاورة أفلاطون الشهيرة « المأدبة The Banquet » .. ويجعل كلا منهم يعرض آراءه للنقاش فى مواجهة الآخرين بعد أن عرضها قبل ذلك فى كتاب مستقل !(٢٢) .

والحق أن كيركجور حطم القاعدة التى تقول انه اذا كان الانسان يولد وحيدا ويموت وحيدا فهو لا يعيش الا مع الآخرين . فقد عاش وحيدا ومات وحدا وقضى حياته القصيرة فى عزلة رهيبة لا يصاحبه فيها سوى ذاته : يدور حولها تارة ويتطلع اليها فى المرآة تارة أخرى ، وينفخ فى جذورة النار التى يحملها فى صدره حتى يتعالى لهيبها ثم يتألم : « آه ! اندلعت النيران فى شىء لا يمكن أن يحترق : اندلعت داخل نفسى .. !»(٢٣) وكم كان يلذ له أن يشاهد وهج النيران وهى تشتعل ، ويتأمل ألسنة اللهب وهى تتصاعد دون أن تحرق شيئا » ! لقد تكاتفت عليه ظروف كثيرة لتشكله فى هذا الثوب القاتم الذى ظهر به فى كل كتاباته : حتى اسمه نفسه كان قاتما كروحه . فكلمة كيركجور تعنى حرفيا : « المقبرة ! » (٢٤)واذا

---

(٢١) R. Verneau : Leçons Sur L'Existentialisms P. 22.

(٢٢) كتاب « مراحل على طريق الحياة » تأليف مجموعة مختلفة من الاشخاص ـ هكذا نشرة س . كيركجور فى ٣٠ ابرايل عام ١٨٤٥ انظر مثلا :

S. Kierkegaard Anthology P. 172 - 173 edited by Robert Bretall, Princeton University Press.

(٢٣) S. Kierkegaard: The Sickness Unto Death, P. 151.

(٢٤) W. Lowvie: S. Kierkegaard, Vol. 1, P. 20.

كان فى استطاعة الباحث أن يجمع العديد من العوامل التى كونت شخصيته ودفعته الى هذه العزلة الرهيبة ، فانه لا بد أن يضيف أن المحصلة النهائية هى أن كيركجور – « استسلم » لها ، وسوف يجعل هذا « الاستسلام » مقولة هامة فيما بعد ! وسوف يكون فارس الاذعان والاستسلام Knight of Resignation هو نفسه فارس الايمان Knight of faith وسوف يجعل مثله الأعلى « ابراهيم » و « أيوب » والصابرين جميعا(٢٥) ! وهذا « الاستسلام » يعنى بالطبع العزلة القاتلة حتى يجتر آلامه ، وهو يعنى أيضا الانسحاب من دنيا الناس ومن تيار الحياة الصاخب – هكذا قطع كيركجور جميع الخيوط التى تربطه بالواقع ، .. صحيح أنه ظل يتغنى بهذا « الواقع » طوال حياته ، ويحلم بالحياة الممتلئة بالخبرات والتجارب ، ويعيب على « الآخرين » انهم لا يعلمون شيئا عن شئون الحياة التى يتحدثون عنها لأنهم جمعوا أفكارهم ومعلوماتهم من « الكتب » لا من الواقع الحى ! : « هناك كثرة من الناس يصلون الى نتائج حياتهم مثل تلاميذ المدارس » : بأن يغشوا أستاذهم وينقلوها من الكتب بدلا من أن يمروا بها بأنفسهم – »(٢٦) . هذا كله صحيح . لكنه لم يتعد مجال « التمنى » ولم يتخط الحلم والخيال الى دائرة الواقع الحى – كان كيركجور – فى مراحل حياته يريد أن يجمع أفكاره عن الحياة بنفسه عن طريق الغوص فى أعماقها حتى يسبر مكنوناتها عن قرب :

« أجل ! أنا أريد أن أترك نفسى للشيطان ليظهرنى على كل رجس أو كل خطيئة فى أكثر صورها رعبا ! : ذلك هو المذاق الكامن فى غموض الخطيئة .. »(٢٧) لكن ذلك لم يكن سوى رغبة تعتمل فى نفسه . فهو فى الواقع لم يمر الا بخبرات ضئيلة للغاية ، ومجموعة محدودة جدا من

---

(٢٥) عالج موضوع الاذعان والاستسلام فى كتابه « الخوف والقشعريرة » – وفى كثير من يومياته – قارن مثلا قوله : « ان ما أظفر به فى الاستسلام هو وعيى الأبدى وتلك خطوة فلسفية أجرؤ على القول اننى قادر عليها لو طلبت منى .. » ص٥٩ وقوله « الاستسلام اللامتناهى هو المرحلة الأخيرة التى تسبق الايمان ومن لم يمر بهذه الخطوة لا ايمان له .. » ص٥٧ « فى الاستسلام اللامتناهى يوجد السلام والراحة » ص٥٦ من ترجمة لورى السالفة الذكر .

(٢٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 53 (Fontana).

(٢٧) Ibid, P. 41 (Oxford).

التجارب ، وفى اعتقادى أنها لم تزد « ثروته » من الخبرات ولكنها ضاعفت رصيده من الوســـاوس فقد كان يؤلمه مثلا ـ عندمـــا يستعيد هذه هذه الذكريات القليلة أن يكون قدأنجب فى ليلة من ليالى الضياع طفلا دون أن يدرى ! وكان هذا الهاجس من المنغصات الاساسية فترة طويلة من حيــاته وسنعود اليه فى فصل قادم !

مزق كيركجـور ، اذن جميع الخيوط التى تربطه بالحيـــاة ونسف الجسور التى تصله بالواقع وأسدل على نفسه ستائر كثيفة اختفى وراءها وراح يتلصص بين الحين والحين من وراء النافذة ليختلس النظـــر الى المارة فى الشارع ! وهو ينصح قراءه بأستدال الستائر حتى على عواطفهم وانفعالاتهم : « ان اردت ان تكون ذاحميــة ، وأن تظل كذلك ، فان عليك أن تسدل الستائر الحريرية على سخريتك ، وبالتالى تخفى حميتك ٠٠ !(٢٨) وهكذا نستطيع أن نقول فى اطمئنان ان كيركجور لم تكن له صلة بالحياة الا فى جانب ضئيل منها وانه عاش طوال حيـــاته مفكرا منشغلا بمقولاته الذاتيــة ، وهـــو نفسه اول من يعترف بذلك يقــول : « لم أعش قط بالمعنى الانسانى لهذه الكلمة ٠٠ لكننى كنت فكرا من البداية الى النهـــاية »(٢٩) فحتى الفترة التى حاول أن ينغمس فيها فى الحياة الحسية وهى التى أطلق عليها اسم « طريق الضياع » ـ لم يستفد منها كثيرا ولقد كان صادقا تماما عندما قال : « كنت اشـــارك فى جميع المتع الممكنة لكننى لم أستمتع بشىء قط ٠٠ » (٣٠)لقد حاول أن يستمتع بما فى الحياة من لذائذ ويعرف تلك الجوانب البعيدة من دنيا الناس لكن ذلك كله لم يفده شيئا : « فى بحر من الملذات ليس له قرار ، وفى هاوية المعرفة ، فتشبثت عبثا عن نقطة القى فيها بمرساتى ٠٠ » (٣١)

والواقع أن شخصية كيركجور ، رغم ظاهرها الذى يوحى بالعكس

---

(٢٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 126 (Fontana).

(٢٩) S. Kierkegaard: The Point of View of My Work as an auther P. 80 Eng. Thans. by W. Lowrie.

(٣٠) Ibid. P. 79.

(٣١) S. Kierkegaard: The Journals P. 17 (Oxford).

كانت مثلها مثل شخصية « نيتشه » ضحلة التجارب صلتها بالواقع الحس هزيلة وخبرتها بالحياة سطحية · غير ان الافتقار الى التجـــارب الحية يعوضه عندما تجسيم للمشكلات الفكرية واضفاء الحياة عليها ، فكل ما فى هذه التجارب من عنف كان راجعا الى أنها هى وحدها عاطفية وانفعالية جعلتها تبدو مليئة بحق ·(٣٢)وكيف يمكن أن يقال خلاف ذلك عن حياة يمكن أن تعد تجاربها كلها على أصابع اليد الواحدة ·· ؟

يقول « جان فال ·· J. Wahl فى هذا المعنى « لقد كان « روتنبك Ruttenbeck على حق تماما حين كتب يقول ان هذه الحياة (أى حياة كيركجور) فى مجموعها فقيرة الاحداث الخارجية لكنها مغلقة على ثروة فى الافكار ل نظير لها ·· »(٣٣) لكن علينا أن نلاحظ ان ثروة الأفكار هذه انما جاءت عن طريق اثراء الفكر وبعث الحياة فيه لا عن طريق امتلاء الحياة واستخلاص الفكر منها فنحن نجده يتوزع على مشكلاته الخـــاصة يجترها صباح مساء · والنتيجة الطبيعية هى الفرار من الحياة والابتعاد عن واقع الناس الحى ليجد ملاذة فى الدين : « ســوف أبتعد عنهم ، اولئك الذين لا هم لهم سوى التلصص عما اذا كان المرء قد ارتكب نقيصة بطريقة ما · سوف أذهب اليه وحـــده : الى « السيد » الذى يبتهـج بهجة عظمى بعودة التائب اكثر مما يبتهج لتسع وتسعين حكيمـــا ليسوا بحـــاجة الى التوبة ·· »(٣٤)

كان كلما خطا خطـوة نحو الارتباط بالواقع أو الاتصـــال بالحيـــاة والناس عـــاد وسحب قدمه بسرعة كالطفل الذى يخشى نزول البحر لاول مـــرة ، فيكتفى بالجلوس على الشاطىء ليبنى بيوتا من الرمال يلهو بها ويسعد بالتطلع الى منظر البحـــــر الصاخب الذى يراه ولا يحس بامواجه المتلاطمة ! ولو انك تأملت علاقته « بريجينا اولسن Regina Olsen » لرأيت مثلا واضحا على ذلك ، فهو يظل سنتين يحلم بها منذ رآها أول مرة وتعيش فى خياله ، لكنه ما أن يخطبهـــا حتى يدون أسفه وندمه على هذه

٣٢ ــ د ·فؤاد زكريا « نيتشه » سلسلة نوابغ الفكـــر العربى العـــدد الأول ص ١٥ و ص ٣٨ من الطبعة الأولى ·

(٣٣) Jean Wahl: Etudes Kierkegaardiennes P. 46.

(٣٤) S. Kierkegaard: The Journals, P. 43 (Oxford).

الخطوة فى اليوم التالى للخطوبة مباشـــرة يقول فى معرض استعراضـه لعلاقته بها : « فى اليوم التالى شعرت اننى قمت بخطوة خاطئة ..» (٣٥) انظر : ما أن يمد قدمه ليرتبط بالواقع حتى يعود فيسحبها بسرعة ويشعر أنه أرتكب خطأ ! ما الذى كان يخشاه « كيركجور » بالضبط فى بحر الحياة الصاخب .. ؟ لا أحديدرى ، ولا هو نفسه ! وها هنا يستخرج مقولة أخرى من مقولاته الفلسفية التى أفرد لها كتابا خاصا وأعنى بها مقولة « القلق » فهذا هو الفارق الهام فى رأيه بين الخوف والقلق : الخوف يعنى أنك تعرف الأشياء التى تخاف منها فهو خوف من وجود « متعين » ، فأنت تخـــاف الظلام ، والسكون أو الأماكن المغلقة أو المرتفعة ، أو من حيوانات بعينها أو أمراض محددة — الخ الخ — باختصار ان تخاف شيئا محددا ومعروفا لك أو للآخرين ولكن القلق أمر مختلف أتم الاختلاف « انه الخوف من مواجهة الواقع كله » هكذا بغير تحديد أو تعيين : انه الخوف من الوجود بأسره ، من الوجود بما هو وجود : وماذا عسى ان يكون هذا الوجود اللامتعين ان لم يكن هو العدم كما قال هيجل فى بداية منطقه ؟ اذن القلق عند كيركجور هو الخوف العام من لا شىء ، ومن هنا ارتبط القلق عنده بالعدم !

عاش كيركجور اذن ، مقطوع الصلة بالواقع : فلم تكن له مهنة ، ولا زوجة ولا ولد ، ولم يسع الى وظيفة (باستثناء أشهر قليلة عمل فيها مدرسا للغة اليونانية فى المدرسة الابتدائية التى كان يديرها ميخائيل نلسن والتى تخرج منها هو نفسه ، وكان ذلك ارضاء لرغبة والده) — ولكنه لم يحاول قط الانخراط فى جماعة ، بل تجنب الالتزام من أى نوع ، وفى استطاعتنا ان نقول ان كل خبراته لا تزيد عن :

١ — محيط الأسرة (لاسيما علاقته بوالده على وجه الخصوص)

٢ — عدد ضئيل جدا من الأصدقاء وفترة قصيرة حاول فيها الانغماس فى الحياة الحسية لكنها كانت مشاركة سطحية .

٣ — قصة حب فاشل مع ريجينا اولسن

٤ — معركتان أساسيتان : واحدة مع صحيفة القرصان The Corsair

---

(٣٥) S. Kierkegaard: The Journals, P. 70 (Fontana).

والثانية مع الكنيسة القائمة بسبب حملته على الأسقف Bishop Mynster وسوف نعود الى وقائع هذه الحياة فى الفصول القادمة · لكن ما نود أن نشير اليه هنا هو « قلة هذه الواقائع » ، والى أن ما له من أهمية راجـــع الى الشحنات العاطفية القوية التي كان يسلطها عليها ثم يستخلص منهـا أفكارا عن الانسان هى التى شكلت فلسفته فيما بعد ·

ليس غريبا ، اذن، أن نقول انه قطع صلته بالواقع الحى الذى ظل طوال حياته يتغذى به والذى « ركض جنين الفكر فى بطنه » عندما سمع « شلنج » يتحدث عنه ! وليس غريبا أيضا أن نقول ان الحياة التى عاشها كيركجور كانت « بعيدة عن الحياة » وانها اكتفت بمداعبة الشاطىء دون أن تخطو خطوة واحدة نحو الأعماق ! وماذا تكون النتيجة سوى عزلة رهيبة : « أنا أشبه ما أكون بشجرة الصنوبر المتوحـــدة ، مغلق على نفس ، أتطلع الى السماء ، لا ألقى حوالى ظلا ، وليس ثمة سوى الخفاش هو وحده الذى يستطيع أن يبنى عشه وسط غصونى ·· » (٣٦)ويكون احساسه وسط هذه العزلة القاتلة أنه أشبه ما يكون : « بالعبد الذى حكم عليه بالتجديف فى احدى السفن ، مقيد بالموت ، لا يذكره بالحياة الاقعقعة السلاسل ثم يعود الموت ليكتسح كل شيء من جديد ·· » · (٣٧)

والواقع أن كيركجور كان فى كثير من الأحيان يقوم بسجن نفسه فيكون هو السجين والسجان معا ! فيرفض الاتصال بالناس أو الاختلاط بالمجتمعات ولم ينجح أحد فى كسر هذا الستار الحديدى الذى فرضه على نفسه فلا نعلم أن أحدا استطاع أن يحاوره وجها لوجه ، أو حتى أن يتنـاقش معه باستثناء قلة قليلة من الأصدقاء(٣٨) وحتى عندما يكون مع هؤلاء الأصدقاء فان أجمل اللحظات عنده هى لحظات صمتهم لأنها تتيح له فرصة العودة مرة ثانية الى ذاته التى اغترب عنها دقائق معدودات كتب فى ٦ مايو عام ١٨٣٥ الى بطرس لند Peter Lund يقول : —

(٣٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 46 (Oxford).
(٣٧) Ibid, P. 47.
(٣٨) Robert Heiss: Hegel, Kierkegaard and Marx P. 205. Eng. Trans. by E.B. Garside (Adelta Book U.S.A. 1975).

« ... ان صمت أصدقائى يلائمنى من حيث أنه يعلمنى أن أسدد نظراتى الى نفسى ، ويحثنى على ادراك ذاتى ، تلك الذات التى هى لى ، كما يجعلنى أحافظ عليها وسط تغيرات الحياة التى لا تنتهى . وان أدير نحو نفسى تلك المرآة المقعرة التى كنت من قبل أسعى الى أن أتعرف من خلالها على الحياة خارج نفسى . ان هذا الصمت يعجبنى من حيث أننى أرى نفسى فيه قادرا على بذل هذا الجهد ، ويجعلنى أشعر أننى كفء للامساك بتلك المرآة بغض النظر عما تأتى به : سواء جاءتنى بمثلى الأعلى أم بصورتى الهزيلة . اذا رأيت أحدا من أصدائى فبلغه تحياتى . لكن لا تشجعه ابدا على الكتابة الى .. » (٣٩) وساعده على تحقيق هذا « الحبس الانفرادى » الذى حبس فيه نفسه بارادته انه عاش على دخله الخاص من نصيبه فى الميرات بعد وفاة أبيه أو بما كان يعطيه له أبوه قبل ذلك ، فلما منع عنه المال فى « فترة الضياع » غرق فى الديون ! والمهم أنه فى جميع مراحل حياته لم يحتج الى العمل ليعيش وليواجه المتطلبات الضرورية للحياة ، فما ورثه يكفيه ويمكنه من الاستمرار فى ضرب الحصار من حوله حتى لايعرف أحدا ولا يختلط به أحد الا القلة النادرة كما قلنا — فليس غريبا بعد ذلك الا يكون معه سوى الامه : « اننى أقول عن الامى ما يقوله الانجليز عن بيتهم : أن ألمى هو قلعتى .. » (٤٠) ويكتب عن أصدقائه المخلصين فى كتابه الشهير « اما — أو » فيقول « ليس لى صديق واحد : هو الصدى . ولم كان صديقى .. ؟ ! لانى أحب الامى وهو لا يحرمنى منها : وليس لى الا مستودع واحد لسرى هو سكون الليل ولم كان مستودع سرى ؟ لانه صامت .. » . (٤١)

وفى استطاعتنا أن نقول انه باستثناء بعض الرحلات القصيرة التى كان يقوم بها أحيانا فى ضواحى قريبة من مدينة كوبنهاجن وهى نزهات بالعربة — أو بعض رحلات الى برلين : فانه ولد وعاش ، وتربى ، وتعلم ،

---

(٣٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 73.

(٤٠) "Either..or", Vol. 1, P. 21 Eng. Trans. by W. Lowrie.

(٤١) S. Kierkegaard: "Either..or", Vol. 1, P. 33 Eng. Trans. by W. Lowrie.

ومات ودفن فى كوبنهــاجن دون أن يغادرهـــا قط الا فى رحلاته القصيرة السالفة : وحتى فى هذه الحالة فانه كان يكتب من هناك كما حدث وهو فى برلين ، لصديقــه الوحيد « اميل بويزن **Eil Boesen** يقــول : « لقـــد رفضت أن أتكلم الالمانية ولذا عشت فى عزلة كاملة » ٠ (٤٢)ولم يشاهد قط فى أية اجتماعات عامة أو حفلات أو ندوات اجتماعية ولم يظهر أمـــام الجمهـــور ، بل كان يشترط على باعة كتبه ألا يعطـوا هدايا من كتبه الى الصحف حتى لا تكتب عنه مقالات نقدية ٠(٤٣)

هناك عامل آخير نود أن نشير اليه لمــا كان له من اثر فى تكوين هذه الشخصية الغريبة ، لقد نشأ كيركجور فى أسرة تتألف من سبعة أفــراد كان هو اصغرهم : طفلا ناضجا غريبا وشاذا حتى فى السنوات الأولى من عمره حتى لقـــد أطلقت عليه الأسـرة فى هـــذه السنوات الاولى اسـم « الشوكة ! » والسبب فى هذه التسمية الغريبة أنه سئل ذات مرة : ماذا تريد أن تكون فى مستقبل حياتك عندما تكبر ــ ؟ فاجاب : أريد أن أكون شوكة حتى أستطيع أن أغز كل شىء ، وحتى أكون قادرا على وخز الناس الذين يضايقوننى ! ٠ (٤٤)

ولهذا نراه يطور هذه الفكـــــرة فى يومياته بعد ذلك فيقول : « اننى لآمل بفضل العذاب الذى أتحمله بصبر من أن أكون شوكة فى جنب العالم ٠٠(٤٥)

ولهذا فسوف نجده بعد ذلك يتحدث كثيرا عما يسميه باسم « الشوكة فى الجسد » وهو تعبير استعـــاره من القديس بولس الذى كان يقول : لئلا أرتفع بفضل الاعلانات أعطيت شوكة فى الجسد مـــلاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع ٠٠ » ٠ (٤٦)ويفسرها بعض شراح الكتاب المقدس بأنها « مرض » لم يذكره القديس بولس لكنــه كان على الارجح السبب فى امتنــاعه عن

---

(٤٢) S. Kierkegaard: The Journals, P. 120 (Oxford).
(٤٣) R. Heiss: Op. cit., P. 205.
(٤٤) R. Heiss : Op. cit., P. 204 & H. Hohlenberg S. Kierkegaard; P. 42 Eng. Trans. by T. H. Croxall.
(٤٥) S. Kierkegaard: The Journals, P. 27 (Oxford).
٤٦ ــ رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثوس اصحاح ١٢ : ٧

الزواج . وعلى أية حال فان كيركجور يستعير نفس الفكرة تقريبا ويقول : « عندى شـوكة فى الجسد مثـل القديس بولس . ولهـذا السبب لم أستطع الدخول فى العلاقات العامة ، ولهذا السبب أيضـا استنتجت أن مهمتى خارقة (يوميات ١٨٥٥) .

فما المقصود بهذه « الشوكة فى الجسد » عند كيركجور ؟ هى اشارة ، فى الأعم الأغلب ، الى التكوين الفسيولوجى الذى سبب له الوانا لا حصر لها من الصراع النفسى الحاد والآلام النفسية الشديدة فهـو كما يقول جا نال J. Wahl ... السبب الذى جعله يتردد فى خطبة الفتاة التى أتعبها معه ـ ريجينا أولسن ـ ثم فى رفضه الزواج منها فيما بعد : فقد كان هناك لون من ألوان التنافر ـ على حد تعبير كيركجور نفسه ـ فى العلاقة بين جسده وروحه .. » (٤٧)وها هنا نلتقى بصورة أخـرى من صور « التنـاقض الظاهرى » المتحقق فى العـالم بالفعل وهو الذى سـوف يسميه باسم « المفارقة » وهو تناقض ـ لانه متحقق ـ فيستحيل حله او رفعه كما حاول هيجل أن يفعل . هذا التناقض الذى خبره بداخله بين الجسد والروح اضفى على شخصيته مزيدا من الاكتئاب ، ودفعه الى المزيد من العزلة والبعد عن الحياة الاجتماعية العامة . (٤٨)فلا شك أن جانبا من مزاجه السوداوى وحبه للعزلة وتقوقعـه على نفسه كان يرجع الى صحته السقيمة وتكوينه الجسدى الشائه فقد كان بشع المنظر ، قمىء القامة ، ذا صوت نشاز كأنه نعيب الغراب ، احدى ساقيه أطول من الأخرى محروما من محاسن الجسد ولهذا فقد كان يشعر أن باب السعادة قد أغلق دونه ! لكن ذلك شىء ، فقد كان هناك جانب آخر هو جانب الروح : كان فيه كيركجور صعب المراس ، ساخر المزاج ، حاد الذكاء ، لاذع التهكم ، ذا خيال عجيب وعبقرية ساحرة . وفى استطاعتنا ، من ثم أن ندرك فى الحال أن كيركجور نفسه كان نموذجا للجـدل العينى الحى الذى سوف يتحدث عنه فيما بعد : فقد كان مطلوبا

---

(٤٧) J. Wahl: Etudes Kierkeg. P. 17.

٤٨ ـ لسنا بحاجة الى القول أن حضوره بعض الحفلات الخاصة فى مناسبات قليلة وعند بعض الاسر مثل أسرة القسيس روردام ، الذى تعرف عندها على ريجينا أولسن لا يقدح فيما يقول :

ومتجنبا فى وقت واحد ، محبوبا ومكروها فى آن معا ، كما كانت شخصيته أشبه بالقلق المؤنس ، أو القلق اللذيذ ، الذى تحدث عنه هو نفسه ، ووصفه بأن المرء يحبه ويخافه فى واقت واحد يريده ويتشاد فى آن معا ، كذلك كان « سرن كيركجـــور » ويستدنى ويستبعد فى آن معـا . وهو يصف هذين الجانبين فى شخصيته منذ الطفولة فيقول :

« كنت رقيقا ، نحيفا ، ضعيفا ، محروما ــ تقريبا ــ من كل الشروط المطلوبة لكى أمارس حياة عادية مع غيرى من الأطفال أو حتى لكى انشا كرجل مكتمل اذا ما قورن بغيره من الناس ، سوداوى المزاج ، بائسا بأعمق معنى للكلمة . لكن هناك شيئا واحدا كنت املكه : ذهنا لماحا منح لى مقدما حتى لا أكون عاجزا عن الدفاع عن نفسى . وحتى فى طفولتى كنت اعى قدرتى على حضـــور الذهن ، واعرف انها ملجئى وملاذى فى صـــراعى مع الآخرين الذين يفوقوننى قوة » .(٤٩)ولقد احدث له هذا الجسد الشـــائه متاعب لا حصر لها كما ترك فى الوقت ذاته انطباعات نفسية بالغة الاثر على شخصيته وعلى فكره ، وعلى مجرى حياته كلها ، وجعل الصراع عنيفا بين الروح القوى الخلاق وبين الجسد الشائه القمىء : فهو يحاول مثلا ان يفعل ما يفعله غيره من الشباب فيذهب ليقيد اسمه فى الحرس الملكى الدانماركى ــ وكانت هذه الوظيفة أملا يتسابق اليه الشباب ، لكن طلبه يرفض لعدم لياقته الطبية نظرا لتقوس عموده الفقرى الذى كان يعانى منه والذى كان يرده الى سقوطه وهو طفل من فوق شجرة(٥٠) .

ويذكر لورى W. Lowrie أن هذا التقوس كان كان يسبب له متاعب بين الحين والآخـــر ويضعه فى مواقف بالغة الحرج : فكثيرا ما كان يسقط

(٤٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 517 (Oxford).

(٥٠) ويبدو أن ضعف البنية كان خاصية وراثية فى الاسرة فشقيقه سرن ميخائيل مات فى سبتمبر عام ١٨١٩ وهو فى الثـــانية عشرة بسبب تناطحه بالرأس وهو يلعب مع أحد الأطفال ، كما مات خمسة من اشقـــائه بسبب عيوب جسمية مختلفة . وكان كيركجور نفسه يشعر انه سوف يموت فى سن مبكرة ــ راجع كتاب لورى السالف الذكر جـ ١ ص ٩٤ ــ وكذلك كتاب يوهانس : « س . كيركجور » . ص ٢٧

J. Hoblenberg: S. Kierkegaard, P. 27.

خائرا على أرض الغرفة دون أن يستطيع النهوض بسهولة ولهـــذا فقد كان يكره كراهية شديدة أن يشاهد أحد هذا المنظر ، فاذا ما حدث رغمــا عنه أمام أحد فانه كان يسارع بانهاء الموقف بدعابة مؤلمة قال لهم فى دعابة مرة : « دعوا ما سقط كما هو حتى الصباح الى أن يأتى الخادم فيكنسة !(٥١) وسقط مرة أخرى وكانت دعابته هذه المرة « لودفيج الصغير سوف يلتقط نفسه ·· »(٥٢) · ولودفيج هو الشاب المسكين الذى قص علينا قصته فى الجزء الثانى من كتابه الشهير : « اما ·· أو » عام ١٨٤٣ · (٥٣)ويقول أحـــد أصدقائه القلائل هانز بروخنر · Hans Broechnerفى هذا المعنى : « لقد كان للمشى معه فى الشارع متاعب جمة بسبب عدم انتظام حركاته الذى يرجع بالطبع الى تقوس عموده الفقرى ، فلم يكن فى استطاعة المرء أن يحافظ على طريق مستقيم وهو يسير معه . بل لا بد له من التخبط طول الطريق . وحين كان يشير بيديه أو عصاه وهو يتحدث يصبح منظره أشبه ما يكون بمن يتخطى الحواجز ·· » · (٥٤)فقـــد كان يسير على شكـــل « قفزات » كما ود للفلسفة أن تسير فيما بعد : من هذا كله يتضح لنا كيف كان كيركجور يشعر داخل نفسه بصراع عنيف ، وكيف كان يحس أنه تعبير حى عن التناقض « أو المفارقة » والتقاء الاضداد على نحو لا يرفع ! وسوف نرى فيما بعـــد كيف ذهب الى أن الذات البشـــريه تتألف من عاملين هما : « المتناهى واللامتنـــاهى » أو « الامكان والضـرورة » ·· الخ ولو تأملنا قليلا هذين العاملين لوجدنا أنهما يعبران عما كان يستشعره داخل نفسه من صراع بين الجسد والروح ، فالجسد هو العامل المتناهى الذى يحدد ويقيد انه عامل الضرورة . أما للامتناهى فهو عامل القوة والخيال والامكـــان . وسوف نرى كيف ينشأ : المرض حتى الموت « نتيجة لهذين العاملين » ·

والحق أن كيركجور كان يشعر أن جسده ليس الا مرضا بغير علاج وهو

---

(٥١) ركزت صحيفة « القرصان » فى هجومها عليه على هذا التكوين الجسدى الشاذ وهذا واضح فى الرسوم الكاريكاتورية التى نشرتها هذه الصحيفة ·

(٥٢) W. Lowrie: S. Kierkegaard, Vol. 1, P. 95.

(٥٣) S. Kierkegaard: "Either...or" Vol. 11, P. 250 Eng. Trans. by Walter Lowrie 1974.

(٥٤) W. Lowrie : ou. cit., P. 145.

على حد تعبير جان فال J. Wahl الة تعذيب مستمرة(٥٥) · ولقد عبر كيركجور عن هذا الشعور أكثر من مرة وبأكثر من صورة يقول مثلا : « حالتى الذهنية سليمة تماما من الناحية الصحية ، وهى لهذا تشتاق الى اطراح ضعف الجسد تماما ، كما يشتاق المريض الى تمزيق الاربطة ·· فانا مثلى مثل القائد المنتصر والذى قتل جواده فى الحرب ويريد حصانا جديدا اه :هذه الصحة الظافرة لذهنى كم تشتهى حصانا جديدا أعنى جسدا اخر··(٥٦) ويقول فى مكان آخر « : لقد أنجزت شيئا عظيما سوف يعجب منه الناس لفترة طويلة فقد كانت لى مواهب شاذة خارقة للعادة ، ان ما ينقصنى وما احتاج اليه هو تلك الخصائص الحيوانية حين نتحدث عن واحد من الرجال ···(٥٧) ويقول ايضا انا اشبه ما اكون بسفينة تحمل محركا اقوى بكثير جدا من بنيتها ·· « فهذا الجسد الشائه الضعيف ليس هو الجسد الذى كان ينبغى أن يكون له ، ولهذا تراه يعاتب ربه فى حسرة وألم : « اه ! لو كنت قد وهبتنى جسدا غير هذا الجسد حين بلغت سن العشرين : اذن لكان حالى غير الحال ! ·· « · (٥٨)ويبدو أن المحيطين به كانوا يشعرون بهذا النقص عنده وكانوا يركزون عليه او انه كان على الاقل تقدير يعتقد ذلك : « ان الناس تجد لذة بهيمية حين يطلبون منى ما لم احصل عليه ، ثم تراهم يسخرون مما اعطى لى ·· « · (٥٩)ويبدو أن هذه ، الشوكة فى الجسد » كانت من بين العوامل الكثيرة التى جعلته يحجم عن الزواج من « ريجينا اولسن » ولقد عبر عن ذلك بقوله : « لو قدر لى ان اطلعها على مكنونات نفسى ، اذن لاشركتها فى امور مرعبة : علاقتى بأبى ، ومزاجه السوداوى ، والليل الأبدى الذى يعوى داخل نفسى ! « · (٦٠) وهذا الليل الابدى الذى كان يستشعره بداخله هو هذا التنافر الحاد بين الجسد الذى بلغ من الضعف والوهن حدا جعله يقول : « لو أن احدا ناداني بصوت

(٥٥) J. Wahl: Etudes Kierkegaardiennes P. 18 Paris. Vrin, 1957.

(٥٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 144 (Oxford).

(٥٧) Ibid, P. 395.

(٥٨) Ibid.

(٥٩) S. Kierkegard : Ibid.

(٦٠) S. Kierkegard : The Journals, P. 122.

فجائى مرتفع فسوف أسقط على الأرض ميتا فى الحال » ! ـ مع أن روحه كانت حية ظافرة جياشة مليئة بالحركة والنشاط حتى أنه كان يحتاج الى عشرة أقلام مجنحة ـ على حد تعبيره ـ لكى تلاحق الفيض الزاخر المتلاحق الذى ما فتىء يلح عليـه فى وطأة ضاغطة وانثيال متدارك عنيد ، حتى أنه كان يضع فى كل حجرة دفترا خاصا يسجل فيه أفكاره . وهذا واضح أيضا من مجموعة المؤلفات الضخمة التى تركهـا لنا فى حياة قصيرة للغـايـة (١٨١٣ ـ ١٨٥٥) .

ولقد حاول كيركجور مرات كثيرة أن يعالج هذا « النقص » أو هذا التنافر بين الجسد والروح لكنه فشل ! حاول بشتى الطرق أن يعـالج نفسه من هذه « الشوكة » فلجأ الى حياة اللهو والعبث والفراغ أو ما أطلق عليه اسم « طـريق الضياع » ! أو طريق اليأس الذى يرجـع الى نقص اللامتناهى (العامل الثانى فى تكوين الذات البشرية) فلم يأت ذلك كله الا بنتيجة مضادة : زيادة اليأس ومضاعفة الهواجس ! . ثم حـاول أن يلجأ الى طريق آخر : « استشرت طبيبا عما اذا كان يعتقد أن التنافر بين الجسد والروح عندى يمكن أن يحل على نحو أستطيع معه تحقيق العـام (أى ينخرط فى المجتمع ويتزوج) .. لكنه شك فى ذلك .. » . (٦١)ونحن نراه يعاود المحاولة مرة ومرة يحدوه الأمل فى علاج هذا التنـافر أو فى التغلب على هذا النقص فى النهاية بقوة الارادة . لكن خاب أمله عندمـا نزع منه الطبيب كل أمل فى الشفاء(٦٢) . فماذا حدث ؟ ! فلنستمع الى ما قاله تعليقا على رأى الطبيب .. انها عبارة قد تبدو غريبة لكنها تضع أيدينا على قلب الحرية الوجودية ـ يقول : « عندئذ اخترت ! اخترت هذا النقص المؤلـم بعذابه المنتظـر : واعتبرته شوكـة فى الجسد : حـدى وصليبى ..» . (٦٣)أرأيت الى الحرية التى تختار حيث لا يكون هنـاك مجال للاختيار .. ؟ هذا هو المعنى الحقيقى للاختيار عنده ، فهو دائمـا اختيار ما لابد من اختياره : « اختيار الضرورة » أو اذا شئنا الدقة هو

(٦١) S. Kierkegaard : The Journals, P. 169.

(٦٢) J. Wahl : Etudes, P. 18.

(٦٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 170 & Fontana P. 107.

اختيار الاستسلام أو الاذعان . وهو يقول فى عبارة أصرح وأفصح يشرح فيها كيفية وجود الحرية : « لا توجد الحرية وجودا فعليا الا بسبب أنها فى نفس اللحظة التى توجد فيها هذه الحرية (وهى حرية الاختيار) تندفع مهرولة بسرعة لامتناهية لكى تلزم نفسها بشكل مطلق باختيار الاستسلام أو الاذعان . وهو الاختيار الذى لا يكون فيه قط أى ظل من الاختيار ..»(٦٤) لم يكن أمام كيركجور طريق آخر يسلكه . ولم يكن فى استطاعته أن يفعل شيئا فهو سجين هذا الجسد الشائه . ولهذا تراه يصيح مع القديس بولس « اشتهاء للانطلاق ! » لكنه لا يستطيع أن يتحرك فالطرق مغلقة ومنافذ الحياة مسدودة : « كرقعة الشطرنج المقفلة حين يصيح الخصم . قف ! هذه القطعة لا يمكن أن تتحرك .. » .(٦٥)وما الذى كان فى استطاعته أن يفعله ليتخلص من هذه « الشوكة فى الجسد » سوى أن يتقبلها باسم الحرية ؟ لم يكن أمامه سوى أن» يعمد « الضرورة ويختارها ! كلا لم يكن حرا ذلك الذى ظل طوال حياته يتغنى بالحرية . ولم يذكر الحرية قط الا عندما يجد الطريق مغلقا وليس أمامه سوى الانصياع والاستسلام(٦٦) « فهذا هو المهر الغالى . أو الثمن الباهظ الذى فى مقابله وهبنى الله القادر على كل شىء قوة عقلية لا نظير لها بين المعاصرين.. »(٦٧) فهو امتحان من الله . أو هى تجربة — بالمعنى الدينى (لاسيما فى المسيحية) للكلمة .. لابد أن يمر بها بصبر فهو « أيوب » . بل ان عليه أكثر مما كان على أيوب من قبل . أن يعمق هذا العذاب وان يزيد من حدة الالام : « لأنه كلما طال مقدار تحملى للألم كان الجرح الذى أحفره أكثر غورا . اذ يبدولى أن الله يريد أن يجربنى . وكأنه يريد أن يقول لى : أنت يا قليل الايمان لماذا لا تتحمل من العذاب قدرا أكبر قليلا من ذلك .. ؟ » . (٦٨)فهو كما لقب نفسه «

---

(٦٤) S. Kierkegaard: The Journals, P. 371.

(٦٥) Ibid, P. 73.

(٦٦) قارن أيضا قوله : « لابد للمرء أن يكافح الشوكة فى الجسد بأن يستسلم لها ويقر بعجزه دون أن يحاول التخلص من وخزاتها .. » . المرجع السابق ص ٣٩٦

(٦٧) Ibid, P. 170.

(٦٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 390 (Oxford).

« فارس الأيمان » و « فارس الاذعان والاستسلام » فى آن معا . لأن ذلك هو « الطريق الذى ينبغى علينا جميعا أن نسير فيه : أن نعبر جسر التنهدات حتى نصل الى الأبدية .. »(٦٩) . فالطريق الى الله ملىء بالأشواك والعذاب والدموع، وبمقدار تحملك للآلام تكون علاقتك بالله . حتى « الرسول » الذى تكـــون علاقته بالله مباشرة فان هذه العـــلاقة تعتمد على مقدار تحمله لالام تفوق طاقة البشر . (٧٠) ومن هنا فانه لو قدر لكيركجـــور أن يتخلص من هذه « الشوكة فى الجسد » فسوف يتخلص من جميع آلامه وهمومه . « فى هذه الحالة كنت سأكون أسعد من وجهة نظر دنيوية . لكنى كنت سأفقد نفسى من وجهة نظر أبدية . اذ بمساعدة الشوكة فى القدم أقفز عاليا . أعلى بكثير من أى انسان سليم القـــدم .. »(٧١) . فكأن العـــذاب ليس عذابا فحسب لكنه سعادة أيضا . والالم ليس ألما خالصا وانما هو مزيج من الألم واللذة . أو قل ان اللذة لا يمكن أن تنفصل عن الالم فهناك ــ كما يقول جان فال J. Wahl ــ بحق غبطة جدلية « تتأكد من أعماق الألم .. » . (٧٢) فكل سرور فى هذه الدنيا يصحبه الموت مثله مثل الحشرات التى تموت وهى تتناسل ! .(٧٣) .

* * *

تلك هى الملامح العـــامة لشخصية ذلك الفرد .. « الذى كان فقيرا » فى خبراته وتجـــاربة . مقطوع الصلة بالحيـــاة والناس . يحمـــل فى جوفه الوانا مختلفة من الصراع والتناقض الذى لا يمكن حله أو رفعه : **بينه** وبين الواقع « هوة » لا يستطيع عبـــورها **لانهـــا** « **مخاطرة** » يخشى القيام بها : وهى تحتاج الى « **قفزة** » لـــكى يجتازها مع انه أحـــدب لايمشى الخطـــوات العادية الا بصعوبة بالغة وبطريقة شاذة .

---

(٦٩) Ibid, P. 37.
(٧٠) Ibid, P. 487.
(٧١) Cité Par J. Wahl: Etudes, P. 29.
(٧٢) Ibid, P. 70.
(٧٣) S. Kierkegaard: "Sickness Unto Death", P. 151 Eng. Trans. by W. Lowrie.

وأياما كانت العوامل التى أسهمت فى تكوين هذه الشخصية « اللغز » فان المحصلة النهائية انها كانت فى جميع مراحل تطورها « بعيدة عن الواقع » اذ لم تتصل به اتصالا حقيقيا أعنى « اتصالا مباشرا » !

ــ فى المدرسة الابتدائية يقف زيه الغريب جدارا صلبا بينه وبين اترابه فيهزأون به ويسخر هو منهم وتنشب المعارك الكلامية أولا ثم بالأيدى بعد ذلك ــ فى فناء المدرسة المخصص للعب !

ــ وفى البيت يمنعه والده من الخروج من المنزل ليلعب مع الأطفال فى مثل سنه . ويقوده من يده ليقوم برحلة خيالية بالغة الغرابة وهما يدوران فى أرض الغرفة ويصف له اثناءها بدقة ما يريد الطفل أن يزوره من اماكن وما يود أن يتعرف عليه من اشخاص ويتصبب الطفل عرقا بعد نصف ساعة من بداية الرحلة العجيبة لكن خياله يشتعل .

ــ وعندما يكبر يسمح له أن يجلس « فى حلقة المناقشات » مصغيا بانتباه شديد وبتركيز تام لما يدور بين والده وأصدقائه من نقاش فى مشكلات الفلسفة واللاهوت ويزداد خياله اشتعالا وليلتهب حماسا لعالم الخيال وفرارا من عالم الواقع .

ــ ويصبح الاستماع الى المناقشات من هواياته المفضلة فيجلس فى مرحلة تالية ــ يستمع الى شقيقه الاكبر « بطرس كريستيان Peter Chritian » وهو يدافع عن اللاهوت بحماس بالغ ضد علم الطبيعة ، الذى يتحمس له صديقه وزميله فلهلم لند .. Wilhelm Lund (٧٤) .

وهكذا تنمو عند فيلسوفنا ملكة الخيال وتقوى حتى يتعلم ــ طفلا ، وصبيا ، وشابا وناضجا ــ أن يخلق بخياله عالما من لا شىء ! عالما دقيقا فى تفصيلاته يحاكى عالم الواقع تماما ، حتى انه يمكن بلمسات قليلة أن ينقلب الى واقع حى وتتحول الشخصيات فيه الى اشخاص من لحم ودم . أيكون غريبا بعد ذلك أن نجد لديه الميل الى العزلة والانسحاب من الواقع كلما اعترضت سبيله مشكلة ، ليخلق الشخصيات البديلة التى يبثها شكواه

---

(٧٤) قارن كتاب يوهانس هولنبرج س . كيركجور ص٤٦ وسوف نعود الى مناقشة هذه الوقائع فى الفصول القادمة بشىء من التفصيل .

ونجواه ؟ لقد كان كيركجور يعيب على المفكر الهيجلى أنه يعيش فى عالم خيالى يصنعه هو ، وأنه يحيا فى عزلة بين الناس ولا يعلم عن مشكلات الحياة شيئا ، وهو مفكر لو اطلعت عليه لملئت منه رعبا : « شخص ذاهل ذو وجه حزين ، يعيش بطريقة خيالية فى عالم من المجردات ناسيا مطالب الوجود عليه . وهو حين يفقد نفسه فى عالم التجريد هذا ، لا يحتفظ بذاته الخاصة الا كما يحتفظ المرء بعصاه .. »(٧٥) . السنا نجد كيركجور هنا يصف نفسه بدقة بالغة .. ؟ أيكون غريبا بعد ذلك ألا يكون معه « سوى ذاته » يتطلع اليها فى المرآة كما قال هو نفسه طوال حياته : فهى الرفيق والانيس والصديق ! ولهذا فهو لا يتحدث الا اليها .. ، انا على نقيض غيرى من الوعاظ فبينما هم يرهقون أنفسهم بمخاطبة الآخرين فانى أتحدث الى نفسى وحدها .. »(٧٦) . أيكون غريبا بعد ذلك أن يرتد الى هذه الذات فيمزقها أشلاء ويطلق على كل شلو اسما خاصا : فهنا « يوحنا كليماكوس » وذاك « فيكتور ارميتا » أو « يوحنا المغوى » أو « القاضى فلهلم » .. ؟ او حتى يشير اليه بدون اسم فيصبح « فلانا » أو « هو » أو « الشاب » أو « خياط النساء » .. الخ أو يرمز اليه بحرف من أحرف الهجاء فهو « أ » أو « هـ » .. الخ .

أيكون غريبا أن يحيط نفسه بمجموعة من الشخصيات التى اخترعها خياله الخصب وكساها لحما وعظما ثم نفخ فيها نسمة حياة فأصبحت هى التى « تؤلف » الكتب وتعرض الآراء وتعبر عن المواقف المختلفة . ويتغير أسلوبها فى الكتابة ما بين « اندفاع الشباب » أو « وقار الشيوخ » (كيوحنا المغوى الممثل للشاب الحسى الطائش والقاضى فلهلم الرجل المتزوج المتزن) تماما كما كانت تتغير نبرات صوت أبيه وهو يصف له ما يلقاه من مارة ومعارف أو من باعة فى السوق .

حقا لقد كانت هذه كلها « أسماء مستعارة » ، لكتبه لكنها تمثل فى الواقع : « مجتمعه » و « وواقعه » و « حياته » فمراحل تطوره كلها مروية بلسان هؤلاء القوم فى كتبه المختلفة من المرحلة الحسية ـ فترة الضياع ـ

---

(٧٥) F. Brandt: Op. cit., P. 63.
(٧٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 126.

الى المرحلة الأخلاقيــة ـ فــكرة الالتــزام بالزواج من ريجينــا الى المرحلة الدينيــة التى يضحى فيهــا المرء بكل شىء ليكون أمام اللـــه وجها لوجه ـ (وهى مراحل تقابل عند هيجل الوعى الحس ثم مرحلة الفهم وأخيرا العقل الجدلى وسوف نعود الى هذا الموضوع فى الجزء الثانى من هذا البحث) ٠

ولما كان كيركجور لم يتصل بالحياة أو بالواقع اتصالا مباشرا فلابد أن يكون منهجه أيضــا منهج الاتصال غير المباشر فتلك هى طريقته المفضلة فى التأليف ، وفى عرض فلسفته وفى نقده لأفكار الآخرين ٠

لقد عاش كيركجور « من وراء ستار » واتصل بالواقع من وراء ستار ، فكان لابد أن يلتقى بقرائه من وراء ستار أيضا ٠ !!

علينا الآن أن ننتقل الى « وقائع » هــــذه الحيــاة وتطورها فى شىء من التفصيل ما دامت هى التى كونت فكره وألهمت فلسفته ٠

الفصل الثالث

نشـــأة حمقـاء

« لقـد نشـأت نشـأة حمقاء وكانت تربيتى جنونيـة • اذا ما تحـدثنا من وجهـة نظر انسانية » •

س• كيركجور : « وجهة نظر »

« لا أحـد يعرف الابن الا الأب ، ولا أحـد يعرف الأب الا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له • • • » •

انجيل متى ١١ : ٢٧

الفصل الثالث

نشـــأة حمقـــاء

اذا كانت حياة « سرن كيركجور » لغزا محيرا ، واذا كان هـو نفسه يقول « ان الله منحنى القـدرة على أن أعيش لغزا ٠٠٠ » (يوميات ١٨٤٨) واذا كان يقول أيضا فى عبـارة جامعة « كل لون من الوان الوجود يخيفنى من أصغر ذبابة الى سـر التجسيد Incarnation كل شىء عبـارة عن لغز بالنسبـة لى ، واكبـر الوان الالغـاز : أنا نفسى ! كل لون من الوان الوجود مسموم بالنسبة لى ، واكثرها سموما هو وجودى أنا نفسى - عظيم حزنى ! والحق أنه لانهاية له ! ولا احـد يعرف ذلك سوى الله فى السماء ، وهـو لا يريد لى أن اتعزى ، ولا احـد يمكن أن يعزينى سـوى اللـه فى السـماء ٠٠ » (١٢ مايو ١٨٣٩ ٠٠) فان ذلك يتضـاءل امام لغـز أبيه : ذلك الرجل الغريب الذى بدأ حياته بغلطة كبرى عندما لعن اللـه وهو صبى صغير ، ثم ختمها بغلطة كبرى أيضـا عنـدما تزوج من خادمتـه بعد أن عاشرها سـرا قبل الزواج ، وفى حيـاة زوجته الاولى التى كان يكن لهـا احتـراما كبيرا ٠٠ ! وفيمـا بين البـداية والنهـاية تتوالى اخطاء وتكثر الهواجس والتفسيرات الخرافية للأحداث عملا بقول أبى نواس : « وداونى بالتى كانت هى الداء » أو مصداقا لفكرة فرويد عن « جرائم العقاب الذاتى » التى يندفع فيها الناس الى ارتكاب أخطاء وجرائم بسبب « شعورهم بالاثم » فتراهم يرتكبون الجريمة طلبا للتفكير والعقاب ، فتتوالى الجرائم واحدة اثر الأخـرى كل منهـا « تكفر » عن سابقتها وتأتى السلسلة الجـديدة لتزيد الأمر سوء لاسيما اذا كان الرجل كما يقول ابنه نفسه : « قد ولد فى العراء فى تلك السـهول الممتدة التى يشعر فيهـا المرء شـعورا قـويا بحضـرة الله ٠٠ »(١) ، أعنى اذا كان الحس الدينى عند الرجل عارما وقويا فلا يغفر لنفسه « الهفوات الهينات » دع عنك أن يتسامح فى غلطة كبرى كالتجديف

S. Kierkegaard: The Journals, P. 67 (Fontana). (١)

على اللــه !(٢) ها هنــا تنشط الهواجس الدينية ، والوساوس المرضيــة ، والتفسيرات الغيبية » وتؤول الأحداث لصالح هـــذه التفسيرات الخرافية الغريبة التى تميل مــرة الى الاستسلام والاذعان ، وتميل مرة أخرى الى الصمود والتصدى للارادة الالهيــة وتفويت الفرصة عليها للانتقام ! وتكون لهذه الأحداث والمواقف كلها آثارها السيئة التى تنعكس على نفس فيلسوفنا بوصفه أصغر الأبنــاء كما تنعكس على هــذه الاســرة « اللغز » كما كان يسميهــا .

لقد كان كيركجور يود أن يكتب قصة هذه « الأسرة اللغز » على شرط أن تبدأ بطريقة دينية ، فلو أننا أردنا أن ندقق له هذه الرغبة فماذا نقول ؟ ! كيف بدأت وقائع هذه القصة ، وكيف سارت أحداثها ؟ !

استعرض النبى صموئيل — كما يروى الكتاب المقدس — ابناء « يسى البيتلحمى ... Jesse of Bethlehem » ليعين منهم واحدا بشره الله بأنه سيكون ملــكا على بنى اسرائيل : ومــر الأبناء السبعة امام النبى لكنــه لم يجــد فيهم الصبى الموعود ! فتساءل متعجبا : الم يبق احــــد .. ؟ ! فقيل له : بقى ذلك الصبى الصغير ، الابن الثامن ، الذى يرعى الغنم فى المراعى المجــاورة ، وكان ذلك الصبى الموعود ، ذلك الراعى الصغير ، هو : النبى داود(٣) !

هذه القصــة الدينية التى رواها العهد القــديم تكررت مرة اخرى مع « ميخائيل كيركجور والد فيلسوفنا الذى بــدأ حيــاته — مثل النبى داود — راعيا للغنم فى ســهول سدنج ...... Saeding وهى قرية صغيرة تقع غربى اقليم جتلند West Jutland فى الدانيمارك . وبرم الفتى ، وكان فى الثانية عشــرة — بحياة الرعى القاسية وبما فيهــا من وحشة ومعاناة وشعور بالضــياع . وذات يوم راحت الهواجس تعصف بنفســه الغضــة ، ويزداد سخطه كلما شعر بمواهبه العقلية الممتازة ! ها أنذا فى هذه السهول الواسعة يلسع البرد أطرافى حتى اكاد اتجمد ! جائع لا أجــد ما يسد رمقى ! وحيد لا رفيق ولا صديق ولا انيس ! ماذا فعلت يالهى ! ماذا فعلت يامقسم

---

(٢) J. Wahl: Etudes Kierkegaardiennes, P. 2.

(٣) صموئيل الأول : الاصحاح السادس عشر ١١ — ١٣ .

الأرزاق ! أين نصيبى مما أعطيت ومنحت ؟ ! رغم حبى لك ، رشوقى اليك ، هجرتنى على هــذا النحو المزرى ! تركتنى ضائعا فى هذه السهولة الموحشة وقفز الصبى متسلقا ربوة صغيرة وراح يلعن الله وهو يلوح بقبضته الصغيرة فى الهواء ! وضاع صوته الحاد عندما ابتلعه الفضاء الواسع !

لم تمضى على هــذه الحادثة ســوى أيام قلائل حتى استدعاه خاله « نلس أندرسن سدنج ...... Niels Andersen Saeding » التــاجر « بكونها جن » ليعمل معه فى تجارة « الوياضات والملابس الداخلية » ، لكن لماذا اختاره هو بالذات دون أخواته جميعا ..؟ انه الطفل الرابع من أسرة تتالف من تسعة اطفــال فلماذا تم اختياره هــو بالذات دون غيره ليــكون مساعدا لخاله فى تجارته ؟ ! قد يقال انها « مجــرد صدفة » أو انها ضربة حظ .. « تلك تفسيرات عادية لا تاخــذ بها الاسرة اللغز التى تجــد فى كل شىء واضح ، وفى اى حادثة بسيطة اشــكالا يستحق التفكير والمعاناة ! وسوف يتعلم فيلسوفنا من هذه الاســرة كيف يثير الاشكالات من لاشىء بل كيف يصعب السهل ! ومن هنــا فان « ميخائيل كيركجور » الاب لم يفسرها كما يفسرها غيره من الناس بل رأى فيها - كما يقول لورى "W. Lowrie" : « يد الله . فارتعش » (٤) اعتقــد انها « اخر » يعبر عن ارادة الله وحكمته التى يجهلها الانسان ذو العقــل القاصر » انها نفس الحكمة ونفس المشيئــة التى اختارت الصبى « داود » ليكون ملكا على بنى اسرائيل من قبل !

ترك الصبى الصغير الريف والسهول الخضــراء ، وانغمس فى البيع والشراء فى تجــارة خاله أولا ثم سرعان ما استقل بتجارته الخاصة التى راجت رواجا كبيرا فــكون فى مــدة زمنية قصيرة للغــاية ثروة عريضة ، فبدأ « اللغز » يطل برأسه من جديد ! ويبــدو ان تطور حياته كان يكشف عن « الغــاز مستمرة » ؛ وكلمــا ازدادت ثروته ازداد اللغز غموضا والقصــة تعقيدا : أكانت يــد الله هى التى امتدت اليه ؟ ثم ماذا كانت تريد ؟ ! أكانت تود أن تصفه على ما بدر منه أم تغــدق عليــه ما هو فيه من نعيم وثراء ؟ ها هو مقسم الارزاق يغدق عليك فلم كنت جزوعا هلوعا ؟

W. Lowrie: A Short Life of Kierkegaard P. 21. (٤)

بدأ فى « كوبنهاجن » بتجارة « البياضات والجوارب والملابس الداخلية » ثم انتقل الى تجارة « الملابس الجاهزة » ، ثم تطورت تجارته تطورا هائلا فاتسع ميدانها وأمتدت أفرعها على نحو غير عادى : ففى ٤ ديسمبر عام ١٧٨٠ ، عندما كان فى الرابعة والعشرين حصل على ترخيص يسمح بالتجارة فى مواد الطعام أيضا . وفى ١٧ سبتمبر ١٧٨٨ حصل على ترخيص ملكى يمكنه من التجارة فى السلع المستوردة من الصين والهند الشرقية . وكذلك ألوان البضائع المستوردة من جزر الهند الغربية الدانيماركية (التى ستعيش فيها ريجينا أولسن بعد زواجها) مثل السكر (قبل وبعد تكريره) وعصير الفواكه . والبن ... الخ ثم أصبح له الحق فى بيع هذه السلع « بالجملة والقطاعى » أيضا واستمرت التجارة تتسع وتتسع حتى أصبح يتاجر بعد سنوات قليلة أى فى سن الثلاثين : فى جميع المواد الغذائية وبالجملة وعلى نطاق واسع .

نمت الثروة نموا مخيفا حتى أصبح الحدث أكثر الغازا ! فمن ذا الذى يستطيع أن يفسر هذا الذى يحدث ؟ : فى لحظة يأس يجدف صبى صغير على الله ، وينظر الى الكواكب فى ليلة حالكة الظلام ويلعن مكوكبها ! فيكون الجواب : ثراء عريض . أيعنى ذلك أن الله قد أدرك خطأه عندما ترك هذا الصبى الصغير وحيدا فقيرا يعانى الجوع والبرد مع غنمه ، فعاد وصحح هذا الخطأ ؟ أم الأدنى الى الصواب أن نقول ان الله لايخطىء ، وهو قد حدد كل شىء منذ الأزل وقد رسم لهذا الصبى القدر طريقا آخر ومصيرا مختلفا أتم الاختلاف عما هو فيه ، وعما يمكن هو أن يتخيله ، لكنه لم يكن صبورا فأضاع النعمة وخسر البركة ، بفعلته الطائشة الحمقاء — وأن عليه الآن أن ينتظر العقاب الذى يمكن أن يداهمه فى أية لحظة ؟ ! ذلك هو الاشكال الذى ألح على ذهن الرجل فى وطأة ضاغطة ولم يستطع منه فكاكا .

عندما تدرك أن حسه الدينى كان متيقظا ، وانه عمل على صقله طوال مقامه فى كوبنهاجن سوف تستنتج فى الحال أن التفسير الأول مرفوض فالله لايخطىء ولا يغير خططه من أجل حماقة ، ومن ثم فان الاحتمال الثانى هو الأرجح ! أعنى أن هذه الثروة لابد أن تتحول الى « لعنة » ، انها « نقمة » من الله سوف تحل على هذه الأسرة ! وفجأة — وتحت الحاح

هذه الهواجس ـ يعتزل الرجـل ، وهو فى سن الاربعين ، التجـارة ويترك كل أعماله وحياته التجارية النشطة لابن أخيـه : ميخائيل اندرسن كيركجور Michael Andersen Kierkegaard, ولابد للمرء أن يعجب لمثـل هذا القـرار اذ نادرا ما يتقاعد تاجر ناجح فى منتصف حيـاته ، وهو فى كامل قوته وحيـويته ـ بل انه لم يكن قد وصل بالفعـل الى منتصف حيـاته تماما لأنه سوف يعيش بعد ذلك اثنتين واربعين سنة أخرى ... (٥) .

لماذا اعتزل الرجـل تجارته ، اذن ، وهو فى قمـة النجاح .. ؟ الانه شعر انه جمع ثروة كافية تمكنه من التقاعد ؟ هـذا أيضا هو التفسير السهل المعتاد الذى لاتلجأ اليه اسرة كيركجور أبدا ! لقد اعتزل لانه اراد أن يضيع على الخطة الالهية فرصة الانتقام منه ، فهو عنـدما شعر أن اغداق الثروة عليه لم يكن « عفوا » أو « ضربة حظ » لكنـه خطـة مرسومة تريد أن تصل به الى قمة الثراء ثم تضرب ضربتها القوية التى تحيله من جديد الى انسان فقير لا يملك قوت يومه ـ عندئذ قرر أن يفوت على الارادة الالهيـة فرصـة الوصول الى هدفهـا (٦) . وعندما ألمت بالدانيمارك أزمة مالية طاحنة شعر أن هواجسه كانت حقيقـة وأن الضربة قادمة ـ لـكن المفاجأة كانت اكثـر غموضا فزادت المسألة الغازا وتعقيدا فتضاعفت الهواجس والوساوس !

ذلك أن الحـكومة الدانيماركية رأت حتى تتمكن من النهوض بدورها فى حروب نابليون ، أن تصدر أوراقا نقـدية بكميـات هائلة دون أن يكون لها غطاء ذهبى . ولقد أدى ذلك الى خفض قيمـة أوراق النقـد الى عشر قيمتها الأصليـة . وأدى ذلك الى خفض قيمـة جميع الأسـهم والسندات ، وصكوك التأمين ، والحجوزات وصكوك الرهونات ... الخ . لم ينجو من هـذا الخراب الاقتصادى الشامل سوى ما يسمى باسم : « السندات الملكية »

---

(٥) W. Lowrie: A Short Life of Kierkegaard P. 21.

W. Lowrie : A Short Life of Kierkegaard P. 22
Vol. 1, P. 9.

(٦) يعجب « لورى » من قـرار اعتزاله فى مثـل هـذا السن لـكن يوهانس هولنبرج H. Hohlenberg مؤرخ سيرة حيـاته يرى « ان تقاعده لم يكن سوى تحد جديد لله ، أو انه تحرك جرىء ضـد الخطة الالهية التى استهدفت رقعه ثم تركه يهوى بعنف ...... » ص ٢٢ .

التى كانت تضمنها الدول الأجنبية مما اضطر الدانيمارك الى أن تدفع فوائدها بالذهب · فضلا عن أن انخفاض قيمة السندات والاسهم الأخرى ادى الى ارتفاع قيمة هذه *السندات الملكية* · ومن هنا أفلس فريق كبير من الاسر الغنية فى الدانيمارك ، وهم حملة الاسهم الأولى ، التى لحقها هذا الدمار المالى فى حين ازدادت ثروة فريق آخر هم حملة السندات الملكية ـ وكان ميخائيل كيركجور يضع كل ثروته فى هذا النوع الأخير من السندات ، فازداد ثراء على ثراء مصداقا لقول الانجيل : « من عنده يعطى ويزاد (متى ٢٥ : ٣٠ ، مرقس ٤ : ٢٥) ويستطيع الآن أن يكون على يقين من أنه ، رغم اعتزاله التجارة منذ سنوات ـ سوف يقضى بقية حياته غنيا ٠٠ !(٧) ·

غير أن هذا الثراء المفاجىء لم يقلل من الهواجس الملحة على ذهنه . صحيح أن الضربة الالهية التى كان يتوقعها فى ثروته لم يعد لها وجود الآن لكن عليه أن يفكر فى الجهة الاخرى التى يمكن أن تأتى منها الضربة كانت الوساوس الدينية تزداد كلما سارت حياته على هذا النحو الذى يستعصى على الفهم ٠٠٠ ! فاذا كان قد سقط فى خطأ التجديف على الله ، واذا كانت الارادة الالهية سوف تنتقم لنفسها فلماذا زادت ثروته ؟واذا كانت الازمة المالية واقلاس الدولة « مقدمة » لافلاسه هو فكيف يخرج منها بثروة مضاعفة ؟ كيف يمكن تفسير « اللغز » الجديد ؟ السنا تجد هنا البدايات الاولى البسيطة للطابع الملغز الذى تضيفه الفلسفة الوجودية على وجود الانسان يقول روبتشك P. Roubiczek « التاكيد على اهمية الطابع الملغز لميلاد الانسان (وكذلك لموته) هو خاصية مشتركة بين الوجوديين وهم بذلك يحرصون على أن نظل على وعى مستمر بمدى غموض وجودنا . وكيف ان هذا الوجود لابد أن يظل سرا ملغزا · وهمبذلك ايضا يحرمون علينا تزييفحياتنا او تبسيطها تبسيطا مسرفا بالتغاضى عما لا يمكن تفسيره · فلن يستطيع احد ان يفسر لى لم ولدت فى امة دون امة فى عصر دون عصر آخر ؟ وفى اسرة ليست من اختيارى وكيف تكون لى شخصية غير الشخصية التى كنت احب ان تكون لى(٨) ·

---

(٧) Ibid.

(٨) Poul Roubiczek: Existntialism: For and Against P. 57.

التى كانت تضمنهـا الدول الأجنبيـــة مما اضطر الدانيمارك الى أن تدفع فوائدها بالذهب · فضلا عن أن انخفـاض قيمة السندات والاسهم الأخـرى أدى الى ارتفاع قيمة هذه السندات الملكيـة · ومن هنا أفلس فريق كبير من الاسر الغنيـة فى الدانيمارك ، وهم حملة الاسهم الأولى ، التى لحقها هـذا الدمار المـالى فى حين ازدادت ثروة فريق آخر هم حملة السندات الملكية ـ وكان ميخائيل كيركجور يضع كل ثروته فى هذا النوع الأخير من السندات ، فازداد ثراء على ثراء مصداقا لقـــول الانجيـل : « من عنده يعطى ويزاد (متى ٢٥ : ٣٠ ، مرقس ٤ : ٢٥) ويستطيع الآن أن يكون على يقين من أنه ، رغم اعتزاله التجارة منذ سنوات ـ سوف يقضى بقية حياته غنيا ·· !(٧) ·

غير أن هـذا الثراء المفاجىء لم يقلل من الهواجس الملحة على ذهنه ، صحيح أن الضـربة الالهية التى كان يتوقعها فى ثروته لم يعـد لهـا وجود الآن لكن عليه أن يفكر فى الجهة الأخـرى التى يمـكن أن تـأتى منها الضربة كانت الوساوس الدينيـــة تزداد كلما سارت حياته على هـــذا النحـو الذى يستعصى على الفهم ···· ! فاذا كان قد سقط فى خطأ التجديف على اللــه ، واذا كانت الارادة الالهية سوف تنتقم لنفسها فلماذا زادت ثروته ؟واذا كانت الازمة المـالية وافلاس الدولة « مقدمة » لافلاسه هو فكيف يخرج منها بثروة مضاعفة ؟ كيف يمكن تفسير « اللغز » الجديد ؟ ألسنا نجد هنا البدايات الاولى البسيطة للطابع الملغز الذى تضيفه الفلسفة الوجـودية على وجـود الانسان يقول رويتشك P. Roubiczek « التأكيد على اهمية الطابع الملغز لميلاد الانسان (وكذلك لموته) هو خاصية مشتركة بين الوجوديين وهم بذلك يحرصون على ان نظل على وعى مستمر بمدى غموض وجودنا ، وكيف ان هذا الوجود لابد أن يظل سرا ملغزا · وهمبذلك أيضا يحرمون علينا تزييفحياتنا أو تبسيطها تبسيطا مسرفا بالتغاضى عمالا يمكن تفسيره · فلن يستطيع احد أن يفسر لى لم ولدت فى امة دون آمة فى عصر دون عصر آخر ؟ وفى اسرة ليست من اختيـارى وكيف تكون لى شخصية غير الشخصية التى كنت احب ان تكون لى(٨) ·

---

(٧) Ibid.

(٨) Poul Roubiczek: Existntialism: For and Against P. 57.

حياة الانسان اذن ، اذا ما تأملها بعمق ·· وجدها مليئة بالأسرار والألغاز ، والأحداث الغامضة التى يصعب جدا تفسيرها · هكذا كان يعتقد الأب ، وهكذا سوف يقول الابن فيما بعد عن طريق صب هذا الهواجس فى مقولات فلسفية !

التفسير الوحيد للغز الثروة المتزايدة رغم الخراب الشامل فى كل مكان هو أن الله لا يريد أن يوجه ضربته الى ثروة ميخائيل كيركجور وأمواله لأنه يريد أن ينتقم منه فى شىء أعز من المال : الأسرة ! الا يروى لنا الكتاب المقدس ـ فى عهده القديم ـ أن الله كان يعاقب بنى اسرائيل فى ذريتهم ··! وها هى قصة الكتاب المقدس تتكرر مرة أخرى ان الله سوف يعاقبه فى ابنائه فيحرمه منهم واحدا اثر الآخر حتى يتركه فى النهاية وحيدا ـ مرة أخرى ـ يعانى من يأس قاتل ! ويبدو ان الرجل ـ تحت وطأة الهواجس الملحة والقلق الدينى الحاد . اندفع ابان مقامه فى كوبنهاجن فى افراط جنسى شديد . فكان الشعور بالاثم يدفعه الى اثم جديد كالمعتاد طلبا للتكفير والعقاب فيقع فيما يسميه فرويد « بجرائم العقاب الذاتى » ، فكان سقوطه الجنسى واسرافه فيه عاملا هاما فى ازدياد القلق العصابى ومضاعفته · ويعتقد الباحثون ان هذا هو السبب فى انه تزوج فى سن متاخرة ، اذ تزوج لاول مرة فى السابعة والثلاثين من عمره ، رغم أن ثروته كانت تيسر له ان يعول اسرة منذ فترة طويلة · وكان ذلك قبل ان يعتزل التجارة بثلاث سنوات على وجه التقريب ـ فقد تزوج من زوجته الاولى عام ١٧٩٤ وكان يكن لهذه الزوجة احتراما كبيرا لكنها ماتت بعد الزواج بعامين دون أن تنجب ، وتقاعد الرجل بعد وفاة زوجته مباشرة ، وكان الاقرب الى المنطق ان يشعر الرجل الارمل بالحاجة الماسة الى الانغماس فى العمل اكثر من ذى قبل(٩) لكنها الاسرة « اللغز » التى تحتاج « الى منطق أعلى » من المنطق المألوف لفهم تصرفاتها : منطق المفارقة واللامعقول على نحو ما سنرى فيما بعد !

وفى ٢٦ ابريل عام ١٧٩٧ ـ اى بعد شهرين من اعتزاله يتزوج الرجل من فتاة ريفية بسيطة من مسقط رأسه هى ـ ان سورنداثر لند Ane Sorensdaler Lund وكانت تعمل خادمة فى المنزل ابان زواجه الاول !

---

(٩) W. Lowrie: A Short P. 22.

وفى ٧ سبتمبر ١٧٩٧ أنجبت له أول طفلة « مارين كريستين Maren Christine بعد الزواج بأربعة أشهر وأحد عشر يوما ! • وفى السنوات الثمانى التالية ينجب أولا بنتين همـــا : نكولين كريستين Nicoline Kristine وبتريا سيفرين Petrea Severine ثم الابن الاكبـــر « بطرس كريستيان » • ثم ينجب ابنين آخرين هما « سرن ميخائيل •• Soren Michael » ـ ونلس أندريز "Niels Andreas" وهكذا يكتمل العدد ثلاث اناث وثلاث ذكور ويتوقف عن الانجاب اربع سنوات حيث لم يعـد يتوقع اطفالا جـددا لاسيما وانه قـد بلغ السادسة الخمسين وبلغت زوجته الخامسة والاربعين • لـكن الأقدار « كالمعتـاد » تتدخل بطريقة غير مفهومة فتهمس الزوجة لزوجها فى غمرة الفرحة بالنجـاة من الخراب المـالى الذى حاق بالبلاد • بانها تنتظر حادثا سعيدا ! وتضع فى ٥ مايو عـام ١٨١٢ الطفـل الذى سـوف يخـلد لاسرة : سرن آباى كيركجور ••••• Soren Aabye Kierkegaard (١٠) •

ما أن عـلم الرجل ان زوجته تنتظر بعد هـذه الغيبـة الطويلة حادثا سعيدا حتى انقلب الحادث الى تعاسة لاتوصف ، اذ بدأت الهواجس القديمة تستيقظ فى داخله : لماذا طفل جديد ؟ ! لاطالة العقاب ! ان الله لا يريد ثروته فهو يزيدها يوما بعد يوم وانمـا يريد دم أبنائه •••• ، لقـد كانت الفتـرة من ينـاير عـام ١٨١٣ ــ الازمة الماليـة وخروجه منهـا ظافرا حتى مجىء فيلسوفنا فى ٥ مايو ١٨١٣ فترة مليئة بالافكار القاتمة ! أيكون غريبا بعد

---

(١٠) يلاحظ لورى W. Lowrie ان طفلين فى هذه الاسرة يحملان اسما واحدا هما « سـرن ميخائيل » و « سرن آباى » ــ ويقـول ان ذلك لم يكن غريبـا فى الدانيمارك فى ذلك الوقت فالأم نفسها كانت احـدى شقيقات ثلاث يحملن اسما واحدا هو « ان Anne » والملاحظ ايضا ان كلمة « سرن Soren » التى يحملهـا طفلان هى مذكر كلمـة سفرين Severine وهو اسم واحدة من شقيقاته • والكلمتان سواء فى صـورة المذكر « سرن » أو المؤنث « سفرين » تحريف لكلمـة Severinus وهو اسم قديس ولد فى شمال افريقيا ومات فى ينـاير عام ٤٨٢ ودفن قرب مدينـة نابلس ، لكنـه حظى بشـهرة واسعة فى الدانيمارك واصبح اسـمه يستخدم كثيرا لتعميد الأطفال فى تلك البلاد قارن •

W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 1, P. 23.
W. Lowrie: A Short Life, P. 22 - 93.

ذلك أن يكتب كيركجور فى يومياته أنه « ولد فى سنة مجنونة ! » ... ؟ ! كتب مشيرا الى التضخم المالى الذى عانت منه الدانيمارك . واستفاد منه والده : « ولدت عام ١٨١٣ فى تلك السنة المجنونة التى طرحت فيها أوراق نقدية مجنونة كثيرة للتداول ، وأفضل ما يمكن للمرء أن يفعله هو أن يقارن بينى وبين تلك الأوراق فهناك شىء مشترك . هناك شىء فى يشير الى العظمة لكنى للحالة الجنونية التى اعانيها لا أساوى شيئا ! واوراق نقدية من هذا النوع هى احيانا سوء حظ الاسرة كلها »(١١) .

استيقظت مخاوف الأب عندما علم بقدوم ضيف جديد . وشيئا فشيئا بدأت تختمر فى ذهنه فكرة غريبة مفادها أن الطريق الوحيد للمصالحة بينه وبين الله هو أن يترك هذا الطفل محررا لله ! أن يضحى به كما ضحى ابراهيم باسحق من قبل ! ان عليه أن يربى الطفل بطريقة خاصة تمنعه من أن يهرب من مصيره المحتوم : أن يضحى بنفسه . والا يتردد فى لحظات اليأس - فيكرر مأساة أبيه فهو « مخلص هذه الأسرة اللعن »(١٢) .

عمد الطفل بعد شهر من ميلاده فى كنيسة « الروح القدس » وأعطى اسم القديس « سرن » وشيئا فشيئا هدأت وساوس الأب وغاصت هواجسه فى أعماق اللاشعور ونسى كل شىء ! وسارت الحياة عادية جدا فى السنوات الأولى من عمر الطفل الوليد : الأب يمضى وقته فى قراءة الفلاسفة الألمان فى محاولة لاستعادة ما فاته من ثقافة . ثم يلتقى بأصدقائه ليلا لمناقشة المشكلات الفلسفية واللاهوتية : ما قرأ فى الكتب وما سمع فى الكنيسة التى ينتمى اليها . وكان قد ارتبط بالكنيسة المورافية Moravian ... Church (١٣) . فكون مجموعة لابأس بها من الأصدقاء كما التقى فى هذه الكنيسة بمجموعة كبيرة من المعارف والأقارب — فقرر أن يصحب أولاده معه لسماع الوعظ والارشاد الدينى . ولقد تأثر الرجل بقوة بوعظ هذه الطائفة البروتستانتية — الاخوة المورافيين — لاسيما وانه كان يعزف على

---

(١١) S. Kierkegaard: The Journals, P. 90 (Fontana).

(١٢) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard, P. 25.

(١٣) طائفة بروتستانتية انشأها فى القرن الخامس عشر المصلح الدينى جون هس فى بوهيميا .. Bohemia ومورافيا .. Moravia

وتر حساس عنده : فكان وعظا مليئا بالدموع والجراح ودم المسيح الذى ينزف على الصليب يحيى ذلك كله ويغذيه كراهية شديدة للعالم(١٤) فصادف ذلك الوعظ القاتم هوى فى نفسه القاتمة وتقبله مزاجه السوداوى بترحاب شديد!



الأم



الأب



المنزل الذى ولد فيه كيركجور الثالث من اليمين

(١٤) J. Wahl: Etudes Kierkegardiennes, P. 2.

عندما بلغ « سرن » السادسة من عمره وقعت حادثة أعادت الى الرجل وساوسه القديمة وأيقظت فيه المخاوف المطمورة فى اللاشعور . ذلك أن ابنه : « سرن ميخائيل » الطفل الخامس فى قائمة الأبناء ، وكان فى الثانية عشرة من عمره فى ذلك الوقت ، عــاد فى يوم من أيام شهر سبتمبر عــام ١٨١٩ وهو يشكو من صداع فى رأســه نتيجة لتناطحه بالرأس مع أحــد رفاقه فى فنــاء المدرسة ورقــد الطفــل فى الفراش أياما قليلــة مات بعدها « بمرض عصبى » ! وبدأ الأب يشعر من جديد أن موت الطفل ليس الا نذيرا لما سوف يحدث ، أنه الومضة الأولى فى البرق القادم من السماء ! وبعد ثلاث سنوات ماتت الابنة الكبرى « مارن كريستين Maren Kristine » عن عمر يناهز الخامسة والعشرين ! حادثتان أيقظتا هواجس الأب التى هدأت سنوات قليلة وضاعفتا قلقه ، فاندفع فى رعاية الطفل وتوجيه عناية خاصة لتربيته ، وأخذ على عاتقه الاشراف بنفسه على هذه التربية !(١٥) .

كان الطفــل « سرن اباى » قد دخل فى العام السابق على وفاة شقيقته المدرســة الابتدائيــة التى يديرها ميخائيل نلسن Michael Nielsen .. — مدرسة الفضيلة المدنية » . لكنه حتى فى هذه الخطوات الأولى من حيــاته كان مقطوع الصلةبالواقع : وكما لو كانابوه يتعمد باستمرار قطع كلالخيوط التى تربطه بهذه الدنيا ! ألم ينذره محررا لله ؟ ! عليه ، اذن ، ان أطل على العالم أن يفعــل ذلك من وراء حجاب ! انظر مثلا الى أول احتكاك له بالبيئة الخارجية عنــدما ذهب الى « مدرسة الفضيلة » بملابس هزلية تشكل جدارا صلبا بينــه وبين رفاقه مع أنه فى الخامســة حيث يندمج الأطفال معــا فى لعب مستمر وحيث تكون الصلة قــوية مع رفاق اللعب : لكنــه يرتدى سترة من الصـــــوف الخشن (بغض النظر عن تغير الفصــول) ســوداء اللون ، وسراويل قصيرة واسعة لكنها مزمومة عند الركبة ! وجوارب من الصوف تغطى ساقيه الهزيلتين وحذاء ريفيــا غير متقن الصنع (وليس حــذاء طويلا يغطى الساق كما كان يفعل الاطفال فى فصل الشتاء) هذا من حيث الملابس الغريبة أما تكوينه الجسمى فهو غريب أيضــا : الوجه نحيف رقيق ذو أنف أفطس ، والــذقن نحيلة مدببة ، والعينان واسعتان زرقاوان ، والشعر الأشقر

---

(١٥) H. Hohlenberg: Soren Kierkegard, P. 27.

مرفوعا يشبه حزمة من سنابل القمح الناضجة فى حقول الفلاحين منظره هذا الغريب ـ زيا وشكلا ـ جعله عرضة للسخرية المستمرة من رفاقه فكانوا يسمونه تارة « بصبى الكورس » اشارة الى الغلام الفقير المنشد فى جوقة الكنيسة ! وتارة أخرى يسمونه « بالقط البرى » · وكتب واحد منهم هو « ولدنج "Welding" » يقول : « كان كيركجور بالنسبة لنا نحن الاطفال الذين نسير فى حياة طفولة عادية طفلا غريبا وموضوعا للرثاء والشفقة ، لاسيما لملابسه التى لم تتغير والمصنوعة من الصوف الخشن والتى هى مزيج من اللون القاتم والتفصيل الغريب حتى معطفه كان ينتهى بذيول قصيرة ! ·· باختصار سرن كيركجور كان بالنسبة لنا جميعا شخصية غريبة لفتها أسرتها بمزيج من السر الغامض والقسوة والغرابة ·· »(١٦) ·

على هذا النحو كانت هناك هوة بينه وبين رفاقه فى المدرسة حتى انه لم يعرف منهم احدا قط ، ولم يتخذ منهم صديقا ، لم يقترب من اى منهم ، وكل ما كان بينه وبينهم هو الصراع والتوتر : هم يسخرون من منظره الغريب ،وهو يرد الصاع صاعين بالسخرية اللاذعة والنكتة البارعة ويكشف فى هذه السن المبكرة عن قدرة فى التهكم وعن تفوقه عليهم من الناحية العقلية ! اما الاطفال الاكبر سنا والاقوى بدنا فقد كان يتجنبهم بقدر المستطاع ، لكن ليس ثمة مايمنع ، ان دعت الحاجة ، من الرد عليهم بنكات قاسية وان كلفه ذلك كثيرا ــ اعنى انهم كانوا يضربونه ! والغريب انه لم يكن يتردد فى نزالهم حتى عندما يتحول الصراع الى اشتباك بالايدى مع انه كان يعلم مقدما انه الخاسر ! لكن يبدو أن ثقته بنفسه كانت بغير حد فقد كان يعتقد حتى فى هذه السن المبكرة أنه « متفوق على الجميع » !

لم يكن له ارتباط اذن برفاقه فى المدرسة الا هذا اللون من الصراع ولم يحدث قط بعد نهاية اليوم الدراسى أن اصطحب واحدا منهم الى منزله أو دعاه لزيارته . كذلك لم يذهب هو الى واحد منهم ! على هذا النحو كانت الجسور مقطوعة مع عالم الواقع منذ وقت مبكر ! وان كان يلجأ الى تعويض « هذا النقص » أو هذا « الوضع الشاذ باقناع نفسه » أنه خارق «

(١٦) W. Lowrie: A Short Life of Kierkegaard P. 39.

« ومتفوق عليهم » وأنه « الأوحد » أو هو « ذلك الفرد » ! كما سبق ان رأينا تماما كما كان يعتقد نيتشه أنه « هو ذا الرجل .... Ecce Homo لكن الغريب حقا أنه كان في بعض الأحيان يعود الى رشده فيقلل من هذا التفوق حتى يصل الى درجة الصفر أو قيل أنه كان يحسن بالوان متضاربة من المشاعر . يقول « روتنبك Ruttenbek » حين كان يجلس مع صديق يطمئن اليه بحيث يستطيع أن يحدثه بثقة ويسر له ما بنفسه كان يكرر قوله « أنا لا أساوى شيئا » .. ــ أنا لا أصلح لشيء » وكان في مقدوره أن يبرهن على أن أكثر الرجال تفاهة يمكن أن يعد عبقريا اذا ماقورن به »(١٧) .

ويصف لنا كيركجور هـــذه السنوات الاولى من حيـاته على لسان « القاضى فلهلم » الشخصية الرئيسية فى المجلد الثانى من كتابه : « اما .. او » (ولعلك تلاحظ ، كما سبق أن ذكرنا ، أنه عنـدما يروى شيئا من حياته لاسيما ان كان شيئا للنشر على الناس ، فانه يرويه على لســان شخصيـة مستعارة يخلقها بخياله مسايرة لخطه الثابت المستمر : عدم الاتصال المباشر بالواقع او ما يسميه هـو باستخدام « المنهج غير المباشر » .) ــ يقـول عن سنواته الاولى : ــ

« دعنى أوضح لك ما اعنيـه بمثال ، وسـوف أختار لهــذا الغرض الانطباع الذى مازلت أذكره من سنوات حياتى المبكرة :

عندما كنت فى الخامسة من عمرى ذهبت الى المدرسة ، ومن الطبيعى أن تترك هذه الحادثة انطباعا دائما فى ذهن صبى صغير - لكن المهم هو : ما هو هــذا الانطباع .. ؟ ! .. دخلت المدرسـة وقدمت الى المدرس الذى أعطانى واجبا لليـوم التـالى وهـو السطـور العشـرة الاولى من كتاب « العبر »(١٨) للأسقف بالى "Balle" وكان على أن احفظها عن ظهر قلب

---

(١٧) J. Wahl: Etudes Kierkegaardinnes P. (Note 2).

(١٨) مجموعة عن مبادىء الأخلاق ودروس الفضيلة جمعها الأسقف الدانيماركى بالى « "Bishop Balle" وكانت المـدارس الابتدائيـة كلهـا فى الدانيمارك تدرس هذا الكتاب ، ولهذا كثيرا ما يشير اليه كيركجور أو ربما بسببه ترسبت فى ذهنه فكرة الواجب » التى ستكون جوهر المرحلة الأخلاقية عنده فيما بعد .

عندئذ امحى من نفسى كل أثر الا واجبى الذى ظل حيا أمام ذهنى . وكنت فى طفولتى ذا ذاكرة ممتازة ، ولهذا كنت أتعلم دروسى بسهولة وسرعة ، وكانت أختى تسمعها منى مرارا وتعترف أننى أحفظها جيدا فأغدو الى النوم ! لكنى كنت أسمعها لنفسى مرة أخرى قبل أن أنام ! ولا أنام الا وأنا عازم على تكرارها مرة أخرى صباح الغد : وكنت أستقيظ فى الخامسة صباحا فارتدى ملابسى وأسرع الى كتاب «العبر» لأقرأ فيه مرة أخرى . ولايزال كل شىء حتى هـذه اللحظة حيـا أمام عينى وكأنه حدث بالأمس القريب . وبـدا لى أن — السموات والأرض سوف تنهار جميعا اذا لم أعرف دروسى . ومن ناحيـة أخرى فانه حتى لو انهـارت السموات والأرض فان ذلك لن يعفينى مما قد تعين على من استذكار دروسى . (لاحظ الصرامة الاخلاقية لفكرة الواجب) . وكنت فى تلك السن لا أعرف الا النزر اليسير من الواجبـات فـلم أكن قـد تعلمتها بعد من « كتاب العبر » لبالى Balle لذا لم اكن اعرف غير واجب واحـد هو ان اتعلم دروسى . ومع ذلك ففى استطاعتى ان أرد وجهة نظرى الاخلاقية كلها عن الحياة الى هذا الانطباع(١٩) .

« بعد ذلك بعامين ذهبت الى المدرسـة اللاتينية ، وها هنا بدأت حياة جديدة ، لكن الانطباع الرئيسى كان ايضا التأكيـد على اهميـة الحيـاة الأخلاقية رغم اننى استمتعت بأعظم قدر من الحرية : وكنت اسمع غيرى من التلاميذ ، وأنا مندهش ، يشكون من مدرسيهم حتى أن واحـدا منهم فصل من المدرسـة لأنه لم يحسن التعامل مع معلمه . ولولا أننى كنت قد تشبعت منذ حداثة سنى بالانطباع الذى يؤكد أهمية الأخلاق لكان لمثل هذه الحادثة اثر سىء على نفسى . لـكن شيئا من ذلك لم يحـدث . وعرفت أن واجبى هـو أن أذهب الى المدرسـة ، نعم الى المدرسـة التى ارسلونى اليهـا ، واذا كان يمكن تغيير أى شىء آخـر فان ذلك لم يكن من الممكن تغييره . ولم يكن الخوف فقط من جدية والدى هو الذى رسخ هـذه الفكرة فى ذهنى بل أيضـا الانطباع النبيل بواجب المرء ، فحتى لو لم يكن والـدى موجودا ووضعت تحت رقابة شخص آخـر لـكنت سأشـعر شعورا لانهـاية له بواجبى ... »(٢٠) .

---

(١٩) S. Kierkegaard: "Either..or" Vol. 2, P. 271.
(٢٠) Ibid, P. 273.

على هذا النحو سارت حياة الطفل الصغير فى المرحلة الابتدائية . وهنا نلاحظ أن هذه المرحلة تتسم بخاصيتين أساسيتين : **الاولى** الانفصال عن الواقع والخوف من مجابهته لان أى احتكاك به يعنى الصراع والتوتر . وبالتالى فان كيركجور فى الحقيقة لم يذق طعم الطفولة ، ومن ثم كان على حق تماما عندما قال عن نفسه « لقد ولدت رجلا عجوزا بالفعل .. »(٢١) .

والخاصية **الثانية** : الارتداد المستمر الى الذات ، وتلك نتيجة طبيعية للانفصال عن الواقع ، والبعد عن دنيا الناس بحيث لايكون له من عالم سوى ذاته بما فيها من مشاعر وعواطف وأفكار . وهو فى النص السابق يكشف عن أن « فكرة الواجب » قد شغلته وهو طفل صغير ، حتى أنه شعر أن عدم القيام بواجبه سوف يترتب عليه انهيار السماء والارض ! وهذه الفكرة سوف يصوغها فلسفيا فيما بعد باسم المرحلة الاخلاقية مستعينا بمقولات وأفكار هيجلية !

وهو فى كتيب ـ لم يكتمل وأصبح من مجموعة « أوراقه » عنوانه « يوحنا كليماكوس Johannes Climacus » يروى طرفا من حياته وهو طالب ـ يقول « فى مدينة هـ ـ كان يعيش منذ بضع سنوات طالب شاب يدعى « يوحنا كليماكوس » ، لم يكن يتطلع قط أن يصبح مرموقا فى هذا العالم ، وانما كان يجد على العكس سعادة ومتعة فى أن يعيش حياة غامضة وصامتة ، ولقد حاول المقربون منه ، وكذلك معارفه ، أن يفسروا طبيعته المغلقة وفراره من كل اتصال لالزوم له بالناس ـ حاولوا أن يفسروا ذلك مفترضين أنه ـ اما سوداوى المزاج واما أنه يحب . واولئك الذين أخذوا بالتفسير الأخير لم يخطئوا كثيرا على الرغم من أن أنهم يخطئون ان ظنوا أن احلامه كانت تنصب على فتاة ، فأمثال هذه الشاعر كانت غريبة تماما على قلبه(٢٢) .وكما كان مظهره الخارجى رقيقا وأثيريا ، كذلك كانت روحه بنفس الدرجة ، أبعد كثيرا من أن يسحرها جمال امرأة . ومع ذلك فمن الصواب أن تقول انه كان فى حالة حب ، أو كان مأخوذا بالحب .. لكنه

---

(٢١) S. Kierkegaard: The Journals, P. 169 (Oxford).
ويقول فى مكان اخر : « لقد قفزت تماما فوق الطفولة والشباب ! » .

(٢٢) لاحظ التباهى بالانفصال عن الحياة وعدم الاتصال بالواقع الحى الذى يعيشه الانسان العادى !

حب الافكار أو بالأحرى حب التفكير ... فحين كانت رأسه المفعمة بالفكر تميل كما تميل سنبلة القمح الناضجة ، فلم يكن ذلك بسبب سماعه صوت المحبوب ، وانما كان لأنه يصيخ السمع لهمس أفكاره الخافت ، وحين كان وجهه يبدو حالما ، فلم يكن ذلك بسبب أن صورتها كانت تحوم أمام عينيه ، بل لأن حركات الأفكار أصبحت مرئية ! لقد كانت متعته أن يبدأ من فكرة واحدة يتسلق منها خطوة خطوة عن طريق التسلسل المنطقى الى فكرة أعلى لأن التسلسل المنطقى كان بالنسبة له : « معراج الفردوس » Scala Paradisi وكانت سعادته تبدوله أعظم كثيرا من سعادة الملائكة . فعندما يصل الى فكرة أعلى كان يجد فرحة لاتوصف ، فيطرب لها فى حماس بالغ وينهمك فى السير فى الطريق نفسها حتى يصل الى المنطقة التى كان بدأ منها . ولكنه لا ينجح دائما فى تحقيق ذلك ! ولذا يصبح مغموما لأن حركة السير ناقصة ، وعندئذ يبدأ من جديد فان نجح هذه المرة فان روحه تطير من الفرح . وبسبب هذه السعادة الغامرة لم يكن يستطيع النوم طوال الليل وانما يستعيد الحركة ذاتها لعدة ساعات . لأن صعود الفكر وهبوطه ، ثم صعوده وهبوطه مرة أخرى كان يشعره بمتعة لا تعادلها أى متعة أخرى ، وفى الأوقات التى يكون فيها سعيدا ، كانت خطواته رشيقة خفيفة كأنه ينساب ! أما الأوقات الأخرى فان قلقه يكن مرعبا .. وهو لم يلحظ أن الناس يتبسمون منه . ومن ناحية أخرى نادرا ما يلتفت اليه المرء ، أو ينظر اليه بارتياح ، وهو يغذ السير بخطوات رشيقة كما لو كان يرقص ، وهو بدوره لم يعر الناس التفاتا ، ولم يفترض لحظة واحدة أنه قد يكون هناك من يلتفت اليه ، لقد كان وسيظل ، غريبا فى هذا العالم ..(٢٣) .

من هذا النص نلاحظ « التمركز الشديد حول الذات » الذى ستصبح سمة رئيسية فى فكر كيركجور بعد ذلك ، فمنذ كان طالبا وهو يدور حول نفسه وكلما انقطعت اتصالاته بالعالم الخارجى قويت علاقته بذاته وكان صادقا فى قوله « لم أعش قط بالمعنى الانسانى لهذه الكلمة ، لقد كنت فكرا من البداية الى النهاية ... وفى مرحلة الطفولة والشباب ساعدت نفسى

---

(٢٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 108 (Oxford).

بلون من ألوان الشباب المزور المصطنع ۰۰»(٢٤) ۰

« لقد ذقت الفاكهة من شجرة المعرفة واستمتعت بمذاقها ، غير أن هذه اللذة لم تمكث الا لحظة المعرفة فحسب ، ثم تمضى دون أن تخلف بصماتها العميقة داخل نفسى ، وانه ليبدو لى اننى لم أشرب من كأس الحكمة لكنى سقطت فى هذه الكأس ! ۰۰۰۰»(٢٥) ۰

ولما كان الارتداد الى الذات والتمركز حولها هو الخبرة الاساسية الاولى التى خبرها فى حياته فسوف يجعلها المبدأ الحقيقى لكل فلسفة : « فالانسان ينبغى عليه أن يعرف نفسه قبل أن يعرف أى شيىء اخر ، وبعد أن يفهم الانسان نفسه من الناحية الداخلية ، وأن يتبين طريقه على هذا النحو ها هنا فقط سوف تنعم الحياة بالسلام والمعنى ۰۰۰ »(٢٦) وهكذا ينفصل الفكر عن الوجود فى حالة وجود الانسان : « فالله لايفكر ، انه يخلق ، الله لايوجد انه أبدى ، أ!! الانسان فهو يفكر ويوجد والوجود الفعلى Existnce (للانسان) هو الذى يفصل بين الفكر والوجود العام Being ويعزل الواحد منهما عن الآخر على التوالى ۰۰۰ »(٢٧) ۰

هناك تجربتان مر بهما كيركجور فى حياته المبكرة دعمتا « مركزية الذات » هذه وعملتا على تنمية ملكة الخيال عنده الى اقصى حد ، وأعنى بهاتين التجربتين : « **النزهات الخيالية** » التى كان يقوم بها مع والده فى غرفة مغلقة ، « **والاصغاء العميق** » لمناقشات الأب مع اصدقائه فلنقف عندهما قليلا ۰

لنترك كيركجور فى الكتيب الصغير الذى سبق أن اشرنا اليه « يوحنا كليماكوس » وهو الآن بين « أوراقه » ــ يصف لنا التجربة المثيرة الأولى :

« على الرغم من أن طبيعة كليماكوس تبدو ملحوظة لمن لا يعرفه

---

(٢٤) S. Kierkegaard: Point of View, P. 80 Eng. Trans. by W. Lowrie.
(٢٥) S. Kierkegaard: The Journals, P. 17.
(٢٦) Ibid, P. 17 - 18.
(٢٧) S. Kierkegaard: Concluding Unscientific Postscript, P. 296 Eng. Trans. by D. F. Swenson and W. Lowrie.

معرفة وثيقة فانها لم تكن قط مستحيلة التفسير لـكل من يعرف شيئا عن حياته المبكرة ، انه الآن فى الواحدة والعشرين من عمره وسوف يظل على هذا النحو باستمرار .

لم يكن المنزل يقـدم له ألوانا من اللهو والتسلية . ولم يكن يخرج الا نادرا ، لهذا تعود منذ فترة مبـكرة ان ينشغل بنفسه وبأفكاره الخاصة وحدها ولقد كان والده رجلا متجهما قاسيا ، لكنه كان يخفى تحت مظهره الجاف العابس خيالا متوهجا لم يخمده تقدم السن . وعندما كان يوحنا يطلب من والـده أن يسمح له بالخروج من المنـزل كان ، فى العـادة ، يرفض . لـكن الوالـد كان بين الحين والحين ، وعلى سبيل التعويض ، يتناول يـد الطفل الصغير ويسير معـه فى أرض الغرفة جيئـة وذهابا . كان ذلك يبدو فى البـداية بديلا هزيلا للخروج ، لكنه ، مثـل مظهر الوالد الجـاف ، كان يخفى شيئا تحته مختلف أتم الاختلاف . وكان الأب يتـرك ليوحنا تحديد المكان الذى سيذهبان اليه ، هكـذا يخرجان من باب المنزل الى القلعة المجـاورة ، أو يذهبان الى الشاطىء أو يسيران فى الشـارع أينما يشـاء يوحنا (فالأب مستعد لكل شىء . وخـلال رواحهما وغدوهما فى أرض الغـرفة يصف الأب جميع ما يشاهدانه : يحيان المارة ، يتجنبان هذه المرأة مغربية اكثر من أى وقت مضى ! كان الأب يصف أقـل التفاصيل العربات ، يستمعان الى الضوضاء الصاخبة فيخفف صوت الأب ، فطائر وأصغرها بدقة متناهيـة بسرعة ووضـوح حتى ليصبح كل شىء واضحا بعد نصف ساعة من بداية هـذه النزهة كما لو كان قـد قضى يوما بأكمله أمام يوحنا وضوح النهار ! لدرجة أن الطفل كان يشعر بالارهاق والتعب خارج المنزل . وسرعان ما تعـلم يوحنـا من والده كيف يمارس قـدرته السحرية ؛ فمـا كان قصصيا فى البـداية أصبح الآن دراما : وانعكست الآية .....(٢٨) .

هذا نص بالغ الأهمية لأنه يظهرنا على هـــذه التجربة الغريبة التى أشعلت خيال الطفل منـذ سنواته المبكرة فيحـرم الأب على ابنه الخروج من المنزل ليلعب مع أترابه ويأخذ بيده فى نزهة فى عالم الخيـال ــ تاركا

---

(٢٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 109 - 110 (Oxford).

له حرية اختيار المكان الذى يذهبان اليه : الحديقة القلعة ، شاطىء البحر . واصفا المارة ، الباعة ، العربات ، الجلبة .... الخ مغيرا نبرات صوته ولهجته حسب مقتضيات الحال !

« وسرعان ما تعلم يوحنا من أبيه كيف يمارس هذا الفن الساحر ويتحول الوصف الى حوار بينهما أثناء السير . فاذا مرا بأماكن يعرفانها جيدا يراقب كل منهما الاخر جيدا بدقة حتى يتأكد من أنه لم يغفل فى وصفه شيئا . أما اذا كان الطريق مجهولا ليوحنا فانه كان يتابع الأب فى وصفه .وكان الأخير يمتلك قدرة هائلة على التخيل تمكنه من خلق أى شيىء - وكان الامر يبدو ليوحنا كما لو أن العالم يخلق من جديد أو ينبثق من العدم مرة أخرى أثناء هذا الحوار -وكما لو كان الأب هو « الله » ويوحنا هو ابنه الحبيب المرخص له بابداء أغرب الافكار كما يحلو له ....(٢٩) .

كانت هذه « النزهات الخيالية » قد بدأت قبل أن يذهب الطفل الصغير الى المدرسة واستمرت طوال وجوده بها وعلى هذا النحو كان التعويض عن « الحياة المدرسية المفقودة » عندما يسخر منه زملاؤه ويتندر بأن خيوط الواقع مقطوعة لا يكون أمامه الا هذا البديل أعنى خلق عالم خيالى ! ولهذا فاننا نستطيع أن نتخيل الى أى حد يكون اشتياقه للعودة الى المنزل ليقوم بهذه « النزهات » لكى يعيد بناء العالم الذى حرم منه ! فما أن يعود الى المنزل ويفرغ من تناول طعامه حتى يهرع الى أبيه طارقا باب غرفته ليدعوه للقيام بواحدة من نزهاته الحلوة !

ترى ماذا كان يستهدف الأب من القيام بهذه الرحلات الغريبة ؟ بعض الباحثين يقول : « كان غرض الوالد فى البداية أن يعتاد الطفل التنازل عن رغباته الخاصة والخضوع لرغبة أعلى حتى ولو كانت هذه الرغبة الأعلى « غير معقولة » ! لكن سرعان ما اكتسبت هذه النزهات مغزى يحتمل الا يكون الأب نفسه قد فهمه !(٣٠) .

---

(٢٩) Ibid.

(٣٠) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard, P. 33.

وقارن أيضا حول هذا الموضوع كتاب لورى عن « كيركجور » المجلد الاول ص٢٩ وله أيضا « حياة موجزة لكيركجور » ص٤٥ .

والواقع أن هـــذه « النزهات الخيالية » قـــد أثارت بين الباحثين مناقشات طويلة : عارضهـا معظمهم وأيدتها قلة فلنعرض بايجـــاز آراء الطرفين ثم نعلق عليه فيما بعد :

أصـدق من يمثل وجهة النظر التى عارضت هـذه النزعات الغريبة هو جورج براندز "Georg Brandes" الذى يذهب الى « انهـا طريقة غير طبيعية ان تحرم طفلا موهوبا من الاحساس بالواقع ، وان تغرس فى ذهنه احـلاما ورؤى مريضـة يصعب أن توجد فى دنيـا الواقع ··· »(٣١) · ويستطرد براندز قائلا : « وبالتأكيد فان احدا لن يعجب بعـد أن يقـرأ عن هذه النزهات ، من أن شخصيات كيركجور : يوحنا المغوى ، الاخ الساكت وفـلان ···· الخ »(٣٢) · هى شخصيات هزيلة ميتـة رغم شاعريتهـا ورغم ابداعه لها بمهارة ، لقد أصبح له أشبه ما يكون بالشجرة التى تنمو داخل جدران مغلقة ···(٣٣) ·

ويقارن براندز بين طفولة « سرن كيركجور » ، وبين طفولة الفيلسوف الانجليزى « جون استيوارت مل J. S. Mill » الذى عاش فى فترة مقاربة (١٨٠٦ — ١٨٧٣)؛ وكان منذ مولـده فى لندن فى ٢٠ مايو ١٨٠٦ يخضع تماما لنظام من التربية يقـوم به والده الذى حجبه عن عمـد من الارتباط بالاطفال فى مثل سنه واخضعه منذ سنواته المبكرة لنظام عقلى صارم(٣٤) · يقول « براندز » ان مل اعتاد هو الآخر — فيما بين سن الرابعة والسابعة — أن يقوم بنزهات يومية مع والـده ، لكنهـا نزهات تتم فى الهواء الطلق ! وكان الطفل يروى لوالده فى هـــذه النزهات كل ما تعلمه فى المدرسـة : « دفاع أهـل مالطا ضـد الترك ، ثورة الأراضى المنخفضة ضـد طغيان

---

(٣١) Georg Brandes : S. Kierkegaard Vol. 11, P. 257 1899 (Quoted by J. Hohlenberg: op. cit., P. 33 ff).

(٣٢) شخصيات مستعارة خلقهـا كيركجور بخيـاله وسـوف نعود اليهـا بالتفصيل فى الفصل السابع عنـدما نتحـدث عن « المؤلفات والمنهج » ·

(٣٣) Ibd.

(٣٤) W. R. Sorley: A History of British Philosophy to 1900; P. 249 Cambridge University Press 1965.

الأسبان ·· الخ » · وكان الأب صاحب الأفق الواسع والذهن الذى استوعب ثقافة العصر يرتب لابنه علوم عصره وينظم له ما وصل اليه العصر من معلومات ومعارف ويوقظ فى نفسه الاحساس بالقانون والتاريخ والطبيعة ··(٣٥) ·

ويشفق براندز ·· G. Brandes على كيركجور الطفل الذى شارك أباه هذه النزهات الكئيبة التى تروح وتغدو فى أرض الغرفة ، بينما الأب وابنه ـ كطفلين عجوزين يتعلق الواحد منهما بالآخر ويداعبه فى الاستمتاع برؤية مناظر الطبيعة المحيطة أو ينتقى الانطباعات كما لو كانت آتية من العالم من حوله !(٣٦) · وينتهى براندز « الى القول بأننا ينبغى الا تعجب عندما نعرف أن اسهامات كيركجور نتيجة لوجود هذه النزهات الخيالية هى لاشىء ! وان ذهنه الذى استثير فوق طاقته لم يستطع أن ينتج الا ظلالا ميتة يجعلها تمر امام عينى والده ! ·

وتولى « يوهانس هولنبرج ····· Johannes Hohlenberg — المؤرخ الشهير لحياة كيركجور ـ تفنيد انتقادات « براندز » والدفاع عن هذه النزعات الخيالية · فذهب الى أن « براندز » ينطلق فى انتقاداته من موقف عقلى ساد الربع الاخير من القرن التاسع عشر واستمر فى القرن العشرين تحت اسم « المذهب الواقعى Realism وهو مذهب يتميز فى رأيه ، بنقص حاد فى الخيال وعجز كامل عن التخيل وبالتالى عن انتاج شىء لايراه الناس رؤية حسية مباشرة ! ان الناس فى هذا المذهب الواقعى ، فيما يرى « هولنبرج » غرباء عن هذا العالم ينظرون اليه نظرة المشاهد من الخارج · وكان « جون استيورت مل » نموذجا لهؤلاء الناس ومن ثم فان تربيته لا تقل انحرافا عن تربية كيركجور !(٣٧) · وهولنبرج يريد بذلك أن يقول انه اذا كان كيركجور فى نزهاته الخيالية مع أبيه قد حرم من « الواقع » فان « مل » فى نزهاته الواقعية مع أبيه قد حرم من

---

(٣٥) J. Hohlenberg: Op. cit., P. 33.

(٣٦) Quoted by J. Hohlenberg, P. 33 - 34.

(٣٧) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard, P. 34.

« الخيال » ! ولكن « هولنبرج » لايكتفى بهذا القدر من الرد على انتقادات « براندز » وانما يستطرد محبذا نزهات كيركجور مع والده : يقول :

« ان ما تعلمه كيركجور من خلال مناقشاته مع والده كان شيئا مختلفا أتم الاختلاف (عما تعلمه مل) اذ لم تعتمد هذه المناقشات على ملكة التفكير وانما لجأت الى القدرة الخلاقة على التخيل !

ان ما كان الاب وابنه يستحضرانه بخيالهما ليس هو الظلال الميتة التى يشير اليها « براندز » ولكنه صور من الحياة الواقعية الدقيقة المفعمة بالتلقائية . ولقد أكد التفاعل المتبادل بين هذين « السائحين » ان خصائص الحياة الواقعية تظل محفوظة باستمرار .. فلم يكن يسمح لخيال الطفل الطفل أن يجرى هائما فى عالم من الشكوك الارتيابية أو فى مسائل هلامية لا شكل لها أو فى مناطق وعرة يصعب السيطرة عليها ، وانما كل شىء كان يشترط فيه أن يكون مرئيا ومحسوسا : شوارع كوبنهاجن الحقيقية تستحضر الى أرض الغرفة بكل مافيها من فلاحين . وعربات فى السوق القديم . وباعة للفاكهة فى الميدان . وشرطة على بوابات المدينة ، حتى الطرقات الضيقة . وحديقة . فرد يكسبرج ... Frederiksberg ومعارف مختلفين يلتقى بهم الأب وابنه ويتحدثان معهم ولا يقومان لهم الا مايقولانه فى الحياةالواقعية : انها مدرسة فريدة فى الملاحظة الدقيقة واستعادة الحياة الواقعية . انها ما كان يعنيه جوته Goethe بحديثه عن « قوة استحضار الصور المتخيلة التى ربما كانت واقعية ــ Real انها الخيال الدقيق الحاد الذى لا يمكن أن يكون مؤثرا على نحو أروع مما كان ..(٣٨) .

وينتهى « هولنبرج » من ذلك كله الى أن يقول : « ليس من المبالغة القول بأن كيركجور ماكان يمكن أن يجد تربية أفضل من ذلك لما أنتجه من مؤلفات . لقد أدت هذه المناقشات (فى نزاهته الخيالية مع والده) الى تنمية قدرات الطفل فى النفاذ الى باطن الناس والى داخل أفكارهم حتى أصبحت هذه القدرة مرهفة الى أقصى حد . كذلك نمت قدرته على النفاذ

---

(٣٨) Ibid.

الى باطن أية حالة روحية والتمييز بين مايكون واقعا حقا وما لايكون · كما طورت هذه المناقشات من ملكاته النفسية ، واضاءت معرفته بنفسه وأضفت على فكره تلك العلاقة الباطنية بالواقع التى جعلت كل أدلته حتى المجردة منها واضحة كما ساعدتنا على أن نرى أفكاره ككائنات حية واقعية ، ولم تكن الشخصيات التى خلقها خياله من امثال يوحنا المغوى ، وفلان ·· Quidam والشاب ، ومصمم الازياء (خياط النساء)(٣٩)·وغيرهم خيالات ميته فى رأسه وانما كانت نتاجا للواقعية Realism التى جاوزت ظروف الحياة اليومية الخارجية الى دائرة الافكار ·····»(٤٠)·

الحق أننا نجد فى دفاع « هولنبرج » عن نزهات كيركجور الخيالية مبالغة شديدة ! . صحيح أن « جون استيوارت مل » كان يفتقر الى الخيال الذى أشار اليه « هولنبرج » ولقد كتب هو نفسه فى سيرته الذاتية ، يشكو من أن منهج والده — جيمس مل James Mill كان يستهدف غاية غريبة هى أن يخلق منه آلة للتفكير من الطراز الأول ، وكأنه يعد النبى سيبشر فيما بعد بانجيل المذهب النفعى(٤١) ·

لكن ذلك كله لا يخفى الحقيقة الواضحة وهى أن كيركجور انفصل عن الواقع تماما ثم جاءت هذه النزهات الخيالية لتغذى قوة الخيال التى تدعم الانفصال (عن الحياة وتعينه على خلق عالم من لا شىء) أن ملكة الخيال التى امتدحها « هولنبرج » تكون ذات فائدة كبرى عندما تنطلق من أرض الواقع الصلبة . فلو كان الطفل قد ترك يلعب مع الاطفال فى مثل سنه ، يزورهم ويزورونه ، يجوس شوارع المدينة ويتعامل هو نفسه مع مع الناس ·· الخ لكان لهذه النزهات — وهو يستعيد تجاربه اليومية —

---

(٣٩) يوحنا المغوى هو ممثل دون جوان فى كتابه « اما ·· أو » المجلد الاول » وفلان » أو يوميات فلان تمثل جزء كبيرا من كتابه « مراحل على طريق الحياة » وقد جعل عنوانها « مذنب غير مذنب ؟ والشاب » شخصية فى كتابه « التكرار » · وخياط « النساء » فى الجزء المعنون باسم الحقيقة فى الخمر In Vino Veritas فى كتابه المراحل ·

(٤٠) J. Hohlenberg: op. cit., P. 35.

(٤١) W. R. Sorley : A History of British Philos., P. 9499 - 950.

فائدة لا تذكر . أما حين تكون تجــارب الطفل معدومة . وصلته بالحياة سطحية ، فان تنمية ملكة الخيال يكون عملا محفوفا بالمخاطر لأنه قد يقود الطفل . على نحو ما حدث بالفعل ، الى تعميق الحياة التخيلة لا الحياة الواقعية ويزيده بعدا ونفورا من الواقع لا سيما ان صــادفته مشكلة أو اصطدم مع رغبة من رغباته .

اننا نعلم الطفل فى هذه الحالة أن يحل مشاكله حلا خياليا ونجعله فى النهاية مجرد شبح هائم فى دنيا الخيال لا علاقة له بالواقع ! ولا يفيد فى شىء أن يكون : كيركجور قد تعلم الدقة فى الكلام والتعبير ، لأن الأب كان عنيدا كالصخر لا يسمح الا بدقة متناهية فى سرد التفصيلات ولا يقبل مايكون منها فاترا تعوزه الحساس او يفتقر الى الوضوح ...(٤٢). ان ذلك فى الواقع لايفيد فى شىء لأن الصورة التى يرسمها فى النهاية صورة خيالية بغض النظر عما فيها من جمال ووضوح !

أما التجربة الثانية التى مر بها كيركجور فى حياته المبكرة والهبت خياله أيضا فهى حضوره للمناقشات التى كانت تتم بين الأب واصدقائه فى المنزل . وهى كلها مناقشات فكرية تتناول قضايا الفلسفة واللاهوت . ولنترك كيركجور يروى مرة أخرى على لسان يوحنا كليمــاكوس هذه التجربة الثانية : ـ

« كانت الحيـــاة فى منزل الأب تسير على هذا النحو المفضى الى تطوير خياله والى أن يتذوق العطر الالهى ...... ومن ناحية أخرى فقد كان الأب يحمل بداخله ، بكل قدرته اللامتناهية على الخيال ، قدرة على الجدل لاتقاوم . فحين كان يشتبك الأب فى نقاش مع شخص ما كان يوحنا يتحول كله الى اذن صاغية . والسبب أن النقاش كان منظما ومرتبا وجادا ، فقد كان الأب يسمح لخصمه باستمرار أن يعرض وجهة نظره كلهـــا فاذا ماانتهى من عرض دعواه سأله الأب ، بدواعى الحيطة والحرص ، عما اذا كان يريد أن يضيف شيئا آخر قبل أن يبدأ فى الرد عليه . وكان يوحنا يتابع كلام الخصم بانتباه شديد ويشارك بطريقته الخاصة فى الاهتمــام بالنتيجة التى يصلان اليها . ويتخلل ذلك لحظة صمت ثم يبدأ الأب فى الرد

---

(٤٢) Ibid, P. 35.

على خصمه . آه ! احترس ! فى لح البصر سوف تنقلب المنضدة رأسا على عقب .. أما كيف يحدث ذلك فقد كان لغزا أمام يوحنا وان كانت روحه تشعر بالغبطة لهذا المنظر !

ويعود الخصم الى الحديث من جديد وكان يوحنا ينتظر بفارغ الصبر ماذا سيحدث وفى مثل طرفة العين ينقلب كل شىء من جديد : ماكان سهل التفسير أصبح الآن لا يمكن تفسيره . وما كان يقينا أصبح الآن شكا .. وهكذا دواليك . ان سمك القرش عندما يمسك بفريسته لابد أن ينقلب على ظهره لأن فمه فى جانب البطن : والظهر مظلم أسود والبطن أبيض فضى . وهكذا تجد نفسك أمام منظر مدهش عندما تتبدل الألوان ! وكان يوحنا يشاهد تبديلا مماثلا عندما يستمع الى أبيه وهو يصول ويجول فى احدى المناقشات . صحيح أنه نسى ماقيل – سواء ماقاله أبوه أو ماقاله الخصم – لكن قشعريرة الروح لا يمكن أن تنسى .. ! ..(٤٣)

ما تعلمه كيركجور من اصغائه العميق لهذه المناقشات كان شيئا مختلفا عما تعلمه فى النزهات الخيالية ، لكنه كان على نفس القدر من الأهمية .. لقد تعلم هنا « موسيقى التفكير » على حد تعبير « هولنبرج » فلم يعد يهم « مضمون » التفكير بقدر ما تهم صورة التعبير عنه ، فالشكل هو الذى سحره وليس المحتوى : فالتنويعات الفكرية أو الذاتية واطار المناقشة جعلته يشعر أنه يتابع بناء قطعة موسيقية !(٤٤)

غير أن أثر الأب على ابنه لم يقتصر على هاتين التجربتين ، النزهات الخيالية من ناحية ، « والمناقشات » من ناحية أخرى وانما كان أثره قويا فى الجانب القاتم الذى عرفه الطفل من المسيحية ، يقول « لقد نشأت صارمة وقاتمة منذ كنت طفلا ! كانت تربية ، من الناحية الانسانية ، جنونية بالنسبة للمسيحية . فمنذ طفولتى الباكرة وقعت تحت وطأة الانطباع الذى كان يعانى منه ذلك الرجل العجوز الذى فرضه علىّ . طفل يجرى تجسيده على أنه رجل عجوز سوداوى : ياله من شىء مرعب ! والغريب أنه كانت هناك أوقات بدت لى فيها المسيحية على أنها أعظم قسوة لا انسانية رغم أننى – حتى

---

(٤٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 111 (Oxford).

(٤٤) J. Hohlenberg: op. cit., P. 37.

بعد أن تجاوزت هذه المرحلة ــ لم أفقد قط احترامى للمسيحية ٠٠(٤٥) ٠٠ « كم ملأ أبى روحى بالقلق ، بالقلق أمام المسيحية » (يوميات ١٨٤٨) ٠لقد عمل والده على أن تكون صـــورة المسيحية التى يعرفها هى « الصورة القاتمة » التى تزيد اشتعال النيران فى صدره مما أدى الى تقوية التوتر والتمزق الداخلى عنده : فالمسيحية التى عرفها هى المسيحية الكئيبة المظلمة التى تركز باستمرار على العذاب والمعاناه : « فقد احتلت صورة المسيح ، وهو على الصليب ، مركز افكاره فى فترة مبكرة جدا من حياته ، وكان لا هوت أبيه هو لا هوت المسيح المضرج بالدماء ٠٠(٤٦) ٠

وكان أبوه كلما راه مكتئبا قال له : « انظر لقد أصبحت الآن تحب المسيح حبا حقيقيا ! وهو يعلمه أيضا أن الجموع بصقت على وجه المسيح الذى هو الحق والحيـــــاة ٠ وهذا يعنى أن الحقيقة أهينت ! والمثل الذى تقدمه له حياة أبيه ومافيها من تقوى وورع ، وكآبة بسبب زلته وهو صبى صغير تدله على أنه لابد للمرء أن « يهجر الله لكى مختارا من الله » ! « فالله ليس اله الاتقياء ، لكنه اله الخطـــــاة ، فلابد أن تكون خاطئا حتى تكون مختارا عند الله ٠٠(٤٧)ولم ينظر الى الله على أنه خالق بل غافر الذنب وقابل التوب ٠ ومن هنا أصبح غفران الخطايا هو المعجزة الحقة ، وتحول الخطاة الى قديسين هو حقا العمل الرائع ٠٠ يقول : « الله خلق الاشياء من عدم ، وهذا قول رائع حقا ، لكنه فعل ماهو أكثر روعة : لقد جعل من الخطاة قديسين ٠٠٠(٤٨) وهكذا كان كيركجور منذ حداثة سنه اذا مافكر فى المسيحية ازدادت كآبته وازداد توتره ، لكنـــه من ناحية اخرى لا يتخير منهـــا الا الجوانب القاتمـــة التى تحتوى على عذاب وصــــراع وتوتر حتى انتهى الى القول بأن المسيحية التى ينتزع منها عنصر الارتعاد والخشية ليست الا مسيحية من نسج الخيال ! وجذور هذه النظرة القاتمة تكمن فى وعظ الاخـــــوة المورافيين المليء بالدموع والجراح الذى كان يستمع اليه والده فى الكنيسة التى انتمى اليها ٠ هاهنا نجد جذور فكرتين سوف يتسم بها موقف كيركجور تجاه المسيحية فى كل أيامه الاولى : **الفكرة الأولى :**

---

(٤٦) J. Wahl: Etudes, P. 9.

(٤٧) Cité Par Jean Wahl: Etudes, P. 2.

(٤٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 59 (Fontana).

انه كان يشعر أنه مخصص للعذاب فى هذا العالم وأنه « ضحية » ، ولم يكن يتوقع أن يشارك فيما يسميه الناس عادة بالحياة السعيدة ·

الفكرة الثانية : شعوره بالعثرة تجاه المسيحية ومن ثم أحيـانا بالثورة والتمرد ضد الله لانه خلق العالم على نحو ماهو عليه وفرض على الناس مثل هذه المطالب · ومع ذلك كله قد كان يشعر أن المسيحية صادقة صدقا مطلقا لكن كانت تمر عليه لحظات يشعر انها قاسية بطريقة لا انسانية · حتى لقد قال لسكرتيره « اسرائيل ليفين I. Levin » ذات مرة انه يعتقد انه محظوظ لانه بوصفه يهوديا فقد تحرر من المسيح وبعد عن عذابه وآلامه ولم ينجح كيركجور قط فى حل هذا التناقض شعوره بصدق المسيحية من ناحية وقسوتها من ناحية أخرى ! (٤٩)

كم من ذلك كله يرجع الى والده وكم يرجع اليـه تلك مسألة يصعب حسمها لكن الامر المؤكد هو أن « المعاشرة » هى الأمر الحاسم أعنى واقعة أن الاب اكتشف الابن تدريجيا وأن الابن اكتشف الاب تدريجيـا وأن كلا منهما اكتشف نفسه وتعرف عليهـا من خلال الآخـر · وكما لو كان هناك اتفاق غير معلن مفاده أن حياة الابن ينبغى أن يضحى بها من أجل خطيئة الاب · وربما كان هذا هو السبب فى أنه ألح باستمرار على أن تنطبع فى ذهن الطفل صورة المسيح على الصليب : المسيح وهو يعذب ، وهو يعانى ، والجماهير تصيح فى وجهه « تبالك ! » ولم ينس الابن أبدا هذه الانطباعات كتب فى « مذنب · · · غير مذنب » فى كتابه « مراحل على طريق الحياة » يقول: ذات يوم كان هناك أب وابن · وكان الابن أشبه بالمرآة التى يرى فيها الأب نفسه فى حين أن الأب بالنسبة للابن كان أيضا المرآة التى يرى فيها ماسوف يكون عليه · ولقد نظر كل واحد منهما الى الآخر على هذا النحو لأن المناقشة المبهجة المرحة الحية كانت هى المعاشرة اليومية بينهما · مرات قليلة وقف فيها الأب أمام ابنه ووجهه يمتلىء حزنا ثم قال « ياطفلى المسكين سوف تعيش فى يأس كامل ! » · · ولم يقل شيئا آخر عما ينبغى أن يفهم به هذه العبارة (٥٠) ·

---

(٤٩) J. Hohlenberg: op. cit., P. 39.

(٥٠) S. Kierkegaard: Stages on life's way P. 191. Eng. Trans. by W. Lowrie.

« ان القلق الذى يمتلىء به صدرى يجعلنى أشعر اننى كنت دائما ، دائمــا خارج نفسى » ٠٠ « من أين يتأتى للمرء ، وهــو لا يزال شابا ذلك الشعور الذى لا يمكن أن يكتسبه الا بعد حياة طويلة جدا ؟ ! لو استطاع أن يكتسبه على الاطلاق ؟ ! واسفاه لم أكن شابا قط : كنت أكبر من عمرى بآلاف السنين ! ولهـــذا اضررت أن اقـول عن نفسى بأسى اننى لم أكن شخصا بشريا قط ! ٠٠٠ »(٥١) ٠

لكن أحقا كانت النغمة الحزينة الكئيبة هى وحـــدها المسيطرة على منزل كيركجور ؟ ! هل كان الاب المسيطر ذو المزاج السوداوى هو وحده الموجود ؟ ! واين الأم ؟ ! من الغريب حقــا أن نجد كيركجور يذكر والده بكثرة لا حصر لها فى يومياته ، وفى كتبه الاخرى لكنه لايشير الى امه قط ! فلماذا لزم الصمت بصددها على هذا النحو وما هو دورها ؟ !

لم يذكر كيركجور شيئا عن امه لكن حفيدتها هنريت لند Henriette Lund هى التى وصفتها فقالت : « كانت امرأة صغيرة لطيفة ذات مزاج سهل مرح تحملت عبء نمو ابنائهـــا ، لـكن تحلقهم العـــالى وحركتهم الســـريعة بدالقلبها المضطرب كما لوكان فرارا من المكان الذى تشعر انه بيتها والتى كانت تود أن تبقيهم فيه ٠ ومن هذا كانت تشعر بالرضا لرضـــــهم المؤقت العابر الذى يجبرهم على العودة اليها ويخضعهم ولو فترة لسيطرتها ٠ لقد كانت تشعر بالسرور بصفة خاصة وهى تضعهم فى الفراش لأنها عندئذ كانت تشعر انها تمارس سلطتها بغبطة وتجعلهم يشعرون بالدفء كما تفعل الدجاجة مع صغارها ٠٠»(٥٢) ويبدو انها كانت انسانة ساذجة بسيطـة ولم يكن لها اثرا اخلاقى على كيركجور ٠ فقد شعر منذ حداثة سنه ربما من معاملة والده لها — لام اولاده السبعة — انهـــا لم تكن زوجة بالمعنى الرفيع لهـذه الكلمة ٠ وفى الذكريات التى سجلها راعى الاســرة الاسقف ميتستر Bishop Mynster يشير الى أن الأب ظل يشعر أن زوجته الاولى هى الزوجة الحقيقية ٠ وهو يذكر أنه عندما تزوج للمــرة الثانية

---

(٥١) Quoted by J. Hohlenberg Op. cit., P. 41.

(٥٢) Quoted by W. Lowrie: A Short life if Kierkegaard, P. 24.

جاءه ذات يوم وهو مضطرب يقول : « ياالهى ! لقد كنت أفكر اليوم كثيرا فى زوجتى المباركة ······· لقدفكرت فيها كثيرا ·· هناك مائتين من الدولارات هلا تفضلت بتوزيعها على الفقراء ؟ ! (٥٣) ·

من المؤكد أن الام لم يكن لها دور كبير فى هذه « الاسرة اللغز » ولا حتى كمربية أطفال فى المنزل وهذا هو السبب فى لهفتها على صغارها فى حالة مرضهم لانها اللحظات القليلة التى تمارس فيها دورها ! أما بقية الجوانب الأخرى فى حياة هذه الاسرة فقد كانت متروكة للاب المسيطر على كل شىء حتى انه كان يقوم بنفسه بشراء الوان الطعام المختلفة من السوق !

فاذا اضفنا الى ذلك انها كانت تعمل فى الاصل خادمة فى الاسرة وان الرجل اتصل بها اتصالا جنسيا قبل زواجها ، عرفنا الاسباب التى منعت كيركجور من أن يحترمها أو يحبها كما يفعل الاطفال عادة ! ومن المؤكد أن هذه الوقائع كانت سببا فى ماساته كما انها تفسر جزئيا جانبا من تعاسته الخاصة التى جعلته عاجزا عن « تحقيق العـــام » « اعنى ان يتزوج من المراة التى أحبها « ريجينا اولسن » · « ان ذلك الذى كتب كثيرا عن المراة وباسلوب جميل ، رغم انه كتب عنها فى النهاية بشىء من الحنق ، كان يتصور انها فقط الشخصية المتممة لشخصية الرجل ، واذا ما استثنينا حديثه عن مريم « ام المسيح » فانه نادرا ما يتحدث عن الجانب النبيل فى المراة بوصفها اما ···· » (٥٤) ·

واذا كان جانب من سوداوية كيركجور يرجع الى انه ورثه عن ابيه الذى يصفه بقوله « انه اكبر سوداوى عرفته فى حياتى » ، فانه يمكن القول بانه ورث عن أمه الجانب المضاد : « صفة المرح » · وهكذا نعرف مصدر الصفتين اللتين تحدثنا عنها من قبل : الجانب الداخلى المكتئب (من الأب) والجانب الخارجى المرح (من الام) ···

* * *

على هذا النحو اذن سارت حياة كيركجور فى ايامه الأولى الدرسة

(٥٣) Ibid. P. 25 & J. Hohlenberg op. cit., P.

(٥٤) W. Lowri: A Short life of Kierkegaard P. 25.

الابتدائية ثم المدرسة اللاتينية الى أن التحق بالجامعة فى سن السابعة عشرة وعلى وجه الدقة فى ٣٠ اكتوبر عام ١٨٣٠ — بعد أن اجتاز بنجاح امتحان القبول ، نجح بتفوق فى اللغة اليونانية ، والتاريخ واللغة الفرنسية وكتابة مقال باللغة الدانيماركية) ، ثم اختار كلية اللاهوت تبعـــا لرغبة والده (ويصعب القول أن ذلك تم رغمـــا عنه فليس ثمة شك فى أنه كان يميل ميلا قويا الى دراسة اللاهوت فى ذلك الوقت) وعلى الرغم من أننا لا نعرف تفصيلات كثيرة عن حياته فى هـــذه الفترة اذ لم يبدأ فى تدوين يومياته الا بعد ذلك بحوالى أربع سنوات (أعنى عام ١٨٣٤) فاننا نعرف أنه بعد التحاقه بالجـامعة فى شـــهر اكتوبر ١٨٣٠ ذهب بعد ذلك بأيام (أول نوفمبر) ليقيد اسمه فى سجل الحرس الملكى الدانيماركى لكنه يفاجأ باخلاء سبيله بعد ذلك بثلاثة أيام فقط (فى ٤ نوفمبر ١٨٣٠) بسبب عدم ليقاته الطبية ، وكم اثرت فى نفسه هذه الحادثة التى كانت تذكره باستمرار بالتشوه البدنى وتقوس الظهر الذى كان يعانى منه !(٥٥) .

اختار كلية اللاهوت لدراسته الجامعية ، وكان شقيقة الاكبر بطرس قد أنهى دراسته فيها وسافر الى المانيا ليستكمل دراسته اللاهوتيه هناك . اما فيلسوفنا فقــد اجتاز بنجاح القسم الأول من امتحان اللاهوت فى ٢٥ ابريل عام ١٨٣١ ، ثم اجتاز القسم الثانى فى ٢٧ اكتوبر من نفس العــام وحصل على تقدير جيد فى اللغات اليونانية واللاتينية ، وكذلك فى اللغة العبرية والتاريخ ، كما حصل على تقدير جيد جدا فى الفلسفة وعلـــم الطبيعة والرياضيات · وهكذا حصل على الحد الادنى المطلوب من الدراسة وأصبح الشاب « طالبا فى اللاهوت » ، لكنه فى السنوات السبع التالية لن يدرس اللاهوت الا باهتمام ضئيل فى حين سيقبل بنهم شديد على دراسة

---

(٥٥) يذهب « يوهانس هولنبرج » الى أن كيركجور بعد ان سجل اسمه فى الحرس الملكى الدانيماركى سرعان ما مل هذه الحياة فانسحب منها ! ص ٤٥ وهذا بالطبع خطأ واضح **أولا** لأن المدة (٣ ايام) كانت اقل من أن يشعر فيها بالملل**وثانيا** وهو الاهم أن التشوه البدنى لكيركجــور هو الذى تسبب فى « تسريحه » من هــذا الحــدس قارن ولتــر لورى » س · كيركجور المجــلد الاول وانظر ما يقوله كركسول Croxall الذى ترجم كتاب ولنبرج الى الانجليزية · « اننى هنا اختلف مع المؤلف لأن كيركجور رفض بسبب عدم لياقته البدنية » · تعليق رقم ٤= ص ٣٠٢ ·

التاريخ والأدب والفلسفة ! وبعد الامتحان الثانى أصبح الطالب حراً حرية كاملة فلم يعد مجبرا على سماع المحاضرات لكنه يستطيع ان يتقدم للامتحان عندما يكون مستعدا لذلك . وهكذا ولأسباب خاصة أصبح كيركجور على حد تعبيره هو نفسه « طالبا الى ماشاء الله ! » اذ لم يتقدم للامتحان الثانى للاهوت الا بعد ان قضى عشر سنوات فى الجامعة . اذ كان لابد أن تمر بطالب اللاهوت « مجموعة من الأحداث قبل أن يتخذ قرارا بالعودة الى الدراسة . كان لا بد أن يقضى سنوات من التشتت والضياع واللهو والانفاق على المتعة الشخصية قبل أن يتحول الى الدين ويعلن التوبة كما كان عليه أن ينتظر حتى يموت الأب ! لكن قبل أن نواصل سرد حياة كيركجور او هذا « الطالب الى ماشاء الله » : لابد ان نتوقف هنا لنسأل انفسنا ترى ماذا حدث فجعله يتوقف عن الدراسة ؟ ان الحصول على شهادة اللاهوت من جامعة كوبنهاجن لم يكن يتطلب البقاء فى الجامعة اكثر من اربع سنوات وامامنا مثلا شقيقه الاكبر « بطرس كيركجور » الذى كان يكبره بثمان سنوات فقد التحق بكلية اللاهوت قبله وحصل على درجة التخرج بعد ثلاث سنوات ونصف . وفى الوقت الذى كان فيه « سرن » لايزال طالبا فى اللاهوت جامعة كوبنهاجن عاد شقيقه بطرس من المانيا بعد ان حصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة واصبح مدرسا فى نفس الجامعة ! ويمكن ان نتخيل كم كان غضب الاب لاهمال « سرن » فى دراسته ونفوره من استكمال دراسة اللاهوت والسخط الذى تملكه عندما تبين ان هذا « الابن الضال » ليس لديه النية فى اجتياز الامتحان او ان يكون قسيسا ! هكذا بدأت الرابطة الوثيقة بين الأب وابنه فى التدهور ثم فى النفور ! لكن ما الذى ادى بكيركجور الى « حياة اللهو » او الضياع « بحيث تدهورت علاقته الوطيدة مع والده على هذا النحو ؟ : اكان قد اكتشف فى هذه الفترة « غلطة والده الكبرى » وهو طفل صغير عندما راح يجدف على الله ؟ ! لقد كتب كيركجور بانفعال شديد هذا الاكتشاف فى يومياته عام ١٨٣٥ تحت عنوان « الزلزال الاعظم » . :

« هناك زلزلت الارض زلزالها الاكبر فوقع الانقلاب المروع الذى فرض على فجأة قانونا معصوما جديدا لتفسير جميع الظواهر . لقد توسمت أن علو سن ابى لم يكن بركة من الله بل بالاحرى لعنة . وان

المواهب الرائعة التى تنعم بها أسرتنا لم يقدر لها الا ان يمزق بعضها بعضا وابصرت فى أبى كائنا شقيا كتب عليه ان يعيش بعدنا جميعا وكأنه صليب قائم على قبر جميع آماله ، وشعرت بصمت الموت ينمو حوالى - لقد كتب على هذه الاسرة ان تحمل على كاهلها خطيئة وأن يسلط عليها عقاب من الله لقد كتب عليها أن تزول وأن تمحوها يد الله القوية فتبيد كما تبيد تجربة فاشلة · وكان يصعب على احيانا ان أتخلص من الفكـــرة التى تقول ان والدى أراد تعزيتنا بالدين وبالقول بأن عالما افضل سوف ينفتح أمامنا اذا ما فقدنا كل شيء فى هذا العالم واذا ما باغتنا العقاب الذى كان اليهود يطالبون به لأعدائهم : أن تمحى ذكرانا تماما ولايبقى لنا اثر ··(٥٦)

وقـــد لايكون تاريخ هذه « التدوينة » هو نفسه التاريخ الذى اكتشف فيه كيركجور هذا السر ، فلا شك انه كانت لديه هواجس قبل ان يعـــرف معرفة مؤكدة ان اباه يحمل فى صدره همومـــا دينية كثيرة ··(٥٧)لكن من المؤكد ان هناك عدة عوامل دفعت كيركجور الى الانقطاع عن دراسته والانحراف الى طريق الضياع كما سماه ! ربما اكتشافه هذا السر وربما ايضا الاحـــداث التى وقعت فى المنزل فى ذلك الوقت · ففى سبتمبر عام ١٨٢٢ تموت البنت الكبرى الثانية « نكولين » عن ثلاث وثلاثين عـــاما !

وبعد ذلك بعام واحد فى سبتمبر ١٨٣٣ يموت شقيقه « نلس اندرين »

وفى ٣٠ يوليو عام ١٨٣٤ تموت الام !

وفى نفس السنة ديسمبر ١٨٣٤ تموت الابنة الصغرى بتريا Petrea الاخت المفضلة عند « سرن » عن ثلاث وثلاثين عاما !

ولقد احدثت هذه الوفيات الكثيرة اثرا قويا على الاســـرة اللعن فاستيقظت الوسواوس والهواجس القديمة وجميع الصور الماضية عن غلطة الاب تجاه الرب والانتقام المنتظر عن طريق ذريته ! وربما ايضا ما وجده

---

(٥٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 39 (Fontana).

(٥٧) نوقش تاريخ الزلزال مناقشة طويلة . ولم يظهر فيمـــا يقول جان فال دليل قاطع يحسم هذا الموضوع قارن كتابه دراسات كيركجوردية ص ٩ حاشية ·

كيركجور فى جامعة كوبنهاجن من سيطرة طاغية للفلسفة الهيجلية التى قدمها الى الدانيمارك لأول مرة « جوهان لودفيج هيبرج Johan Ludvig Heiberg (١٧٩١ ـ ١٨٦٠) ثم تأثير بها هانزلارزن مارتنسن Hans Larsen Martensen (١٧٠٨ـ١٨٨٤) الذى كان محاضرا ثم أستاذا للاهوت بجامعة كوبنهاجن وعرفه كيركجور الشاب معرفة وثيقة . وربما كانت هناك أفكار كثيرة تطوق براس الشاب فى ذلك فقد كان يحلم مثلا أن يكون شاعرا ومن بين الموضوعات التى طرأت على ذهنه لدراستها دراسة شعرية ودونها عام ١٨٢٥ : شخصيات « فاوست "Faust" ودون جوان "Don Juan" واليهودى التائه Ahsverus وهذه الموضوعات الثلاثة شغلت تفكيره لعدة سنوات تالية . كتب فى مارس ١٨٣٦ يقول : هناك ثلاثة أفكار كبرى (هى دون جوان ، فاوست واليهودى التائه) تمثل الحياة بعيدا عن الدين فى اتجاهات الثلاثى . وعندما تندمج هذه الافكار فى داخل الفرد وتصبح متوسطة عندئذ فقط تبدأ الاخلاق والدين فى الظهور . تلك هى وجهة نظرى فى هذه الأفكار الثلاثة وعلاقتها بموقفى الدجماطيقى . » (٥٨) . كما شغلته كذلك شخصية رومانتيكية اخرى هى شخصية « السيد اللص الشريف » يقول فى ١٢ سبتمبر عام ١٨٢٤ « اننى مندهش من أن أحدا ، على قدر علمى ، لم يعالج فكرة « اللص السيد » (أو اللص الظريف !) وهى فكرة لاشك تؤدى بذاتها الى دراسة درامية ، وانى اعتقد ان كل أمة من الامم لديها مثل هذه الفكرة فهذا اللص المثالى وجد بين الأمم جميعا ... » .

لكن هذه الشخصية الدرامية لم تتعد التدوين فى يومياته ، ويرى « هولنبرج » أن السبب فى أن الفكرة لم تخرج عن حيز التدوينات يرجع الى صراعه مع والده فى ذلك الوقت . فقد كان الرجل العجوز غارقا فى الاكتئاب بسبب خطاياه الكثيرة منتظرا العقاب الذى سيحل به وفى الوقت نفسه لم يكن راضيا عن سلوك ابنه . وقد حدثت بين الاثنين بعض المواقف الغريبة لاسيما عندما ساورت الاب الشكوك فى أن حياة ابنه تسير فى طريق فاسد فحاول أن يناقش معه هذا الموضوع لكنه لم يجد الكلمات التى يعبر

---

(٥٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 50 (Fontana).

بها عن موقفه فاكتفى بأن قال له أن هناك خطايا لايستطيع الانســـان أن يتخلص منها الا بجهد خارق : « لازلت أذكر ذلك الانطبـــاع الذى انتابنى عندما سمعت ابى يقول لى : هناك خطايا لايستطيع الانسان النجاة منهــا الا بعون من الله » (٥٩)ساعتهـــا هرولت مسرعا الى غرفتى ونظرت الى نفسى فى المرآة ٠٠(٦٠)ولقد ظن من حديث أبيه انه اكتشف طريق الضياع الذى سار فيه وأنه أراد أن يحذره من مغبة هذا الطريق لهذا سارع بالجرى الى غرفته ليتطلع فى المرآة ليرى ان كان حقا يشبه الشخص المنحـــل أو الشاب المنحرف وما اذا كان منظره يوحى بهذه الفكرة ٠٠ (٦١)

هناك اذن عوامل كثيرة مالت بالشاب الى الانقطاع عن الدراسة فقد كان المفروض أن يتقدم للامتحـــان النهـــائى للاهوت عام ١٨٣٥ لكنه من ١٨٣٤ حتى ١٨٣٥ كان فى حالة غليان واختمار عقلى عنيف واضطر لبعض الوقت أن يذهـــب الى جيليلى Gillelje وهو منتجع قرب الســـاحل للتسليـــة والنزهة وهناك كتب تدوينته الشهيرة « ان ما أحتاجه أن أعرف نفسى . أن أعرف مايريد منى الله أن اعمله وأن أصل الى حقيقة . حقيقية تكون لى أنا أن أجد الفكرة التى أكرس لهـــا محياى ومماتى ٠٠(٦٢)فكانت تمثل صراعا من أجل البحث الفلسفى عن تصور ذاتى للحياة ٠ وحين أقيم نصب تذكارى فى جيليلى Gillelie عام ١٩٣٥ احتفالا بذكرى مرور قرن من الزمان على البزوغ العقلى للشاب كيركجور كتب على النصب ٠٠ ترى ماذا تكون الحقيقة ان لم تكن الحياة من أجل فكرة ٠٠ ؟ ٠

ولاشك أن الوفيات الكثيرة وربطها بالزلزال : « ثم العثور على قانون التفسير المعصوم » كل ذلك كان له أثره القوى على حالة الشاب واضطرابه فهذا القانون المعصوم الذى يفسر به كل شىء هو أن الاسرة كلها لابد أن

---

(٥٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 41 (Oxfird).

(٦٠) اشار الى قصة شليجل F. Schlegel عن فتاة أغراها الشيطان فوقفت عارية أمام المرآة فأثار منظرها رغباتها ! قارن اليوميات ص ٥٤ من طبعة فونتانا ٠

(٦١) J. Hohleneberg: op cit., P. 52 - 53.

(٦٢) Fithiof Brandt: Soren Kierkegaard, P. 10 - 11.

تمحى . لقد كتب عليها أن تزول بيد الله القوية وها هم افرادهـــا يموتون واحدا اثر الآخر ولم يبق من الاسرة اللغز » الا الاب . وابناه فقط الأكبر بطرس والاصغر سرن ! ولهـذا فقد كان كيركجور يؤمن ايمانا قاطعا أن أقصى سن يمكن أن يبلغها هو وشقيقه بطرس هى الرابعة والثلاثين ! .

وعندما بلغ فى ٥ مايو ١٨٤٧ هذه السن كتب مندهشا : « عجبا ! أنا الآن فى الرابعة والثلاثين من عمرى . حقا ان ذلك لشىء محير لااستطيع فهمه . لقد كنت على يقين تام أننى سأموت قبل ان يحل يوم ميلادى هذا أو خلال هذا اليوم . ينتابنى شعور قوى بأن تاريخ ميلادى قد سجل خطأ واننى سأموت فعلا فى سن الرابعة والثلاثين .. »(٦٣)

ولم يخطىء كيركجور بالنسبة لنفسه كثيرا فقد مات بعد ذلك بثمان سنوات فى الثانية والاربعين من عمره : لكنه اخطأ كثيرا بالنسبة لشقيقه بطرس الذى مات فى سن الثالثة والثمانين عـام ١٨٨٨ وان كان مزاجه السوداوى » والشعور بالاثم » المتغلغل فى الاسرة اللغز قد جعله يوشك على الجنون فى نهاية حيـاته فطلب رسميا اعفـاءه من مهنـة القسيس . وكان قد أصبح مطرانا . لانه منبوذ من الله وغير جدير بهذه الوظيفة . اما ابنه دسكال ميخائيل Dascal Michael الذى كان موهوبا من الناحية الفلسفية فقد أصيب بالجنون فعلا وهو فى سن الثلاثين وبقى مدة عامين فى مستشفى الامراض العقلية ثم خرج ليعيش حياة غريبة عاطلا عن العمل تماما . وفى بعض لحاته المضيئة كان يلخص الاسرة اللغـــز على النحو التالى :

« كان عمى » اما .. أو » وكان ابى » الاثنان معا » أما انا : فلا هذا .. ولاذاك ! ولقد عاوده الجنون مرات كثيرة انتحر فى واحدة منها .

وقد يثار سؤال هنا حول ما اذا كان كيركجور مريضا بمرض نفسى ام أنه كان سليما من الناحية الصحية تماما . ولو طرح مثل هذا السؤال على كيركجور نفسه لأجاب : نعم أنا مريض لكن من منكم يستطيع أن يقول عن نفسه أنه سليم تماما .. ؟! . ولعل هذا هو السبب فى انه درس فى

---

(٦٣) The Journals, P. 121.

كتابه « الخوف والقشعريرة موضوع الصلة الوثيقة بين العبقرية والجنون» واقتبس من سينكا Seneca عبارة اقتبسها بدوره من أرسطو تقول « لاتوجد عبقرية عظيمة خـــالية من مس من الجنون » ثم يستطرد قائلا : « ان هذا الجنون Dementia هو حصة العذاب المخصصة للعبقرى فى هذا الوجود . أنه تعبير عن غيرة الله من العبقرى أن جازلى أن أقول ذلك فى الوقت الذى تكون فيه هبة العبقرية نفسها تعبير عن الفضل الالهى ! . وهكذا نجد أن العبقرى منذ البداية منحرف عن الوضع السوى فى علاقته بالعام ومدفوع لتكوين علاقة مع المفارقة ···· »(٦٤)والغريب أن كيركجور نفسه يدعو العلماء الى دراسة هذا الموضـــــوع فيقـــول ·· « ·· هاهنا موضوعات سيكولوجية يمكن أن يضحى المرء بحياته كلها من أجل دراستها وان كنا لانسمع عنها ولو كلمة واحدة ! ما العلاقة بين العبقرية والجنون ؟ هل فى استطاعتنا استنتاج الواحدة من الاخرى ··· ؟ بأى معنى ، والى حد يستطيع العبقرى أن يسيطر على جنونه ··· ؟ ! اذن من المسلم به انه مسيطر عليه الى درجة معينة والا لكان مجنونا بالفعل ··· »(٦٥) .

* * *

كيف عاد الشاب كيركجور الى استئناف دراسته فى اللاهوت ؟ وماهى الاسباب التى دعته الى التخلى عن « طريق الضياع » ؟ ! لاأحد يعرف بالضبط · كل ما نعرفه أن هناك ثلاثة أحداث هامة وقعت فى تلك الفترة ·

الأولى : تعرفه على ريجينـــا أولسن عام ١٨٣٧ وسوف نتحدث عنهـــا بالتفصيل فى الفصل القادم ·

الثانية : لحظة من لحظات الوجد الصوفى التى تستعصى على الفهم ، تقع له فى العاشرة والنصف صباحا فيدونها فى يومياته فى ١٩ مايو عام ١٨٣٨ على النحو التالى :

---

(٦٤) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 116 Trans. by W. Lowrie.

(٦٥) see also: The Journals, P. 198 (Fontana). Ibid.

« هناك فرحة لا سبيل الى وصفها تلهبنا بلهيبها لكنها تستعصى على التفسير مثل الصيحة التى أطلقها الرسول(٦٦)بطريقة عفوية : أفرحوا ، أقول لكم افرحوا وأكرر القول افرحوا! » ـ لا فرحة بهذا الشىء أو ذاك بل اغنية الروح القوية » · « باللسان ، وبالفم ، ومن أعماق القلب » لازمة بفرحتى ومن فرحتى ، وفى فرحتى ، وعلى فرحتى ومع فرحتى ، لازمة قدسية · ـ ان صح التعبير ـ تقطع فجاة أغانينا الأخرى ، فرحة تنعشنا وتلاطفنا ، كلفحة الريح التى تهب من سهول ممرا Mamre الى سكان جنات النعيم ···»(٦٧) ·

بعد هذه التجربة الروحية المثيرة تحسنت علاقته مع والده ، وربما ساعدت هذه التجربة من ناحية على أن يعمل على ارضاء والده فقبل أن يعمل ـ بعد أن كان عاطلا يستدين ليلبى مطالبه الكثيرة ـ مدرسا للغة اللاتينية فى مدرسة ميخائيل نلسن » التى تخرج منها . كما أن حادثة وفاه جديدة فى الاسرة دفعت الأب الى تحسين علاقته بابنه ذلك أن زوجة بطرس (الابن الأكبر) واسمها ايليز مارى ·· Elise Marie توفيت فجاة بعد زواج لم يدم سوى بضعة أشهر ! فاكدت هذه الحادثة للاب أن الاسرة اللغز » منكوبة لا فقط فى افرادها بل ايضا فى كل من يتصل بها . كما اكدت له ايضا أنه سوف يفقد الاسرة كلها ويبقى وحيدا كما بدا » شاهدا على قبر جميع اماله » على حد تعبير الابن » ولقد جعلته هذه الحادثة يلبى مطالب ابنه » المبذر » ويعقد معه اتفاقا ينال مبلغا من المال كل عام ويعيش كما يشاء · فضلا عن قيام الأب بتسديد ديون ابنه المتراكة ·

الحدث الثالث : مركيركجور بتجربته الروحية العنيفة فى ١٩ مايو ١٨٣٨ ، وبعد أقل من ثلاثة أشهر توفى والده : » مات أبى فى الساعة الثانية من مساء الاربعاء ٨ اغسطس . وكم تمنيت من أعماقى أن تمت حياته اكثر من ذلك لاشهر قلائل ! لقد اعتبرت موته آخر تضحية قدمها حبه لى · انه يمت

---

(٦٦) اشارة الى قول القديس بولس الرسول فى رسالته الى أهل فيلبى : » افرحوا فى الرب كل حين ، وأقول أيضا افرحوا ·· » الاصحاح الرابع : ٤ ·

(٦٧) The Journals, P. 59.

ويبعد عنى ، وانما مات من أجلى لعل ذلك يجعل منى شيئا ما ٠ من بين ماورثته منه هناك ذكراه وصورته ٠٠٠٠ سوف أعتزبهما وأحـــرص على الاحتفاظ بهما مختبئين بعيدا عن العالم ٠٠ لقد كان أخلص صديق ٠(٦٨)

ولقد أدت وفاة والده الى استقلاله اقتصاديا بعد أن وزعت ثروته على اثنين من أبنائه (بطرس وسرن) فنال كل منهما ربع التركة ووزع الباقى على أبناء الشقيقـات وشعر كيركجـور أنه أصبح غنيا فاقلـع عن وظيفـة التدريس بمدرسة ميخائيل نلسن وعاش حياته كما يريد ٠

فى جميع هذه الظروف كانت « ريجينا أولسن » فى خلفية أفكاره فهو لم ينسها منذ أول لقاء ٠ لكن ذلك يحتاج الى أن نبدأ القصة من البداية ، فما هى قصة هذا الحب اللغز أيضا : كيف بدأ وكيف انتهى ؟ ! ٠

---

(٦٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 60 - 61 (Fontana).

الفصل الرابع

« ريجينا أولسن »

اننى أعتقد أن علاقتى بهـا يمكن أن تسمى « بالحب اليائس » ·· اذ اننى أحبها ، وهى لى ، وأمنيتها الوحيدة أن أظل بجوارها ، وأسرتهـا ترجو ذلك . وتلك أعظم رغبـات حيـاتى كلهـا · ومع ذلك فينبغى على أن أرفض ··

س · كيركجور اليوميات .

« كل أزهار قلبى باردة كالثلج ··· » ·

س · كيركجور اليوميات .

الفصل الرابـــع

« ريجينــا أولســن »

سبق أن ذكر كيركجـور مر بفترة اضطراب عنيـف هى التى سميت « بفترة الضياع » ، عاشها قلقا مكتئبا تعصف به الهواجس من كل جانب . صحيح أنه حاول أن ينسى نفسه قليلا وأن ينغمس فى الخبرات الحسية ، وأن يشارك فى متع الدنيا ، بل اراد أن يغرف من تجارب الحياة الواقعية حتى ولو كانت سيئة ، لكنه « أراد » فقط ، اما أن يكون ذلك قد حدث بالفعل فهو أمر مختلف أتم الاختلاف . لقد كاد القلق يدفعه الى الخطيئة (بالمعنى الواسع للكلمة الذى تكون فيه كل مسرات الحياة خطايا) أليس القلق هو الذى يدفع النفوس البريئة الطاهرة الى الخطيئة ؟ (كما يقول هو نفسه فى ٣٠ يناير ١٨٣٧) اذن فالقلق هو الذى دفعه الى الضياع . وما القلق ؟ هو الخوف العام من لا شىء ! وعلى الرغم من العبارات التى توحى أنه غاص فى الخطيئة حتى الاذنيين مثل : « أريد أن أترك نفسى للشيطان ليظهرنى على كل رجس . وكل خطيئة . فى أكثر صورهمـا رعبا . فذلك هو المذاق الكامن فى طعم الخطيئة ..(١)ــ فان علينا ان نكون على حذر فى تفسيرها فلا نظن انه ارتكب بالفعل « خطايا مرعبه » كما يقول او انه اتصل بالواقع العينى الحى الذى ظل طوال حياته يتحدث عنه ويتغنى به ويحترق شوقا اليه ــ كلا ! ان عباراته لاتخرجه باستمرار عن حدود « الأمانى » و « الآمال» انه يتمنى أن يشارك فى دنيا الناس . ويود لو ترك نفسه للشيطان ليخوض فى كل رجس ــ وما أقربة الى قول « نيتشه » « كم اشتهى ارتكاب خطيئة !» ولهذا فان كيركجور نفسه لا يلبث أن يعلن فشـل تجاربه كلها : « فى بحـر من الملذات ليس له قرار . وأيضا فى هاوية المعرفة فتشت عبثا عن نقطـة

---

(١) S. Kierkegaard: The Journals, P. 41.

القى فيها بمرساتى ! »(٢) . فقد » كنت اشارك فى جميع المتع الممكنه . لكنى لم أستمتع بشىء قط .. »(٣)

لقد عاش هذه الفترة محاولا الهرب من نفسه ومجاهدا للتقليل من التفكير فى ذاته لكنه انتهى أيضا الى اعلان فشل المحاولة واعتبارها مستحيلة : « اننى أستطيع أن اجرد السماء والجحيم جميعا ، .. لكنى لاأستطيع أن أنسى نفسى حتى وأنا نائم .. »(٤) .

لم تسفر المحاولات التى بذلها للاتصال بالواقع عن شىء ذى بال سوى المزيد من الهواجس والأوهام والاعتقاد بانه ارتكب خطيئة فى ليلة العربدة وانه « ربما » يكون قد انجب طفلا غير شرعى « وسوف نعود الى هذا الموضوع بعد قليل .. ويكفى أن نقول ان هذه التجارب « المزعومة » اضافت اليه المزيد من الوساوس والشكوك حول من يحيط من البشر ، فقد اعتقد ان الناس يقومون بمراقبته ، فهناك من يتتبع خطواته ويقف له بالمرصاد ، فيزداد توقعه وقلقة واحساسه « بالتفوق » وتصوره بانه « الأوحد » والمستثنى » ، وانه يقترب من « النموذج » وهو السيد المسيح ، فهو مثله كان الفريسيون(٥) يجوبون ارض فلسطين وراءه بحثا عما يقع فيه هو أو تلاميذه من أخطاء ، ومايرتكبونه من انتهاكات للقانون الموسوى وما أسعدهم حين يجدون شيئا يخالف التعاليم اليهودية أو يخرج عن مألوف النصوص الدينية أو العادات والطقوس التى جرى عليها اليهود .

وعلى هذا النحو كان كيركجور يعلل انسحابه من دنيا الناس والتقوقع على نفسه والتعزى بالعودة الى المسيح يقول :

---

(٢) Ibid, P. 17.

(٣) S. Kierkegaard: Point of View P. 79.

(٤) S. Kierkegaard. The Journals, P. 27 AOxford).

(٥) الفريسيون هم طائفة من اليهود ظلت تجادل السيد المسيح وتحاوره طوال فترة دعوته . لا سيما فى الامور الجديدة التى اتى بها ولم تكن مألوفه لديهم وتروى الاناجيل الكثير من مواقفهم : قال الفريسيون للتلاميذ . لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟ متى ١ : ١١ وقال الفريسيون للمعلم : تلاميذك يفعلون ما لايحل فعله يوم السبت .. متى ١٢ : ٢ .. الخ . الخ .

« سوف أبتعد عنهم ، أولئك الذين لاهم سوى التلصص عما اذا كان المرء قد ارتكب نقيصة بطريقة ما . سوف أذهب اليه وحده : الى « السيد » الذى يبتهج بهجة عظمى بعودة التائب اكثر مما يبتهج لتسعة وتسعين حكيما ليسوا بحاجة الى التوبة .. ! (٦) .

فى هذه الفترة وقعت محاولتان جديتان . بل هما المحاولتان الحقيقيتان فى حياة كيركجور كلها ـ للاتصـــال الحقيقى بالمـــرأة . وباءتا بالبوار لاسباب « غيرمعقولة » ـ وان كنا سوف نحاول فهمها فى نهاية الفصل .

اما المحاولة الاولى فتتلخص فى أن كيركجور فى هذه الفترة وتعرف على أسرة قسيس متوفى هو « القس توماس سكات روردام .... Thomas Skat Rordam وهى تتألف من ارملته السيدة «روردام (والدة القس الشهير بطرس روردام) وابنته : « بوليت روردام .. Bolette Rordam ويبدو أن كيركجور كان قد ارتبط فى هذه الفترة بعلاقة غرام عابرة مع هذه الفتاة ـ فيقول : « كنت اشعر ، بمعنى ما ، بقدر من المسئولية والميل تجاه بوليت روردام ، فقد كانت فى السابق قد اثرت فى ، وربما كنت قد اثرت فيها بدورى ، لكن ذلك كله كان بريئا وعلى نحو روحى خالص(٧) » . وعلى الرغم من أن الفتاة كانت مخطوبة لطالب فى اللاهوت يدعى بطرس كوبك Peters Kobke ، فان كيركجور لم يعر هـــذه « الحقيقة الموضوعية » ادنى اهتمام ! فهو من ناحية يسعى الى الحقيقة الذاتية اعنى حقيقة مشاعره هو ومشاعر الفتاة نحوه . ومن ناحية اخرى فقد كان كيركجـــور يشعر باستمرار كما ذكرنا الآن توا أنه « متفوق على الجميع » فهـــو « ذلك الفـــرد » القادر على ازاحة طالب اللاهوت من طريقة اذا ما جد الجد وعزم عـــلى الزواج منها ! لقد كان يشعر انـــه صاحب امكانيات هـــائلة وكان يخاطب نفسه قائلا « انت اشبه ما تكون بمجموعة ضخمة من الكنات ففى استطاعة المرء أن يرى فيك احيـــانا امكانيـــة الفســـاد واحيـــانا اخـــرى امكانية السلام والسكنية ..(٨) » فليست المشكلة هى أن بطرس كوبك خطيب الفتاة ، وانما المشكلة هى سرين كيركجور نفسه : هل هو يحبها حقا ؟ ثم قبل ذلك

(٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 43 (Oxford).
(٧) Ibid, P. 69 (Fontana).
(٨) Cité Par Jean Wahl: Etudes, P. 51.

وأهم من ذلك ـ هل هى جديرة بأن يحبها ؟ ! على هذا النحو ينبغى أن تثار الأسئلة .وهذا يكشف لنا عن حقيقة هامة هى أن التجارب الكيركجوردية الهزيلة لم تكن تزيده الا عذابا وقلقا فهو يخلق من « الحبة البسيطة » قبة ضخمة ويصير ينفخ فيها الى أن تتحول الى جبل هائل يسد عليه منافذ الحياة جميعا .. !

هذه العلاقة العابرة مع « بولين روردام » سببت له حيرة كبيرة وقلقا نفسيا عميقا وهو ما يحدث باستمرار عندما يوشك أن يقدم على خطوة من شأنها ان تجعله يتصل بالواقع العينى . دع عنك ان يكون هذا الواقع هو المرأة التى وصفها بأنها « الانانية مجسدة » وحتى اشتياقها وتحرقها الى الرجل لايعبر عن شىء سوى انانيتها(٩) . وقبل ان يحل عيد ميلاده الرابع والعشرين بأيام قليلة كان مشتت النفس فى أمرها لا يعرف ماذا يفعل بالضبط : هل يقوم بخطوة عملية فيصارحها بحبه ويعرف حقيقة مشاعرها نحوه ؟ ! أم يصرف النظر عن الموضوع كله ؟ ! أهو يحبها حقا أم أنها مجرد هواجس تعتمل فى نفسه ؟ ! وبعد صراع عنيف مع وساوسه قرر فى النهاية أن يحسم الموقف بأن يذهب اليها ليصارحها بمشاعره ويعرف رأيها . لكنه شعر وهو فى الطريق اليها بالوجود الآلهى ـ على حد تعبيره ـ يغمر كيانه كله ويمنعه من مواصلة السير فيعود أدراجه !

كتب فى ٨ مايو ١٨٣٧ يصف هذه التجربة :

« آه ياالهى ! كيف يستطيع الانسان أن ينسى بسهولة تلك القرارات التى عزم عليها ! مرة أخرى عدت مؤقتا الى هذا العالم لبعض الوقت(١٠) . آه ! ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه(١١) . لقد حاولت اليوم ٨ مايو ١٨٣٧ مرة أخرى أن أنسى نفسى لا فى ضجيج العالم وضوضائه . فهذا بديل لاغناء فيه . بل بأن أحاول أن أذهب الى آل

---

(٩) The last Journals, P. 9.

(١٠) لاحظ التعبير الذى يعنى انه كان هائما بعيدا عن هذا العالم مقطوع الصلة بدنيا الناس لأنه باستمرار « مع نفسه » . انه مثل اله أرسطو لايعنيه العالم وكل ما يتأمله هوذاته . ومن ثم فان فترة الضياع لم تكن سوى محاولة يائسة لكى ينسى نفسه لكنها تبؤ دائما بالفشل .

(١١) انجيل مرقس الاصحاح الثامن : ٣٦ .

روردام ...... Rordams وان أتحـــدث مع بوليت .... Bolette ،
لكن ملاك الرب وقف فى طريقى اليها حائلا ! على نحو ما يحول دائما بينى وبين كل فتاة بريئـة ـ شاهرا سيفا من نار ! أشكرك يا الهى لانك غمرتنى برحمتك ولم تتركنى أصاب بالجنون ! لم أكن قـط خائفا على هـذا النحو من قبل ... »(١٢) .

ماذا حـــدث لكيركجور ، فى ذلك اليـوم وهـــو فى طريقه الى آل روردام .. ؟ . ربما وجد فى البداية أن مخاوفه مبالغ فيهـا ثم اكتشف وهو فى الطريق أن مشاعره نحو الفتـاة ليست من ذلك النوع الذى يدفعه الى اتخاذ قرار حاسم : ربما أيضـا أنه كان يشعر أن ما ارتكبه من أخطاء فى فترة الضياع ـ ســواء أكانت أخطاء حقيقيـة أم متخيلة ـ تقف حجر عثرة فى سبيل ارتباطه بأى فتاة بريئة (لاسيما وأن هذه الهواجس نفسها سوف تلح عليه عنـدما يتعرف على ريجينا) .. ربما كما يقـول هو نفسه انه أراد أن يجرب طريقا آخـر ينسى فيه نفسه غير طريق الحياة وما فيها من ضجيج فحاول أن يجرب « الحب » الحقيقى . لـكن الفكرة ضعفت وهو فى طريقه اليهـا : لاسيما وأن « الشعور بالاثم » وارتكاب الخطيئـة كان يلازمه ، ويدفعه دائما الى القلق .. كان يقـول لنفسـه باستمرار : أنها ومضة برق تنذر بالرعد : بعد ما حـدث فقدت طهارتك . ولم يعد لك الحق فى أن تلمس فتاة صغيرة بريئة : لابـد لك أولا من العلاج . والعلاج هو أن تعترف علنا بخطاياك ! والحق أننا نتفق مع جان فال فى أن « المرأة لم تكن تعنى شيئا عنـد كيركجور ، انه يحب نفســه فقط . وهــو أمر لم يكتشفه بنفسه الا فى النهاية »(١٣) .

لكنـه بعـد أيام قلائل يحاول مرة أخـرى تكرار زيارته الى أسـرة روردام ..... Rordams « مرة أخرى يتكرر اليوم المنظر نفسه . لقد زرت آل روردام ـ آه يا الهى لماذا تستيقظ هــذه المشاعر الآن ! آه ! كم أشعر أنى وحيـد ـ آه : ملعون ذلك الشعور المتغطرس الـذى جعلنى أقف وحيـدا فسوف يحتقرنى الجميع الآن ـ لكنك أنت يا الهى ! لا تتخلى عنى

(١٢) S. Kierkegaard: The Journals, P. 54-55 (Fontana).
(١٣) J. Wahl: Etudes, P. 15.

الآن ـ دعنى أعيش وأحسن أحوالى »(١٤) .

وعلى الرغم من ظهور وساوس سوداء مرة أخرى فانه يتغلب عليها ويزور آل روردام ليفاتح « بوليت » فى موضوع حبه لها . لكن حدثا جديدا يطرأ على الموقف فيقلب الصورة رأسا على عقب . ففى هذه الزيارة يلتقى بمجموعة من الفتيات الصغيرات يشعر أن واحدة منهن هى حبه الحقيقى وانها ستظل معه الى الابد تلك هى « ريجينا اولسن ١٨٢٢ ـ ١٩٠٤ » ...... Regina Olsen التى لولاها . ولولا علاقته بها لكانت أعماله قد اتخذت شكلا آخر . وتلك هى علاقة الحب البائس (التى نوالحق ان جميع علاقاته يمكن ان توصف بهذا الوصف) التى سوف يعيد روايتها مرارا وسوف يعزف على تنويعات لحنها كثيرا فى جميع كتبه تقريبا . وفى استطاعة القارىء ان يجد هذه القصة معروضة فى ثمان وثلاثين تدوينه فى يومياته . وكثيرا ما تكون تحت عنوان « علاقتى بها .. » او « هى » . او « ريجينا » . او « عزيزتى ريجينا الصغيرة » . كذلك يمكن له ان يطلع عليها وعلى موقفه منها ورايه فيها فى كتبه : « اما ـ او » . و « التكرار » . و « الخوف والقشعريرة » . و « مراحل على طريق الحياة » .. الخ .

فما هى هذه القصة الغريبة ؟ كيف بدأت . وكيف انتهت .. ؟

فى زيارته الاخيرة لأسرة « روردام » التقى كيركجور بمجموعة من الفتيات الصغيرات كانت بينهن « ريجينا اولسن » صغرى بنات مستشار الدولة « تركل أولسن » Terkel Olsen . أحد كبار موظفى وزارة المالية الدانيماركية : كان عمر الفتاة اربعة عشر عاما وثلاثة اشهر . تماما فى مثل سن « جوليت » فى مسرحية شكسبير الشهيرة . اما هو فكان فى الرابعة والعشرين . وهو يصور لنا هذا اللقاء الاول وكيف ابدع فى حديثه فى تلك الليلة بأسلوب محزن تارة . مثير للضحك تارة اخرى ، باعث على اعمال الفكر والجدل تارة ثالثة ـ وكيف اضفى البهجة على الحفل رغم همومه والامه ـ يقول :

---

(١٤) S. Kierkegaard: The Journals, P. 55.

« نجحت فى لفت انظارهن بأن طرحت سؤالا عن الظروف التى ينبغى أن تفسح فيها الخطوبة ـ وبينما كانت عينى تنتقل من زهرة الى زهرة ، وسط هذا الا كليل من الفتيات ، مستمتعا بالوقوف انا عند هذه الفتاة - وانا اخر عند فتاة أخرى متنقلا من جمال الى جمال ، واذنى الخارجية تطرب بسماع موسيقى أصواتهن ، وأذنى الداخلية تسعد بالاستمتاع بملاحظة ما قلته حول المشكلة التى طرحتها عليهن - لقد أثرتهن علاقتى بهن أكثر حرية ، ومع ذلك فقد حرصت على أن يسير كل شىء بأدب تام ، وداخل حدود اللياقة الدقيقة ... لقد كنت أصل بالحديث أحيانا الى حافة الحزن والكآبة ، لكنى فى أحيان أخرى اترك للمرح عنانه ، وأحيانا ثالثة كنت اغريهن بلعبة جدلية ... »(١٥) .

كانت ليلة غامرة بالنسبة لكيركجور لكنه كالمعتاد راح يبحث المشكلات فى هذه العلاقة البريئة التى ما ان بدأت حتى كتب فى يومياته يقول ان ما يشغله ليس هو الوقوع فى حبها بمقدار ما يشغله ما يترتب على ذلك الحب من نتائج ، وكالمعتاد ايضا جرى فكره بسرعة فى الموضوع من البداية الى النهاية ، أيمكن له ان يسير فى هذا الطريق ؟ أصحيح انه قادر على ان يفعل ما يفعله عامة الناس فيخطبها ثم يتزوجها اعنى ان « يحقق العام » ؟ هاهنا تستيقظ كل مخاوفه وهواجسه القديمة : مئات من المبررات الغريبة ، والشكوك التى قد لا يكون لها اساس من الصحة فهو مثلا فى « فترة الضياع » كان رجلا حسيا **وربما** ارتكب خطيئة ما (كان يساوره القلق حول اتصاله الجنسى مع بغى وسوف نعود الى هذا الموضوع بعد قليل) فهل يسمح له بعد ذلك أن « يدنس » فتاة بريئة ؟ وفضلا عن ذلك فان من المحتمل كما يقول « هولنبرج » ـ انه كان يباهى بتفوقه واحتقاره للنساء ، وانه « قادر على أن يقف وحده »(١٦) ثم يقع الآن خائرا فى غرام ريجينا ؟ انه لن يستطيع ان يخفى على الناس انه : « سحرته امرأة » وسوف يحتقره كل انسان ... الخ نفس الوساوس السابقة التى عذبته مع « بوليت » من قبل !

---

(١٥) S. Kierkegaard. Either..or Vol. 1, P. 352.

(١٦) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard, P. 78 - 79.

لكن « حب » ريجينا كان أقوى وأعمق من أن تصده الوساوس فعلى الرغم من أنه انشغل بعد مصالحته مع والده فى العودة الى دراسة اللاهوت ، كما عمل فترة صغيرة مدرسا فى مدرسة ميخائيل نلسن : « لكنى سمحت لها طول هذه المدة أن تغلغل فى صميم وجودى .. »(١٧) . ثم مات والده فى ٩ اغسطس ١٨٣٨ وانشغل بعدها باعداد امتحانه للاهوت . ثم غادر كوبنهاجن فى رحلته الشهيرة لزيارة مسقط رأس والده فى اقليم جوتلند ...... Jutlan (١٨) . كما لو كان يريد ان يقول لوالده أنه حقق رغبته وكان وفيا للعهد فاكمال دراسة اللاهوت ! ولما عاد التقى بريجينا مرات قلائل بعضها فى الطريق وعلى سبيل المصادفة . فالهبت خياله مرة أخرى وبدأ يتردد على ال روردام لكى يلتقى بها . ثم تعرف على أسرتها وبدأ يزورها فى منزلها ويتذرع باعارتها كتبا وكراسات للموسيقى . وما ان حل عام ١٨٣٩ حتى كانت ريجينا قد ملكت قلبه تماما فهو يقول فى ٢ فبراير ١٨٣٩ انه كان يحلم بها قبل ان يراها بسنوات .

« اه ! ريجينا ياملكية قلبى ! يامن تختبئين فى أعمق اعماق فؤادى ! فى أكثر أحلام حياتى عظمة . هناك على بعد متساو من السماء والجحيم توجد ألوهية مجهولة ! اه هل أصدق حقا حكايات الشعراء التى تقول ان المرء عندما يرى محبوبته لأول مرة يتخيل أنه سبق له ان رآها منذ مدة طويلة . وأن الحب كله مثل المعرفة كلها ليست الا تذكرا ، وان الحب ايضا له فى الفرد : نبواته ، وانواعه وأساطيره ، وعهده القديم ؟ ! أينما يممت وجهى لأرى فى وجه أى فتاة الا اثار جمالك . لكن يبدو لى انه ينبغى على أن أمتلك جمالهن جميعا حتى يتسنى لى ان اعثر على جمال يساوى جمالك : وانه ينبغى على ان أبحر حول العالم كله حتى أعثر على

---

(١٧) S. Kierkegaard: The Journals, P. 69.

(١٨) قبل قيامه برحلته الى اقليم جوتلند قابل ريجينا مرة أخرى فى منزل قسيس يدعى ابسن Ibsen فى قرية مجاورة لكوبنهاجن تدعى لينجبى Lyngby قارن هولنبرج فى كتابه J. Hohlenbreg: S. Kierkegaard, P. 90.

المكان الذى افتقده ، والذى يتجه نحوه اعمق أسرار وجودى كله – وفى اللحظة التالية سوف أجدك قريبة منى حاضرة بحوارى تملئين روحى بقوة حتى ليتغير كيانى واتمنى لو كنت هنا معى ٠

انت ياإله الحب الأعمى ! هلا كشفت لى ما تراه مخبئا فى ضمير الغيب ؟ ! هل ساجد ما أبحث عنه هنا فى هذا العالم هل سوف أخبر خاتمة المقدمات الغريبة لحياتى كلها . هل ساضمك بين أحضانى . أم :

« ان الاوامر : تقدم الى الامام » ؟(١٩) ٠

ظل طول عام ١٨٣٩ وهو يهيم بها على الورق ويستودع يومياته هذه المشاعر الفياضة لكنه لايقدم على خطوة ما – سوى أنه « دعى لزيارة اسرتها » كما يقول فلبى الدعوة وكان يغازلها بأن يعيرها كتبا أو يشير عليها بقراءة فقرات معينة او يستمع اليها وهى تعزف على البيان ٠٠٠ ولندعه هو يروى بقية القصة :

« فى صيف عام ١٨٤٠ اجتزت امتحان اللاهوت ٠ من ٩ اغسطس حتى أول سبتمبر أستطيع أن أقول اننى ، بالمعنى الدقيق ، اقتربت منها ٠٠ »(٢٠) ٠

هنا نلاحظ أنه لم يبدأ فى الدنو الحقيقى منها الا فى صيف عام ١٨٤٠ حيث بدأت الفكرة تختمر فى ذهنه تماما ، ويشعر أنه لابد أن يصارحها بحبه ولقد حدث ذلك بعد أيام قلائل ٠

« فى ٨ سبتمبر غادرت منزلى وأنا عازم على أن أضع لهذا الموضوع حدا ٠ والتقيت بها فى الشارع أمام منزلها ٠ واخبرتنى انه لايوجد احد بالمنزل واعتبرت ذلك دعوة لى فغامرت بانتهاز الفرصة التى كنت أريدها ٠ وذهبت معها الى المنزل وجلسنا وحدنا فى غرفة المعيشة ٠ وعندما وجدتها مضطربة لوجودنا وحدنا رجوتها أن تعزف على البيان كما كانت تفعل فى المرات السابقة ، وبدأت تعزف لكن ذلك لم يغير من الأمر شيئا ، وفجأة تناولت النوتة الموسيقية واغلقتها على نحو لا يخلو من عنف والقيت

---

(١٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 61 - 62.

(٢٠) Ibid, P. 69.





بها على البيان وانا اقول « اه ! لم تعد تعنينى الموسيقى فى شىء . انما انت من ابحث عنها ! انت من كنت ابحث عنها منذ عامين » ! وظلت صامتة ولم افعل شيئا لكى احركها(٢١) . لكنى حذرتها من مزاجى السوداوى . وعندما تحدثت على شليجل .... Schlekel قلت : « فلنضع هذه العلاقة بين قوسين . وقبل كل شىء فالاولوية لى .. »(٢٢) .

بقيت صامتة تماما . واخيرا تركتها وغادرت المنزل لاننى كنت اخشى ان يحضر احد ويرانا معا . ويراها مضطربة على هذا النحو .

وذهبت مباشرة الى المستشار اولسن (والدها) وعرفت اننى كنت قد اثرت فيها تاثيرا شديدا . لذا خشيت ان يساء فهم زيارتى ، او ان اسىء الى سمعتها .

لم يقل والدها شيئا لا بالايجاب ولا بالسلب ، لكنه لم يكن يمانع كما اعتقد . وطلبت لقاءها . والتقيت بها بعد ظهر العاشر من سبتمبر ولم اقل كلمة واحدة لاقناعها ولكنها هى التى قالت : نعم !

وفى الحال وسعت علاقتى مع الاسرة كلها . وحولت براعتى نحو ابيها الرجل الذى احببته باستمرار »(٢٣) .

على هذا النحو تبدو الامور عادية ، فالنص يوحى بان المسالة سارت سيرا طبيعيا : قليل من التردد ثم حسم الامر وانهى الموضوع ــ هذا فى الظاهر فلنقرا ماكتبه :

« لكن داخليا : شعرت فى اليوم التالى اننى قمت بخطوة خاطئة عانيت دون ان اتكلم ويبدو انها لم تلحظ شيئا بل على العكس كانت روحها

---

(٢١) يقول لورى .. Lowrie انها فرت هاربة من الغرفة عندما صارحها بحبه .

(٢٢) فرتز شليجل .... Friz Schlegel هو مدرسها فى المدرسة وكان معجبا بها وكانت هى تبادله نفس الشعور . وسوف يصبح زوجها فيما بعد .. ويضيف كيركجور ملحوظة يقول فيها : « لقد تحدثت عن شليجل فى ١٠ سبتمبر اما يوم ٨ سبتمبر فقد ظلت صامتة انظر اليوميات ص ٧٠ .

(٢٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 69 - 70.

مرتفعة ٠٠ »(٢٤) ٠

وعلى هذا المنوال سارت العلاقة : من حيث الظاهر يقوم بالتزاماته وواجباته كخطيب : ارتبط بالاسرة شقيقات ريجينـا ، وشقيقها الوحيد ، ثم الاب الذى أحبـه كثيرا ٠ ولقد دخل معهم جميعا فى علاقات وان كان قد بدالهم غريبا شاذا لكنهم أخـذوا جميعا بمرحه وخفته وذكائه اللماح . واذا كان الكل قـد فتن به فان ريجينا كانت تشـعر نحـوه بشعور غامر ، فهو حاد الذكاء ساحر الحديث غامض فى افكاره يستهوى الفتاة الحالمة ! وهكذا بدأت العلاقات الأسـرية تتوطد وبدأت أسرته بعـد الخطوبة تزور أسرة ريجينا واقيم حفل لهذا الغرض قام فيه الفيلسوف بتقديم أسرته الى اهل عروسه ٠

فى الظاهر كل شىء يسير على ما يرام ! لكنـه فى الداخل يغلى ! صحيح أنه أخلص لها ، وقـدم لها الهدايا دون تقتير ٠٠ لـكن الوساوس والشكوك والهواجس لم تتركه ، انها تستيقظ بمجـرد ما يخلو لنفسـه ان هذه الخطـوة تعنى الارتباط بالواقع ، الذى ظل حيـاته كلها يبتعد عنـه رويدا رويدا يدعم هـذا الابتعاد خيال أبيه ووساوسه وتدينه ! عندما يكون بصحبتها يترك نفسه حـرا فيعبر عن مشاعره الحقيقية تعبيرا جميلا حتى تكاد الفتاة تطير سابحة فى سماء الغرام ! يقول : « لقد » احببتها كثيرا ٠ وكم كانت خفيفة كأنهـا طائر ! لكنها أيضـا كانت صلبة كفـكرة ! كنت أتركها ترتفع وتعلو ، وتعلو ! ثم أمد يدى لتحط عليها وهى ترفرف وتنطق باسمى ! لقـد نسيت ولم تعرف قط أننى أنا الذى جعلتها خفيفـة ! وكانت فى لحظات أخرى تلقى بنفسهـا تحت قدمى ولاتزيد أن تفعـل شيئا سوى أن تأملنى وتنسى كل شىء آخر ٠٠(٢٥) ٠

استمرت فتـرة الخطوبة حوالى العـام من ١٠ سبتمبر ١٨٤٠ الى ١٢ أكتوبر ١٨٤١ كان كيركجور يعامل فيهـا « ريجينا » على الأقـل فى الاشهر الاولى ، معاملة طيبة ٠ ويقـول لورى أنه خلال هـذه الاشهر كان « شهما » يبـذل اقصى مايستطيع لاسعادها(٢٦) وهنـاك مجمـوعة من

---

(٢٤) Ibid, P. 70.

(٢٥) The Journals, P. 90 (Oxford).

(٢٦) W. Lowrie: A Short Life of S. Kierkegaard P. 137.

الخطابات التى بقيت لنا من هذه الفترة كان كيركجور يرسلها الى خطيبته ويقول فيثيوف برانت « فى استطاعتنا ان تستنتج من هـذه الخطابات أن كيركجور كان لطيفا للغاية مع هذه الفتاة وان كان يفـكر فيهـا باستمرار حتى انه أغرقهـا بالهـدايا التى كان يرسلهـا باستمرار مع خطاباته ذات الصيغة الرومانتيكية المنمقة لكنهـا تخفى بغير شك وجـدانا عميقا تحت هـذه النغمة المصطنعة(٣٧) - ويمكن ان نسوق المثـال التالى بالهدية التى ارسلها اليها فى ٢٣ يناير ١٨٤١ لتهنئتها بعيـد ميلادها الثامن عشر .. كتب يقول فى رسالة التهنئة :

« حبيتى ريجينيا ! اتمنى من الله ان يبعث لك بعام جديد سعيد كثير البسمات قليل الدموع لقد ارسلت لك مع خطابى هـــذا منديلا ، أردت ان تضعيه تحت وسادتك حتى اذا ما استيقظت من نومك ذات ليـلة فجـاة . مذعورة من حلم مؤلم وعجزت عن السيطرة على دموعك . عندئذ جففيهـا بهذا « القماش الكتانى » ثم تذكرى اننى انـا الذى ارسلته اليـك ، واننى كنت أود لو كفكفت لك الدمع بنفسى !

اما حين تكونى مسرورة مطمئنة كارملة فقيرة تبرعت بكل ما عندها فاصبحت اغنى من العالم كله ، عندئذ اسندى رأسك الى الوسادة نفسهـا وسوف يذكرك هذا القماش الكتانى بى ايضـا ، سـوف يذكرك بانـك كنت الشخص الوحيد الذى كفكف دموعى ، كما انه سوف يذكرك ايضا بانـك كنت الانسانة الوحيدة التى رات تلك الدموع . ومن ثم فحين تتمنين لنفسك فسوف يكون من السهل عليك ان تشاهدى صورتى مطبوعة على هذا القماش لقد جففت فرنيكا Veronica (٢٨) ، المقدسة عرق السيح بقماش غال من الكتان ومكافاة لهـا على ذلك انطبعت صـــورة المسيح على هـذا

---

(٣٧) F. Bandt: S. Kierkegaard, P. 17.

(٢٨) فرونيكا ... Veronica اسم امراة من أورشليم يروى تراث القرون الوسطى انها كانت تتابع خطوات السيد المسيح وهو فى طريقـه الى الصلب . أشفقت على وجهه الشاحب والعرق يتصبب منه فجففت له وجهه بمنديلها ومكافاة لها انطبعت صورة السيد السيح على الذيـل . واسم « فرونيكا » نفسه يدل فى الاصل على الصورة التى انطبعت فهـو مكون من مقطعين هما Vera اى حق iconاى صورة فتكون الكلمةفرونيكا « الصورة الحقة » .

القماش ، وحين طبقته خمس مرات ، وجدت فى حوزتها خمس صور للمسيح · ولابد لكى تكونى قادرة على رؤية صورتى على هذا القماش ــ لابد أن تصوريها بنفسك وهذا ما أعرف انك قادرة على القيام به · أواه ! لاتصورى صورتى كشخص قلق مضطرب لايعرف السلام والسكينة شخص يسكنه حزن دفين كالروح القلقة التى تحوم هنا وهناك ! وانما صوريها كشخص طيب رقيق يملك الأمل والثقة . ومهما يكن من امر فانا لاأود لهذا القماش أن يفارق مخدعك ·· »(٢٨) ·

المخلص

س · ك

من هذا الخطاب يتضح لنا عدة امور :

أولا : ان طريقه ارسال خطاب مع هدية فى عيد ميلاد خطيبته بدلا من الذهاب المباشر اليها يتسق مع ما سبق ان ذكرنا من أن كيركجور كان يخشى « الاتصال المباشر » بالواقع الذى لم يعرفه معرفة حقيقية الا من وراء ستار ، ولست ادرى ما الذى يمنع شابا من الذهاب الى خطيبته لتهنئتها بعيد ميلادها وهى التى كان من قبل يتذرع بالكتب لزيارتها « ! انه يتمنى باستمرار الاتصال بالواقع لكن ما ان يخطو خطوة واحدة حتى يعود ليسحب قدمه بسرعة ويعيش فى عالمه الخيالى ! ولعل هذا ما قصده جان فال ····· J. Wahl عندما قال : « انه كان اكثر سعادة حين يفكر فى خطيبته منه حين يكون بجوارها ·· »(٣٠) ·

ثانيا : على الرغم مما يقوله « لورى » من أنه كان « شهما » وما يقوله « برانت » من أنه كان لطيفا للغاية ــ مع هذه الفتاة أثناء فترة الخطوبة ــ فاننا نلاحظ من كلمات الخطاب ومن نوع الهدية التى ارسلها اى « منظار أسود » كان ينظر به الى الدنيا · وماذا تقول فى أمر شاب يرسل لخطيبته فى عيد ميلادها هدية عبارة عن منديل تجفف به دموعها ؟ ! ومتى ؟ ! « اذا ما استقيظت ذات ليلة . فجأة ، مذعورة من حلم مؤلم » ··· ! اما عندما تكون مسرورة فهى أشبه « بالارملة الفقيرة » التى تبرعت بكل ما تملك !

---

(٢٩) Quoted by F. Brandt: op. cit., P. 19.
(٣٠) J. Wahl: Etudes..., P. 18.



Soren Kierkegaard
Drawing by W. Marstand

ثالثا : نلاحظ أخيرا « مركزية الذات » الشديدة ، فإن على ريجينا أن تتذكر باستمرار فى ساعات الحزن أو ساعات السرور أنه هو الذى أرسل لها المنديل ! وهو لم يرسله أصلا الا ليذكرها به . ثم نلاحظ أنه يشبهها بـ « فرونيكا » المقدسة ، وهى لم تكن « مقدسة » الا لأنها جففت عرق المسيح . أما هو فسوف تنطبع صورته على المنديل لأنه « مثل المسيح » لكن أى صورة ؟ عليها أن « تخترع » بخيالها صورة أخرى غير الصورة الواقعية التى تصوره شخصية قلقة مضطربة . عليها أن ترسم بذهنها صورة شخص طيب رقيق يملؤه الأمل — أى الصورة التى كان يتمناها لنفسه لا صورته كما هى فى عالم الواقع .

ومهما يكن من أمر « المعاملة اللطيفة » . . « والهدايا » التى كان كيركجور يغدقها على خطيبته ابان فترة الخطوبة التى استغرقت عاما وشهرا واحدا . فلا شك أنه لم يكن مقتنعا منذ اللحظة الأولى بالاقدام على هذه الخطوبة . ولقد كتب هو نفسه بعد اتمام الخطوبة يقول : « شعرت فى

اليوم التالى أننى قمت بخطوة خاطئة ، عانيت منها دون أن أتكلم ، ويبدو أنها لم تلحظ شيئا ، بل على العكس ، كانت روحها مرتفعة(٣١) ... كانت الفتاة مسرورة كأى فتاة عادية . أما هو فقد شعر أنه أقدم على عمل خاطىء ما كان ينبغى عليه أن يقوم به : وهو الاتصال بالواقع ، والارتباط بدنيا الناس التى ظل غريبا عنها طوال حياته ، يقول جيسمار .... Geismar بحق : « .. فى اللحظة التى يتدخل فيها الواقع ، يضيع كل شىء »(٣٢) . « فهو شاعر على حد تعبير جان فال ولا يريد أن يهبط الى مملكة الزواج الدنيوية . لايستطيع أن يحول العلاقة الشعرية الى صبغة حقيقية أو ارتباط واقعى . ولهذا نراه يقول بعد انفصاله عن ريجينا « لقد تصرفت جيدا ، أن حبى لايمكن أن يعبر عن نفسه بالزواج »(٣٣) . انه لم يتجه اليها الا لكى تنمى فيه قوة الخيال وتلهب مشاعره ، وتزيدها حدة . هكذا علمه أبوه عندما كان طفلا : أن يخلق دنيا كاملة من لاشىء وأن يستمتع بما يخلقه بخياله من وقائع وأن يتلذذ بالبقاء فى عالم الخيال ! وهكذا ساعدته سوداويته على أن يجتر هواجسه ليل نهار ! ومن هنا فانه كان يضع فى ذهنه منذ اللحظة الاولى انه لايمكن الاستمرار فى اجراءات الزواج وانه لابد أن يضع حدا لهذا الموضوع . ولقد حاول فى البداية أن يتفاهم معها وان يطلعها على هواجسه وقلقه بحيث يبين لها أنه لا يصلح لها وأن عليها أن تقوم هى بخطوة فسخ الخطوبة لكنها رفضت واعتبرته مازحا ! فاستقر رأيه على أن يضع خطة جديدة هى أن يظهر بمظهر زائف ، وأن يجعلها تعتقد أنه « يخدعها » (وحتى فى هذه الحالة كان يشعر بقلق عندما يتصور أنها بعد أن تنفصل عنه ، وتتزوج شخصا آخر ، ثم تكتشف يوما ما أنه يحدث فى هذه الحالة ؟ ــ هذا شىء فظيع لا يستطيع أن يتخيله(٣٤) الى هذا الحد كان القلق يطويه ويشمل كيانه كله !

وبدأ ينفذ الخطة ويمثل الدور الذى أعده : يزورها فى المنزل ويرجوها أن تضع حدا لخطبتها حتى يمكن أن تظهر هى أمام الناس بأنها « الأعلى »،

---

(٣١) S. Kierkegaard: The Journals, P. 70 (Fontana).

(٣٢) Cité par J. Wahl: Etudes.., P. 13.

(٣٣) Ibid.

(٣٤) J. Hohlenberg: Op. cit., P. 106.

وأنهـا هى التى قامت بفسخ العلاقة ، لكنها اجابته بانهـا يمكن أن تتحمل أى شىء سوى فراقه ! فلم يكن أمامه سوى الاسراع فى تنفيـذ الخطـة : يعطى وعودا كاذبا . يقنعها بانها ليست الشخصية المثالية التى يرجوهـا لنفسه ! يتحدث فى موضوعات تافهة ليبدو تافها . يعيد ويكرر ما سبق أن قاله فى اليوم السابق ليكون مملا فتشعر بالضجر فى صحبته . يهذى بغير انقطاع ثم يوبخ نفسه ! يسألها فى شىء غير قليل من الجراة والوقاحـة معا : لم لا تفكر مرة أخرى فى الزواج من فرتس شليجل Fritz Schlegel مدرسها وحبيبها السابق ؟ ثم يضيف بنغمة ساخرة : الم يكن يناسبها اكثر من فيلسوف لايصلح للزواج ؟ ! ... وينتهى هذا الموقف ، عادة ، بحوار عاصف بينهما !

واذا كان كيركجور قد قرر أن يقوم بتمثيل دور « الوغد » على حـد تعبيره أمام ريجينا ، فقد كان عليه أن يقوم بهذا الدور نفسه أمام أسرتها ، اذ لابد أن تتأكد الأسرة أنه شخصية تافهة لاتطاق ، وأنه ليس الا نـذلا لايستحق أن تصاهره وأن عليها أن تقنع الفتـاة بتركه . لـكنه كان يحب والدها ولهذا كان يقوم بتمثيل دور يفوق طاقة البشر على حد تعبيره لأن خداع المستشار أولسن والد الفتاة كان شاقا على نفسه على نحو لايطاق .

وكثيرا ما كان كيركجور يعزى نفسه متمثلا قول هاملت « لابـد أن أقسو لكى أكون رحيما » .. فأدوار الغش والخداع وتمثيل الخسة وضروب القسوة التى يقوم بها نابعة أساسا من حبه لها . وأحيانا أخرى يلجأ الى تشبيه الخديعة التى يقوم بها بعملية فطام الطفل التى تقوم بها الأم .

« عندما يكبر الطفل ويحين موعد فطامه فان الام تسود ثدييهـا اذ سيكون مخجلا حقا ان يبدو الثدى لطيفا لذيذا . ومع ذلك يراد أن يحـرم منه الطفل . ومن ثم فان الطفل يعتقد ان الثدى هو الذى تغير ، لـكن الام تبقى كما هى : نظرتها نظرة حب ورقة كعهـدها بهـا دائمـا . طوبى لمن لايحتاج الى وسائل مرغبة أكثر ليفطم بها الطفل ! »(٣٥) .

كما أنه كان يرد الموضوع كله ، أحيـان ثالثة الى مزاجه السوداوى

---

(٣٥) S. Kierkegaard: Fearand Tearand Trembling P. 28 Trans. by in Lowrie.

استيقظ مزاجي السوداوي . وكان اخلاصها يلقى بعبء المسئولية على كاهي . في حين ان غرورها كان في كثير من الاحيان يعفيني من المسئولية ولقد اعتقدت أن ذلك لم يكن سوى عقاب من الله(٣٦) .. »

وبعد صراعات كثيرة . وتردد وقلق انتهى كيركجور أخيرا الى ان يفسخ الخطوبة في ١١ اغسطس ١٨٤١ . فاعاد اليها خاتم الخطوبة مصحوبا بكلمة وداع : « ما ينبغي أن يحدث علينا أن ندعه يحدث الآن فلا تضطر الى الاستمرار في التمثيل . وعندما يحدث سوف يعطينا قوة نحتاجها . وقبل أى شيء اخر أرجو أن تنسى كاتب هذه السطور . واغفرى لذلك الشخص الذى وان كان قادرا على القيام باشياء كثيرة . فانه لايستطيع ان يسعد فتاة صغيرة . ان ارسال خيط من الحرير . في الشرق . يعنى قرارا باعدام المرسل اليه . أما هنا فارسال خاتم الخطوبة معناه قرار باعدام من يرسله ... »(٣٧)لكنها وقد فوجئت بالرسالة صرخت وهرولت مسرعة الى غرفته ولما لم يكن موجودا فقد تركت له رسالة تناشده فيها الا يتركها . وتتوسل اليه باسم « يسوع المسيح » وذكرى « المرحوم والده » .. الخ وبكل ما هو عزيز ومقدس عنده ان يرجع في قراره . ومضى شهران في محاولات وتوسلات ومناشدات أطلق عليها كيركجور اسم « فترة الرعب » — وهى الفترة التى حاول فيها ان يظهر بمظهر الشخص التافه الفاشل . والوغد الجبان . الذى تخصص في أصول الغدر والحيلة والخديعة .. الخ ولقد أدهشها سلوكه وان كانت لم تصدق شيئا منه . واستعانت بأسرتها للتوسل اليه بالا يقطع صلته بها . لكن المحاولات كلها فشلت وانتهى الأمر الى فسخ الخطوبة نهائيا في ١١ اكتوبر عام ١٨٤١ . ولم يمض على عقدها غير سنة واحدة وشهر واحد ! ولنتركه يروى لنا هذه الايام الأخيرة :

« خلال شهرين من الخداع راعيت أن اكون في غاية الحذر في حديثي المباشر معها فكنت أقول لها : أرجو أن تستسلمي وتتركيني أذهب . انت لن تتحملي ذلك . وكانت تجيب بانفعال انها يمكن أن تتحمل أى شيء ماعدا

---

(٣٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 71 (Fontana).

(٣٧) S. Kierkegaard, Stages on Life Way P. 30 Eng. Trans. by Walter, Lowrie.

فراقى . (٣٨)كذلك حاولت أن أعطى الانطباع بانهـا هى التى فسخت الخطوبة حتى أجنبها القيل والقال لكنها رفضت قائلة أن كنت سأتحمل الأولى (أى فسخ الخطوبة) فسوف أتحمل هذه أيضا ، ثم قالت بطريقة لا تخلو من نغمة سقراطية انه فى حضورها فلن يجرؤ أحد أن يتفوه بكلمة أما مايقوله الناس فى غيابها فهى لا تكترث به .

انها لحظة عذاب مرعب أن تكون على هذا النحو من القسوة وعلى هذا القدر من الحب فى وقت واحد كما فعلت أنا . لقد ناضلت كما تناضل اللبؤة ، ولو لم أكن مؤمنا بأن الله هو الذى أصدر قرار الرفض Veto لكانت قد انتصرت .. (٣٩) .

وهو يروى أنه عندما تركها كان محطم النفس فلم يستطع أن يعود الى منزله لأنه كان بحاجة ماسة الى شخص يحادثه ، ولما لم يكن له سوى صديق واحد هو « اميل بويزن » الذى كان موجودا فى المسرح وقتها ، فقد اتجه كيركجور الى هناك ليقـابله . ولقد كانت هذه القصة مدار حديث الناس وسخريتهم فى كوبنهاجن تلك المدينة الصغيرة التى كان يعرف فيها كل شىء أولا بأول ، ولقد تندر النـاس عليه مما آلمه ألما فظيعـا عندما صوروا « خسته » فى الطريقة التى فسخ بها الخطوبة بانه ذهب الى والدها فى المنزل وأخبـره أنه يريد فسخ خطوبته لابنته ، ثم أخـرج ساعتـه من جيب سترته ، ونظر فيها وهو يقول لأسرة الفتاة : هل لديكم شيئا تريدون اضافته ؟ ! فانا على عجل وأريد أن أذهب الى المسرح ! » ولندعه يكمل القصـة :

« عندما تركتها ذهبت مباشرة الى المسرح لانى كنت اريد أن اقابل صديقى اميل بويزن Emil Boesen (وهذا هو السبب الذى من أجله شاعت اقاويل الناس فى كوبنهاجن تقول اننى نظرت فى ساعتى وسألت أسرتها عما اذا كانوا يريدون شيئا اكثر من ذلك ، أو اذا كان فى ذهنهم شىء يريدون أن يقولوه فليتفضلوا بسرعة لأنى ذاهب الى المسرح) ..

---

(٣٨) كانت دائما تقول له انها سوف تموت اذا تركها وقد عاشت بعده نصف قرن فقد مـاتت فى مـارس ١٩٠٤ عن عمر يناهز الثـانية والثمانين !

(٣٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 72 - 3.

« وجـــاءنى المستشـــار أولسن وقال : هل يمكن أن اتحدث معك قليلا ؟ ... وذهبنـا سويا الى منزله . وقال لى الرجل سوف يكون فى ابتعادك عنها موتها انها فى يأس كامل . فأجبته سوف أذهب وأخفف عنها . لكن كل شيء انتهى . فقال انا رجـل يحترم نفسه . وقد يصعب على ان اقول لك لاتفسخ خطبتك لابنتى . لكنى أرجوك ألا تتركها ولقد كان بالفعـل رجـلا نبيلا طيب القلب . ولقـد تاثرت بكلامه تأثرا عميقا . لكنى لم أترك نفسى تنزلق مع حديثه بحيث يقنعنى . وبقيت مع الاسرة حتى العشاء .

« وفى صبيحة اليوم التالى تلقيت منه رسالة يقول لى فيها ان ابنته لم تنم طول الليل . ويطلب منى ان أذهب لأراها . وذهبت وحاولت اقناعها لكنها سالتنى : الن تتزوج أبدا ؟ واجبت : أجل ! ربما فى خـــلال عشر سنوات عندما أنغمس فى حماقات الشباب وشهواته . عندئذ سوف احتاج الى فتاة صغيرة والى دماء شابة تجدد لى شبابى ! ولقد كانت تلك قسوة ضرورية . عندئذ قالت لى : « سامحنى فيما سببته لك من الم » واجبت : « انى انا الذى ينبغى ان اطلب منك الغفران والسماح » . فقالت « عدنى ان تفكر فى » فوعدتها فقالت : « قبلنى » ففعلت بلا عاطفة !

« وهكذا افترقنا حيث قضيت الليل كله انتحب فى فراشى .. وعندما أخبرنى شقيقى أنه يريد الذهاب الى أسرتها ليبين لهم اننى لم أكن نذلا . أجبته : « لوذهبت الى هناك فسوف اقتلك برصاصة .. » . وسافرت الى برلين وعانيت كثيرا اذ كنت أفكر فيها كل يوم(٤٠) .. » .

والغريب أنه وسط هذه الأحداث جميعا كان يعمل بهمة ونشاط فى رسالة الماجستير « مفهوم التهكـم » التى ناقشها يوم ٢٩ سبتمبر ١٨٤١ واستغرقت المناقشة سبع ساعات وأحدثت هزة كبيرة فى المدينة لما فيها من براعة ومقدرة نقدية جعلته أستاذا للتهكم » من ناحية ، ولانها كانت من ناحية أخرى أول رسالة تكتب باللغة الدانماركية وليست باللغة اللاتينية كما جرى العرف فى ذلك الحين .

وبعد أن أنهى الخطوبة ســـــافر الى برلين فى ٢٥ أكتوبر ١٨٤١

---

(٤٠) S. Kierkegaard: The Journals, P. 73.

ليستكمل دراسته هناك فكان يستمع الى محاضرات شلنج ، ويستمتع بما يقوله عن « علاقة الفلسفة بالواقع » وارتباطها به وهو أثناء ذلك يفكر فى ريجينا التى لم يتخل قط عن التفكير فيها ، ولم يتوقف عن الاعتقاد بأنها ترتبط به وأن العلاقة لم تنته ، فهى له دوما ، حتى عندما تزوجت بعد ذلك بعامين اعتقد أن شليجل « استعارها » منه فحسب !

كان الشخص الوحيد الذى يراسله كيركجور وهو فى برلين صديقه « اميل بويزن » الذى كتب له عدة رسائل اربكته هو نفسه ، لانها تضمنت تعليمات تفصيلية للطريقة التى يريده بها أن يتجسس على ريجينا محددا الأوقات التى يمكن ان يلتقى بها وفى اماكن محددة من مدينة كوبنهاجن ، معطيا اياه تعليمات دقيقة بأنه لايريد أن تشك ريجينا ادنى شك فى أنه لايزال مهتما بها ، وهو فى نفس الخطابات يقول لبوزن انه لايثق فى أنه سيقوم بهذه المهمة . ! والحق أن الخطابات كانت مضطربة للغاية كما كانت تصـــور الحالة الذهنية التى كان يعانى منها .

ولقد عرف من ردود بوزين أن ريجينا بدأت تكرهه ولقد جعله ذلك يفكر فى الحال فى خطة جديدة تصل بالمسألة الى نهايتها ، فقد سمع فى برلين عن مغنية تدعى هدفيج شولتسه .. Hedwig Schulze تقوم بتمثيل دور الفرا Elvira فى أوبرا موتسارت « دون جيوفانى » Don Giovanni وكانت هذه المغنية تذكره فى ملامحها العامة « بريجينا » فطرأت على ذهنه فى الحال نشر اشاعة بانه على علاقة بهذه المرأة ، ولقد فعل ذلك بطريقته غير المباشرة المعتادة بان دس فى خطاب من خطاباته لبوزن ورقة صغيرة كتب فيها مايلى :

« اما بالنسبة للزواج فليس لدى وقت للتفكير فيه . وعلى أية حال فهنا فى برلين مغنية من فينا Vienna هى الآنسة شولتسه Schulze التى تمثل دور الفرا Elvira وهى تقوم بدورهـــا ، وسوف أحـــاول الاقتراب منها والاتصال بها ، ولن يكون الاتصال لاغراض شريفة تماما ، فالمغنيات يسهل على المرء أن ينالهن ، فضلا عن أنهـــا تشبهها .. وهى

(٤١) قارن مايقوله عن هذه المغنية فى اليوميات ص ٧٧ ــ ٧٨ من طبعة فونتانا .

تسكن فى مسكن مجاور لى ... واننى على اية حال لارجو الا تذكر شيئا على الاطلاق لأى شخص عن هذه المغنية ، ولا حتى أنها تقوم بتمثيل أحد الأدوار فى أوابر موتسارت » . وتكررت الاشارة نفسها فى اليوم التالى فى خطاب آخر ، وكان « بوزن » قد اعتاد على أمثال هذه المواقف فكثيرا ما شاهد كيركجور وسط الأصدقاء يصف مشاهد جنسية ومواقف شهوانية بخيال متوهج مثير . لكنه كان يعلم أن ذلك كله لم يكن سوى خيال فحسب . ولم يكن ثمة حاجة لان يقول ذلك . لكنه فى حالة الخطابات لم يكن يفهم مقصد كيركجور ولم يكن ينظر الى الخطابات الا على انها تشير الى حالته الذهنية والعصبية فحسب ومن ثم لم يكن يتردد فى روايتها للآخرين وهذا بالضبط ما كان يريده كيركجور . فقد كان يتمنى لوسمعت ريجينا بعض هذه القصص ! وان كنا لانستطيع أن نجزم انها وصلت اليها فعلا .

عاد كيركجور من برلين فى مارس ١٨٤٢(٤٢) . وانهمك فى التأليف حيث أصدر فى العام التالى — أى بعد عام ونصف من فسخ الخطوبة — كتابه الضخم « اما .. او » فى مجلدين صدرا فى فبراير ١٨٤٣ . وبعد اشهر قليلة من نفس العام ظهر « الخوف والقشعريرة » . ثم « التكرار » فى يوم واحد ١٦ اكتوبر عام ١٨٤٣ . وواضح فى المؤلفات أنه لايزال يحب ريجينا ، وأنه كتب بعضها « كالخوف والقشعريرة » مثلا ليكون بمثابة رسالة غير مباشرة موجهة اليها . والحق أن المرء ليعجب من هذا الرجل الذى تلح عليه خطيبته الا يتركها وتتوسل اليه بكل عزيز ، وتفعل أسرتها الشىء نفسه . لكنه يصر على الرفض — ومع ذلك يكتب فى يومياته : « الشىء الوحيد الذى يعزينى أننى أستطيع أن أرقد لأموت وأعترف ساعة وفاتى بذلك الحب الذى لم أستطع ان أعترف به طوال حياتى . وهو الذى جعلنى سعيدا وشقيا بدرجة واحدة » . (٤٣) .

وفى هذه الكتب — وغيرها كالمراحل مثلا — يعرض كيركجور لهذه

---

(٤٢) كان فى نيته أن يبقى فى برلين عاما ونصف . لكنه مكث ستة اشهر فقط . قارن مايقوله فى اليوميات : ص ٧٤ (طبعة فونتانا)

(٤٣) Quoted by R. Heiss: Hegel, Kierkgaard and Marx P. 219 A Delta Book 1975 (Eng. trans by E. Garside).

القصة الغربية ويصرها بطرق شتى : ففى كتابه « اما ــ أو » يتخذ كيركجور صورة أنتيجونا Antigone ابنة أوديب فى القصة اليونانية القديمة ، ويدخل فى القصة علاقته بابيه التى لم تنفصل فى ذهنه قط عن علاقته هو بريجينا . وهو يتخيل ان انتيجونا اكتشفت السر فى حياة أوديب وهو انه قتل أباه وتزوج امه ، وانها هى نفسها (انتيجونا) كانت ثمرة لهذا الزواج لكنها لم تجرؤ ان تفاتح والدها فى هــذه القصــة ولم تكن تدرى ما اذا كان هو نفسه يعرف هذا الســر بل ان أوديب مات دون أن تتأكد من معرفته بذلك . ثم احبت شابا أراد أن يتزوجها . وعلى الرغم من أنها أحبته حبا عميقا فانها لم تستطع ان توافق على الزواج منه . اذ كيف يمكن أن تكون زوجته ولا تطلعه على ماتحمله من أسرار ؟ . كيف يمكن ان تخفى عن زوجها انها ملزمة بواجب البنوة نحو والدها المتوفى . وهكذا بدأ الصراع يشتد بداخلها وهو نفس الصراع الذى مزق حياة كيركجور بين حبه لابيه ولأسراره من ناحية وحبه لريجينا من ناحية أخرى . ويشرح كيركجور موقف انتيجونا الذى تخيله على أنه موقفه هو على النحو التالى :

« لقد كان التعارض حقيقيا بين حبها لوالدها وحبهــا لنفسها . وعما اذا كان حبها اكبر من أن تضحى به . والجانب الآخــر فى التعارض هو حبها لحبيبها . الذى يعرف انها تحبه لكن موقفها الكتوم حيره . فلاحظ أنه لابد أن تكون هناك عقبات أو مشكلات كبيرة . وكان كل همه أن يقنعها بمدى حبه . وأن يقنعها أن حياته سوف تنتهى اذا ما اضطر للتخلى عنها .. وكل ما كان يقوله لها كان يزيد من عذابها والامها . وهى لن تجد السكينة الا فى الموت الذى سيضع حدا لهذا المصير السيء . وفى اللحظة التى تموت فيها سوف تعترف له بما تحمله من حب عميق . أو انها لن تصرح بانتمائها اليه الا فى اللحظة التى لن تنتمى فيها اليه . » . (٤٤) .

واذا كان كيركجور يروى القصــة هنــا ممتزجة بالاساطير اليونانية بحيث تقوم انتجونا بدوره وتهدم حياتها مبقية على سرها مع أبيها . فانه يروى القصة من منظور دينى فى « الخوف والقشعريرة » الذى يبدأ بأربع فقرات تكرر نفس القصة : قصة رحلة ابراهيم وولده اسحق الى جبل المريا

---

(٤٤) S. Kierkegaard: Either...or Vol. 1, P. 161 - 162.

تنفيذا لأمر الهى . ويبدو أن كيركجور قد سمع هذه القصة فى طفولته وتأثر بها يقول فى افتتاحية الكتاب : حدث ذات يوم أن كان هناك انسان سمع وهو طفل صغير القصة الجميلة عن امتحان الله لابراهيم . وكيف تحمل ابراهيم هذا الامتحان محتفظا بايمانه وكيف استرد ولده مرة أخرى على عكس ما كان يتوقع . وعنـــدما كبـر الطفل قرأ نفس القصـة باعجـاب شديد .. » . (٤٥) .

ثم يروى كيركجور القصة التى رواها العهد القديم وكيف امتحن الله ابراهيم وقال له : « خذ ابنك وحيدك الذى تحبـه اسحق واذهـب الى أرض المريا فاصعده هناك محرقة على احد الجبال الذى أقول لك »(٤٦) وهو يصور الموقف على نحو يلخص فيه قصة حبه لريجينا وكيف انه كان « ابراهيم » فارس الايمان الذى يمكن أن يضحى بأى شىء مهما يكن عزيزا امتثالا لأمر الهى ، ويعرض توسلات اسحق لابيه على نحو يذكرنا بتوسلات ريجينا ، وكما أنه حاول خداعها حتى تظن أنه « وغد » كذلك حاول ابراهيم أن يصور الموقف لولده على أنه « رجـــل وثنى » وأنه يفعل مايفعل تلبيـة لشهوة عنده وليس امتثالا لأى أمـــر الهى (حيث أن الأمــــر الالهى غير مفهوم ، ولا معقول absurd ومن ثم أراد اخفـــاءه عن ابنه) . وسوف نكتفى هنا باقتباس الفقرة الأولى من الفقرات الأربع التى يعرض فيها كيركجور الموقف بصور مختلفة يقول :

« كان ذلك فى الصباح الباكر حين استيقظ ابراهيم من نومه مبكرا وسرج دابته . وغادر خيمته ومعه اسحق وكانت سارة تنظر اليهمـــا من النافذة حتى عبر الوادى وغابا عن البصر (٤٧)وظلا راكبين دابتهما فى صمت ثلاثة أيام . وفى صباح اليوم الرابع لم يتفوه ابراهيم بكلمة واحدة .

---

(٤٥) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 26.

(٤٦) سفر التكوين اصحاح ٢٢ : ١ ــ ٢

(٤٧) قارن القصة بالتفصيل من سفر يهوديت الاصحاح العـــاشر عـدد ١١ وهو السفر الذى يقتبس منـه كيركجور الفكرة كلها ، لكنه أحد الاسفار المحذوفة .

لكنه رفع عينيه ورأى جبل المريا أمامه من بعيد . فترك الخدم وراءه وصعد الجبل وحده ومعه اسحق . وقال ابراهيم لنفسه : « لن اخفى عن اسحق المصير الذى ينتظره فى هذه الرحلة » . ووقف ساكنا ثم وضع يده على رأس اسحق بباركه ،وانحنى الغلام رأسه ليتقبل البركة وكان وجه ابراهيم ممتلئا أبوة ، رقيق النظر ، كما كان حديثه مشجعــا .. لكن اسحق لم يفهمه ، وصعدا جبل المريا ، ثم استدار لحظة ، وحين رأى اسحق وجه أبيه من جديد كان قد تغير ، نظرته الرقيقة انقلبت الى نظرة وحشية وغدا منظره مرعبا ، وأمسك الغلام من كتفه وطرحه أرضا وهو يقول : « ايها الغلام الأحمق اتظنني أباك ؟ لا ! اننى رجل وثنى . اتظن أن ذلك أمر الله ؟ كلا ! بل تلك هى مشيئتى انا » عندئذ ارتعد اسحق وصرخ فى رعب متوسلا .. لكن ابراهيم قال لنفسه هامسا أشكرك ياالله السموات ، فانه لمن الخير أن يعتقد انى وحش مفترس من يفقد ايمانه بك » (٤٨) .

والمعنى المزدوج هنا واضح : فابراهيم هو فى ان معا الاب الذى يقدم ابنه قربانا وهو أيضا كيركجور الذى يضحى بريجينا . وكمـــا قال الله لابراهيم : « خذ ابنك وحيدك الى أرض المريا الخ » قال أيضا لكيركجور : « ضح بمن تحب ، بأغلى شىء فى الدنيا ، واتجه الى أرض المريا الى الحب المطلق بالضحية المطلوبة . » . وهكذا مر كيركجور مع ريجينا بهذا الطريق الطويل الشاق ، متابعا رسالته ، محاولا أن يسود صورته أمام محبوبته لكن الفارق شاسع : فقد كان ابراهيم « فارس الايمان » ثابتــا صــامدا لا يتزعزع . كان مؤمنا عن يقين انه فى اللحظة الحاسمة التى يهم فيهــا بذبح ابنه فلن يخذله الله . وبالفعل قدم له الملاك كبشا ليقدمه قربانا بدلا من ابنه . فتضاعفت سعادة ابراهيم عندما وهبه الله من جديد ما كان على وشك أن يفقده ، أما هو فلم يصمد كما صمد ابو الايمان : « لو كان عندى ايمان لبقيت الى جانب ريجينا ، شكرا لله ، وليتمجد اسمه ! اننى أعرف ذلك الآن : لقد كنت على وشك الجنون فى تلك الأيام ، لكنى أستطيــع أن أقول اننى تصرفت نحوها تصرفا سليما من الناحية الانسانية ..(٤٩) .

---

(٤٨) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 27.

(٤٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 121.

لم يعاود كيركجور رواية القصة فى نفس الكتاب « الخوف والقشعريرة » ـ بصور متعددة مرة فى صورة النبوءة التى رواها ارسطو فى كتابه « فن الشعر » (الكتاب الثامن فقرة ٥) ـ حيث روى قصة اضطرابات سياسية فى دلفى وعندما قالت الكاهنة لشاب على وشك الزواج ان اتمام زفافه سوف يعقبه شقاء كبير غير الشاب خطته فجاة وفى اللحظة الحاسمة ٠

فهل يكشف عن هذا السر أم يصمت ؟(٥٠)٠ ثم فى صورة ثالثة رواها سفر طوبيت Book of Tobit (٥١)عن فتاة صغيرة اسمها « سارة » أحبها « جنى » كان يذبح فى ليلة الزفاف جميع الازواج الذين يحاولون الزواج منها وحدث ذلك سبع مرات ، ولقد احبها « طوبيت Tobit » وقرر أن يقوم بالمغامرة ، وقد نجا عندما اتبع نصيحة الملاك ، وان كان كيركجور يروى القصة بتصرف شديد فيحذف الزيجات السبع السابقة ويجعل من « طوبيت » أول المغامرين ، ثم هو على العكس يجعل من سارة وليس طوبيت البطل ويسرف فى الثناء عليها(٥٢) ٠

وروى القصة فى صورة رابعة فى نفس الكتاب عن الحورية وعروس البحر ٠٠ الخ(٥٣) ٠ ويقول ولتر لورى : « لقد روى كيركجور القصة بنفسه مرارا وتكرارا ، وفى استطاعة المرء الآن أن يقراها فى ٣٨ تدونية فى اليوميات التى ترجمها الى الانجليزية الكسندر درو A. Dru ، ويستطيع القارىء ايضا أن يطالعها فى كتب « التكرار » ، و « الخوف والقشعريرة » ، وعلى نحو مطول فى يوميات فلان Quidam's Diary فى كتابه مراحل على طريق الحياة (٥٤) ٠٠٠

---

(٥٠) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 98.

(٥١) ايضا من الاسفار المحذوفة ٠

(٥٢) S. Kierkegaard: Fear and Trembling P. 111 - 114.

(٥٣) Ibid.

(٥٤) W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 1, P. 192 and A Short Life P. 136 - 137.

وفى اعتقادنا أننا روينـــا مايكفى من « الصور » لتوضيـــح ماأراد كيركجور أن يقوله سواء من الناحية الدينية أو الأدبية أو الاسطورية ٠٠ الخ وقد بقى الآن أن نقف قليلا عند تفسير هذه القصة الغريبة التى قال عنهـا « لورى » Lowrie : « مالم تذكر قصة حب كيركجور وريجينا فى التاريخ جنبا الى جنب مع قصة دانتى وبياترس Dante and Beatrice وبترارك ولورا Petrack and Laura وابيلارد وهلويز Abelard and Heloise فانها على أقل تقدير لابد أن توضع عاليا فى مصاف القصص الرومانتيكى مثل قصة دين سويفت وستلا Dean Swift and Stella (٥٥) .

لوتساءلنا ماهى الاسبـــاب الكـــامنة وراء فسخ كيركجور لـــهذه الخطوبة ، لوجدنا تفسيرات كثيرة لـــهذا الموضوع « اللغز » ، وان كان بعض الباحثين من أمثال « روبرت هيس ٠٠ R. Heiss » يذهبون الى اننا لن نستطيع حل هذا اللغز » : يبدو من المستحيل أن نصل الى جذور الاسباب التى أدت الى فسخ الخطوبة ، أو الدوافع الخفيـــة التى جعلت كيركجور يقدم على مثل هذا التصرف ، فمن الواضح أنه بهذه الخطـــوة اتخذ قرارا نهائيا ، غير أن فسخ الخطوبة مع ريجينـــا كان يحمـــل عند كيركجور طابع الفسخ الواضح للعلاقة مع الواقع الفعلى(٥٦) ٠٠

ويتســـائل باحث آخر : ألم يكن فسخ الخطوبة لـــونا من « ضيق الأفق » ، أو الحمـــاس الزائد » ، أو التسرع والاندفـــاع الذى تميزت به طبيعة كيركجور ٠٠ ؟ فقد كان ذلك موقفه من الاحداث الكبرى التى وقعت فى حياته ، فقد اندفع متسرعا الى فسخ الخطوبة ، كما اندفع فى مهاجمة صحيفة القرصان محطما خلال هذا الهجوم الحياة الاكاديميـــة لاحـــدى الشخصيات البارزة التى ساهمت فى تحرير هذه الصحيفة وهوب ٠ ل ٠ موللر P. L. Moller ساخرا من جروندفيج Grundtvig ٠٠ الخ (٥٧)

ويشير آخرون الى انه رفض الزواج لأنه خشى أن يفرض على تلك الفتاة الرقيقة معاشرة رجل غريب الاطوار ! ويشير باحثون من أمثال Vetter

---

(٥٥) W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 1, P. 191.

(٥٦) R. Heiss: Hegel, Kierkegaard and Marx P. 220

(٥٧) Vincent A. McCarthy: Psycho. logical Fragments P. 241 (Note 8) in Kierkegaard's Truth.

الى مرض كيركجور ، وكيف كان الشلل يهاجمه على فترات متقــــاربة ، كذلك التهاب نخاعه الشوكى لسقوطه من فوق شجرة وهو طفل صغير ، وقد جاء فى تقرير مستشفى فردريك فيمـــــا بعد أنه تسبب فى موتـــه ٠ ويؤكد رازموسن Rasmussen أن كيركجور كان مصابا بالصرع : « مثل المسيح وقيصر ونابليون ، فهو فيلسوف الصرع وشارحه الأكبر »(٥٨) ٠٠

لكن قبل ذلك كله ما هو تفسير كيركجور نفسه لـــــهذا الموضـــوع ؟ نستطيع أن نشير الى أربعة أسباب يذكرها كيركجـــــور متفرقة فى كتبــه ويومياته ٠ وربما لخصتها عبارته الجامعة الشهيرة التى عرض فيهـــــا للاسباب التى منعته من اشراك ريجينـــــا فى أسراره الخـــــاصة يقــول : « لو كنت قد فسرت لها نفسى ، اذن لأشركتها فى أمور مرعبة : علاقتى بأبى ومزاجه السوداوى ، والليل الأبدى الذى يعوى داخـــل نفسى ، وضلالى وانحرافى ، وشهواتى وافراطى ،وربما لم تكن الأخيرة على هذه الدرجة من الرعب فى عين الله ، لـــكن القلق هو الذى قادنى الى الانفراط(٥٩) وجانب على الأقل من فسخ خطوبته لريجينا يرجع الى أنه اشراكها فى هذا التراث(٦٠) الذى يمكن أن يتخلص فيما يلى :

١ ــ علاقته بأبيه ٠

٢ ــ الاكتئاب الذى يعانى منه ٠

٣ ــ حياته الماضية ومافيها من ضلال وانحراف أيام الشباب نتيجة للقلق ٠

٤ ــ شعوره بأن مهمته فى هذه الدنيا « روحية » وأن عليه أن يقوم برسالة دينية كالمسيح والقديس بولس ومن ثم فلابد أن يكون مثلهما عازبا ٠

وسوف نتحدث عن هذه المبررات بايجاز :

---

(٥٨) راجع فى ذلك كله كتـــاب جان فال : « دراسات كيركجوردية ص ١١ حاشية ١ ٠

(٥٩) S. Kierkegaard: The Journals, P. 87 (Fontana).

(٦٠) James Collins: Kierkegaard's Imagery of the Self P. 72 (in Kierkegaard's Truth - Yale University Press 1981).

أولا : كثيرا مايشير كيركجور الى أن علاقته بأبيه تقف حائلا بينه وبين الزواج . ذلك لأنه مثل انتيجونا (التى خلقها بخياله وكان يسميها انتيجونتى !) التى اكتشفت سر أبيها — اما ان يطلع زوجته على مايعرف عن أبيه من اسرار . واما أن يكون زوجا غير امين او غير مخلص لزوجته وهو مالا يقبله ولا يرضاه لنفسه . لكنه من ناحية اخرى كيف يطلع « ريجينا » على هذه الامور المرعبة ؟ كيف يقول لها ان اباه سب الله وهو طفل صغير ؟ وأنه لهذا السبب انتظر طوال حياته أن ينال جزاءه فى ذريته التى شهدها وهى تموت واحدا اثر الآخر ؟ بل تخطى العقاب أفراد الاسرة الى الاسر التى تجرؤ على مصاهرتهم : فكثيرا ما ماتت زوجات لا لشىء الا لانهن قبلن الزواج من انجال ميخائيل كيركجور ؟ ولهذا كثيرا ما كان يقول انه اذا كان الانسان يولد ومعه خطيئة ادم ، فان أبناء ميخائيل كيركجور يولدون ومعهم خطيئتين : خطيئة ادم وخطيئة أبيهم !

ثم كيف يطلع « ريجينا » على مزاج أبيه السوداوى وكيف يشرح لها ما كان يعانى منه من حزن وهم واكتئاب وقلق وهواجس واضطراب . واحساس بالذنب وانتظار للعقاب ؟ ! ثم أفرض أنه شرح لها ذلك كله فهل تستطيع أن تفهمه وتتعقله ؟

ثانيا : ويرتبط بهذا الاكتئاب والمزاج السوداوى عند الأب ، نفس هذا المزاج عند الابن بل اشد منه — فكيف يستطيع أن يقول لها انه رجل غريب الأطوار ؟ وهل تستطيع أن تفهمه لو قال لها : « نظرتى الى الحياة لامعنى لها على الاطلاق ! ويبدو لى أن هناك روحا شريرا وضعت فوق أنفى منظارا احدى عدساته تكبر الاشياء على نحو مخيف، والأخرى تصغر الاشياء بنفس الدرجة .. » ؟(٦١) وهل تستطيع أن تفهمه لوروى لها كيف قضى ليال طويلة ينتحب فى فراشه ؟ هل تصدق أنه يشعر عن يقين أنه سوف يموت فى الرابعة والثلاثين وأن تلك هى السن التى لايتجاوزها افراد الاسرة ؟ هل تفهم انه يصارع مزاجا سوداويا عميقا . وأنه يعانى من آلام الضمير . وهل تغفر له لوجرها معه فى هذا التيار المضطرب .. ؟ ! هل تغفر له لو أطلعها على أنه فكر مرات كثيرة فى الانتحار ، وأنه أوشك على الجنون ؟

---

(٦١) S. Kierkegaard : "Either...or" Vol. 1, P. 25.

وأن النيران كثيرا ماتندلع داخل نفسه دون أن يكون فى استطاعته التخلص منها ؟ . أضف الى ذلك كله ما كان يعانى منه من صحة سقيمة ، وجسد شائه بشع المنظر ، لم يكن هو نفسه يتحمله فاضطر أن يقبله على مضض ولم يملك سوى السخرية منه : « عدم التناسب فى تكوينى الجسمى يرجع الى أن قوائمى الامامية قصيرة أكثر مما ينبغى فأنا مثل حيوان الكنجارو Kangaroo ... »(٦٢) وإذا كان هـذا التكوين الشائه يزيد من سوداويته واكتئابه وتقوقعه على نفسه فهل تستطيع ريجينا أن تتحمله ؟

ثالثا : كثيرا مايتحدث كيركجور عن عقبة منعته من الزواج ويطلق عليها اسم : « حياتى المـاضية » Vita Ante Acta « مشيرا بذلك الى مايسمى « بفترة الضياع » التى أراد فيها من الشيطان أن يطلعه على كل رجس ! وكيف أنه حاول فى الفترة أن يشارك فى متع الشبـاب ، وكيف قاده « القلق » الى الضلال والافراط ، والمقصود بالقلق « القلق الجنسى » على وجه التحديد وليس القلق بصفة عامة .

والحق أن كيركجور يروى فى يومياته تحت عنوان « امكانية A Possibility قصة نعتقد أنها خيالية ترتبط بشبابه حول كاتب حسابات قاده بعض أصدقائه الى الضلال ، فزار بيتا من بيوت الدعارة ، وفى حالة هياج وسكر شديدين لايدرى ماذا حدث على وجه الدقة سوى أنه استيقظ فى اليوم التالى وقد علق فى ذهنه أنه ارتكب خطأ ما ، وكانت هذه الذكرى تستيقظ بداخلة فى فترات مرضه وتتخذ شكل الوساوس وتأنيب الضمير حـول « امكانية » أن يكون قد وهب العالم طفلا . حتى انه كان يتلفت حوله اذا ماتجول فى الشوارع فينظر الى الاطفال الذين يلتقى بهم ويتفحصهم مليا لعله يجد « طفله » بينهم ، دون أن تكون لديه أية طريقة ليتأكد بها من صحة الفكرة ، وعما اذا كانت تصور ذكرى « حادثة حقيقية » أم أنها ليست سوى نتيجة لمرضه فحسب . كتب فى يومياته يقول : فى شبابه المبكر ترك رجل نفسه ذات مرة تسيطر عليه حالة من الهياج والسكر الشديدين فضاجع بغيا ، ثم نسى الأمر كله بعد ذلك . وهو الآن يريد أن يتزوج عندئذ يأتى

---

(٦٢) S. Kierkegaard : "Either...or" Vol. 1, P. 35.

القلق : امكانية أن يكون أبا . فقد يكون هناك فى مكان ما من هذا العالم مخلوق مدين له بالوجود كما يدين له بما يعانيه من آلام ليل نهار . وهو لايستطيع أن يثق فى أحد . وليست لديه ثقة كاملة بالواقعة . فقد يكون اندفع فى طيش الشباب مع احدى البغايا فى حالة حب أو غواية حقيقة .. وجهله هو على وجه الدقة هو العنصر القلق فى عذابه(٦٣) ..

ايكون ذلك هو السبب فى عدم اقدامه على اتمام الزواج من ريجينا ؟ الحق أنه باستمرار يشير الى غلطة ارتكبها ، وهو على وشك الاعتراف « بسر » يحتفظ به بين جنباته ، فأحيانا يوحى بأنه سيتكلم : « انفجر الدمل وظهر خلفه النشاط الحى للغاية ، وتلك على وجه الدقة اللحظة التى أحتاج اليها(٦٤) » وأيضا »» لقد تغير وجودى كله ولم أعد منغلقا على نفسى : انكسر القيد وسوف أتكلم ، لقد أعطانى الله القادر على كل شىء النعمة .. لكنه يعود بعد أيام الى الاحتفاظ بسره : « كلا . كلا ! صمتى وسرى لايتحطمان(٦٥) ويعبر فى كتابه « مفهوم القلق » عن السبب فى الاحتفاظ بالسر فيقول : « قد يكون السر على درجة كبيرة من الرعب حتى أن صاحبه الذى يطويه بين جنباته لايستطيع أن يتحدث عنه : لا الى نفسه ولا الى غيره من الناس . لأنه فى هذه الحالة سيكون كمن يرتكب خطيئة جديدة فحين يرتكب المرء أمرا مرعبا فانه لايكون ملكا لنفسه بعد ذلك .(٦٦) ويقول « هولنبرج » اننا يمكن أن نضيف مشكلة مترتبة على هذه « الامكانية » التى تخيلها كيركجور : فربما اعتقد « أن انزلاقه قد يكتشف ، وقد يمنعه ذلك من أن يصبح قسيسا بعد أن يكون قد كون أسرة ، وربما يكون قد شعر لهذا السبب أن عليه أن يتخلى عنها . لقد كانت ثروته كافية ليعيش عليها ، لكنها لم تكن لتكفيه لو أراد تكوين أسرة : أن تكون له زوجة وأولاد . ولو أنه تزوج من ريجينا لكان عليه أن يبحث عن وظيفة يعيش من دخلها ولم يكن

---

(٦٣) S. Kierkegaard: The Journals, P. 133 Eng. Trans. by A. Dru (Oxford).

(٦٤) J. Wahl: Etudes, P. 34 (Note 1).

(٦٥) S. Kierkegaard: The Journals, P. 137 (Fontana) & 235 (Oxford).

(٦٦) S. Kierkegaard: The Concept of Dread P.

لديه سوى وظيفة القسيس أو المدرس ليختار بينهما (٦٧) ..

وان كنا نعتقد أن هذا التفسير بعيد الاحتمال . حقا كان كيركجور يشعر أنه يحمل مجموعة كبيرة من الاسرار « المرعبة » التى لايستطيع أن يبوح بها لريجينا ومنهاهذه الغلطة المتخيلة أنه : أصبح أبا دون أن يدرى فكيف يمكن أن يطلع ريجينا على هذه الأمور ؟ ثم كيف يمكن أن « يخفى » عليها شيئا اذا ماتزوجها ، ألا يتطلب الزواج قدرا ولو ضئيلا من « الامانة » ؟ وهو الذى ظل طوال حياته يطلب الأمانة ويقول « حيثما تكون الامانة اكون » . ان الزواج لاينتهى أمره بمجرد التوقيع على عقد الزواج والا لكان اشبه « بالمزاد العلنى » — يقول :

« لا يصح فى حالة الزواج أن تكون المسائل كما هى فى حالة المزاد العلنى ، بحيث يفهم أن كل شىء قد انتهى وتم بيعه بمجرد ماتهبط المطرقة ! اذ لابد أن يوجد فى الزواج قدر ولو قليل من الأمانة . وهنا أيضا تتضح شهامتى فما لم اكن قد احترمتها بوصفها زوجتى المقبلة .. لكنت قد لزمت الصمت وحققت رغبتها ورغبتى وتزوجتها (٦٨) ... وسوف نرجىء مناقشة هذا المبرر الثالث الآن لأننا سوف نعود اليه بعد قليل .

رابعا : اما المبرر الرابع وهو « النداء الدينى » الذى كان يلح عليه فى وطأة ضاغطة (٦٩) ، والذى كان يظهر بصفة خاصة مع كل خطوة يقدم فيها على الاتصال بالمرأة ، فهو ظاهر منذ بداية علاقته بالنساء عموما ، وليس مع ريجينا وحدها . ففى اليوم الذى قرر فيه أن يذهب الى آل « روردام » ليفاتح « بوليت » فى أمر حبه لها ، « وجد أن ملاك الرب واقف فى طريقى حائلا على نحو مايحول دائما بينى وبين كل **فتاة بريئة** شاهرا سيفا من نار .. ! » (٧٠) وما حدث مع « بوليت » حدث أيضا مع « ريجينا » « .. » لقد كانت تناضل كاللبؤة ولو لم اكن أعتقد عن يقين أن الله يعترض

---

(٦٧) J. Hohlenberg: op. cit. P. 95.

(٦٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 121 - 122 (Oxford) and (Fontana) P. 87.

(٦٩) قارن أيضا قصة « النداء الدينى » د . عبد الرحمن بدوى فى كتابه دراسات فى الفلسفة الوجودية .

(٧٠) S. Kierkegaard: The Journals, P. 54 - 55 (Fontana).

بقوة لكانت قد انتصرت(٧١) .. » . وكتب بعد فسخ الخطوبة بحوالى عام ونصف يقول : « بدأت محبا وانتهيت موجها للضمير لن أجعل أبدا مما هو مقدس خادما لحبى .. » (يوميات ١٨٤٣) . صحيح أنه يقول « أنا مخلص الى الأبد .. » (عام ١٨٤١) وأن نيته كانت سليمة ، وأنه احتفظ بحبه نقيا ، وأنه لم يخنها ولا كرهها حتى بعد الانفصال : « فمنذ ذلك اليوم ، لايمر يوم واحد دون أن افكر فيها صباح مساء (١٨٤٦) لكن هذا الحب العنيف لريجينا كان يتخذ فى كثير من الاحيان طابع « الحب الروحى » « او الحب الصوفى » . الذى يتغزل فيه صاحبه فى « الذات الالهية » اعنى فى الفكر المطلق غير المتعين ومن هنا نراه يفكر فى « الفتاة الصغيرة » بصفة عامة . ويميل الى الجمال باطلاق ! حتى انه يدون عبارات فى يومياته يتغزل فيها فى جمال « ريجينا » تذكرنا بما يقوله « ابن الفارض » وهو يتغزل فى جمال الذات الالهية التى يستمد كل جميل حسنه من جمالها :

وصرح باطلاق الجمال ولا تقل ... بتقييده ميلا لزخرف زينة
فكل مليح حسنة من جمالها ... معار له بل حسن كل مليحة(٧٢)

ويقول كيركجور : « اينما يمت وجهى لا ارى فى وجه أى فتاة الا اثار جمالك . ويبدو لى انه ينبغى على ان امتلك جمالهن جميعا حتى يتسنى لى أن أعثر على جمال يساوى جمالك(٧٣) ..

فكأنه عندما كان يتغزل فى جمال ريجينا وحبها انما كان يقصد « الذات الالهية » ! بل انه كتب فعلا عام ١٨٥٢ يقول : « ان خطبتى

---

(٧١) « الحب الروحى أو الصوفى » يرتكز أساسا على « حب الذات أو على الحب الشهوانى "Erotic love" » وهو ارتباط قال به كثير من الصوفيين واللاهوتيين فى العصور الوسطى فليس ثمة تعارض بينهما — قارن مثلا الفصل الخاص « بالحب وموضوعه » فى كتاب جلسون « روح الفلسفة المسيحية ففى العصر الوسيط » وقد ترجمناه الى العربية ونشرته دار الثقافة عام ١٩٧٣ .

(٧٢) د . محمد مصطفى حلمى « ابن الفارض والحب الالهى » ص ١٦٥ دار المعارف بمصر ١٩٧١ .

(٧٣) S. Kierkegaard: The Journtls, P. 61 - 62 (Fontana).

لريجينا أولسن وفسخ هذه الخطوبـة يصوران علاقتى بالله . فهمـــا اذا ما تحدثنا من زاوية الهية عبارة عن خطبتى لله ..(٧٤) . وكثيرا ما كان يقول « عندى شوكة فى الجسد مثـل القـديس بولس . ولهـذا لم أستطع الدخول فى العلاقات العـامة . ولهـذا السبب استنتجت أن مهمتى خارقة للعادة » (عام ١٨٥٥) . ولهذا فان وجوده لم يخصص للسعادة البشرية . والامور الدنيوية المألوفة . ومن هنا فعندما يسأل نفسه : « هل يجب على أن أجد فى هذا العالم الحاضر ما أبحث عنه . أم أن الامر هو : الى الامام(٧٥) . يجيب : « انى أرى ماهيتى الازلية . وهى عندى أكثر من أب وأم ومن زوجة أحبها »(٧٦) واذ كان الامر الالهى هو الذى يقف حائلا امام سعادته الدنيوية الزمانية . واذا كان الامر هو الذى تسبب فى شقائه فانه هو الذى سوف يعود الى تحويل هذا الشقاء الى سعادة مصداقا لقول هيجل : « ان اليد التى احدثت الجرح هى نفسها لتى تداويه(٧٧) .. » . فقد كان كيركجور يعتقد انه اذا كانت خطوبته قد انقطعت من الناحية الزمانية . فانها سوف تبقى فى الابدية . فالغاء الخطوبة يعنى الابقاء عليها ونحن نجد فى هذا المعنى شكلا من أشكال الرفع الهيجلى Aufhebung (٧٨) ففى الابدية سوف يشفى ذلك الجرح العميق الذى حدث : « أملى أن يفهم بعضنا بعضا فى الأبدية ، وأن تسامحنى هناك(٧٨) .. » .فاذا كان قد انفصل عن ريجينا بواسطة الدين والجدار الدينى الصلب . فانه يأمل أن يساعده الايمـان الدينى فى استردادها فى الحيـاة الاخـرى كما استرد ابراهيم ولـده اسحق بفضل الايمان أيضا . اما فى هذه الحياة الدنيا فيكيفه أنه ادخلهـا التاريخ » : يمكن أن ينظر الى أعمالى كمؤلف على انها نصب تذكارى أقيم لتكريمها . سوف آخذها لتدخل التاريخ معا . وانا بكل مالدى من مزاج سوداوى لن تكون لى سوى رغبة واحـدة أن أفتنها . وهناك لن تنكرنى . هناك سـوف أمشى بجوارها . كسيد فى الاحتفال أقودها بنصر ظافر وانا أقول: من فضلكم

(٧٤) Ibid, P. 224.

(٧٥) Cité par J. Wahl: Etudes, P. 13.

(٧٦) S. Kierkegaard: The Journals, P. 70 (Oxford).

(٧٧) امام عبد الفتاح امام : « المنهج الجدلى عند هيجل » ص ٢٧ — دار المعارف عام ١٩٦٩ .

(٧٨) J. Wahl: Etudes, P. 24.

(٧٩) Ibid.

افسحوا مكانا صغيرا لها . لعزيزتى الصغيرة ريجينا ..(٧٩) .

وقد يكون من الممكن أن ننظر الى هذه القصة من زاوية الايمان الذى يعنى الايمان باللامعقول . لأن العلاقة كلهـــا « غير معقولة » . و « غير مفهومة » . فهو « يلهث وراءها لدة تقرب من العامين ينتحل شتى الأعذار لزيارتها ويتتبع خطواتها سرا دون أن تشعر : « حتى يحس بجمال السر فى الحب . وحتى لا يلحظ أحد فيسىء اليها .. وكان يتردد على مقهى تمر أمامه .. الخ الخ . »(٨٠).ثم عندما يخطبها لانها يندم على مافعل فى اليوم التالى مباشرة ! ثم هو يرفض أن يتخذ منها زوجة لانها ستكون «عادية» مدام كيركجور فقط وهو يريدها « حبيبة » . ثم عندما تتزوج من رجل اخر. يعرض عليها أن تكون « صديقة » هى وزوجها .. الخ .. ذلك كله يجعل العلاقة « غير مفهومة » وتحتاج الى القفزة الدينية التى تحدث عنها لكى تشرحها وتفسرها .

« لم يكن من الممكن أن أدخلها التاريخ على أنهـــا زوجتى ـ هذا موضوع لا يناقش . كان يمكن أن تكون « مدام فلان » لكنها لن تكون فى ذلك الوقت حبيبتى . لابد أن تروى على أنها قصة حب تعسة ، فى حين أنها ستظل عندى حبيبتى التى أدين لها بكل شىء»(٨١) .

وعلى الرغم من أنها كانت تقول له باستمرار انه لو بقى معها فانها على استعداد لأن تعيش فى « خزانة » صغيرة ـ فانه قد صنع لها بالفعل خزانة صغيرة « من خشب الورد » صنعت بناء على تصميمه الخاص لكى يبقى هو فيها مع ريجينا على هيئة رسائل ! أجل كانت خزانة تضم الخطابات التى أرسلها اليها أو الى صديقه « بوزن » بعد فسخ الخطوبة مبـــاشرة ، مع قليل من الخطابات كان قد أرسلها الى زوجها « فرتز شليجل » يعرض عليه أن يقيم معها « علاقة ودية » ، وصور من مسودات الرســـائل .. الخ ـ فكيف يمكن لنا أن نفتح هذه الخزانة ونعرف أسرارها ؟ كيف نستطيع فهم

---

(٧٩) W. Lowrie: A Short Life, P. 146 - 147.

(٨٠) د . عبد الرحمن بدوى : دراســـات فى الفلسفة الوجودية » ص ٣٩ دار الثقافة بيروت .

(٨١) Quoted by W. Lowrie. S. Kierkegaard Vol. 1, P. 192.

هذه العلاقة غير المفهومة ؟ وهل يمكن « فض » مغاليقها وتفسير شفراتها ، أم نقول مع « هيس R. Heiss » انه يستحيل فهمها وننهى المسألة عند هذا الحد ؟ !

الحق أن هناك تفسيرات كثيرة كما سبق أن ذكرنا . لكننا نضيف اليها تفسيرا آخر مستمدا من التحليل النفسى نعتقد انه يلقى الضوء على هـذه العلاقة الغريبة . وان كان يصعب أن نجد تفسيرا واحدا يعنيه يحل الغاز هذه القصة كلها ·

ولهذا التفسير جانبان غير منفصلين : اما **الجانب الأول** فهو يتعلق بعلاقة كيركجور الغامضـة بأمه التى كانت تعمل كما ذكـرنا فى الفصل السابق خادمة فى المنزل حيث اتصل بها والده اتصالا جنسيا قبل زواجهما · كان من نتيجته أن انجب طفلتـه الاولى « مارين كريستين » بعد الـزواج بأربعة أشهر وأحد عشر يوما · وقد يكون ذلك أحد « الاسرار » التى كان يخفيها كيركجور من ناحيـة ، ومنعته من ناحيـة اخرى من أن يحترم أمـه او يحبها : « ومن المؤكد أن هذه الوقائع كانت سببا فى مأساته كما أنهـا تفسر جزئيا جانبا من تعاسته الخاصة التى جعلته عاجزا عن تحقيق العام أعنى أن يتزوج من المرأة التى كان يحبها « ريجينا أولسن » · بل جعلته يشن حملة عنيفة على المرأة بصفة عامةويصفها بأنها «أنانية» و«شهوانية» ،مهمتها اذلال الرجل « . . » والرجل المتزوج يشعر فى قرارة نفسه بالخزى والعار » ، والمرأة « ولدت كاذبة » . وهى « تهبط بالرجل الى احط درك» ·· (٨٢)مما جعل جان فال يقول « يجب علينا أن نذكر أن أفكاره عن المرأة قريبة الشبه جدا من افـكار شوبنهور(٨٣) الذى كانت علاقته سيئة هو الآخـر بأمه · واذا استثنيا حديثه عن مريم « أم المسيح » فانه نادرا ما يتحدث عن الجانب النبيل فى المرأة بوصفهـا أما(٨٤) ·· وحتى عندما مايتحدث عن مريم بوصفها أما فانه يحرص على أن يبرزها بوصفها « عذراء La Vierge

---

(٨٢) قارن النصوص فى نهاية الكتاب ·

(٨٣) J. Wahl: Etudes, P. 24 (Note 2).

(٨٤) W. Lowrie: A Short Life, P. 25.

ولقد رأى امه فى ريجينا كما تقول مدام لوفتسكى Mme. Lowtzky (٨٥) .

وربما كان مماله مغزى أن يجد كيركجور تشابهـا قويا بينه وبين هاملت لافقط من حيث الشخصية والمواهب والمزاج السوداوى بل أيضا من حيث ان علاقة هاملت وموقفه تجـاه أوفيليا Ophelia . فهـو لايستطيع أن يستسلم لحبـه معهـا . ولا أن يكشف لهـا عن سر أمه . ولا أن يشركهـا فى مأساة الاسرة . ومن ناحية أخرى يشعر أن المهمة الملقـاة على عاتقه تجعل من المستحيل عليه أن يدخل فى تحقيق العام أعنى الزواج العـادى المألوف . وفى الحالتين كانت العلاقة مع الأبوين هى السبب وراء المأساة التى يعانى منها الابن » ولهذا يردد كيركجور كلمات هاملت :

« لابد أن أقسو لكى أكون رحيما ..

تمزق أيها القلب . فعلى أن أمسك لسانى» .

بل حتى خطاب هاملت الى « أوفيليا » يذكرنا بأسلوب كيركجور الى ريجينا ويبدو التشابه أكبر وأوضح ، عندما أرسل هاملت « باوفيليا » الى الدير . فهذا الموقف يشبه كثيرا موقف كيركجور فى الاشهر الاخيـرة من الخطوبة . وكما أن هاملت اراد ان يحقق غرضه بأن يحط من قدره ، وينقص من شأنه . كذلك فعل كيركجور عندما اراد ان يبدو « وغدا » . يقول هاملت لا وفيليا :

« فليضمك دير من الاديرة ..

« اننى اتهم نفسى بأمور مما أوثر معه لو ان امى لم تلدنى .

« أنا حقـود طموح . ومن اشارتى من الرذائل ما يعجـز فـكرى أن يتسع له ...

« نحن انذال أوغاد كلنا ..

« لا تصدقى أحدا منا . اذهبى الى دير من الاديرة .. (٨٦) » .

---

(٨٥) Cité par J. Wah. : Etudes, P. 16.

(٨٦) هاملت ترجمة د . عبد القادر القط ص ١٤٦ (من المسـرح العالمى عدد ٢٤ وزارة الاعلام بالكويت) .

والغريب أن تكون الشخصية التى عبرت عن فيلسوف الدانمارك بعمق هى الشخصية التى ذهب شكسبير الى انها كانت أميرا على الدانمارك(٨٧)

أيكون السر متعلقا بعلاقته بأمه التى لم يذكرهـــا ولو مرة واحدة بحيث لم يبق أمامه الا الصمت » كما قال هاملت ؟ !(٨٨) .

غير أن هناك جانبا اخـــر يتعلق بهذا الموضوع وهـــو احتمال ضعف كيركجور الجنسى . على الرغم من التدوينة الشهيرة تحت عنوان « امكانية » التى ذكر فيها انه « ضاجع بغى » ــ والتى سبق أن عرضنا لها منذ قليل .

صحيح انه كثيرا ما كانت تنتابه الوســـاوس من انه قد يكون اتصل جنسيا بامرأة ما وهو فى حالة سكر وهياج مما ترتب عليه ان يهب الحيـــاة لطفل ــ لكن القصة مرفوضة لعدة أسباب :

أولا : انه هو نفسه انكر ذلك على نحو قاطع فى نهاية حياته فكان يقـــول ان هناك ثلاثة أمور يتشكر الله عليها أولها انه لم يهب الحياة لطفل ما(٨٩) ..

ثانيا : انه اعتاد ان يخلق أمثال هذه القصص ، ويتحدث عن مغـــامراته النسائية المزعومة لا سيما مع البغايا (مما يثبت أن المسألة لم تكن سوى مجرد اشباع لنقص يحسه بداخلــه) ولقـــد ذكرنا فيما سبق القصة التى اختلقها مع مغنية الأوبرا هدفيج شولسته Hedwige Schulze وكيف أنه تعمد أن يرويها فى خطـــاب لصديقه بوزن ويرجوه الا يخبر أحـــدا حتى تنتشر الاشاعة على انها حقيقة ! وكيف أن صديقه كان قد اعتاد منه هذه المواقف فلم تكن جديدة عليه ..

ثالثا : يعتقد « لورى » أن قلقه من انجاب طفل يرجع فى الحقيقة الى ولعه الشديد بالاطفال لاسيما وأنه يقول عن نفسه انه لم يكن طفــلا فى يوم من الايام ، ومن هنا كان اهتمامه الشديد بالاطفال(٩٠)ولقد سبق أن ذكـــرنا كيف كان والده يمنعه من اللعب مع أترابه من الأطفال أو زيارتهم مما جعله يحس بأنه لم يمر بمرحلة الطفولة !

---

(٨٧) J. Hohlenberg: op. cit., P. 133 - 5.

(٨٨) هاملت الفصل الخامس ــ المشهد الثانى .

(٨٩) قارن النص فى نهاية الكتاب .

(٩٠) W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 1, P. 133.

أغلب الظن أن كيركجور كان عنينا . ليست لديه القدرة الجنسية على الانجاب . وهذا هو السيف الذى كان يشهره ملاك الرب فى وجهه عندما يقدم على الاتصال المباشر بالمرأة ، وربما انعكس هذا العجز على طريقته فى الاتصال بالواقع بأسره . يقول فيتر Vetter : يجب مراعاة الحياء المرضى والخجل المرضى الذى جعله يبقى غريبا عن المرأة وعن العلاقة الجنسية .. »(٩١) ومما له مغزى أن يصف كيركجور « الانجاب » بأنه : « ليس سوى أحط جوانب الطبيعة البشرية .. فى حين أننا نجد فى الطرف الأقصى الحياء والخجل ، فالروح هى الحياء ، وتعريف الانسان بأنه روح يعنى أنه يتسم بالحياء . أما الحيوانات فلاحياء عندها ... »(٩٢) .

وفى الرسالة التى بعث بها الى ريجينا عندما بلغه نبأ وفاة والدها فى ٢٦ يونيو ١٨٤٩ ــ وكانت عندئذ متزوجة بالفعل من شليجل ــ كتب كيركجور كلمات لها دلالة واضحة يقول :

« موت والدك غير رأيى وغرضى . لقد تخيلت الأمور على نحو مخالف . لقد كنت قاسيا . هذا حق . لماذا ؟ آه ! **أنت لا تعرفين** . لقد بقيت صامتا ، والله وحده يعلم كم قاسيت . ! »

« أنا **لا أستطيع الزواج منك** ، حتى **ولو كنت حرة** ، أنا لا **استطيع الزواج** . لقد أحببتنى كما أحببتك وأنا مدين لك بكل شىء وأنت الآن متزوجة : لكنى أقدم لك الآن مرة أخرى **ما أستطيع** ، **وما أجرؤ** ، وما ينبغى على أن أقدمه : الصلح « أعنى الصداقة .. »(٩٣) . ومع هذا الخطاب وضع كيركجور خطابا آخر الى زوجها شليجل يبرر فيه موقفه ، ويعرض عليه صداقته ، وكثيرا ما كان يكتب اليهما يعرض مثل هذه « الصداقة الودية » ــ مما جعل بعض الباحثين يذهبون الى أن هناك ثلاثة أنماط من الحب عند كيركجور : « فهناك Eros أو الحب الشهوانى ، ثم هناك .. Philia أو الصداقة ، وأخيرا agape أو الحب الدينى

---

(٩١) Cité par J. Wahl: Etudes, P. 16.

(٩٢) S. Kierkegaard: The Journals, P. 199 (Fontana).

(٩٣) J. Hohlenberg: op. cit., P. 226.

لله وللجار . أو هى الشهوة الجنسية ثم الصداقة واخيرا المحبة »(٩٤) .
والذات الحقة عنده هى التى تحقق النوعين الآخرين ويبدو أن كيركجور كان يعتبر اللون الأول حيوانيا ، ومن هنا فقد احتفظ بعلاقة واحدة مع ريجينا أو لسمن هى علاقة الصداقة بوصفها الشكل الملائم لذاته الحقة . ويبدو ذلك واضحا من الرسالة التى ارسلها اليها بعد زواجها من شليجل يقول فيها أقدم لك للمرة الثانية : ما استطيع وما أجرؤ وما ينبغى أن أقدمه لك : الصلح . اى حبى . أعنى صداقتى » فالحب التام بين الاصدقاء هو لون الحب الذى لا يمحى فى علاقته بريجينا »(٩٥) .

ومعنى ذلك ان كيركجور كان يخلط بين الحب الشهوانى Eros وبين الصداقة Philia او قل انه لم يكن يعرف سوى الاخير وانك لتجد فى يومياته مجموعة كبيرة من الملاحظات حول الصداقة وعلاقتها بالحب مستمدة من أفلاطون أو أرسطو ، والكتاب المقدس ومقتطفات من اللاهوتيين والمتصوفة فى العصور الوسطى .. ما يجعلنا نقول ان العلاقة التى كانت تربطه بريجينا هى علاقة الصداقة ، وهى نفسها التى كانت تربط بينه وبين « بويزن » ، وهى علاقة لم تكن تتضمن اى لون من الوان الحب الشهوانى ...... Erotic Love ولهذا نجد ان كيركجور كان يكرر استخدام لفظ « رفيق » ويراه كافيا للاشارة الى الرابطة التى يربط بينهما وهى حب الصديق .... Philia (٩٦) .

ولا شك ان جانبا من عجزه كان يعود الى العيوب الجسمية الكثيرة التى كان يعانى منها . لا فقط من حيث الجسد الشائه شكلا بل من حيث قدرته على ممارسة الحياة الزوجية الطبيعية وهو كثيرا ما كان يلمح الى هذه الحقيقة فيقول مثلا : « ان ما ينقصنى وما احتاج اليه هو تلك الخصائص الحيوانية التى نشير اليها عندما نتحدث عن واحد من

---

(٩٤) James Collins: Kierkegaard's Imagery of the Self P. 78 - 79.

(٩٥) Ibid.

(٩٦) James Collins op cit., P. 78 - 79.

الرجال ! .. »(٩٧) . بل كان يتمنى لو تبدل هـذا الجسد لينعم بالحيـاة فتراه يشكو الى الله فى حسرة وألم : « آه ! لو كنت قـد وهبتنى جسـدا غير هـــذا الجسـد حين بلغت **سن العشرين** : اذن لـكان حالى غيــر الحال ! »(٩٨) . أى قبل أن يلتقى بريجينا أولسن (تعرف عليهـا وهو فى الرابعة والعشرين) لاتخذت الامور مسارا آخر .

ومما يؤكد هـذا التفسير أيضـــا أنه كثيرا ما يتحـدث عن « المرأة الموجودة بداخلى » أو عن « الطفل الموجود بداخلى » ــ ويقول قنسطنطين قنسطنطيوس Constantine Constantius مؤلف التكرار .... Repetition عن صديقه الشاب (الذى هو نفسه كيركجور) : « الرجال من هـذا الطراز ليسوا بحاجة الى حب المرأة ولا الى عشق النساء : وهذا ما أفسره بقولى انهم كانوا نسـاء فى مرحلة سابقة : وفى استطاعتهم أن يلعبوا دور النساء . كما أن أنوثتهم تجعلهم يعجزون عن الارتباط بالنساء ، وهم يفهمون خصائصهم أفضـل من النسـاء أنفسهن ويعجبون بهـا ربما أكثر مما يرغبون فيها . لكنهم لا يسيرون أبعد من ذلك »(٩٩) . ويتحـدث كيركجور عن الرغبة وما فيها من مضمون مخنث : « الرغبة غير محـددة ولا تنفصل عن موضوعهـا . وموضوع الرغبـة يبقى مخنثا داخلهـا (أى يتضمن الذكورة والانوثة معا) تماما مثـل الحياة فى النبـات حين تكون الاعضـاء الذكرية والانثوية متضمنة فى العنقود نفسـه . وتلتقى الرغبة وموضوعها فى هذه الوحدة ويشكل الاثنان جنسا محايدا .. »(١٠٠) .

ونحن لا نريد أن نسير مع التحليل النفسى الى آخر الشوط فقد أدى الى آفاق كثيرة من الشطط : فتحدثت مدام لوفتسكى ..... Mme Lowtzky مثلا عن « الاستمناء الروحى » عند كيركجور ، وفسرت « حلم سليمان »

---

(٩٧) S. Kierkegaard: The Journals, P. 395 Eng. by A Dru (Oxford).

(٩٨) Ibid.

(٩٩) اقتبسه الكسندردرو فى مقدمته للترجمة الانجليزية لليوميـات طبعة اكسفورد . كما اقتبسه جـان فال فى كتـابه دراسات كيركجـوردية « ص ١٦ حاشية » ١ .

(١٠٠) S. Kierkegaard: "Either..or" Vol. 1, P. 76.

الذى كثيرا ما يصور فيه فيلسوفنا علاقته بوالده ، بأنه يقوم على الخوف والرغبة من أن يكون له أطفال (لاسيما أطفال من أمه) وهذا ما رآه فى ريجينا أولسن ، لقد رأى فيها أمه ، ومن هنا جاء « سوء الفهم » الذى لم يستطع أن يفسره نحو ريجينا ، وهذا هو الأصل فى عجزه(١٠١) .

وذهب وليم كيرجان William Kerrigan الى أن القصة التى رواها الكتاب المقدس عن تضحية ابراهيم بولده اسحق « ـ ثم أعاد كيركجور كتابتها بطريقته الخاصة فى كتابه الخوف والقشعريرة لتكون رسالة غير مباشرة موجهة الى « ريجينا » تصور الارتباط الوثيق بين « الاب والابن » بين المضحى والمضحى به . وفى ذلك عود الى عتبة الأنا الأعلى حيث نجد « الاب » حتى وهو يرفع السكين ليذبح ابنه يلقى نفس العذاب ، ونفس المصير الذى يلقاه الابن . واذا عرفنا انه كان لدى ابراهيم عهد من الله بأن « يتبارك فى نسلك جميع الامم » (تك ٢٢ : ١٨) فقد كانت أول ثمار هذا العهد هو الختان .... Circumesion « فاسحق هو « بذرة » ابراهيم بالمعنى الحرفى للكلمة ،ومن القضيب القديم لأبى الايمان يظهر أخيرا قضيب جديد ، قناة لخط النسل المخصص لانتاج أم المسيح . وهكذا كان على ابراهيم أن يضحى بابنه مبعوثه الخاص ورسوله فى تاريخ الخلاص . ونفس الامر الذى جعل من ابراهيم تجسيدا حرفيا لوالد ابراهيم جعله أيضا بتضحيته برغبته الاساسية ابنا لأوديب .. »(١٠٢) .
ويواصل كيرجان تحليله قائلا : « وما لم تغتصب أنا Ego سلطة الأنا الأعلى فانها لن تستطيع تحقيق الاتصال بامرأة ما ، وهذا هو الأمل الذى يسير مع قلق الخصاء ..... Castration لكن كيركجور فكك بعهد الحب الدنيوى . ومن ثم استلزمت التضحية باستقلال الأنا فى هذا السياق التضحية بالمرأة وهكذا لم يعد ثمة مكان لريجينا .. »(١٠٣) .

ولا شك ان كيركجور لم يعط للزواج أى معنى من المعانى الروحية ، والتضحية به كانت تعنى التضحية باشباع الغريزة وانه سألته

---

(١٠١) Cité par J. Wahl: Etudes, P. 16 (Note 1).

(١٠٢) William Kerrigan: Superego in Kierkegard, Existence in Freud P. 126.

(١٠٣) Ibid, P. 128.

أيمكن التوفيق بين الحيـاة الروحية والحيـاة الجنسية لأجاب : « هراء ! اما اشباع الغريزة أو اشباع الروح » ! ومن هنا لجأ الى « الحب الروحى » الذى يرفعه الى المثل العليا ويجعله يحقق « الأوحـد » اما اشباع الغريزة عن طريق الزواج فسوف يجعله شخصا عاديا : « لأن الرجـل فى الزواج السعيد يصبح زوجا عاديا ، اذ تفنى العبقرية العليا . فكثير من العباقرة اصبحوا عباقرة ، وكثير من الأبطال اصبحوا ابطالا ، وكثير من الشعراء اصبحوا شعراء وكثير من القـديسين اصبحوا قديسين بتأثير « الحبيبة » أو « الفتـاة الشابة » . لـكن من منهم أصبح عبقريا ، أو بطلا او شاعرا او قديسا بتأثير زوجته .. ؟ ان اقصى مايستطيع تحقيقه بفضـل زوجته هو أن يصبح مستشارا او قائدا عسكريا ، أو رب اسرة .. »(١٠٤) .

فالعبقرية تحتاج الى « نار » مستعرة تؤججها وتلهبها وتفجر قدراتها . لهذا انصرف كيركجور عن الزواج ليتفرغ الى ما هو اهم وأبقى فى مجال الفـكر ومجال الروح واعتنى به الصـراع مع مجتمعه وما فيـه من زيف وفساد ادى الى « تزييف » الذات البشرية وطمس معالمها الشخصية . فلم يعد هناك شيء اسمه « الفـرد » المتميز . وانما هناك الشخصية المهلهلة غير المستقلة التى يسهل ان تسير مع القطيع فتتحـكم فيهـا الطغاة الـذين هم « الجماهير » مـرة والكنيسة مـرة أخـرى . والمنظرون من الفلاسفة الهيجليين مرة ثالثة ... فأمامنا ، اذن ، معارك طائلة سوف نخوض فيها صراعا حتى الموت !

(١٠٤) « مراحل على طريق الحيـاة » ص ٥٤٥ ــ اقتبسه جان فال فى كتـابه دراسات كيركجورية ص ١٥ . وقارن ايضـا د. عبد الرحمن بدوى فى كتـابه « دراسات فى الفلسفة الوجودية » ود. فوزية ميخائيل : سورين كيركجور : « أبو الوجـودية » ص ١٨ دار المعارف بمصـر عام ١٩٦٢ .

الفصل الخامس

الصـــرع حتى المـوت

« .. نعم ! ســلامى الى البشــر جميعاً !
لقد احببتهم وحرصت عليهم كثيرا ! قل لهم
ان حيــاتى كانت عذابا هائلا لم يعرفه ولم
يفهمه الآخرون . ربما بدت كبرياء وغرورا
لكنها لم تك قط شيئا من ذلك .. ! » .

س. كيركجور : « على فراش الموت »

تمهيـــــد :

اذا كان كيركجور قد استشعر الصراع فى اعماقه طوال حياته حتى حتى كان يحس بمرجل يغلى بداخله ، فان هذا الصراع امتد الى الخارج حيث البيئة التى يعيش فيها : الناس فى الشارع ، الصحف ، الكنيسة ، الكتاب ... الخ حتى أنه لم يبق فى كوبنهاجن من لايعرف هذا الرجل اما بسبب قصة حبه البائس مع ريجينا اولسن « او بسبب صراعه وتشاتمه مع صحيفة القرصان او مع الكنيسة القائمة — ثم تبقى بالطبع جبهة هامة قاتل فيها كيركجور « قتالا مريرا واعتنى بها صراعه مع هيجل والهيجلية الاسكندنافية على وجه الخصوص . وهذا الصراع الاخير سوف نرجئه حتى الجزء الثانى وسوف نكتفى فى هذا الفصل بالحديث عن صراعه فى جبهتين هما : « صحيفة القرصان » و « الكنيسة القائمة » وهو صراع أستمر حتى موته !

أولا : الصراع مع صحيفة القرصان :

هناك شخصيتان من بين الشخصيات القليلة التى عرفها كيركجور ــ تحملان نفس الاسم تقريبا الأولى : بول مارتن مولر Poul Martin Möller (١٧٩٤ ــ ١٨٣٨) وهو كاتب وشاعر وصاحب قصيدة شهيرة هى « الفرح يغطى الدنيمارك » : ثم هــو استاذ الفلسفة الخلقيــة فى جامعة كوبنهاجن والذى سبق ان تحدثنا عنه فى الفصل الاول عندما ذكرنا ان كيركجور كان يتمنى ان يخلفه بعــد حصوله على درجــــة الماجستير لاسيما وأن كرسى الفلسفة الخلقية ظل شاغرا منــذ وفاته فى ١٣ مارس ١٨٣٨ ولقــد حزن كيركجور لوفاته حزنا شديدا لا سيما وانها جاءت وهو فى فترة اضطراب داخلى عنيف وقد عبر عنها فى يومياته وفى « اما ــ أو » فى صورة شهيرة طورها بعد ذلك هى « لم اعد انزع لشىء »(١) لا للمشى ولا للرقاد ٠٠الخ ٠ ثم أهداه بعد ذلك كتابه « مفهوم القلق »

« الى المرحوم الاستاذ بول مارتن مولر » ٠

« العاشق الولهان لليونان ، والمعجب بهوميروس » ٠

« صديق سقراط الوفى ، وشارح ارسطو » ٠

« فرح الدانيمارك فى قصيدته « الفرح يغطى الدانيمارك » !

« الى ذلك الذى أكن له اعجابا خاصا واسف لفقدانه ، أهــدى هذا الكتاب »(٢) ٠

اذا كانت شخصية « مولر » الأولى تمثــل استاذ الاخــــلاق ، فان شخصية ب٠ ل٠ مولر ٠٠٠٠٠٠ P. L. Möller الثانية عكسها تماما فهى تمثل الرجل الحسى الجمالى ! كان زميلا لكيركجور فى الدراســة ثم

---

(١) S. Kierkegard: "Either..or", Vol. 1. P. 15.

(٢) S. Kiergaard : The Concept of Dread, P. 3 Eng. Trans. by W. Lowrie.

صديقا له ، ولد عام ١٨١٤ (اى بعد كيركجور بعام واحد) ودخل الجامعة عام ١٨٣٢ وكانت شخصيته مزيجا من الحسية والشهوانية الى جانب الذكاء النابه ،وكان ناقدا جماليا مبرزا ، ذا اسلوب قوى واضح يكتب شعرا غنائيا متوسط الجودة ، فقيرا ، لهذا قضى شبابه كله معتمدا على الاعانات والمنح الدراسية ·

وقد كان من الشخصيات القليلة التى عرفها كيركجور وازدادت أواصر الصداقة بينهما فى فترة الضياع ، لاسيما حينما غرق فيلسوفنا فى الديون فاصبح الامتزاج بينهما كاملا ! لكن ظل الفارق الرئيسى بينهما هو الحس الدينى والاخلاقى الذى يتألق عند كيركجور وينعدم عند ب· ل· مولر . لكن كيركجور استطاع ان يسبر أغوار صديقه ويرى فيها ما ينقصه ويفتقر اليه : فهو يعيش حياة شهوانية متحررة من اى قيد او التزام تلك التى يملكها الشاعر الانجليزى الرومانتيكى بايرون ··· G. Byron (١٧٨٨ ــ ١٨٢٤) ، ومثل هذه الحياة هى المثل الاعلى عنده ! ولهذا انصبت معظم قصائده على المواقف الحسية الشهوانية ! ولهذا ايضا كان من المرجح جدا ان يكون كيركجور قد وجد فى شخصية ، مولر « نموذجا » ليوحنا المغوى « التى عرضها بالتفصيل فى نهاية المجلد الاول من كتابه » اما ··· او « تحت عنوان » يوميات مغو «(٣) · ويعتقد » هولنبرج « ان ما ذكره فيكتور ارميتا (أو الناشر) Victor Ermita (والمؤلف المستعار لكتاب كيركجور اما ــ او) من انه وجد يوميات مغو » مخطوطة « وكذلك غيرها من الاوراق التى تمثل الشخصية الشهوانية التى رمز لها بالرمز » ٦ « ــ يعتقد » هولنبرج « ان تلك الرواية تشير الى واقعة حقيقية حدثت

---

(٣) يوميات مغو Diary of the Seducer Le Journal du Seducteur وهى تترجم فى اللغة العربية فى كثير من الاحيان « يوميات غاو » وهى خطأ اذ المقصود العكس أعنى الشخص الذى يغوى الآخرين ويستدرجهم الى الخطيئة والضلال · قارن :

Vol 1 P 237.

صديقا له ، ولد عام ١٨١٤ (أى بعد كيركجور بعام واحد) ودخل الجامعة عــام ١٨٣٢ وكانت شخصيته مزيجا من الحسية والشهوانيــة الى جانب الذكاء النابه ،وكان ناقــدا جماليا مبرزا ، ذا اسلوب قوى واضح يكتب شعرا غنائيا متوسط الجودة ، فقيرا ، لهــذا قضى شبابه كله معتمدا على الاعانات والمنح الدراسية .

وقد كان من الشخصيات القليلة التى عرفها كيركجور وازدادت أواصر الصداقة بينهمــا فى فتــرة الضياع » لاسيما عنــدما غرق فيلسوفنا فى الديون فاصبح الامتزاج بينهما كاملا ! لــكن ظل الفــارق الرئيسى بينهما هو الحس الدينى والاخلاقى الذى يتألق عند كيركجور وينعدم عند ب٠ ل٠ مولر . لكن كيركجور استطاع ان يسبر اغوار صديقه ويرى فيها ما ينقصه ويفتقر اليه : فهو يعيش حياة شهوانية متحررة من اى قيــد او التزام تلك التى يملكهــا الشاعر الانجليزى الرومانتيكى بايرون G. Byron ٠٠٠ (١٧٨٨ ــ ١٨٢٤) ، ومثل هــذه الحياة هى المثــل الاعلى عنــده ! ولهذا اتصبت معظم قصائده على المواقف الحسية الشهوانية ! ولهذا ايضا فان من المرجح جدا أن يكون كيركجور قــد وجد فى شخصية « مولر » نموذجا « ليوحنا المغوى » التى عرضها بالتفصيل فى نهاية المجلد الاول من كتابه « اما ٠٠٠ أو » تحت عنوان « يوميات مغو »(٣) ، ويعتقــد « هولنبرج » أن ما تذكره فيكتور ارميتا (أو الناسك) Victor Ermita (المؤلف المستعار لكتاب كيركجور اما ــ أو) من انه وجــد يوميات مغو « مخطوطة » وكذلك غيرها من الأوراق التى تمثل الشخصية الشهوانية التى رمز لهــا بالرمز « أ » ــ يعتقــد « هولنبرج » أن تلك الرواية تشير الى واقعة حقيقية حدثت

---

(٣) يوميات مغو Le Journal du Seducteur Diary of the Seducer وهى تترجم فى اللغــة العربية فى كثير من الأحيان « يوميات غاو » وهو خطأ اذ المقصــود العكس أعنى الشخص الذى يغوى الآخرين ويستدرجهم الى الخطيئة والضلال . قارن :

Either..or Vol. 1, P. 237.

بالفعل . فهذه « المخطوطات » كان يكتبها « مولر » ويحتفظ بها فى غرفته وان كيركجور « بطريقة ما » عثر عليها فهناك تشابه قوى — بين هذه المخطوطات وبين كتابات مولر .. فى الاسلوب واستخدام المصطلحات يرجح هذا الفرض . وربما يكون كيركجور قد اعطاها الصورة الأدبية وقدم لنا فيها شخصية « مولر » فى فترة كان التعاطف بينهما قد انتهى !(٤) ..

ومن المرجح ايضا ان « مولر » لم يكن لديه شك انه هو المقصود بهذه الشخصيةالحسية المغوية . وكان ينتهز الفرصة لكى ينتقم وقد واتته الفرصة عندما اصدر كيركجور فى ٣٠ ابريل عام ١٨٤٥ كتابه « مراحل على طريق الحياة » وهو يحتوى على المأدبة حيث تجتمع شخصيات كيركجور المستعارة ويدور نقاش حول الزواج — وينتهى الكتاب بجزء شهير هو « مذنب .. غير مذنب » قصة عذاب — تجربة سيكولوجية بقلم الاخ الساكت Frater Taciturnus حيث يعرض كيركجور قصة حبه البائس لريجينا اولسن — على هذا القدر لاحت الفرصة لولر فنشر مقالا فى « مجلة جيا .. Gea : حولية جمالية » عام ١٨٤٦ تحت عنوان زيارة الى سورو A Visit to Soro وهى مدرسة داخلية كان يطلق عليها اسم الاكاديمية — ويروى المؤلف انه فى زيارته لهذه المدرسة التقى ببعض الشخصيات الادبية المعروفة مثل « يوهانس هوش H. Hauch (١٧٩٠ — ١٨٧٢) الشاعر الدانيماركى ، وكذلك برنارد انجمان Bernard S. Ingemann « وكذلك كاتب الدراما » كريستيان بردول (١٧٨٤ — ١٨٦٠) ... (١٧٨٩ — ١٨٦٢) شاعر وكاتب رومانتيكى ومدرس فى اكاديمية سورو — Christian Bredahl والناقد الادبى بدر هجوت (١٧٨٤ — ١٨٧١) ... Peder Hjot واخرون . وقد التقى الجميع فى حقل فى المساء ودارت بينهم مناقشة حول مؤلفات « سرن كيركجور » تحدثوا اولا عن كتابه « اما .. او » الذى امتدح « مولر » الجزء الاول منه بقوة لكن دنغمه فيها سخرية تجعلنا نلاحظ ان هناك شيئا بين الرجلين : اما الجزء الثانى من الكتاب فقد راى انه مجرد تجميع لمواد دون ان يكون عملا ادبيا

(٤) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 162.

حقيقيا . وهـو يشكو من ان الكاتب منذ البـداية لم يستطع السيطرة على موضوعه لكنه : « يكشف فحسب عن شخصيته الاخلاقيـة » كما تحـدث مولر كذلك في شيء من الحـدة عن كتاب « مراحل على طريق الحيـاة » لاسيما عن الجزء الخـاص بالتجربة السيكولوجية وقال ان كل شيء في هـذا الجزء يغلفه جـدل عقيم وأن المؤلف يلهو فى مجال اللغة كالمهرج الانجليزى الذى يمشى على يديه ويقوم بحركات بهلوانية أدبيـة ويستخدم كلمات لا لزوم لهـا ويقـول كل ما يخطر على باله ! ثم راح « مولر » يقلد مضمون الكتاب وأسلوبه بسخرية على النحو التالى :

« اليوم يكون قد انقضى عام منذ أن أصبحت خطيبها ! كم هى فاتنة : لكن الشيطان يقبع فى أعماق هذه الفتاة انها لا تستطيع أن تفهم أننى أريد فى أن معـا : أن أخطبهـا وأن أفسخ الخطـوبة . وأننى أريد أن أتزوجهـا ولا أتزوجها فى وقت واحـد : انهـا لاتريد أن تفهم ان خطبتى جدليـة فهى تعنى أننى احب ولا احب فى نفس الوقت : وان هدفى أن أتخلى عنهـا وأن أجعـل نفسى باستمرار فى قمـة الرغبة . اليوم مضى عـام ! ان منهجى الحـالى لايصلح ولابـد من تغييره . ان ما ينقصها هـو الثقافة الدينية . فلايصلح احدنا للآخر ولايناسب كل منا الآخـر . وحتى لو اصبحت متدينة اكثر فسوف أفقدها أيضا . فلابد أن أطلق سراحها واجعلها حـرة لانها فى هذه الحالة فقط ستكون لى وستنتمى الى . وفى استطاعتها عندئذ أن تخطب من جديد وأن تتزوج من تشاء . لكنها رغم ذلك تكون قد تزوجتنى . وهكذا الى مالانهاية . . »(٥) . ثم يستطرد قائلا : « لو سمح لشخص يفهم الطبيعة البشرية فهما حقيقيا بأن يدخل علينا فربما قال للمؤلف بطريقة فظة :

« أتنظر الى الحيـاة على أنهـا غرفة تشـريح والى نفسك على أنك جثـة ؟ لوصح ذلك فاستمر فى عملك وقطع نفسك الى شرائح بقدر ما تحب . ولن تقطع عليك الشرطة عملك . لكن ان تجذب الناس الى نسيج العنكبوت الذى تنسجه وتقوم بتقطيعهم أحياء . أو تعتصر منهم الحيـاة قطرة قطرة ــ فهذا ما لا يسمح به القانون اللهم الا فى حالة الحشرات ! أليست فكرة كهذه تجعل الذهن السليم يمتلىء رعبـا ؟ » . ويجيب الرجـل العاقل على ذلك

---

(٥) Quoted by J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 159.

بقـوله : « لابد لي من الاعتـراف بأنني لم يخطر ببالي قط أن الانسان يمكن أن يدمر ذاته بالطريقة التي زعمها الآن توا ، أو أن يصدر حكما بأية طريقة بناء على هذه المجمـوعة من الرسائل : فلا شيء عفوى ومباشر وانما لابد له أن يصـل الى كل شيء عن طريق التفكير · أن كل ما يدهشني منـه أنه يستطيع أن ينـام ويأكل ··· الخ · والا فانني اعترف له بانه اكثر المؤلفين جميعا موهبة وثقافة ، لكنه يبدو لي كرجل عجوز متداع ، او بالأخرى أشبه بشخص ذكي ذكاء غير عادي لكنه يحمل خيالا مريضا(٦) ·

وواضح ان ذلك كله ليس نقدا ادبيا وانما هـو هجـوم مباشر على شخص كيركجور وسخرية ظاهرة من علاقته بريجينا اولسن ، ولهـذا فليس غريبا ان يغضب كيركجور بشـدة ، ومن هنـا كتب في ٢٧ ديسمبر ١٨٤٥ مقـالا عنيفا في جريدة الوطن ··· Fatherland تحت عنوان « نشـاط رجل جمالي تائه ، وكيف دفع ثمن خطته حول المادبة » ـ ووقع المقـال بقلم « الأخ الساكت ····· Frater Taciturnus » الشخصيـة الرئيسيـة في القسم الثالث من كتابه « مراحل على طريق الحياة » · ولقد برهن كيركجور بمنطق لايمكن وصفه على حـد تعبير « هولنبرج » على أن جميع اعتراضات مولر لا تفعل شيئا سـوى تكرار ما سبق أن أشار اليـه بوضـوح الموضوع الرئيسي في الكتـاب ، ومشكلات التجربة · ومن ثم فهي ليست اعتراضات بقدر ما هي شـهادة تقدير ! ومقاله ليس هجوما لكنه تبرير لما قال ! والواقع ان كيركجور كان يكتب بنغمة ساخرة ملحوظة وبدرجة من التهكم الواضح ! فقد حاول أن يؤلم خصمه بقدر ما يستطيع · واذا ما قارنا بين مقالة مولر الاصلية وبين رد كيركجور عليهـا لاستطعنا ان نلاحظ بسهولة ان مقال مولر واضح فيها التخطيط والاعداد الجيـد للهجوم لحاجة في نفس يعقوب كانت قد حدثت من قبـل ! وواضح أيضـا أن كيركجور فهم جيدا ما يرمي اليـه وأعد رده وهو على وعي كامل بهذه الحقيقة !(٧) ·

لقـد كان « مولر » يأمل بهجومه على كيركجور أن يحقق عدة أهداف فلا شك أنه اعتقد أنه بهـذه الوسيلة سوف يكسب الفيلسوف الدانماركي

---

(٦) Ibid, P. 160.

(٧) Ibid.

« جـوهان لودفيج هيبرج Johan Ludvig Heiberg » (١٧٩١ ــ ١٨٦٠) الى صفه ، وكان هذا المفـكر أعظم شخصية فى الدانيمارك كلها فى ذلك الوقت فضلا عن أنه هو الذى أشاع الهيجلية فى الدانيمارك وقـد شعر بامتعاض من المؤلفات المستعارة لكيركجور لاسيما « أما ٠٠ أو » ، والتكرار ، واتخذ منهمـا موقف الاستنكار وكان « مولر » يظن انه سيكون محببـا الى نفس « هيبرج » أن هو دعم هـــذا الموقف ٠ ! فضـلا عن أن « مولر » يعرف أن كيركجور يعلم عنـه كل شيء على اعتبار أنهما قد ارتبطا بعلاقة صـداقة وثيقة عنـدما كانا طالبين فى الجامعـة ، وبالتالى فان اشتعـال معركة معه سوف يجعل ما يقوله كيركجور بعد ذلك لا قيمة له !

لكن توقعات « مولر » كلهـا باءت بالبوار ! واصبح مركزه بالغ الدقة والحرج : ذلك لأن الحديث عنه بدأ همهمة فى دوائر المثقفين والأوساط الادبية ثم اخذ يعلو تدريجيا وبـدأ التساؤل عن الشخصية « المنحلة » التى اتخذها كيركجور نموذجا للمغوى فى كتابه « اما ــ أو » ٠ وهكـذا بدأت جـوانب كانت خافيـة من حيـاة مولر فى الظهور كما ترددت الشائعات عن اشياء غريبة منها مثـلا أنه باع هيكلا عظميا لفتـاة من صديقاته بعـد موتها فى احدى المستشفيات حتى أن « هيبرج » نفسـه تساءل بصـراحة فى احـدى مقالاته عمن يقصده كيركجور بالمغوى ! واشار الى ان هـذه الشخصية لابد أن تكون موجودة بالفعـل ! ومعنى ذلك أن أصابع الاتهـام بدأت تتجه نحو « مولر » ، ولا جـدال فى أن الأوساط الادبيـة فى الدانيمارك قد فهمت ان المقصود بالشخصية المنحلة هذه هو « مولر » نفسه !

وماذا فى ذلك ؟ ! الواقع أن مولر فى ذلك الوقت كان يعمـل بهمـة ونشاط ليكون استاذا لعلم الجمال خلفا للشاعر « آدم جوتلب او لنشليجر » (١٧٧٩ ــ ١٨٥٠) ..... Adam Gottlob Oehlenchlager الذى كان يعد أعظم شعراء الدانيمارك فى عصـره ، وهى وظيفة كان « مولر » مؤهلا لها تماما ، صحيح أنه لم يكمل تعليمه الجامعى لكن أولشنليجر لم يحصل هو الآخر على أية درجات علمية ، فضلا عن أن مولر قد حصل عام ١٨٤١ على الميدالية الذهبيـة من الجامعـة مكافأة على كتـابه « الشعر الفرنسى المتأخر » ، كما أنه أصبح مشهورا بمقالاته النقدية الممتازة سواء فى الأدب

أو المسرح حتى بغض النظر عن قصائده الشعرية(٨) .

وفضلا عن ذلك كله فان كيركجور قد فجر قنبلة نسف بها « مولر » تماما عندما اشار فى هجماته الى أن مولر هو أحد الذين يساهمون فى تحرير جريدة القرصان The Corsair لكنه يكتب مقالاته غفلا ! وكانت القرصان صحيفة سياسية فكاهية أسسها عام ١٨٤٠ شاب يهودى هو هارون جولد شميث ... Aaron Goldschmidt وكانت الصحيفة مرتبطة من الناحية السياسية فهى تدعم « المعارضة اللبرالية مما أوقعها فى صراعات كثيرة مع الرقابة تعقبها محاكمات ثم فترة سجن وكان السجن فى العادة لنواب « جولد شميث » لكن الصحيفة كانت ناجحة جدا فى كوبنهاجن وكان الناس جميعا يقرأونها !

وقد انضم « مولر » الى هيئة تحرير صحيفة القرصان عام ١٨٤٢ وعندما عرض مولر على جولد شميث ان يساعده رحب للغاية لأنه كان يعرف الى أى حد يستطيع أن يستفيد منه ، ومنذ ذلك التاريخ ظل مولر يكتب فى الصحيفة بانتظام لكنه لم يوقع باسمه قط . وكانت الاوساط الأدبية كلها تعرف صاحب هذه المقالات لكن كل واحد منهم كان يتظاهر بأنه لا يعرف شيئا . فكان كيركجور أول من تحدث عن هذا الموضوع وقال بوضوح : « ان ب. ل. مولر هو القرصان ، والقرصان هو ب. ل. مولر » (٩) ! .

ومن ناحية اخرى فلم تكن علاقة كيركجور بصحيفة « القرصان »على مايرام ! فهو من الناحية السياسية محافظ والجريدة تدافع عن التيار اللبرالى المعارض الذى لا يحترمه لأنه يعرف مقدما اخطاره ويعلم علم اليقين مدى الفقر الروحى لقادة هذه الحركة . ولهذا غضب عندما رأى « القرصان » تهاجم الجيل « القديم » واحدا اثر الآخر وهو يعتقد انهم افضل بكثير من جيل الشباب الحالى ، واحزنه للغاية ألا يجد من يدافع عنهم خوفا من لسان القرصان وسخريتها اللاذعة ! لكنهم لم يهاجموه هو نفسه ، بل على العكس لقد امتدحت القرصان كتابه « اما ــ أو » عند ظهوره ووصفت مؤلفه بأنه

(٨) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 163 - 164.

(٩) Ibid, P. 166.

يحمل روحا قويا . وكان « جولد شميث » نفسه معجبا بكيركجور وكان كيركجور يحترم هذا الشاب كمؤلف حتى انه امتدح قصته « اليهودى » ... The Jew فكل منهما يعرف الآخر جيدا وكثيرا ما كانا يتجاذبان اطراف الحديث اذا ما التقيا مصادفة فى الشارع(١٠) .

ولقد حدث فى عام ١٨٤٥ أن أشارت القرصان الى الاسماء المستعارة لكيركجور مرتين : الأولى فى مقال فى شهر يوليو ١٨٤٥ حول اجتماع الطلاب الاسكندنافيين وذهب المقال الى أن « العذاب العقلى أسوأ من العذاب البدنى وهذا ما نستطيع ان نشاهده اذا ما سألنا أنفسنا : ألا يكون من الافضل ان نحتفل بخبز جاف وماء مع هيلاريوس Hilarius (١١) ، مجلد الكتب عن تناول الشمبانيا مع مستر بوتيوس .. Boatius » . والمناسبة الثانية كانت فى ١٤ نوفمبر عام ١٨٤٥ أيضا فى مقال حول قصة هوش Hauch عن « القلعة » واحتج المقال ضد جعل الاهتمامات السياسية أعلى من الاهتمامات الأدبية ثم قال : « لو أننا وضعنا كاتبا مثل فيكتور ارميتا (الناسك) ...... Victor Eremita (١٢) فى مكان أعلى من ليمان .... Lehmann (١٣) لكنا على حق تماما لأن ليمان سوف يموت وينسى فى حين أن فيكتور ارميتا لن يموت أبدا .. »(١٤) .

ولقد رفض كيركجور فى الحال هذا الموقف ، فقد ازعجه أن تمتدحه صحيفة دأبت على مهاجمة الشخصيات المرموقة ، ولقد كتب فى يومياته عدة تدوينات بتوقيع « فيكتور ارمتا » تسخر من هذا المديح وتطلب من الصحيفة مهاجمته كما فعلت مع غيره من الشخصيات المحترمة ! غير أن هذه « التدوينات » لم تنشر ولم تخرج عن درج مكتبه ، لكن الآن اختلف الوضع فقد أعطاه مقال مولر فى الهجوم عليه الفرصة التى كان يريدها . فكتب مقالا وقعه « الأخ الساكت » المسئول عن نشر القسم الثالث من مراحل

---

(١٠) C. F. : W. Lowrie S. Kierkegaard Vol. 2, P. 348.

(١١) الناشر المزعوم لكتاب كيركجور « مراحل على طريق الحياة » .

(١٢) الناشر المزعوم لكتاب كيركجور « اما ... أو » .

(١٣) رئيس تحرير صحيفة ليبرالية كان كيركجور ـ وهو طالب يدخل معه فى نقاش وجدال .

(١٤) W. Lowrie: S. Kierkegaard, Vol. 2, P. 348.

على طريق الحياة .. » نشر فى ٢٧ ديسمبر عام ١٨٤٥ فى صحيفة الوطن .... Fatherlan » أثار دهشة « مولر » يقينا وافتتحه بهذه الكلمات : « أحقا يمكن أن تكتب عنى صحيفة القرصان ؟ ! انه لأمر مؤسف بالنسبة لأى مؤلف مسكين أن يكون منفردا فى الأدب الدانيماركى على هذا النحو (مفترضين بالطبع أن الاسماء المستعارة كلها ليست الا لشخص واحد) أعنى ان يكون هو الشخص الوحيد الذى لا تشتمه هذه الصحيفة ! فقد تملقت الصحيفة — ان اسعفتنى الذاكرة شخصية هيلاريوس Hilarius مجلد الكتب كما عانى « فيكتور ارميتا » من الخلود الذى وهبته اياه القرصان ! ولقد كتبت عنى يقينا من خلال مقال « مولر »لان « مولر » هو القرصان . والقرصان هو مولر . ومن ثم فان كاتبنا الرحالة أنهى زيارته الى سورو Soro بواحدة من تلك الهجمات البذيئة التى تشنها « القرصان » ضد الناس المحترمين ... »(١٥) .

وعندما قابل « جولد شميث » بعد ذلك بقليل اعترف له ان مقاله « نسف » مولر تماما لانه كان يطمح الى أن يخلف « اولتنشيجر » أستاذا لعلم الجمال فىجامعة كوبنهاجن. كما قدمنا لكن الأمل تبدد تماما عندما كشف كيركجور النقاب عن تعاونه مع « القرصان » . ورد فى « صحيفة الوطن » بمقال وصفه كيركجور بانه « مؤدب » : « فقد ضرب ضربته واختفى . ولا ادرى الى أين ذهب ... لكن منذ تلك اللحظة ظهر الأدب الرخيص بكثافة فى مكتب صحيفة القرصان »(١٦) .

---

(١٥) Quoted by W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 11, P. 350.

(١٦) W. Lowrie: op. cit., Vol. 2, P. 251 & A Short Life, P. 177.



The whole universe turns around S. K.
From the 'Corsair'
كيركجور فى المركز والكون كله يدور حوله !
نقلا عن صحيفة القرصان



Soren Kierkegaard
Drawing by W. Marstrand
سرن كيركجور — بريشة و. مارشتراند

وجاء الرد سريعا ففى ٢ يناير ١٨٤٦ ظهرت « القرصان » بمقال طويل عنـوانه « كيف اكتشف فيلسوف متجول محررا متجـولا للقرصان » : وفى المقال يظهر الاخ الساكت وهو يتناقش مع « صحيفة الوطن » .. ويقول لنا انه اكتشف المحـرر الحقيقى للقرصان ويدعوها الى ذبحه وذبح الصحيفة نفسها . والمقال مزين بصورتين كاريكاتوريتين لكيركجور ..

وتبع ذلك مقال آخر مزين ايضـا بالصور يتحدث فيهـا كيركجور الى الفيلسوف « هيبـرج ... Heiberg » والاسـتاذ القلق اى لفسن ... Olufsen حيث تظهر فى الصور لاول مـرة سراويل كيركجور القصيرة ويتهمه برفسور « اولفسن » بانه هو الذى امر الخياط بتفصيل سروال غير متساو فى طول رجليه فواحدة طويلة والاخرى قصيرة ! ثم بعـد ذلك تظهر فقرة بقلم الاخ الساكت يحذر فيهـا الناس من ان يقولوا له اسرارا ! وفى اليوم التالى يظهر مقال لكيركجور فى صحيفة الوطن « نهاية جدلية لمسائل الادب » يحتـوى على هجوم جـديد على « مولر » رغم انه لم يذكره بالاسم هذه المرة - ومن الآن فصاعدا تبدأ القرصان ، فى نشر مقالات وملاحظات ساخرة فى كل عدد عن كيركجور نفسه او عن احدى شخصياته المستعارة موضحة باستمرار برسوم كاريكاتورية ساخرة تصوره فى مواقف رمزية مختلفة مثل صورة له وهو يركب فوق فتاة صغيرة ليعلمها « او هو يمتطى صهوة جـواد او يستعرض قواته .. الخ وفى جميع هـذه الرسـوم الكاريكاتورية تستخدم جميع عيوبه الجسـدية وتشوهاته : تقوس ظهره ، ساقاه النحيفتان ، مشيته العرجاء ، سراويله التى اصبحت معينا لاينضب للتهكم والسخرية (حيث تبدو ساق أطول من الاخـرى) . وهكـذا اصبح كيركجور لعـدة سنوات شخصية معروفة شهيرة فى كوبنهاجن ! لقـد كان كيركجور من قبل معروفا فى المدينة الصغيرة (كوبنهاجن) لـكن احـدا لم يلحظ من قبـل أن سراويله غريبة الشـكل حتى أصدرت القرصان مقـالا عبارة عن اعلان فى ١٩ فبراير عام ١٨٤٦ تقول فيه ان مؤلف « اما .. أو » مستر « فيكتور الناسك » قد ربح جائزة « اتحـاد الصناعة » لمقـاله عن صناعة الملابس فى الدانيمارك ويضع المقال عبـارة صغيرة بمثابة شعار تقول : « اننا نعرف من تجاربنا انه اما ان تكون ساقا السراويل متساويتين او ان تكون واحـدة اطول من الاخرى » . ! فاصبحت العبارة نكتة يتندر

بها الناس حتى أن كل من يقابل كيركجور فى شوارع المدينة لابد أن يحدق فى سراويله ! وأطلق على الاحداث فى الشارع اسم « سورن » او « اما .. او » ، وكانت الام التى تريد ان تربى ابنها او تنهره أو تشتمه أن يكون مهذبا تقول له : « لا تكن سورن »(١٧) . وكانت المربيات يرسلن الاطفال ليسالوه عن الساعة ويقلن لهم تأملوا سراويله : مرة على سبيل السخرية والمزاح . ومرة اخرى على سبيل التربية والتهذيب : وكثيرا ما كان يعود منهكا من نزهاته القصيرة سواء بالعربة أو سيرا على الاقدام فيتجمع حوله حشد من الناس وهم يضحكون مشيرين الى سراويله : وحتى اذا ذهب الى الكنيسة لا يتركوه فى سلام ! ولقد بلغت الامور حدا من السوء جعل الخياط الذى يفصل له سراويله فى غاية القلق خشية ان يفقد عملاءه ولذا فقد رفض أن يفصل له شيئا بعد ذلك ! أيكون غريبا بعد ذلك أن يكره « الجماهير » . ويتفر من « الحشد » ، ويتحدث باحتقار عن « الرعاع » و « السوقة » و « الدهماء » : و « البهائم البشرية » .. أولئك الذين يضايقون الأخرين كالذباب .. ؟ !(١٨) .

ايكون غريبا أن يشعر أنه « الأوحد » و « الفريد » و « المستثنى » و « الخارق للعادة » ؟ وانه شهيد يبصق الشعب على وجهه لأنه لم يهبط الى مستواه ؟ ! أيكون غريبا أن يسهب فى الحديث عن نفسه كعبقرية فريدة : لانظير لها بين المعاصرين ، وكشهيد للحق ، وأن يجد العزاء فى أنه كان « ذبيحة للآخرين » . وانه ضحى بنفسه لكى يتقدم الفكر ؟ . « من الناس من تكون مهمتهم أن يكونوا ذبيحة للآخرين بطريقة أو باخرى حتى يجعلوا الفكر (أو المثل الاعلى Ideal) يتقدم . وأنا بوصفى الخاص أحد هؤلاء الناس »(١٩) . فذلك هو الالم الخاص « بالأوحد » الذى عرفه السيد المسيح بكل مرارته . الم ذلك الذى جاء لكى يحب فكرهه الناس !(٢٠) مفارقة غريبة وكم فى الحياة من مفارقات !

ويرى « هولنبرج » أن كيركجور قد اكتسب من هذه التجربة معرفة

---

(١٧) W. Lowrie: A Short Life, P. 23.
(١٨) S. Kierkegaard: The Journals, P. 212 (Oxford).
(١٩) Ibid, P. 490.
(٢٠) J. Wahl: Etudes, P. 36.



كيف يدخل التهكم الى باب الرعب وكيف يخرج منه مرة أخرى بهدوء !

(نقلا عن صحيفة القرصان)



« الأخ » يفسح الطريق أمام سيدة فى المدينة !

(نقلا عن صحيفة القرصان)



كيركجور يهدى واحدا من كتبه الى أحد المعجبين

(نقلا عن صحيفة القرصان)

افادته عن الطبيعة البشرية فقد اكتشف مثلا انه هو وحده الذى كان يقترب من هؤلاء الساخرين على نحو مباشر بان يسالهم عن وقود ليشعل سيجارته فيشطرهم بذلك الى ان يغيروا من لهجتهم ويكونوا اكثر أدبا واحتشاما ! : « فلقد كنت أؤدى لهم خدمة عندما اسالهم ان يشعلوا سيجارتى » ! كما انه تحقق من ان سخريتهم هذه ليست سوى دفاع حقيقى من جانبهم ضد تفوقه عليهم ، وانه عندما يقابل هذه السخرية بكلمة لطيفة تتحول هذه السخرية فى الحال الى ادب ولطف ومجاملة لان الساخر فى هذه الحالة (عندما يكون كيركجور لطيفا معه) انما يشاركه شعورة « انه يشعر كما لو كان شريكا فى عظمتى ! »(٢١) .

والحق ان كيركجور عانى كثيرا من هذه التجربة المريرة ، وأحس بالام نفسية عميقة لانه لم يكن يرد سوى « الامانة » فقابلته الجماهير بجحود عجيب ! لقد احب الناس ودافع عنهم ولم يشكروه ولم يحاولوا قط أن يفهموا الدور الذى يقوم به : « ان الامر الذى يجعل وضعى فى الحياة العامة اكثر صعوبة من اى شىء اخر هو أن النـاس لاتستطيع أن تفهم ما أصارع من اجله ولا أن تدرك ما اناتل بشأنه ! وعلى العكس نرى الغالبية العظمى تقول ان الوقوف فى وجه الجماهير لغو فارغ تماما لأن الجماهير هى الاعداد الغفيرة . هى الجموع . وهى نفسها قوى الخلاص ! فهم عشاق الحرية الذين سيكتب الخلاص على يدهم . الخلاص من الملوك والبابوات والحكام الطغاة ... لكن الناس لاتعرف ان مقولات التاريخ قد تغيرت وان الجماهير قد اصبحت الان الطاغية الوحيد القائم وانهـا اساس كل فساد ... »(٢٢) . ويشعر بكثير من المرارة أن احدا لا يهتم بما تفعله معه هذه « الجموع » وما تبديه نحوه من سخرية « ان الناس تلتفت اذا ماوجه الملك او صاحب السلطان ، اللوم الى هذا الانسان أو ذاك من اجل اخطاء تافهة فتجد الكل يتعاطف معه ويعتبرونه شهيدا . أما الرجل الذى يضطهد من الناحية العقلية وتعامله الجموع معاملة سيئة وتهينه الجماهير كل يوم بما لدى الرعاع والدهماء من غباء ووقاحة وفضول ، فلا احد يهتم

Quoted by Hohlenberg: op. cit., P. 17. (٢١)

S. Kierkegaard: The Journals, P. 123 (Fontana). (٢٢)



سرن كيركجور بريشة و· مارشتراند
(نقلا عن القرصان)



ب· ل· مولر وس· كيركجور
(نقلا عن القرصان)



كيركجور وعصاه
(نقلا عن القرصان)

به ولا أحد يحرك ساكنا وكانما كل شيء يسير على ما يرام ا(٢٣) . ثم يستطرد قائلا : « لهذا فانني لا اشك قط في أن التضحية هنا ضرورية بل لابد أن يكون هناك ضحايا كثيرة يقدمون انفسهم للناس حتى يدركوا أن الموقف هنا مختلف أتم الاختلاف عن الثورة ضد البابوات والملوك ..»(٢٤). لكنك تجد وسط هذه التجربة المريرة التي مر بها كيركجور اشياء « غير معقولة » وأمورا يصعب تفسيرها على نحو ما تجد في بقية احداث حياته ولهذا تراه يقول : « من واجب الفهم البشرى أن يفهم ان هناك امورا لا يمكن أن تفهم ! وأن يعرف ما هي هذه الامور ! لكن الفهم البشرى لايشتغل نفسه . وعلى نحو مبتذل . الا بما يمكن أن يفهم مع انه لو اجهد نفسه قليلا لاعترف بالمفارقة .. »(٢٥) . فكما لو كانت هناك « قوة عليا » استخدمت هذه المعركة لتضع كل انسان في مكانه الصحيح الذي كان ينبغي أن يوضع فيه . فلاشك أن نتائجها كانت قاسية لكيركجور لكنها كانت قاتلة للشخصيتين الأخريين الأولى هي شخصية ب. ل. مولر الذي فقد كرسي الجمال في الجامعة بعد أن كان مرشحا لشغله وفضلا عن ذلك فقد شعر بضعف موقفه الشديد حتى أنه غادر البلاد الى باريس ولم يعد اليها أبدا . فقد مات في فرنسا بعد حياة مذلة مهينة لايصاحبه فيها سوى سيدتين من صديقاته(٢٦) .

أما الشخصية الثانية فهي « جولد شميث » صاحب ومؤسس صحيفة القرصان الذي يقلع عن هذا العمل نهائيا ويصبح كاتبا وناشرا للدوريات ! والغريب أن علاقة جولد شميث بكيركجور كانت في بدايتها جيدة جدا وكثيرا ما التقى الرجلان في الشارع وتبادلا احاديثا وديه للغاية وكان كيركجور يصفه في يومياته بأنه : « ذكي ولماح ولا يخلو من موهبة » . وظلت العلاقة بينهما علاقة احترام متبادل حتى في الفترة الاولى من المعركة . لكن الصراع هبط الى درجة مسفة لايستطيع كيركجور ان يهبط اليها لأنه ،

---

(٢٣) S. Kierkegaard: The Journals. P. 123-124.

(٢٤) Ibid, P. 124 (Fontana).

(٢٥) Ibid, P. 117.

(٢٦) W. Lowrie: S. Kierkegaard Vol. 11, P. 350 & A Short Life of S. K. P. 179.

بالقطع . لايستطيع أن يناقش ما تقوله القرصان لانه اصلا لايناقش : فماذا يقول عن زيه ، وشكله ، وأنفه ، وعموده الفقرى ، ومشيته ، أو سراويله أو عصاه .. الخ ؟ ! امور ليس فيها ما يناقش . ولهذا فان جولد شميت يخبرنا انه عندما التقى مصادفة بكيركجور فى الطريق ... اليه الاخير نظرة فيها الكثير من المرارة والحدة مع الكبرياء دون أن يحييه أو ينطق بكلمة(٢٧) . ويروى « جولد سميت » أنه منذ تلك اللحظة قرر أن يقلع عن اصدار صحيفة « القرصان » على ما كان فى هذا القرار من تضحية كبرى ! وفضلا عن ذلك فقد اعتزل العمل تماما فى ٢ اكتوبر ١٨٤٦ وسافر الى الخارج وعندما عاد الى الدانيمارك فى ديسمبر ١٨٤٧ اصدر دورية أطلق عليها اسم « الشمال والجنوب »(٢٨) .

اما بالنسبة لكيركجور فقد كانت النتيجة سيئة ايضا بل اسوأ مما كان يتوقع ، ولم تكن المشكلة ان جولد شميت هاجمه هجوما قاسيا استمر نحو عام ، بل كانت المشكلة الكبرى انه لم يكن يستطيع الدفاع عن نفسه . لايستطيع أن يدخل ، فكما ذكرنا ، فى نقاش علنى حول أرجل سراويله وهل هما بنفس الطول حقا أم أن واحدة أطول من الاخرى ! ولهذا فقد عاد الى التقوقع على نفسه صابا فى يومياته مشاعره وانفعالات فى تدوينات قصيرة لكنها عنيفة كالشلالات : فيها الغضب والسخرية والمرارة والتهكم وجعل عنوانها « جدل الاحتقار » أو « أدب الاحتقار » أو « اشارة دهشة » ، « نتيجة حادة فى مسائل الأدب » ، « سوء طالع الدانيمارك فى الداخل : هل هو واحد فقط حقا ؟ » ! ومقالات أخرى كثيرة لم يطبع منها شىء قط فى حياته ، لكنها نشرت فى يومياته بعد وفاته .

لم يكن هناك عزاء فى هذه الفترة القاتمة من حياته سوى بعض الزيارات القليلة للملك كريستيان الثامن Christian VIII والغريب أن كيركجور لم يسجلها فى يومياته الا بعد ذلك بسنوات طويلة (وان كان قد حرص على أن يكتب للملك رسالة يطلب فيها معاشا ـ لكنه لم يرسلها !) . ويبدو أنه لم يكن موفقا فى كل أحاديثه مع الملك ، ففى

---

(٢٧) W. Lowrie: A Shodt Life P. 178.

(٢٨) J. Hohlenberg: op. cit., 175.

احـدى المرات ، على سبيل المثـال ، كان الفيلسوف يضع الشـروط التى ينبغى أن تكون فى الملك فقـال : « كثيرا ما فـكرت فى الصفات التى ينبغى ان تتوافر فى الملك ، وانتهيت الى ما يأتى :

أولا : من الافضل أن يكون الملك قبيحا .

ثانيا : ينبغى أن يكون ضريرا ، وأن يكون اصم ـ أو على الاقل أن يتظاهر بذلك ... واخيـرا ينبغى الا يكثر الملك من الـكلام » فضحك الملك كثيرا وهو يقول : « وصف رائع للملك ! »(٢٩) .

ثانيا : الصراع مع الكنيسة :

أدت تجـربة كيركجور المريرة مع القرصان الى احتقاره « للجموع » و « الدهماء » ، كما زادت من انعزاله وبعده عن الواقع وتقوقعه على نفسه لشعوره أنه مختلف عن الجميع فهـو « منفـرد » و « مستثنى » ... الخ . لكن ما هو أهم من ذلك أن هذه التجربة دفعته أكثر الى حظيرة الدين حيث بدأت تختمر فى ذهنـه أفكارا عن دوره الحقيقى ، وعن المهمة التى تنتظره والتى سيكون فيها ، كالسيد المسيح ، المستثنى والخارق للعـادة فهاهنا سيكون صراعه مع الكنيسة القائمـة وهـو صـراع سـوف يستمر حتى مـوته ... !

وكما كانت قصته مع « مولر » مقـدمة لصـراعه مع القرصان ، فقد كانت قصته مع « أدلر » تمهيدا لصـراعه مع الكنيسة ، فقد شغلته ، لمدة ثلاث سـنوات متواصلة ، مشـكلة قسيس جزيرة « بورنهوم ...... Bornhem »(٣٠) ، واسـمه .. أدلف بطرس أدلر A. Peter Adler الذى نشر عام ١٨٤٣ مجموعة عظات صدرها بمقدمة روى فيهـا أنه فى ديسمبر ١٨٤٢ ظهر له السيد المسيح فى احـدى الليالى حيث سمع صوتا خافتا فى غرفة نومه ، واذا بالسـيد المسيح يأمره بأن ينهض ليـكتب ما يمليه عليه ، ثم أمـره السيد المسيح بعـد ذلك بحرق بعض الكتابات التى

---

(٢٩) W. Liwrie: A Short Life, P. 191.

(٣٠) واحدة من الجزر الدانماركية الست فى بحر البلطيق .

كان قد كتبها حول فلسفة هيجل ، وأوصاه الا يبتعد فى المستقبل عن الكتاب المقدس ، ثم يستطرد « أدلر » فيسوق جانبا من عظاته : « التى كتبها بفضل السيد المسيح الذى كان يعمل معى حتى أننى لم اكن فيها سوى اداة فحسب » !(٣١) وقد أثارت هذه الكتابات حفظية الكنيسة التى رأت ان المسيح لا يظهر الا للرسل وحدهم ومن ثم أحالت « أدلر » الى التحقيق ثم الى التقاعد بمعاش سنوى ابتداء من ١٨٤٥ · لكن الرجل نشر بعد ذلى جميع الوثائق بما فيها الاسئلة التى وجهتها اليه السلطات الكنسية العليا مع ردوده عليها . واخيرا نشر فى يونيو ١٨٤٦ ثلاث كتب حول موضوعات لاهوتية مع بعض القصائد ·

وفى ربيع عام ١٨٤٦ اثناء عودة كيركجور من رحلة قصيرة الى برلين لم يستغرق سوى اسبوعين ، اشترى كل ماكتبه « أدلر » حول هذا الموضوع ، وماكتبه غيره فى هذه القضية وانشغل بدراستها ثلاث سنوات ثم كتب مسودة « الكتاب الكبير حول أدلر » ولم ينشره ، ثم أعاد كتابته مرة أخرى لكنه لم ينشره أيضا ، وعثر عليه بين أوراقه لانه فيما يبدو كان يوضح فكرته عن دوره ومهمته وموقفه من الكنيسة القائمة(٣٢) ·

ولعل انشغال كيركجور « بقضية أدلر » يرجع الى أنها ليست مقطوعة الصلة بصراعه مع القرصان الذى كان من نتيجته اهتمامه بدراسة موضوع الفرد والمستثنى ، والعلاقة بين « الفرد والعام » وما ينبغى أن يقوم به « الفرد » لاسيما اذا كان صاحب رسالة دينية فى مواجهة الجماهير والنظم القائمة التى يريد تغييرها · ان الفرد المستثنى ينبغى عليه ألا يخضع للنظام القائم ، بل على العكس ، عليه أن يقطع علاقته بهذا النظام مادامت له رسالة سيقوم بها ، ومادام لديه جديد يريد أن يقوله ومادام يريد أن يسهم فى دفع الناس الى الاصلاح ، فاذا كان هذا الفرد مصلحا حقيقة فان عليه ان يتوقع باستمرار أن يسلط السيف على رقبته وأن يتهدده الخطر بصفة مستمرة · وهذا ما لم يفطن اليه « أدلر » الذى تراجع عن موقفه مما يؤكد أنه ليس مصلحا وأن تجربته مع المسيح ليست

---

(٣١) · Quoted by J. Hohlenberg: op. cit., P. 188.

(٣٢) W. Lowrie: A. Short Life of S. K. P. 192-193.

حقيقية لأنها لو كانت كذلك ، اعنى لو اتحدت ارادته مع ارادة الله لاستحال عليه التراجع ! وهنا يذكرنا كيركجور بالعادة التى جرت عليها قبائل الغال قديما ورواها عنهم « يوليوس قيصر » وهى انه عندما كان يريد واحد منهم أن يقترح فكرة جديدة ، فقد كان عليه أن يتقدم بها وهو يلف حول رقبته حبل المشنقة تعبيرا عن استعداده لان يشنق فى الحال اذا ثبت بطلان فكرته أو عدم صلاحيتها ! وهكذا يكون الفرد المستثنى صاحب الرسالة على استعداد للتضحية بلا حدود !

ولقد ادت به هذه التاملات الى دراسة الفروق والاختلافات الكيفية بين العبقرى والرسول وكتابة بحث صغير حول هذا الموضوع الذى سوف نعرض له فى فصول قادمة — ومن ناحية اخرى تساءل كيركجور عن السبب الذى حدا بالكنيسة الى فصل ادلر ؟ ! لقد نشأ وعمد فى العالم مسيحيا بحكم مولده فحسب ! ثم درس اللاهوت ونال فيه درجة علمية واصبح قسا مسيحيا والى هذا الحد كان منسجما مع النظام الكنسى القائم ، لكنه فى اللحظة التى اهتز فيها دينيا ،وأصبح قاب قوسين أو أدنى من أن يكون مسيحيا حقيقيا ، عندما أصبح يعيش المسيحية فصلوه : يالها من مفارقة عندما كان وثنيا عين قسا مسيحيا ، وعندما اقترب اقترابا مباشرا من المسيحية فصل ! هنا يلتفت كيركجور لأول مرة الى مغالطة سوف يكرس لها بقية حياته وهى اعتبار كل فرد مسيحى لمجرد أنه ولد وعاش فى عالم مسيحى ! وشرع يدرس الموضوع كله بغية مهاجمة الكنيسة القائمة بل وصورة العالم المسيحى كما عرفه ، ذلك العالم الذى يستطيع فيه المرء أن يكون مسيحيا ، بل وأن يصبح قسا ، دون ان تكون له أدنى درأية ولا أدنى فكرة عن المسيحية ، ومن ثم فمن المهم أن نعرف كيف يمكن للمرء أن يصبح مسيحيا ؟ ! ولقد كانت هذه الموضوعات الاساسية الثلاثة :



حـــذاء كيركجور
نقلا عن صحيفة القرصان
S. K.'s boots
From the 'Corsair'



S. K. trainig a girl
From the 'Corsair'
كيركجور يعـلـم فتاة
نقلا عن صحيفة القرصان



Sören Kierkegaard on horseback
From the 'Corsair'
كيركجور ممتطيا صهوة جواده
نقلا عن صحيفة القرصان

١ ــ الفرق بين الفرد العادى والمستثنى .

٢ ــ الفرق بين العبقرى والرسول .

٣ ــ التناقض بين العالم المسيحى والمسيحية ــ هى الموضوعات التى خرج بها كيركجور من تأمله وتعمقه لشخصية ادلر ، وهى موضوعات تمثل الاساس الذى اقيمت عليه بقية اعماله فى حياته المقبلة .

وفى السنوات الثلاث من ١٨٤٨ حتى ١٨٥١ وصل كيركجور الى تصور واضح عن مهمته التى ارتأى انها المطالبة بتحقيق الشروط الاساسية للمسيحية وهو أن تكون حياة الواعظ مطابقة لوعظه . وشيئا فشيئا بدا يشعر انه هاهنا تكمن التهمة التى ينبغى عليه ان يوجهها الى معاصريه . فالناس لايزالوا قانعين بالذهاب الى الكنيسة كل يوم احد والاصغاء بهدوء لمدة ساعة الى القسيس الذى يتحدث عن دور المسيحى وكيف انه ينبغى عليه ان يكون على استعداد للتضحية من اجل المسيح ، ثم تراهم يشكرون الله بقية الاسبوع لان هذه التضحية ليست مطلوبة ! وان كان هناك من يستحق اللوم اكثر من غيره فهم القساوسة الذين زيفوا المسيحية وبدلوا فى عقيدتها حول الموت والشهادة لتصبح اهتماما بهذا العالم ، وسعيا وراء وظيفة ، واقامة حياة رغيدة ، فالالاف من هؤلاء القساوسة حصلوا على مناصب وكونوا اسرا ، ونعموا بالحياة مع أطفالهم وزوجاتهم ، فوظيفة يوم الأحد التى يتحدثون فيها عن عذاب القديسين ، ويكرزون بالمسيح مصلوبا ، وبالرسل مضطهدين : تمكنهم من أن ينعموا بحياة هادئة مع أولادهم ثم بمعاش ثابت بعد التقاعد ! وهكذا يتضح لكيركجور بالتدريج ان المسيحية لم تعد موجودة وأن هذا العالم المسيحى بما فيه من مناصب دينية ، ودعم للدولة ، وقساوسة وملايين من المسيحيين ، ليس الا سخرية وقحة اذا ماقسناه بمقاييس المسيحية الحقة ! انه عملية استخفاف بالله ! واذا كان الجيل كله قد نسى ما هى المسيحية ، فمن الضرورى أن تعلن المسيحية مرة أخرى بكل اصالتها وقوتها الاولى . وبالتدريج راح يشعر انه لا احد يستطيع القيام بهذه المهمة الا هو وحده ، وأن حياته الماضية كلها لم تكن سوى اعداد وتمهيد لهذه المهمة !(٣٣) .

لكن احترامه للمطران مينستر [illegible] Mynster ، كبير الاساقفة ،

---

(٣٣) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 205-206.

حمله على تأجيل الصراع سنوات عديدة . لأنه عضد « ميتسنتر » ووعظه ووعظ اباه فكيف يتحدى الانسان الوحيد الذى يهابه بعد موجها واباه ؟ !



Bishop H. L. Martensen الاسقف هـ . ل . مارتنسن



Sören Kierkegaard's grave قبر كيركجور

توفى مينستر Mynster فى ٢٠ يناير ١٨٥٤ ودفن فى احتفال مهيب وبعد ذلك بأيام قلائل وقف خليفته « مارتنسن Martensen ليصف الفقيد بأنه : « كان شاهدا على الحقيقة . فمن عنده يرتد تفكيرنا القهقرى الى خط الشهود على الحقيقة كلهم . وهو خط يمتد كالسلسلة المقدسة عائدا الى عصر الرسل ! » . لكن كيركجور لم يحرك ساكنا ! ثم افتتح اكتتاب عام لكى يسهم الناس بالتبرع لاقامة نصب تذكارى تخليدا لذكراه . وكيركجور لايحرك ساكنا ! وعين « مارتنسن » كبير أساقفة خلفا له . وكيركجور لايزال صامتا ! لكنه كان يقف واصبعه على الزناد الذى انطلق بعد عشرة شهور عندما دفع الى النشر بمقال فى « صحيفة الوطن » كان قد كتبه بعد خطبة مارتنسن » مباشرة(٣٤) . وجعل عنوانه « أكان المطران مينستر شاهدا على الحقيقة ؟ أصحيح أنه واحـدا من الشهود العدول على الحقيقة ؟ ! » وفى هذا المقال شرح كيركجور معنى « الشاهد على الحقيقة » وكيف أنه طراز رفيع من المسيحيين العظام وان « مينستر » كان بعيدا جدا عن هذا المثل الأعلى : « الشاهد على الحقيقة هو رجل كانت حيـاته من بدايتهـا الى نهايتها مقطوعة الصلة بكل ما نسميه بالمتعة .... الشاهد على الحقيقة يعانى من العذاب طوال حياته ! » ويستطرد كيركجور ليبين ان « الشاهد على الحقيقة يسىء الناس الحكم عليه . ويكرهونه ويمقتونه ويسخرون منه . ويحتقرونه . ويهينونه . ويعاملونه معـاملة سيئة . لايملك قوت يومه . يخرج من سجن الى سجن ثم فى النهاية يصلب . أو يعدم أو يحرق . وقد لايدفن وانما يطرح فى العراء . وتتحول جثته الى ذرات تذروها الرياح فى أركان الأرض جميعا ! ولك أن تقارن ذلك كله بمسيحية « مينستر » الناعمة وما كان فيها من استمتاع بالحياة !

ظهر المقال العنيف فاصاب بالشلل معظم الناس فلم يعرف أحد ماذا يقول ! لكن بعد أسبوع ظهر مقالان غفلا من التوقيع يحملان نغمة تهكمية

---

(٣٤) يقال ان فتـرة الانتظار كانت بسبب الاضطرابات الداخلية فى الدانيمارك . ولان كيركجور كان يريد أن يكون الجو ملائما للهجوم . كما انه لم يكن يرغب فى تصنيع الفرصة على مارتنسن فى التعيين كبيرا للاساقفة فلما تم تعديل الوزارة فى الدانيمارك واستقرت الأوضاع السيـاسية فى الداخل . فضلا عن تنصيب مارتنسن كبيرا للاساقفة خلفـا لمينستر بدأ كيركجور فى الهجوم . قارن هولنبرج فى كتابه السالف الذكر .

تسخر من كيركجور وتذهب الى انه يفتقر الى الجدية أو أنه مجنون أو هما



Johan Ludvig Heiberg
جوهان لودفيج هايبرج الفيلسوف
الهيجلى الذى اذاع الهيجلية فى الدانيمارك



المطران ج· ب· مينستر Bishop J. P. Mynster

معا ــ ومع ذلك فلم يكن هناك أحد يتوقع العاصفة التى تتجمع فى الافق !

رد الاسقف « مارتنسن » محاولا ابراز جانبين :الاول أن كيركجور قد أعطى معنى واحد لتعبير « الشاهد على الحقيقة مع أنه يختلف باختلاف العصور ولا يستلزم أن يكون هذا الشاهد شاهدا على الدماء وحدها ! والثانى أنه حاول أن يثير الشكوك فى دوافع كيركجور وأن يقلل من أهميته كمؤلف واصفا مقاله بأن « مقال قذر » ! متهما اياه بخيانة البنوة تجاه والده . ثم راح يتحدث باحتقار عن مسيحية كيركجور « الخاصة » التى تبحث عن المسيح فى الصحراء بدلا من أن تبحث عنه فى الكنيسة والتاريخ !

غير أن كيركجور واصل مقالاته فى صحيفه « الوطن » دون أن يلتفت الى هذه الهجمات ــ واتسع نطاق الصراع شيئا فشيئا فبعد أن كان قاصرا على على المطران « مينستر » وحده امتد ليشمل الكنيسه القائمة كلها » : اذ لو كان المطران مينستر شاهد عدل الحقيقة لكان كذلك كل قسيس ولكانت الكنيسة القائمة عندئذ على جانب كبير من الوقاحة ! » . وفيما بين ١٨ ديسمبر ١٨٥٤ و ٢٦ مايو ١٨٥٥ كان كيركجور قد كتب احدى وعشرين مقالة صحيفة على جانب كبير من العنف ، تحول الى الهجوم على الكنيسة الرسمية والمسيحية القائمة بصفة عامة عندما كتب أحد القساوسة ــ « فيكتور بلوخ .. Victor Bloch ــ » فى ٢٤ ابريل ١٨٥٥ مقالا فى صحيفة الوطن قال فيه انه مادام كيركجور قد أدان الكنيسة وهاجمها ، فان على الكنيسة بدورها أن تغلق أبوابها فى وجهه ، فكتب كيركجور مقاله الشهير « : هذا ينبغى أن يقال ، فلنقله اذن . » ! قال فيه انه لايقلق من تهديد « بلوخ » فقد ودع الكنيسة منذ زمن طويل ! ثم كتب مقالا آخر عنوانه « حكم المسيح على الكنيسة الرسمية ، لخص فيه كيف تطورت معركته مع الكنيسة ــ واقترح على القساوسة أن يكتفوا يوم الاحد بقراءة آيات انجيل متى التى تقول : « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراءون لأنكم تبنون قبورا للأنبياء .(٣٥)..» وأيضا من انجيل لوقا » : ويل لكم لانكم تبنون قبور الانبياء وآباؤكم قتلوهم(٣٦) .. ثم يصمتون خمس دقائق ثم يواصلون الصلاة دون تفسير لهذه الآيات لأن الجمهور سوف يفهم من المقصود بها !

---

(٣٥) انجيل متى ٢٣ : ٢٩ ــ ٣٣ .
(٣٦) انجيل لوقا ١١ : ٤٧ ــ ٤٨ .

ثم تطورت المعركة حتى أصبحت المقالات لاتسعفه فأصـدر صحيفة خاصة أطلق عليها اسم « اللحظة » : « لقد سميتها باللحظة لكنى لاأعنى بذلك شيئا عابرا زائلا . كلا . لقد كانت . وهى بالفعل . شيئا ابديا . شيئا للمثل العليا . وضد جميع الاوهـام(٣٧) .. وصدر العدد الاول فى ٢٤ مايو ١٨٥٥ واخر عدد فى ٢٤ سبتمبر من نفس العام اى أن الاعداد التسعة منها صدرت كلها فى حوالى أربعة أشهر . واحتوى كل عدد على سلسلة من المقالات المستقلة التى تعرض الفكرة بدقة وبقوة حتى لاتكون هناك فرصة لاساءة فهمه . ولم يقم بأية محاولة للمصالحة مع خصومه . فقد شعر أنه مثل القائد الذى استنفذ كل معاهدة أو مناقشة أو دعوة سلمية وعليه الآن أن يعلن الحرب التى لامندوحة عنها . وان يخوضها بكل قوة مهمـا تكن المخاطر وبغض النظر عن التضحيات . « انا على استعداد للقيـام بهذه المهمة الآن . ولقد ندمت ندما أبديا على اننى لم اقم بها من قبل . وسوف اندم ندما ابديا ايضا لو تركت نفس تهاب او تجفل .. ان الدولة بتعيينها ومساندتها لالف من القساوسة قد جعلت المسيحية مستحيلة . لقد اهتم القساوسة بألا يطلع النـاس على حقيقـة المسيحية لانه كلمـا زاد عـدد « الخراف » عندهم حصلوا على مراكز افضل ! ان كان القساوسة حقا شهودا على الحقيقة فينبغى أن تقطع عنهم رواتبهم وأجورهم . فهذا هو مايرتضيه الشاهد على الحقيقة بغير تذمر !(٣٨) .

ان اللحظة التى تتحد فيها المسيحية مع الدولة هى نفسهـا اللحظة التى تفقد فيها المسيحية وجودها . ومن ثم فـلا مبرر للدولة فى أن تحث الشباب على دراسة اللاهوت وأن تعدهم بأن تكفل لهم حياة طيبة ! وأكثر من ذلك أن تجعل منهم قساوسة يحلفون اليمين على الكتاب المقدس . وهو نفسه الكتاب الذى يقول للناس لاتحلفوا قط ! .(٣٨)ولايغفر للدولة أيضا أنها بتنصيبها للقساوسة قد قادت الناس الى الضـلال . وجعلتهـم يظنون أن مايقوله الموظفون الرسميون هى المسيحية الحقيقية ! انهـا ان أرادت أن

---

(٣٧) S. Kierkegarrd: Attack upon Christendom P. 79.

(٣٨) Ibid, P. 80.

(٣٩) يشير الى قول السيد المسيح « أما أنا فاقـول لكم لا تحلفوا البته » .. متى ٥ : ٣٣ .

تشعر حقا بالمشكلة فان عليها أن تعلن أن كل وعظ وكرازة بالمسيحية هو مسالة شخصية بحته وبالتالى تصدر قرارا بتنحية جميع القساوسة ! والا فانها تفسد المسيحية عندما تجعلهـــا وسيلة « لأكل العيش » وتجعل من القساوسة موظفين رسميين يقومون على خدمتها حتى انها لو رغبت فى عقيدة جديدة تقول أن القمر مصنوع من الجبن الاخضر لكان لها ما أرادت فليس عليها أكثر من توظيف قساوسة بمرتبات تزداد سنويا وسوف تجد لديها « الدين الجديد » الذى يقـــول ان القمر مصنوع من الجبن الاخضر بعد اجيال قليلة . وسوف يصبح عقيدة منتشرة فى جميع انحاء البلاد ! والحق أن الدولة قد جعلت من الكنيسة القائمة مؤسسة حكومية تكتفى بتصدير الناس الى الحياة الاخـــــرة : « لقد جعلت الدولة من القساوسة موظفين رسميين عندها . فكما أنها تقوم برصف الطرق . واقامة الجسور . وتنظيم مجارى المياة .. الخ فانها فى نفس الوقت اقامت مؤسسة مهمتهـا تقديم سعادة العالم الآخر بأبخس الاثمان ..(٤٠) احذروا القساوسة اولئك الذين يسيرون فى أردية طويلة . ويضعون زيا رسميا ويقلبون المسيحية الى ما يضـــاد ما أراده المسيح » ! « : تخلصوا من المسيحية الرسمية . واقتحوا الباب ليدخل الاضطهاد . تلك هى اللحظة التى ستعود فيها المسيحية الى الوجود ... « ان كان مانسميه بالقسيس . قسيسا حقا . فكلنا قساوسا ! ... » . « فى الكاتدرائيةالفخمة المحترمة يتقدم كبير القساوسةبوقار شديد امام جمهور الناس ليكرز بحماس متدفق شارحا نصوصا يختارها بنفسه — ولا احد يضحك ! وفى العدد « التاسع » من اللحظة كتب كيركجور يقـــول « القساوسة هم من أكلة لحوم البشـــر . والحق أنهـــم من ذلك الصنف الكريه » !

أصدر كيركجور هذه الاعداد التسعة من « اللحظة » متتـــابعة على وجه السرعة حتى انه لم يكن بين العدد والآخر أكثر من أسبوعين . وقد احدثت دويا هائلا فى كوبنهاجن .

فى البداية ثار كل انسان . تقريبا . ضد كيركجور بحنق عنيفين لتهوره فى الهجوم على كبير الأساقفه « الطران مينستر » . لكن عندما اتسع نطاق

(٤٠) Quoted by Jean Wahl: op. cit., P. 43.

الهجوم ليشمل الكنيسة القائمة كلها بدأ الناس يغيرون موقفهم لا سيما الشباب الذى شكل حلقات فى كل مكان لدراسة الاعداد التى يصدرها من « اللحظة » ويناقش ما فيها بانفعال شديد · أما رجال الدين فقد حاولوا فى البداية الرد على هجماته ثم بدأ صوتهم يخف تدريجيا حتى لزموا الصمت تماما : اما لأنهم شعروا بعدم جدوى الرد أو لأنهم شعروا أنه كان على حق فى كثير مما يقوله رغم ماقيه من عنف ومبالغة ! اما هو نفسه فقد كان يشعر ، داخليا ، باضطراب عنيف كما لو كان قد استدعى كل مالديه من « احتياطى » للدخول فى المعركة فى اللحظة المناسبة . قدراته العقلية مشحوذة ، ذهنه أشبه بالشعلة المتوهجة ، ملكاته النقدية تعمل بأعلى طاقاتها حتى أنه كان يطعن خصومه ولا يتركهم الا وهم رماد !(٤١)

ثانيا : وفاته :

فى يوم كان يعد فيه كيركجور لاصدار العدد العاشر والاخير من « اللحظة » سقط مغشيا عليه فى أرض الغرفة ، وظل بعدها أياما لايقوى على الحركة ولايستطيع التحكم فى خطوته ! ومرت هذه الحادثة وعاد الى مواصلة الصراع مع الكنيسة ، لكن فى ٢ أكتوبر ١٨٥٥ تكررت الحادثة لكنها كانت هذه المرة فى الشارع : فسقط مغشيا عليه ونقل الى مستشفى فردريك Frederiks Hospital حيث رقد حوالى شهر ثم مات ! والغريب أن أول عبارة قالها عند استقباله فى المستشفى : « لقد جئت هنا لأموت ! » · ولم يزره فى المستشفى سوى شقيقتيه وزوجيها واميل بويزن Emil Boesen صديق شبابه وقد كان قسيسا هو الآخر ، ولقد حاول أن ينتزع من كيركجور وهو على فراش الموت اعترافا بأنه عدل عن أفكاره التى أعلنها فى « اللحظة » أو أن يعلن على الاقل أنها كانت مبالغا فيها فقال له :

« لقد كنت قاسيا جدا ، أليس هناك ماتريد أن ترجع فيه مما أعلنت ؟! لا جدال أن طريق الخلاص ممكن أيضا عن طريق الكنيسة القائمة » · لكن

(٤١) جمع ولتر لورى W. Lowrie المقالات التى نشرها كيركجور فى صحيفة الوطن ، مع الأعداد العشرة من « اللحظة » وترجمها الى الانجليزية وأصدرها فى مجلد تحت عنوان بـ « مهاجمة العالم المسيحى » Attack upon Christendom

كيركجور لم تزحزح عن موقفه قيد أنملة بل أجاب : « أتريد أن تقول انه كان ينبغى على أن أخفف من حدة اللهجـــة ؟ ! لكنى كان ينبغى على أن أوقظ الناس . ثم لماذا نتحدث فى هذا الموضوع ؟ ! فعــاد بويزن يسأله : ألا تود أن تتناول من القربان المقدس ؟ فأجاب « نعم ! لكن ليس من قسيس واذا كان ذلك أمرا صعبا فسوف أموت بدون تناول ! ان القســـاوسة موظفين رسميين . والموظفون الرسميون لا علاقة لهم بالمسيحية ! » .

ــ أتريد أن تقول للناس شيئا .. ؟ !

ــ كلا ... ! نعم ! سلامى الى البشر جميعا ! لقد أحببتهم وحرصت عليهم كثيرا قل لهم ان حياتى كانت عذابا هائلا لم يعرفه ولم يفهمه الآخرون . ربمـــا كانت تبدو كبرياء وغرورا لكنها لم تك قط شيئا من ذلك . أنا لست أفضل من الآخرين . بذرة . ولقد قلت ذلك ولم أقل شيئا غيره قط . كانت عندى شوكة فى الجسد ولهذا لم أستطع أن أتزوج وأن أدخل فى العلاقات العادية المألوفة . ولهذا استنتجت أن مهمتى غير عادية . ولقد حاولت أن أقوم بهذه المهمة قدر استطاعتى »(٤٢) ...

وفى مساء الأحد ١١ نوفمبر ١٨٠٠ لفظ أنفاسه الاخيرة . وكما كانت حياته « مشكلة » ومهمته فيها اثارة « المشاكل » على حد تعبيره فقد كانت وفاته ودفنه مشكلة كبرى : لقد تحدد يوم الاحد التالى للوفـــاة ــ أى بعد أسبوع ــ موعدا لدفنه ولكن كيف يمكن للكنيسة أن تفتح أبوابها لرجل أعلن أن الدين الرسمى ليس الا استخفافا بالله ؟ ! لرجل قـــارن بين الكنيسة ومؤسسات الشحن والنقل التى ترسل الأرواح فى طـــرود معبأة الى الأبدية ؟ ولا تهرب من العار الا لسبب واحد هو أنها لاتعطى للناس « بوليصة شحن » تبعث بهم الى الآخرة ؟ ! وهل يمكن دعوة الناس الى حضور الحفل الذى تقيمه الكنيسة فى الوقت الذى أعلن فيه كيركجور أن المرء اذا امتنع عن الذهاب لى لكنيسة فانه بذلك يقلل عـــدد خطاياه ؟ ! وهل يمكن أن يقبل أحد القساوسة الصلاة على جثمانه وقد وصفهم بأنهم يكاذبون . حانثون .

---

(٤٢) قارن جان فال دراسات كيركجورية ص ٤٤ وص ٤٥ . ولورى مجلد ٢ ص ٥٨٥ وموجز لحياة كيركجور ص ٢٥٤ ــ وهوننبرج ص ٢٦٦ ومابعدها .

من أكلة لحم البشر ‥ » ومع ذلك فقد وافق القس ترايد Dean Tryde على القيام بهذه المخاطرة وأن يتولى اتمام مراسم الدفن دون ان يقول كلمة واحدة زيادة عن الطقوس لدينية المألوفة . ولم يتخيل احد أن الدفن سيمضى عاديا بغير اشكالات . او ان حياة كيركجوز ستنتهى كحياة غيره من الناس ولهذا توقع الناس أن يحدث شىء . وقد حدث بالفعل · اذ ظهر شاب طويل يرتدى سترة سوداء ، رافعا الكتاب المقدس فى يمينه وعددا من «اللحظة» فى يساره متقدما من القبر وهو يقول : « باسم الله ! لحظة واحدة ايها السادة من فضلكم . وحاول ترايد Tryde أن يحتج لكن الشاب لم يلتفت اليه ووقف الناس فى سكون تام وبدأ الشاب يتحدث : ـ

« أنا هنريك لند Henrik Lund ابن اخت الفقيد واعتقد ان لى الحق ان اقول كلمة . اننى ارتبط به بروابط الدم لكننى لازلت ارتبط اكثر بذكرى المحومة أمى الذى وجدت فيه وحده ملامح حية لها · لقد ارتبطت به سنوات عديدة برابطة الصداقة المخلصة كما ارتبطت به ايضا فى وجهة النظر والرأى وهى أقوى الروابط جميعا . لذلك كله اعتقد ان لى الحق ان اتحدث هنا ·

« هذا الفقيد الصديق . لم أسمع اليوم كلمة واحدة عن مؤلفاته وأراقه ، بل على العكس حاولت الخطبة العصماء المطلوبة ان تعطينا كل شىء ماعدا المهم · دعونا نفحص الآن وجهة نظره : مقالاته فى صحيفة الوطن وماتلاها من صراع مازال حيا فى الاذهان بحيث لا تدعو الحاجة الى تكرارها ولهذا ساكتفى بقراءة الفقرة من الكتاب المقدس التى تتفق فى اعتقادى مع آراء الفقيد ـ فى سفر الرؤيا ـ الاصحاح الثالث اية ١٤ ومابعدها تلخيص لكل آرائه ·

« واللحظات التى كان يصدرها ـ خذ مثلا العدد الثانى المقال السادس « كلنا مسيحيون » حيث ذهب الفقيد الى أنه لا يمكن ان يتجنب ان يدفن كمسيحى حتى ولو اعلن أنه ليس كذلك · أليس هذه العبارة صحيحة؟

---

(٤٣) ثم قرأ ايات طويلة فى هذا الاصحاح هى عبارة عن رسالة الى « ملاك كنيسة اللاودكيين » تعيب المواقف الفاترة ·

ألسنا نرى اليوم مايتطابق مع كلامه . هذه هى الحقيقة التى تشهدون عليها كلهم • هذا الرجل المسكين ــ رغم كل احتجاجه بالفكر . والكلمة . والفعل حيا وميتا ــ يدفن بمراسيم الكنيسة الرسمية كما لو كان عضوا محبوبا فيها ! ان ذلك يستحيل ان يحدث فى مجتمع يهودى ولا فى مجتمع اسلامى ان يقرر عضو من اعضائه التخلى عن عضويته فى هذا المجتمع ومع ذلك ينظر اليه على انه عضو فيه رغما عنه حتى بعد موتــه ! هذا الا ثم ترتكبه الكنيسة الرسمية . أيمكن أن تكون هى كنيسة الله حقا ؟ كلا ! لم تكن قط كنيسة الله أو جماعة مسيحية حقيقة . لقد خدمت شيطان الجشع من اجل المال أو ربما من اجل رصيد الاسرة ! لقد وضعت جانبا مملكة الله وخطه المستقيم بأن دفنت دون أدنى ضجة خصما عنيدا لها ! كلا ! انها تزعم أن الخصم عضو مخلص للكنيسة وتعامله على هــذا النحو ! فما هى هــذه الكنيسة اذن ؟ الا تكون كما وصفها الفقيد ارتدادا عن المسيحية ؟ ! انها فى الواقع « بغى كبرى ! » كمدينة بابل التى انغمست فى الفسوق والا ثم وارتكب معها كل ملوك الارض جريمــة الزنا . ومن خمــر الفسوق شرب كل سكان الارض(٤٤) • واليوم تضع يدها فى يد الفقيد وتدين نفسها من جديد عند ما تنظر اليه على انه مسيحى أعنى عضوا فى الكنيسة الرسمية •

« اننى أحتج بالنيابة عنه وبالاصالة عن نفسى . عن وجودنا هنــا لنشارك فى مراسم المسيحية الرسمية • لقد جىء به هنا ضد ارادته التى عبر عنها مرارا . لقد أرغم على ذلك . أما أنا فقد صحبته الى هنــا لكى أسجل ذلك فحسب . والا ماحضرت لا أنا ولا هو ! ••••• الخ »

كان الناس يستمعون اليه فى سكوت تام . وعندما انتهى من خطابه الطويل كانت هناك بعض دلائل الاستحسان . وظل الناس فى أماكنهــم ينتظرون مايحدث بعد ذلك • لكن لم يحدث شىء سوى أن القس ترايد Tryde ذكر « هنريك لند » أنه ممنــوع قانونا على أى شخص لم يرسم قسيسا أن يتحدث فى مثل هذه الظروف • ثم شعر النــاس بالبرد الشديد وملوا الانتظار فتفرقوا فى كل اتجاه •

---

(٤٤) رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٧ : ٢ . واصحاح ١٨ : ٢ ــ ٤ •

وكان لهـذه الأحداث نتيجة ماساوية : « هزيك لند » ظل فترة طويلة بعد ذلك يسيطر عليه فكر كيركجور ويشعر انه الوريث الروحى للفليسوف حتى أعلن انه سيكمل رسالة خاله ! وبعد اتمام الجنـازة بثمانية ايام نشر مقالا بصحيفة الوطن عنوانه : « اللحظة التالية ثم ماذا الآن ٠٠ ؟ حديث تهذيبى موصى به لمعاصرى » أعلن فيه سقوط كنيسة الدولة · لكن سرعان ما اتضح له · ولغيره · أن المهمة أكبر منه وان اقصى مايستطيع القيام به ان يكون صدى « اللحظة » الحقيقية ولهذا حاول فى لحظة يأس الانتحار بأن قطع شريانا من جسمه وعثر عليه أبوه فى غرفته بين الحياة والموت وكان · بالمصادفة · يقوم بزيارة · وشفى الشاب وعاش يعمل طبيبا فى بلدة قرب كوبنهاجن ثم أصيب بمرض عقلى وانتهت حياته فى النهاية بالانتحار أيضا وهو فى الرابعة والستين من عمره ·

أما فيلسوفنا فقد استقر فى مثواه الاخير بعد حياة قصيرة — اثنين واربعين عاما — لكنها حافلة بالاحداث والصراع · وعلى قبره كتبت — بناء على طلبه الابيات من شعر برورسن ··· Brorson

« لم تبق سوى لحظات قليلة ،

« وبعدها ، أظفر ··

« صراعى هنا على الأرض ، انتهى الى الابد ··

« وفى الفردوس ، فى عالم سلام لا نهاية له ،

« لن أكف عن الحديث ،

« مع يسوع ، كصديق ·· » ·(٤٥)

---

(٤٥) راجع شـرح هـــذه الابيات فى كتـاب جـان فال « دراسات كيركجوزية » حاشية (ص ٤٥ ·

الفصل السادس

كيركجور بين الدين والفلسفة والسياسة

« أنا لا أريــد الا الأمانة ، وحيثمــا تكون الأمانة ‥ أكون » .

كيركجور : اليوميات ...

« يقــوم الفساد الاساسى فى عصرنا على الغاء الشخصية . فلا أحــد يجرؤ أن تكون له شخصيــة بسبب الخـــوف الجبــان من الناس ، ومن هنــــا فان كل فــرد تتقلص « ذاتـــه » وتنكمش أنــاه فى مواجهـــة الآخــرين ‥ ! » .

كيركجور : اليوميات ...

الفصل السادس

كيركجور بين الدين والفلسفة والسياسة

الافكار التى عرضناها فى الفصل السابق حول صراع كيركجور مع القرصان والكنيسة (لا سيما مع الكنيسة القائمة) تثير تساؤلا هاما يجدر بنا مناقشته — هو : الا يعد كيركجور بذلك مصلحا دينيا — بل ومسيحيا على وجه التحديد من طراز « مارتن لوثر » ، و « جون كالفن » وغيرهما من رجالات المسيحية الذين حاولوا أن يعيدوا للمسيحية بساطتها الأولى وأن يطهروها مما علق بها من شوائب ؟ ثم السنا فى هذه الحالة نعود الى الاتفاق مع كاوفمان بعد أن عارضناه فى الفصل الأول ؟ !

على الرغم من أن الاجابة التفصيلية عن هذا السؤال سوف تستغرق الجزء الثانى من هذا الكتـــــاب الذى سنعرض فيه لفلسفة كيركجور من بدايتها فى « مفهوم التهكم » الى نهايتها فى — « الايمان والمفارقة » — فان علينا أن نجيب هنا بايجاز عن هذا السؤال الهام .

الحق أن كيركجور لم يكن مصلحا دينيا من طراز « لوثر » أو كالفن » هاله ماوصلت اليه الكنيسة فى عصره ، وأراد أن يعمل على اصلاحها وأن يعود بالدين الى نقائه الأول ، لكنه كان على العكس مفكرا ذاتيا من طراز « نيتشه » ، أو فيلسوفا دينيا مثـــل « بسكال » — وصل فى البـــداية الى مجموعة من الافكار الفلسفية ثم رأى شيئا فشيئا دوره الدينى فاعتقد فى نهاية حياته أن « مجـــال الدين » هو موضوعه الرئيسى ، وأن العناية الالهية قد انتدبته ليقوم بدور يتوج به تأملاته وأفكاره التى لم تكن تنصب قبل ذلك على شىء قط سوى وجوده الخاص ، اذ لم يكن تفكيره يخرج طوال حياته عن حدود خبراته الشخصية الضئيلة . لقد كان كيركجور مفكرا ذاتيا من البداية الى النهاية ، وصـــل عن طريق التفكير فى وجـــوده الخـــاص واستبطانه لذاته الى مجموعة من الافكار الفلسفية الخـــاصـــة التى تدور

حول « بنــاء الذات » وماهية الحقيقة ، وتصور خاص عن اليأس والقلق · أو الاثم ، والعلاقة بين النظر والعمل ، والعلاقة بين الله والانسان ، والفرد والجماعة ، وأهمية لكيف فى عالم الانسان حتى انه يتخذه معيارا لقياس الانسان الحق ، ولمعرفة الاختلاف الحاسم بين الله والانسان ··· الخ الخ ــ وطفق ينظر بمنظور هذه الافكار الى ماحوله من احداث وتيارات فكرية ومذاهب فلسفية ، وحركات سياسية واجتماعية ·· الخ ، فهاله ماوصل اليه المجتمع البشرى كله ــ لا سيما فى الدانيمارك (وان كان ذلك ينطبق أيضا على المانيا وأوربا بصفة عامة) من فساد وتزييف ، فليست المسألة قاصرة على التيار الهيجلى العاتى الذى يكتسح أوربا فيقضى على الفرد ، وعلى شخصيته البشرية ، ومحو الفروق الكيفية الاساسية بين الناس ، حين يجعل من هذا الفرد « رقما » فى جماعة ، مجرد فرد فى قطيع ، ويتحدث عن الانســـان « فى حين أن الموجود هو الفرد العينى الحى ، كذلك قضت التيـــارات السياسية المختلفة التى هبت تنادى بحرية الانسان وكرامته ومساواة كل فرد مع غيره ··· الخ واطلقت على نفسهــا اسم الحـــــــركات الليبرالية التحررية ، ــ قضت هذه الحركات أيضا على الفرد عندمــا نادت بحرية « الشعب » وكرامة « المجموع » ، وأهمية « الحشد » ــ فضاع الفرد وسط الزحام ·

فما يحدث فى الكنيسة اذن من قضاء على خصوصية الذات وعلاقتها الحية بالله ، ومافعلته الكنيسة فى « الفرد » عندما جعلته يقوم آليا بتأدية الطقوس الدينية مع جموع المصلين ، ويفعل ما يفعله « القطيع » ويخفى ذاته وشخصيته فى كيان مجرد اسمه الكنيسة فعلته الفلسفة (لا سيما الهيجلية التى راجت فى الدانمارك) ، وقــامت به الحركات السيــاسية اللبرالية التى أدت فى النهاية الى الانتقــال من النظـــام الملكى الارستقــراطى الى النظام الديمقراطى الشعبى : « فعند كيركجور أن ماحدث فى عالـــم السياسة فى العالم المسيحى يناظر ماحدث فى مجال الدين(١)يقول كيركجور

---

(١) Bruce H. Kirmmse: Psychology and Society; The Social Falsification of the Self in The Sickness Unto Death P. 186 (in Kierkegard's Truth: the Diclosure of the Self); ed. by J. H. Smith 1981.

ملخصا أسباب الفساد فى العالم المسيحى كله : « يقوم الفساد الاساسى فى عصرنا على **الغاء الشخصية** فلا احد يجرؤ ان تكون له شخصية بسبب الخوف الجبان من الناس . ومن هنـــا فان كل فـــرد تتقلص « ذاته » وتنكمش « أناه » تجاه الآخرين .

« رجل السياسة لايعرف ولايتعامل الا مع الجمهور ، انه لايستطيع — لاسمح الله ! ان يقول : « انا » فهو يتحدث دائما باسم الجمهور ، باســم الشعب .

« ونفس الشيء يحدث بالضبط فى مجال الدين . اذ نرى القساوسة يستغلون « الكنيسة » فى مساعدة الفرد للاختباء وسط القطيع . فما يرغب فيه الناس هو أن يعثروا على « تجريد » يحميهم بحيث يستطيع المرء ان يتجنب ان يقول « أنا » — تلك الكلمة التى اصبحت فى عصرنا أخطر الاشياء جميعا . وهذا التجــريد هو الكنيســـة وقد زخـــرفت وزينت لتكون هى « الشخص » ....(٢) .

وهكذا تضافرت جهــود الكنيسة مع رجال السياسة مع المفكرين على القضاء على الشخصية البشرية ومحو الفروق الفردية الكيفية بين الناس والاعلاء من سيطرة مايسمى بالشعب أو الجمـــوع أو القطيع وهـــم فى الحقيقة مجموعة من السوقة والدهماء يهمها جدا طمس الشخصية المتميزة، وهكذا تكاتف المجتمع كله لتزييف الذات ، ومن هنا كانت صرخة كيركجور الشهيرة : « كل شيء مزيف ! » .

كان كيركجور ، اذن ، يهدف الى انقاذ الشخصية البشرية من الضياع والى أن تسترد ذاتها ، وأن تستعيد خصوصيتها التى فقدتها وسط الجماهير، بين مايسمى بالشعب عند السياسيين ، وجموع المصلين ، ورواد الكنيسة عند رجال الدين . لكن الشخصية البشرية التى يحرص عليها فيلسوفنا هى الشخصية المتكاملة ، ومن هنا فقد ألح مرارا على ذلك الارتباط الوثيق بين « الفكر والوجود البشرى » بمعنى أن يكون الفكر وجوديا ، وهو ارتباط

---

(٢) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 352.

(٣) Quoted by R. Jolivet: Introduction to Kierkegaard P. 230.

ينبع من شخصيته هو ، ومن خبرته الذاتية نفسها فقد كان لايفكر الا فى وجوده الخاص ، ولايعيش الا أفكاره هو ، وهو يريد من الناس جميعا أن تفعل ذلك : « ان ماأريده ، وماأبحث عنه فى كل انسان أعجب به ، وفى كل شخص أعرفه معرفة حقيقية هو : الا يفكر بالنهار الا فى مقولات حياته ، وأن يحلم بها فى الليل .. » (٤)لكنك اذا مانظرت حولك وجدت انفصاما غريبا فى الشخصية من الطقوس الجامدة والشعائر الميتة لا اثر فيها للحياة ، فهذه العقائد فى واد وسلوك الناس فى حياتهم اليومية فى واد اخر . وذلك أن تنظر الى المتدينين جميعا سواء أكانوا من رجال الدين أو من أوساط الناس لتجد هذا الانفصام فى الشخصية ، فها هو المطران « مينستر » رئيس الكنيسة : « يقول كلمات وعظات هامة ، لكن فى الجانب الآخر من المتحدث أعنى حياته الخاصة ، كان حذقه يسعفه : وفيما بين ساعات الصمت والهدوء حيث يقف واعظا فى الكنيسة ، وبين حياته الشخصية يوجد صدع عميق ، لكنه كان يعرف ببراعته الفائقة كيف يحول موضوعيا ، دون أن يلتقيا ، وكيف يبقى باستمرار على وجود مسافة بينه وبين كل شىء .. (٣) .

وما يقال على كبير الاساقفة ، وقائد الكنيسة الذى يشبهونه بالقديسين والشهداء والرسل ، مع أنه فى حياته عاش مترفا يغرف بكلتا يديه من نعم الدنيا ، ولما مات ودعوه بالورود وزفته الموسيقى الى العالم الآخر – أقول ان كان انفصام الشخصية بارزا فى المطران مينستر فهو ظاهر كذلك عند رجال الدين جميعا ، فكل واحد منهم يعظ الناس بالزهد فى الدنيا ، والاقبال على التقشف ، والتمسك بالورع والتقوى من أجل الحياة الأخرى ثم يسارع لطلب الثمن والمكافاة على هذه العظات ! لاهم له فى الدنيا سوى الزواج وتكوين الاسرة وتأمين حياة أطفاله ، مع أنه يحرص يوم الأحد على تمجيد « العزوبية » لأن المسيح لم يتزوج ولا كان له ولد ، وكذلك فعل القديس بولس الذى فضل أن يكرس حياته لتعاليم المسيح يكرز بها ويبشر الناس ، ويدعوهم الى « العزوبية » (٥)– لاترى له أثرا بعد ذلك ، وليست تلك هى

(٤) S. Kierkegaard: The Journals (last years) P. 325.

(٥) قارن مثلا قوله : « أقول لغير المتزوجين والارامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ..» رسالة الى أهل كورنثوس ٧ : ٨ .

حال رجال الدين ـ من كبيرهم الى صغيرهم ـ فحسب ، لكنه الوضع الذى تردى فيه رجل الشارع أيضا الذى يذهب الى الصلاة لتأدية « الواجب » فحسب ، دون أن يحاول قط أن يعيش هذه الصلاة بالفعل ، دون أن يحاول مرة واحدة أن تتحول معتقداته الى سلوك وأفعال !

ان ما كان يحاربه كيركجور هو « انفصام الشخصية Schizophrenia » الذى يعنى أن تنقسم الشخصية البشرية على نفسها فتتحول الى شخصيتين مستقلتين داخل الشخصية الواحدة ومن هنا جاءت عبارته الشهيرة « كن ذاتك ، صر ذاتك » ان مايحاربه كيركجور هو هذا التدين الزائف الذى لا يشعر بحرج ، ولا يجد غضاضة فى اعتناق افكار ومعتقدات لاتتحول الى سلوك ، واقوال لاتصدر افعالا ، بل تراه على العكس يحمد الله كثيرا انه لاينفذ هذه المعتقدات ، وأنها ليست مطلوبة عمليا ومن هنا تراه يعيش فى عالمين منفصلين يروح ويغدو من الواحد الى الآخر فى سهولة ويسر ‥ « الرجل فى عالمنا المسيحى المعاصر يذهب الى الكنيسة كل يوم احد ، ويستمع الى رجل الدين ويفهمه ، اجل ! ان كلا منهما يفهم الآخر . وهو عندما يموت سوف يتولى القسيس ادخاله الى السعادة الابدية بعشرة دولارات ـ مع انه لم يكن ذاتا قط ، ولم يصبح ذاتا قط(٦) » أعنى أنه لم يعش كما ينبغى للذات البشرية فيمارس حريته ، ويختار ، وينتقى ويرفض ، وتكون افعاله وسلوكه وتصرفاته هى فى النهاية شخصيته .

مايحاربه كيركجور ، اذن ، هو هـــذا التبدين الزائف الذى يجعل الشخصية الواحدة شخصيتين منفصلتين ، وتحول الدين الى مجموعة من الشكليات الجامدة والطقوس الميته التى لاعلاقة لها بالحياة ولهذا فهـو يشترط بصراحة : « كل من اراد أن يعلم الناس المسيحية ممنوع عليه ان يهرب الى الموضوعية ، او أن يخفى شخصيته ، فكل مايقـــولـه ، وكل مايعلمه ، لابد ان يؤكد شفافية الشخصية الخالصة أعنى : أن تكون حياته هى تعاليمه ‥ »(٧) اما الوضع الحالى فانه يعنى التزييف لكل شىء ، بل

---

(٦) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 186 Eng. Trans. by W. Lowrie.

(٧) S. Kierkegaard: Last Years P. 343.

يعنى أن الكنيسة نفسها تقوم على كذب : « التهمة التى أوجهها الى الكنيسة القائمة هى أن كل شىء يقوم على كذب : عبادة الله ليست سوى سخرية من الله ، والمشاركة فيها جريمة .. والكنيسة نفسها تعرف ذلك ـ تعرف أن كل شىء يقوم على كذب ولاتحرك ساكنا .. ! » ، انه لأمر مرعب حقا أن يفكر المرء فى الاعماق التى هوت اليها الكنيسة القائمة ، والى أى حد بلغت التفاهة والنزعة المادية والقدرات المتوسطة وألوان الكذب ...(٨)

وهل هناك أدل على شكلية المعتقدات الدينية وبعدها عن الحياة من أن تجد: « مجتمعا مسيحيا يعيش فيه مجموعة من القساوسة يحلفون أغلظ الايمان (فى الوقت الذى يقول فيه المسيح لا تحلفوا البته) ولمدة ¾ ساعة فقطلاغير كل يوم احد يتعلم الناس من هؤلاء القساوسة أن المسيحية هى نبذ العالم ، والاقلاع عن كل ماهو دنيوى ـ ثم بقية سـاعات يوم الاحد ، وبقية ايام الاسبوع كلها ـ يتعلم هؤلاء القساوسة أنفسهم من الناس .. أن المسيحية هى الكفاح من اجل الدنيا(٩)كان كيركجور يحارب هذا الانفصام بين النظر والعمل ، بين الفكـر والحياة ، ولـهذا رأى أن المطلب الأسـاسى هو « الصدق » : « القاعدة العامة فى كل اتصال دينى هى أن يكون صادقا . ولم ؟ لأن *المطلب الدينى* يستهدف الفعل ، أى *العمل* بناء على ماقبل ..(١٠) فالدين يستهدف العمـل ، أى أن تتحـول افـكاره الى سلوك ، « الـدين المعاملة » ، والعلاقة بين الناس وليس التمسك بطقوس وتأديتها بطريقة آلية: « وهذا هو السبب فى أن كل مايقال أو يغنى فى الكنيسة ينبغى أن يكون صادقا ، وليس عظيما أو رائعا أو ساحرا ... بل المهم أن يرتبط ارتباطا وثيقا بالعمل ، أعنى بما سوف أفعله بناء عليه(١١) ..

ولست أعتقد أن مايطالب به كيركجور كان أمرا قاصرا على الأوضاع الدينية فى الدانمارك ، لأن مايطلبه هو « الصدق » والأمانة والتكامل بين

---

(٨) Ibid, P. 307.
(٩) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 341.
(١٠) Ibid, P. 319.
(١١) Ibid.

النظر والعمل : « أنا لا أريد الا الأمانة ، وحيثما تكون لامانة اكون »(١٢) . وما يحاربه كيركجور هو الكذب والزيف هو هذا الانفصام فى شخصية المرء كما يعبر عنه التدين الزائف ، وهو أمر يمكن أن يوجد فى كل زمان ومكان، وقد لايقتصر على مجال الدين وانما يتعداه الى غيره من المجالات التى يؤمن فيها المرء بافكار ويسلك سلوكا يتناقض مع هذه الافكار فيحدث هذا « الصدع » على حد تعبيره بين الاعتقاد من ناحية والحياة من ناحية أخرى — وهو بارز جدا فى مجتمعنا العربى على نحو أوضــــح مما كان فى عصر كيركجور ،فهذا الانفصام فى الشخصية موجــود عندنا : من الرأس حتى القدم ، من القمة حيث تتربع الحكومات الى القاع حيث يقف الفرد . كلنا يحمل هذه الشخصية المزدوجة المنقسمة على نفسها . كلنا يعيش فى عالمين منفصلين لايلتقيان مهما امتدا .. ! والأمثلة لا آخر لها : المجتمعات العربية كلها تمجــد الحــرية وتتغنى بالتحرر مع انهــا لاتعرف شيئا عنهما ، وهى كلها تتحدث عن الديمقراطية وتفاخر بها ولم تمارسها يوما ! وهى «تلوح» بقبضتها القوية للدول « الامبريالية » الاستعمارية مع أنها لاتعيش الا بها وعليها ! وهى تقف لتعلن ، فى غضب ، أنها لن تتخلى عن القضية الكبرى، والمصير المشترك ، ثم تعود الى النوم مستندة الى سيفها ، معتمدة على ذاكرة الجماهــير المهلهــة ! لكن إياك أن تعتقــد أننا نلقى المسئوليــة على « الحكومات » ونعفى الأفراد « المظلومين » — انهم على دين ملوكهـــم ، مصابون أيضا بانفصام الشخصية « فالكل فى هذا الهم سواء ! — وربما لن تجد شيئا أعدل قسمة بين المواطنين العرب من هذا المرض اللعين ! وكم من مرة ضبطت فيها طالبة « محجبة » تغش فى الامتحانات ! وكم من مرة نبهت طالبا تكاد لحيته تحجب ورقة الاجابة — أن يكف عن النظر الى ورقة زميله ! وكم من مرة قلت لهم جميعا ان : « من غش فليس منا — » ! وان غض البصر لا يقتصر على النظر الى الجنس الآخر فقط — ان كان يغض حتى فى هذه الحالة ! — بل يعنى أيضا الا تسرق غيرك ، والا تتلصص على الناس ، وكم من مرة علت الدهشــة وجوههم وقرأت عليهــا ذلك التساؤل

---

(١٢) وقارن أيضا قوله « من أجل هذه الامانة سوف أخـــاطر بكل شىء .. ان ماأريده ليس شيئا عابرا انه شىء أبدى وخالد » . راجع فى ذلك كله جان قال فى كتابه دراسات كيركجوردية ص ٤١ — ٤٢ .

الذى يعبر أدق تعبير عن انفصام الشخصية ·· » وما دخل ذلك بالدين ؟ ·· والطالب الذى يغش فى الامتحان هو نفسه التاجر الذى يرفع السعر وينقص الوزن ويسرق زبائنه ــ فاذا اذن المؤذن هرع الى المسجد حتى لا تفوته الصلاة(١٣) انه انفصام بين الاعتقاد والسلوك بين النظر والعمل ·

ولا يقتصر هذا الانفصام الغريب على مجال الدين وانما يتعداه الى العلم والفكر وغيرهما من المجالات(١٤) . كما ان الأمر لايقتصر على « فئة » ولاطبقة فسواء كان الفرد عندما من علية القوم او اوساطهم أو ادناهم فهو يعانى من هذه الشخصية المزدوجة ، كلنا يعانى انفصام الشخصية . وشعارنا واحد توارثناه عن الاجداد : « قلوبنا مع على · وسيوفنا مع معاوية » عقولنا فى واد وسلوكنا فى واد اخر ! كلنا يحمل شخصيتين مستقلتين بينهما برزخ لا يبغيان ! ·

« انفصام الشخصية » اذن . الذى حاربه كيركجور بعنف ليس موضوعا « محليا » ، ولا هو صناعة دانماركية خاصة . ولكنه مرض عضال يصيب الانسان فى كل زمان ومكان ، وسوف يسميه كيركجور فعلا باسم « المرض » ويجعله ادنى درجة من درجات الذات لا سيما ان كان صاحبها لايعى مثل هذا المرض ! وسوف نعود الى هذا الموضوع بعد قليل ·

والحق ان مسألة الربط الوثيق بين النظر والعمل ، او الفكر والحياة لم تطرأ على ذهن كيركجور بسبب مارآه فى الكنيسة من فساد ، بل على العكس لقد بدأ حياته العقلية وهو يفكر فى هذا الموضوع وربما كانت هذه الفكرة هى التى دخل منها محراب الفلسفة وهى التى ستنتهى به الى وضع

---

(١٣) ومن هنا جاء المثل الذى يعبر بدقة عن هذا الانفصام والذى يقول « يصلى الفرض ، وينقب الارض ·· » !

(١٤) لاانسى يوم وقف استاذ مبجل يتحدث عن الدور الذى ينبغى على المفكر ان يقوم به فى مجتمعه ورسالته « الخالدة » ، وواجباته نحو أمته ــ ثم مال على المسئول قائلا : كم تدفعون نظير المحاضرة ؟ ! أو العالم الذى يؤمن بالكثير من الخرافات · أو الأب الديقراطى خارج النزل الدكتاتور مع زوجته واولاده · شخصية هنا وشخصية هناك دون أن يمن الله عليها فيجمع الشمل فى شخصية واحدة لاتقول الا ماتؤمن به !

نظريته الشهيرة القائلة بأن « الحقيقة هى الذاتية » . ولقد بين لنا كيركجور فى يومياته كيف شغلته هذه الفكرة منذ حياته المبكرة فقد كتب عام ١٨٣٥ — أى قبل مهاجمته للكنيسة بما يقرب من ثمانى عشرة سنة — يقول : « ان مايتقضى فى الحقيقة أن أرى نفسى بوضوح ، أن أعرف مايجب على أن أعمله ، لامايتبغى على أن أعرفه الا بمقدار ما تسبق المعرفة العمل بالضرورة • ان المهم أن افهم مهمتى فى هذه الدنيا ، وأن ادرك تماما مايريد منى الله أن افعله ، اريد أن أجد حقيقة تكون لى انا . أن أجد الفكرة — التى اكرس لها حياى ومماتى(١٥)» فهو فى هذه السن المبكرة (كان فى الثانية والعشرين من عمره) يلح على الربط بين المعرفة والعمل فليس ثمة شىء اسمه « العلم للعلم » أو « المعرفة للمعرفة » بل أن المعرفة لاقيمة لها الا أن تحولت الى عمل ، واهمية المعرفة فى أنها « تسبق العمل بالضرورة فقط » • ومايقال على المعرفة يصدق كذلك على « الحقيقة » ، فالمهم هو أن تتحول الحقيقة الى حقيقة ذاتية . أن تمتزج الحقيقة مع الذات وتصبح شيئا واحدة والا : فأى فائدة تعود على اذا ما وقفت الحقيقة أمامى عارية وباردة لاتبالى كثيرا ان عرفتها أم لم أعرفها ••(١٦)فاذا لم تمتزج الحقيقة بدم المفكر ، واذا ما اغتربت عنه افكاره حتى ولو نعم بها «الآخرون وتمثلوها ، فسوف يكون : « مثل أولئك الآباء الذين اضطرهم فقرهم الى ارسال أبنائهم بعيدا عنهم فتركوهم تحت رعاية أناس آخرين(١٧)واذا كان هناك أمر مطلق للمعرفة والفهم : « فان هذا الأمر لابد أن يصبح بطريقة حية جزء منى •• وأنا أدرك الآن ان هذه مسأله حاسمة وهى ماتتعطش اليه نفسى تعطش صحارى افريقيا الى الماء ••»(١٨)

ومن هذه النصوص يتضح لنا أن هناك لونين من الحقيقة عند كيركجور :**الاول** : هو الحقيقة التى تقف أمامى عارية وباردة ولاتبالى كثيرا

---

(١٥) ذكره كيركجور فى يوميات عام ١٨٣٥ — وقد ترجمناه فى النصوص المختارة فى نهاية الكتاب •• •

(١٦) S. Kierkegaard : The Journals P. 15 (Oxford) & P. 44 (Fontana).

(١٧) Ibid.

(١٨) Ibid.

ان أعرفها . وهذه يسميها « بالحقيقة الموضوعية » التى تكون خـــارجية بالنسبة لى . ولاتهتم كثيرا بالشخص الذى يعرفها . لانهــا لاتقيــم وزنا « للعلاقة » بين الذات والموضوع . أما **الثانية** : فهى الحقيقة التى تصبح جزء منى . وتكون « العلاقة » بين الذات والموضوع أساسية بالنسبة لها ، وتلك هى الحقيقة بطريقــة موضوعية يتجه الفــكر موضوعيا الى الحقيقة بوصفها موضوعا يرتبط به الشخص العارف ... ولا يركـــز الفكر على العلاقة أيا كانت بل على مشكلة ماذا كانت هذه هى الحقيقة التى يرتبط بها الشخص العارف أم لا . فلو كان الموضوع الذى يرتبط به الشخص لعارف هو الحقيقة . اعتقدت الذات أنهــــا وصلت الى الحقيقة . اما حين تثار المشكلة من الناحية الذاتية فان الفكر يتجه . ذاتيا . نحو العلاقة الفردية فاذا كان نمط هذه العلاقة على صلة بالحقيقة كان الفرد على صلة بالحقيقة حتى ولو حـــدث وكان على صلة بما هو باطل أو غير حقيقى »(١٩) ... وكيركجور هنا يضع فهما جديدا للحقيقة لقد كانت قبله من الناحية التقليدية . عبارة عن اتفاق بين المضمون الذاتى (سواء كان فكرا أو حكما .. الخ) وبين واقعة موجودة فى العالم الخارجى بحيث يكون الحكم أو الفكرة ممثلا « لها : » غير أن الفيلسوف الوجودى رفض هذا التصور التقليدى للحقيقة واعتبره غير كاف . فهو قد يصف ضربا من المعرفة يستهدف الفهم المجرد الوصول اليه . لكن الفلسوف الوجودى يذهب الى أن هنـــاك ضربا من الحقيقة أكثر أصالة من ذلك وهو ذلك الحقيقة التى تنتمى الى عينية الوجود البشرى »(٢٠) . ولقد كان كيركجور أول من بدأ هذا الاحتجاج الوجودى على « الحقيقة الموضوعية » : « ثم ســـار الفلاسفة الوجوديون على هـــذا الدرب نذكر منهم نيقولا بريابييف .. N. Berdyaev وجبرايل مارسل .... G. Marcel فقد كان لديهما نفس وضوح كيركجور فى القـــول بأن الحقيقة لابد أن يكون لها باستمرار بعـــدا شخصيا .. »(٢١) . وهـــذه النظرية

(١٩) S. Kierkegaard: Concluding Unscientific Postscript Trans. by D. F. Swenson and W. Lowrie (Princeton Univer. Press N.J. 1941) P. 178.

(٢٠) John Macquarrie: Existentialism P. 137 (Penguin Books 1972).

(٢١) Ibid. P. 138.

الجديدة عن « الحقيقة الذاتية » كانت تستهدف أساسا لونين من الفكر سادا الثقافة الاوربية فى ذلك الوقت : **الاول** : هو الفكر الهيجلى الموضوعى المجرد الذى قضى على الذاتية وطمس معالم الفرد . ومعه ايضا التفسيرات العلمية الموضوعية التى كان كيركجور على وعى بمخاطرها لاسيما اذا ما جاوزت حدودها فى دراسة الطبيعة وامتدت الى دراسة الانسان . فها هنا يتضح زيفها - ذلك لأن دراسة الانسان عن طريق « الفكر المجرد » أو « الفكر الموضوعى » يعنى الغاء الشخصية وازاحة الذات الفردية . بحيث تدرس الطبيعة البشرية فى النهاية على ضوء القوانين اللاشخصية والوقائع الحتمية . وعندما تدرس الطبيعة البشرية بمناهج الفكر الموضوعى وحدها فانها ترد فى الحال الى نفس القوانين والشروط الحتمية التى تتحكم فى ظواهر الطبيعة وهكذا نقضى على الحرية التى هى صميم الوجود البشرى : « قد تكون هذه الطريقة سليمة وناجحة فى دراسة ظواهر الطبيعة لكن ما أن تمتد الى دراسة الوجود البشرى والطبيعة البشرية حتى يتضح زيفها . ولقد ذهب كيركجور الى أن هذه الطريقة تفرغ كل ما هو جوهرى وأساسى فى طبيعة الانسان .. »(٢٢) .

وفى مواجهة هذه الدعوى الموضوعية يسعى كيركجور الى أن يجد مكانا لرؤيا جديدة للانسان ، وضربا جديدا من الحقيقة ، فذهب الى القول بان وراء عالم « الفكر الموضوعى » هناك أسئلة جوهرية حول معنى الوجود ، وطبيعة الانسان ، واستخدام الحرية .. وهى تدخل ضمن ما يسميه « بالفكر الذاتى » أو « الفكر الوجودى »(٢٣) .

وهكذا نجد كيركجور يجمع بين الفكر الهيجلى والفكر العلمى على صعيد واحد فهما معا موضوعيان مجردان ، يسعيان الى ما يسميه بالحقيقة الموضوعية ، ويقضيان على « الفرد » وعلى خصوصية الذات البشرية . وفى مواجهتهما علينا أن نعتمد على الفكر الذاتى الذى يستهدف الوصول الى « الحقيقة الذاتية » : « غير أن ذلك لايعنى أن التفكير الذاتى

---

(٢٢) W. W. Meissener : Subjectivity in Psychoanalysis P. 1282 (in Kierkegaard's truth-Yale Uniev. Press 1981).

(٢٣)

هو الذى يجعلها حقيقة ، أو ان الحقيقة ينبغى أن تتحد مع ،رائى الشخصية أو ميولى الفردية . وانمــا هو يعنى أن الحقيقة بمعناها الكامل تخرج من الاعماق الجوانية للوجود البشــرى وهى تضرب بجذورها فى تفتح هــذا الوجود . وان كان ذلك لايمنع بالطبع من نقد كيركجور على أساس أنه بالغ أكثر مما ينبغى فى فردية الحقيقة »(٢٤) ...

أما **الفــكر الثانى** : الذى كان يعارضه كيركجور بنظرية القائلة بأن « الحقيقة هى الذاتية » فهو الفكر الكنسى الذى يمكن أن يوصف أيضا بأنه فكر موضوعى . وهو لايؤدى فقط الى تزييف الذات البشــرية وانما يؤدى كذلك الى تزييف الدين نفسه . ولقــد سبق أن رأينــا كيف كان من نتيجة هذا الفكر أن انقسمت الذات البشرية الواحدة على نفسها عندما أصبحت معتقداتها مخالفة لسلوكها ، أو عندما تحول الدين الى مجموعة من الشعائر الجامدة ، والطقوس الميتة ، وها نحن نقف على السبب العميق الكامن وراء انفصام الشخصية المتدينة على هذا النحو ، ان السبب هو النظر الى الدين بطريقة موضوعية « فالقبول الموضوعى للمسيحية يعنى تحويلها الى ديانة وثنية .... Paganism أو تفريغها من الفكر .. ان المسيحية ترفض كل صورة من صور الموضوعيــة وتطالب الفرد بأن يهتم بذاته على نحو لانهاية له . فالمسيحية تعنى بالذاتية ، وفى الذاتية وحــدها توجد الحقيقة لو كان لها أن توجد على الاطــلاق . ومن ثم فان المسيحية من الناحية الموضوعية لا وجود لها على الاطلاق .. »(٢٥) .

لــكن ما الذى يجعــل كيركجور يثور على هــذا النحو ضــد النظرة الموضوعية الى الدين ؟ واضح أن السبب هو أن هــذه النظرة سوف تجعل العلاقة بين الفــرد والدين علاقة خارجيــة : « ان الموضوعية تعنى أن تقبل القيام بدور الملاحظ ــ فيكون مثلك كمثل من يكتشف قوانين عامة ..»(٢٦) . ولايمكن أن يكون دور المتدين هو كدور الملاحظ ولا حتى كدور المنفذ الخارجى

---

(٢٤) J. Macquarrie: Existentialism P. 138.

(٢٥) S. Kierkegaard: Conclunding Unscientific P. 116.

(٢٦) Mary Warnock: Existentialism P. 9 Oxford University Press.

لمجموعة من الأوامر أو المعتقدات أو الواجبات الملقاة على عاتق الفرد ، وانما لابد أن تتحول هذه المعتقدات الى جزء منه لابد أن تمتزج بدم الانسان وتسيطر على وجوده كله : « ان الحقيقة فخ أو شرك لاتستطيع أن تمسك به دون أن تقع فيه · انك لاتستطيع أن تصل الى الحقيقة بتلك الطريقة التى تستطيع أن تصطادها بها ، بل فقط بتلك الطريقة التى تصطادك هى بها ·· »(٢٧) ·

وهذا ما كان يعيبه كيركجور على القس « أدلر » الذى تراجع عن موقفه مما يؤكد أن تجربته مع المسيح ليست حقيقية لأنها لو كانت كذلك لاستحال عليه التراجع ان التجربة الحقيقية تعنى أن يتمثل الفرد الافكار التى يؤمن بها بحيث تحدد ارادته مع ارادة الله ! وهكذا يريد كيركجور أن تؤخذ الافكار والمعتقدات الدينية بطريقة ذاتية ، فيها « جوانية » و « حمية » تهتم بالكيف والعاطفة ويغلب عليها القلق والانشغال والتوتر ، ومن هنا قال : «أن العداوة الظاهرة خير من تلك المسيحية الفاترة »(٢٨) · فليست هناك حقيقية تستحق هذا الاسم اذا ما أخذها المرء بطريقة مستقلة عنه وراح يفكر فيها : « انه اذا ما صلى لصنم أو وثن(٢٩) ، ومارس الصلاة بكل عاطفته اللامتناهية فانه بذلك يستطيع أن يقترب من الحقيقة أكثر مما يصلى لله بطريقة موضوعية ، أعنى بلا عاطفة ، ومن هنا يكون « كيف » العلاقة بالغ الأهمية »(٣٠) · ومن هنا فقد وصف الموضوعية فى مجال الدين بأنها « الحاد وكفر » فالله ذات وهو لايوجد ألا فى الجوانية ومن أجل الذات(٣١) · ولذا فان المهم هنا ، كما هى الحال فى كل مكان عند كيركجور هو « الكيف » ، والكيف هو الجوانية والعاطفة والمرء لا يدخل فى علاقة بالله الا عن طريق العاطفة وليس عن طريق العقل

(٢٧) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 133.

(٢٨) Cité Par J. Wahl: Etudes, P. 177.

(٢٩) كذلك المرتد الذى ينتقل بارادته الحرة من مرحلة الى أخرى ، فانه يبرهن على حريته انه ينتقى ويختار ــ قارن ···
Mar Warnock: Existentialism P. 12

(٣٠) Cité Par J. Wahl: Etudes, P. 276.

(٣١) Ibid, P. 277.

ولا عن طريق الـذكاء ـ ففى عالم الروح باستمرار يكون العامل الكيفى ـ الذاتى ـ هو الحاسم أما فى مجال المادة فان الغلبة تكون للكم .

انفصام الشخصية ، اذن ، مرتبط بنظرية فى الحقيقة على ضوئها يفسـر كيركجور السبب فى تحـول الدين الى شكليات(٣٢) . ولقـد كتب مبكرا فى ٥ نوفمبر عام ١٨٣٤ يقـول : « لم يعرض المسيح نظرية ، ولاقدم للناس مذهبا ، ولكنـه كان يسلك ويتصرف ، ولم يكن يعـلم الناس نظرية الفداء لكنه افتداهم بالفعل .. » . فلو نظرت من هذا المنظور الى الكنيسة القائمة لقلت مع كيركجور : « انه ينبغى ألا يبقى حجر واحـد من هـذا الصرح الضخم .. » لانه لايفعل شيئا سوى تزييف الدين : « لقد أصبحت المسيحية اشـد مقتـا من السـرقة وانتهاك المحرمات ، وتأدية الواجبـات الدينية ليست سـوى سخرية من الله ، ومن ثم فعنـدما ترى قسيسا فعليك أن تصيح : حـرامى ! حـرامى ! . كل شىء مزور ، ولو ظهر المسيح الآن مرة أخرى لاندفعوا نحـوه ليذبحوه(٣٣) ! ولهذا حرص كيركجور على أن يرد للذات البشرية اعتبارها لـكى تنهض وتستيقظ وتمارس حريتها وتفعل وتثبت وجـودها الحقيقى الأصلى وليس ذلك الوجود المزيف الذى يختبىء وراء جمـوع المصلين فى الكنيسة تارة أو وراء « الجموع » ، و « الحشد » فى الشوارع تارة أخرى ، وهـو فى الحالتين يهرب من المسئولية ، ويتهرب من ممارسة حريته عندما يعتنق نظرية خاطئة تقول ان ما يقوله القطيع هو الصواب ، أو سر مع القطيع تأمن شر المزالق ، وهذا دليل قاطع على أن الناس تخشى الحقيقة وتتهرب منها ، وليس ما يقـال عن « حب الحقيقة » سوى لغو فارغ لان الوصول الى الحقيقة يحتاج الى « شخصية » ، الى « الذات » . الى الفرد المستقل عن الجموع ـ يقول كيركجور :

« ان النـاس تخشى الحقيقـة أكثـر من خشيتهم للمـوت ـ تلك هى

---

(٣٢) ومن هنا ذهب لينج الى القـول بان انفصام الشخصية لا يمكن فهمه بدون فهم نظرية اليأس التى عرضها كيركجور فى كتابه « المرض حتى الموت » . انظر :

R. D. Laing: The Divided self P. 38 Penguin Books.

(٣٣) Cité Par J. Wahl: Etudes, P. 177.

الحقيقة حـول كان ما يقـال من لغو ونفـاق عن « حب الحقيقة » ، وعن الاستعداد للسير وراءها بمجرد فهمها :

« كلا ! ان الانسان بطبيعته يخشى الحقيقـة ويهابها اكثر من الموت وتلك مسالة طبيعية جـدا : لأن الحقيقة اكثر بغضا للوجـود الطبيعى عند الانسان من الموت . فما العجب اذن ، فى انه يخشاها الى هذا الحد ؟ !

ان اليقظة والانتباه الى الحقيقة يحتاجان الى **الوجود المنعزل** ، الى الوجـود الذى ينتحى جانبا كما فعـل المسيح مع الاصم حين اخـــذه على ناحية بعيدا عن الحشد(٣٤) . وهـذا وحده كاف لأن يجعل الانسان يخشى ويخاف ، ويقلق ، من الحقيقـة اكثر من مواجهة الموت . فلما كان الانسان حيـوانا اجتماعيا ، فانه لايكون سعيدا الا وسط القطيع ، ويتساوى عنـده اللغـو العميق والنذالة الكبـرى والجريمـة العظيمـة ، فهـو يشعر برضا كامل مادامت تلك هى نظرة القطيع ، أو فعـل القطيع ، وهـو قادر على أن يلحق بالقطيع وينضم اليه . ولـما كان الانسان فى الاصـل حيوانا اصبح روحا ، فانه يظل باستمرار يخشى هـــذا المصير (وهـو أن يصبح روحا) بوصفه حيوانا اكثر مما يخشى الموت . وهـو لأنه حيوان فانك تراه يزيح من طريقه تلك الغايات القادرة على أن تحوله الى روح .

ونتيجة لذلك تراه يتعرض ــ عندما يريد أن يكون فى علاقة مع الحقيقة ــ للسخرية ، والاحتقـار وسوء المعاملة من الآخـرين ــ أعنى من القطيع .. وهذا هو السبب فى أن النـاس يغيرون من تصـور « الحقيقـة » لتصبح الحقيقـة هى السير مع القطيع ، ثم يضيفون الى ذلك قولهم ان هذا أيضا هـو معنى حب الحقيقـة وتلك هى الحـال التى آلت اليهـا المسيحية فى عصـرنا .. »(٣٥) .

---

(٣٤) يشير كيركجور بذلك الى القصـة التى رواها انجيل مرقس عن موقف المسيح مـع ذلك الأصم الذى عالجه : « وجاءوا اليـه بأصم ، وطلبوا بأن يضع يده عليه ، وأخذه من بين الجميع على ناحية ، ووضع أصابعه فى أذنيه وتفـل ولمس لسـانه .. الخ » انجيل مرقس الاصحـاح السابع : ٣٣ .

(٣٥) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 131-2.

فى هــذا النص الهام نجد كيركجور ينظر بمنظور الحقيقية الذاتيــة ، كما تصورها ، الى الكنيسة القائمة ليجد أن « الفرد » قد ذاب وسط الجموع معتمدا على أن الحقيقــة هى السير مع القطيع تماما كما يفعل الحيوان . وفى ذلك الغاء لوجوده البشرى الذى هو مرادف للحــرية والمسئولية عندما يفعل ويسلك ويتصرف بارادته الذاتيــة الخاصة : « فالفعل يتضمن الحرية وليس ثمــة ســوى قليل من الموضوعات القــريبة من قلب الوجودية مثــل الحرية ، وهو موضوع بارز عند مختلف الوجوديين لكنه هام عند كيركجور اذ أن الوجود والحرية عنده مترادفان ٠٠ »(٣٦) .

ولاشك أن الانسان يهرب من حريته لانها عبء ثقيل بما يستتبعه الفعل من مسئولية بعد أن يتم ؛ أو اختيار قبله ، ولهــذا فهو يريح نفسه بالسير مع القطيع بغريزة الحيوان — وواجب المفكر أن يوقظ فى الانسان مرة أخرى هذه المسئولية ، وأن يضع عليه هــذا العبء الذى يهرب منه ، ولعل هــذا هــو السبب فى الهجــوم العنيف الذى يشنه كيركجور على « مارتن لوثر » الــذى لم يفهم فى رأى فيلسوفنا هذه الحقيقة — فراح يبسط الأمور أكثــر مما ينبغى : « كلمــا أمعنت النظر فيما يقوله لوثر اقتنعت أن رأســه كان مهوشا ، انه لضرب مريح جــدا من الاصــلاح ذلك الذى يعتمد على طرح الاثقال ، وجعل الحياة أيسر وأسهل ، وهى طريقة سهلة فى الحصول على أصدقاء ! أما الاصــلاح الحقيقى فهو الذى يجعل الحيــاة أكثر صعوبة . انه يعنى وضع الأثقــال ، والمصلح الحقيقى يصــدر عليه باستمرار حــكم بالاعدام كما لو كان عــدوا للبشرية ٠٠ »(٣٧) ٠ وعلى هــذا المنوال كان يسير كيركجور فى دراسته للفــكر القائم فى ذلك الوقت ســواء أكان فكرا هيجليا أم سياسيا (وهو فى رأيه وليــد الفــكر الهيجلى) أم فــكرا دينيا : فحتى الافكار الدينيــة الخالصة تناولهــا كيركجور من منظور فلسفى كما حدث مثلا فى أفكار مثل « الخطيئة » و « العثرة » ، و « الايمان » ، و « غفران الخطايا » ٠٠ الخ فهــو لا يعتمد فيها على ما يقــوله الكتاب المقــدس ، بل انه لا يقتبس من هذا الكتاب الا ما يدعم وجهة نظره ٠

---

(٣٦) John Macquarrie: Existentialism P. 177.

(٣٧) S. Kierkegaard: The Journals, P. 167 (Fontana).

فالخطيئة مثــلا أساسية بالنسبة للمسيحية وفى رأيه « ان المسيحية حصنت نفسها منذ البداية عندما بدأت من نظرية الخطيئة .... Sin ، ومقــولة الخطيئــة هى مقولة الفــرد ، والخطيئــة لايمكن التفكير فيهـــا نظريا .. »(٣٨) . لأنها فعل وسلوك وهى لاتفهم الا على هذا النحو . واذا كان يعمل باستمرار على ان تكون كفــة الاجيال راجحة على كفة الفرد لانه كان يمكن لنا أن نكون تصـــورا عن الانسان الفــرد فانه لا يمكن للمرء أن يفكر فى « الفرد » الا من حيث هو تصور . ومن هنـــا فان الفـــكر النظرى ليس من المنتظر أن يعترف الفــكر النظرى بضعف التصور من حيث علاقته بالواقع(٣٩) . وهذا هو السبب فى أن هذا الفــكر لم يفهم الخطيئة والفرد فهما جيدا لانهما لا يمكن أن يتحـــولا الى افكار . ان نظرية الخطيئة تجلب معها مجالا اخلاقيا كما أنها تركز على الواقع وعلى الفرد فى حين أن الفكر النظرى لايهتم بالفــرد العينى وانما يهتم بالمجردات ومن هنا : « فان جدل الخطيئة يعارضه تماما جدل الفكر النظرى »(٤٠) .

معنى ذلك كله ان المسيحية تبــدأ من الخطيئة لأنهــا تبدأ من الفرد . لكن ماذا نقول فى أمر خطيئة الجنس البشـــرى كله .. ؟ يقــول كيركجور ان هذه الفكرة كثيرا ما أسىء فهمها لأن النـــاس لم تلاحظ أن الخطيئة مهما تكن مشتركة وعامة بين البشر فانهـــا لا يمكن أن تجمعهم معا فى تصـــور مشترك أو مجتمع واحد (الا بمقـــدار ما يشكل جماعة الأموات فى المقبرة مجتمعا واحدا) ـــ لكنهـــا تفرق بين الناس ، وتمزقهم الى أفراد ، وتجعـــل من كل فرد بذاته خاطئا . ان وجود الانسان يختلف عن وجـــود الحيـــوان الذى لايمكن للفـــرد فيـــه أبـــدا أن يكون أعلى من النـــوع . أما فى الجنس البشرى فان اللـــه خلق الانسان على صورته ـــ الانسان الفرد ـــ ومن هنا فانه أعلى باستمرار من الجنس ومن النـــوع . ولهـــذا فان الانسان لايتميز عن الحيـــوان بالميزات المعروفة وحدها لكنه يختلف عنهـــا كيفـــا من حيث أن الفرد أعلى من النوع ، وهذه الخاصيةجدلية فهى تعنى أن الفرد خاطىء .

---

(٣٨) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 250.

(٣٩) Ibid.

(٤٠) راجع « المرض حتى الموت » ص ٢٥١ .

لكنها من ناحية تكمل معنى الفرد(٤١) .

لكن الخطيئة لاتفصل بين أفراد الجماعة وتدعم وجـود كل منهم على حدة فحسب ، ولكنها كذلك تقوم بنفس هذا الدور الجدلى فى علاقة الانسان بالله . يقول كيركجور : « لن تجد زاوية يتحدد بواسطتها الاختلاف الكيفى بين اللـه والانسان أعمق من زاوية الخطيئة . فالانسان هنـا خاطىء أمام الله »(٤٢) . وهكذا ينفصل الانسان عن اللـه بواسطة صـدع الخطيئة ، لكنه من ناحية أخـرى لايكون خاطئا الا امامه . ومن ناحية ثالثة فان الله ينفصل عن الانسان بقدرته على غفران الخطايا . وذلك هو الفهم الأعمق — فى رأى كيركجور لصفات الله وليس كما كان يفعل المدرسيون فى العصور الوسطى عندما يحددون الصفات الالهية بأنكار نسبة الصفات البشرية لله كالتناهى ، مثلا ، فيقولون اذا كان الانسان متناهيا فاننا نستطيع أن نثبت لله صفة اللاتناهى ، وتلك طريقة لايجوز استخدامها هنا : « فمن التجديف على الله أن تقول انه ليس خاطئا » ، لأن الانسان الخاطىء ينفصل عن الله بهاوية كيفية هائلة الاتساع . ومن الواضح كذلك أن الله ينفصل عن الانسان بنفس الهوة الواسعة عندما يغفر خطاياه . وفى الحالة التى نحاول فيها أن نعكس الصفات فتنقل الى الانسـان الصفات الالهيـة سوف نجد أنه يستحيل عليه أن يتشبه بالله أعنى أن يغفر الخطايا .. »(٤٣) .

وتعريف الخطيئة يتضمن « امكان العثرة » فيما يرى كيركجـور ، « وامكان العثرة » خاصية اخرى للانسان تمنعنا من الخلط بين الله والانسان والنسيان المتعمد لهذا الاختلاف الاساسى بين الله والانسان ، والتأكيد على صورتنا التى تشبه صـورة الله وحدهـا ، هو مايسميه كيركجور « بالتحدى » وهو أعلى صور اليأس . ونحن عندما نلغى « امكان العثرة » فاننا نقع فى الحال فى خطأ تأليه الانسان . ان المشكلة فى رأى كيركجور هى أن علاقة الله — الانسان هى علاقة « قربى » أو « تشابه » لكن أمكان العثرة

---

(٤١) نفس المرجع فى نفس الصفحة ، وقد شرح الفكرة فى حاشية طويلة .

(٤٢) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 252.

(٤٣) Ibid, P. 253.

هى العلاقة المميزة للاختلاف . أوهى : « الضمان . ان جــــازلى أن أقول ذلك . الذى يتأكـــد الله بواسطته أن الانســـان لم يقترب منه أكثر ممـــا ينبغى ٠٠ »(٤٤) ٠ ومن هنا كان امكان العثرة هو العامل الجدلى فى كل ماهو مسيحى ٠

ويرتبط بذلك كله « نظرية فى اليأس »(٤٥) ، تعتمد على تصور فلسفى للذات البشرية التى تتألف من عاملين هما اللامتناهى والمتناهى أو الامكان والضرورة . فهى مركب غايته أن يصبح ذاتا تتحقق بالفعــل : « لكن معنى أن تصبح ذاتا هو أن تصبح عينية . ومعنى أن تصبح عينية هو ألا تصبح متناهية ولاغير متناهية . لأن ذلك الذى يصبح عينيا هو المركب منهما »(٤٦) ٠

وتنكشف صور اليأس اذا ماتأملنا العوامل التى تتألف منها الذات بوصفها مركبا . والمركب علاقة . وهذه العلاقة تربط نفسها بنفسها . وتلك هى الحرية . فالذات هى الحرية ٠٠ـ٤٧)والمهـــم فى اليأس أن تنظر الى الذات تحت الوعى أو الشعور . أعنى أن نتبين ما اذا كنا نشعر باليأس أم لا فذلك هـــو الذى يحـــدد الاختلاف الكيفى بين يأس ويأس آخـــر(٤٨) ٠ (لاحظ اهتمام كيركجور الشديد والمستمر بالاختلاف الكيفى بين الله والانسان. وبين الانسان والحيـــوان . وبين فرد وفرد آخـــــر ٠ وبين يأس ويأس آخر ٠٠٠٠ الخ الخ ــ وسوف نعود الى هذه النقطـــة بعد قليل حيث نجد أنها تنعكس انعكاسا شديد الرجعية فى ميدان السياسة) ٠٠

ومن هنا فسوف تظهر ثلاث صو من اليأس تقابلها ثلاثة أنمـــاط من البشر :

١ ــ أدنى صور لليأس هى تلك التى لايشعر فيها المرء بأنه ذات ، أعنى

---

(٤٤) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 256.

(٤٥) نحن هنا نلخص بعض الافكار الفلسفية عند كيركجـــور لكننا سوف نعود الى عرض هذه الآراء ومناقشتها وبيان مدى تأثيرها بالفلسفة الهيجلية فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ٠

(٤٦) Ibid, P. 163.

(٤٧) Ibid, P. 162.

(٤٨) Ibid.

أنه موجود روحى وليس فقط موجـــود ماديا · وذلك يعنى أنه يفشل فى التحقق من أن المرء قادر على التفكير أعنى أن يفشل فى معرفة أنه مركب · وهذه الصورة الدنيا من اليأس – وهى نفسها نقص اللامتناهى أو الامكان – هى « الافتقار الى الروح Spiritlessnes ·

٢ – الصورة الثانية من اليأس هى الصورة التى يعرف فيها المرء أنه ذات ، لكنه لايريد أن يكون ذاته ، لايريد أن يحقق المركب الســابق ، فالذات هنا تهرب من نفسها ، وتهرب من الذات التى تعرفها ، انها ترغب فى أن تهجر بشريتها وهذا هو يأس الضعف Weakness ·

٣ – الصورة الثالثة هى مستوى أعلى من اليأس ، وهى المرحلة التى فيها الذات نفسها كذات ، وتريد أن تؤكد نفسها وتثبت ذاتها بوصفها ذاتا بشرية لكنها تريد أن تفعل ذلك دون أن تعترف بارتباطها واعتمادها المطلق على الله وهذا هو يأس التحدى Defiance ·

وعلى الرغم من أن هناك مجالا كبيرا للمقانة بين مايقوله كيركجور عن الذات ومايقوله هيجل فى ظاهريات الروح(٤٩)» ، عن المراحل الموازية التى تمر بها الذات تدريجيا حسب درجات الوعى المختلفة ، حتى تصبح اكثر كفاية فىمعرفتها بنفسها وتنتهى فىالنهاية بمعرفة ذاتها على أنها الروح الواعى لنفسه · وعلى الرغم من أن نظرية كيركجور عن الذاتلاتفهم الا فى ضوء خلفية هيجلية عن بناء الذات ، اذ أننا نعتقد أن كيركجور يفترضها – فذلك موضوع سوف نعود اليه بالتفصيل فى الجزء الثانى من هذا الكتاب ، فاننا نود فى الفصل أن نشير فى عجالة سريعة الى المراحل التى تمر بها الذات البشرية فى وعيهـــا المتدرج « للمرض حتى الموت » على نحو يشكل عند كيركجور ضروبا ثلاثة من اليأس تمثل ثلاثة أنماط اجتماعية من البشر فى المجتمـع ، وهدفنـــا أن نبين كيف ارتبطت آراؤه الدينية والفلسفيــة

---

(٤٩) قارن مثلا مقـــال Bruce Kirmmse عن « علم النفس والمجتمع » حاشية ١٠ ص ١٧٧ – فى كتاب « الحقيقة عند كيركجور » الذى أشرف عليه جوزيف سميث وأصدرته مطبعة جامعة ييل عام ١٩٨١ ·

والسياسية فى نظرية شكلت نسقا مترابطـــا اقترب كثيرا من « المذهبية » التى ظل طوال حياته يحاربها ·

فالصـــور الأولى من اليأس أو مرض الذات عند كيركجـــور وهى « الافتقار الى الروح » تمثل نمطا من البشر ينتشر انتشارا واسعا فى المجتمع وهى بصفة خاصة تميز مايسميه بالبرجوازية المادية فى المجتمع الدانماركى، وهى طبقة تضم مثقفين واكاديميين ومهنيين يشغلون وظـائف فى الدولة ويتمتعون بقدر عظيم من التقدير الاجتماعى · وهم لاينالونه من احترام يشاركون فى كثير من الافكار السياسية الليبرالية السائدة بل انهم هم الذين دعموا بالفعل التغيرات الثورية التى حدثت فيما بين ١٨٤٨ ــ ١٨٤٩ : وعلى الرغم من الاختلاف بين « الرجل العادى المادى » ، وبين « المثقفين » فى وجهات النظر السياسية فانهم يشتركون فى النهاية فى تصورهم لما ينبغى توافره من علاقات بين طبقات المدينة ككل مع ٨٠٪ أو ٩٠٪ من السكان الذين يعيشون على العمل اليدوى أو على فلاحة الأرض · كما أنه اذا كان هناك خلاف بينهما فان طبقة الناس العاديين الماديين يعترفون فى أسى بقصورهم فى ميدان الثقافة ، وهكذا يقوم الجناح المثقف فى هذه الطبقة البرجوازية باعطائهم الدروس المطلوبة ، واعمدة هذه المدرسة : المطران مينستر Mynster بوصفه قائدا للكنيسة ، وهيبرج Heiberg الفيلسوف الهيجلى بوصفه مديرا للمسرح الملكى ، ثم « مارتنسن Martensen » وريث الاثنين ، بوصفه المدافع العقلى اللامع عن الثقافة المسيحية ورئيس الكنيسة المقبل · وهكذا يلتقى جانبا البرجوازية ويعيشان معا فى اعتماد متبادل ، ويكون بينهما من التكـــافل ما بين المنتجين والمستهلكين لنفس الأيديولوجية ·

وهذا النمط من البشـــر ــ الذى يفتقر الى الروح ــ يجهل أنه يملك ذاتا وهو فى يأس لكنه لايدرك ذلك ، أنه يجهل أن الانسان « روح » أصلا وتلك أكثر صور اليأس شيوعيا وهى سمة يتســـم بها ، الى جـــانب البرجوازيين ، والوثنيون أيضا القدماء منهم أو المحدثون ، أعنى الموجودين فى قلب العـــالم المسيحى وان نظروا الى أنفسهم على أنهـــم مسيحيـــون وسوف نعود اليها بعد قليل ·

اما الصورة الثانية لليأس فهى التى يسميهـــا بيأس الضعف وإذا كانت الأولى تشمل السواد الأعظم من النـــاس فان هذه الصورة الثـــانية قليلة للغاية لأن صاحبها يعى حالته ويكره نفسه ولايريد أن يكون ذاته لكنه لايخطو خطوة أبعد من ذلك : « فالوعى بالضعف هو وعيه التهاشى » انه لايتقدم نحو الايمان بل يستوعبه اليأس بعمق . وهو فى هذا اليأس لايريد ان يكون ذاته : « كالأب الذى يحرم ابنه من الميراث كذلك نرى الذات لاتريد أن تتعرف على نفسها بعد أن تكون قد وصلت الى هذه الحالة من الضعف فهى فى يأسها لاتستطيع أن تنسى ضعفها فتكره نفسها فهى لاتتواضع فى الايمان فى حالة الضعف هذه حتى تسترد ذاتها من جديد . كلا ! انها فى حالة اليأس لن تصغى الى ذاتها . ان صح التعبير . ولن تعرف أى شىء عن نفسها ولن يسعدها النسيان ، ولن تفر الى الكنيسة لتـكون مع غيرها من المسيحين ·· ومع ذلك كله فهى كحـــالة الأب السالف الذكر لن يستفيد كثيرا أن يحرم ابنه من الميراث لأن هذه الواقعة الخارجية لن تجعله يتخلص منه ، أو على الاقل فان تفكيره لن يتخلص منه تماما كحالة المحبوب الذى يلعن محبوبه فان ذلك لايساعده ، وانما يزيده عبودية له ـ تلك هى الحال مع الذات اليائسة فى علاقتها مع نفسها ·(٥٠)ولهذا فانك تجد هذه الذات تلجأ الى« الانطواء » والتقوقع على نفسها . لايذهبالى الكنيسة لأنه لايثق ف القساوسة ويعتقد أن معظمهم لايعرفون شيئا عن الموضوعات التى يتحدثون فيها · ويفضل « العزلة » التى هى ضرورة حيوية له لأنها علامة على أن هناك « روحا » فى هذا الانسان · وهو كلما زاد وعيه بحالته قل رضاه عن الكنيسة والايديولوجية الرسمية فى العالم المسيحى بصفة عامة · واغلب الظن أن هذا الصنف من الناس هم قراء كيركجور نفسه الذين افاقوا بفضل كتاباتهفانتقلوا من المرحلةالدنيا السابقة . واضطربتذواتهم عندما شعروا بما حولهم من كذب وزيف فى الكنيسة ، وما وجوده من خواء وفراغ فى الثقافة الدانماركية بصفة عامة لكنهم « اضعف » من أن يغيروا شيئا · أما الصورة الأخيرة والعليا من اليأس فهى التى يسميها بيأس التحدى وهى تصور حالة كيركجور نفسه ، واضرابه من العباقرة . ولقد اتخذ شعارا يصور « روح

---

(٥٠) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 196.

التحدى » عبارة عن ابيات من شاعر الدانمارك كريستيان ونتر Christian Winther تقول :

« الاستجداء ليس من طبيعتنا »

« فالشباب يشق طريقه فى الحياة بنفسه »

« ويستولى على كنوزها عنوة ...»(٥١) .

وفى هذا اللون من اليأس تريد الذات ان توجد وان تحقق نفسها وهى لذلك لابد أن تعى أولا مايعنيه اليأس ، وماتعنيه الذات اللامتناهية التى هى أكثر صور الذات تجردا ، وأكثر الامكانات تجردا . ليست الذات هى ما يريدها المرء أن تكون ، وهو يفصلها عن أى علاقة بالقوة التى أوجدتها تريدها .. وهى لاتعترف بقـــوة أعلى ، انها مثـل بروميثيوس Prometheus الذى سرق النار من الالهة ، تريد ان تحرق من الله الانتباه اليها والاهتمام بها بدلا من أن تقنع هى بالاهتمام بذاتها . وهى بذلك تضفى على نفسهـا أهمية لامتناهية .(٥٢) .

* * *

الصور الثلاث من « المرض حتى الموت » التى تتدرج وفقـا لمراحل الوعى هى « الافتقار الى الروح » ، ثم « التقوقع أو الانطـــواء » وأخيرا « التحدى » ــ تقابل ثلاثة انماط اجتماعية متميزة هى أولا ذلك الاشباع الذاتى اللاواعى الذى تتميز به البرجوازية المادية ، فى حين أن « التحدى » يمثل خاصية العبقرية الرومانتيكية المتمردة الواعية بذاتها . وهاتان الصورتان تمثلان الطرفان القصيان : اللاوعى من ناحية ، والوعى العالى من ناحية أخرى ، أما الصورة المتوسطة يأس الضعف الذى يتقوقع على نفسه والذى يدرك فيها المرء أنه لايريد أن يكون على هذا النحو فهى تقع وسطا بين هذين الحدين القصيين ، وهى تمثل الرجل الأخـلاقى المحترم الذى يعى واجباته

---

(٥١) Quoted by W. Lowrie: S. Kierkegaard, Vol. 1, P. 75 and A Short Life, P. 79.

(٥٢) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 201-202.

ويرى ماحوله من كذب ويخشى فراغ المسيحية وخوائها ، دون أن يكون لديه بديل محدد ــ هذا الفرد المضطرب هو قارىء كيركجور المثالى»(٥٣)٠

* * *

غير أن النمط الأول من الذات هو النمط السائد فى المجتمع الدانماركى فهو صورة « الجنتلمان المسيحى » فى ذلك الوقت حيث تفتقر الشخصية البشرية واحد من اهم مكوناتها وهو عنصر « اللامتناهى » (فالذات تتركب من التناهى واللامتناهى) ، هذا هو الرجل البرجوازى الذى يهتم بكل ماهو متناه ويجهل أن الانسان أساسا « روح » أى عنصر لامتناه ! وهذا البرجوازى المادى يتحول الى « رقم » أو عنصر فى مجتمع ، نفر من الجموع سواء أكان ذلك الجمع هو الحشد فى الكنيسة أو « الجمهور » فى الشارع فهو فى جميع الحالات ينسى نفسه ، وهذه الصورة من اليأس نادرا مايلتفت اليها أحد لأن أصحابها هم فى العادة الطبقة الوسطى الناجحة المنهمكة فى دنيا العمل ٠

غير أن كيركجور لايكتفى بذكر خصائص الرجل الذى تسقط عنه صفاته البشرية لأنه لايعيش كشخص ، كذات عنصرها الأساسى هو « الروح » ــ لايكتفى بذكر خصائص هذه الشخصية فحسب ، ولابتشخيص المرض الذى يعانى منه المجتمع الدانماركى بأنه الصورة الأولى الدنيا من اليأس وهى عامة وشاملة لقطاع عريض فى المجتمع ــ لكنه يرد هذه الصورة السيئة كما سبق أن ذكرنا الى « المنتجين » للثقافة الدانماركية من فلاسفة هيجليين وقادة للكنيسة ، وهكذا يكون الفساد الذى تعانى منه الكنيسة صورة من الفساد فى الفكر النظرى الذى أشاعه الهيجليون ــ فهم الذين أشاعوا الكثير من الأفكار الخاطئة « لاهوتية » و« سياسية » فى آن معا ، سواء عن « الله » أو « الانسان » ، أو العلاقة بينهما وكانت هى السبب فى حالة الافتقار الى الروح التى يعانى منها المجتمع وحولت كل انسان الى فرد فى قطيع ــ وردد‌ها وراءهم رجال الكنيسة من ناحية أخرى فأشاعوا الفوضى فى كل من الكنيسة والمجتمع على حد سواء ٠

---

(٥٣) Bruce H. Kirmmse: Psychology and Society P. 186, (in Kierkegaard's Truth Yale University Press, 1981).

فقد اشاعوا ، مثلا ، نظرية خاطئة عن العلاقة بين الله والانسان ثم فيها الغاء الاختلاف الكيفى بين الله والانسان وبذلوا محـــاولات جبارة للتقريب بينهما ، وهى تلك المحاولات التى بدأت أولا فى حلقـــات المفكرين النظريين ثم انتقلت منهم الى البرانيين وشريدى الشـــوارع الذين مجـــدوا ما يسمى « بالشعب » : فخلقوا الشخصية الميتة التى لاروح لها Spiritless التى تكتفى بالسير مع القطيع ، فاذا ماتساءلنا من اين تأتى « اللاروحية » ومن الذى يدعم « الافتقار الى الروح » فيهبط بالفرد الى هذه الدرجة ؟ فان كيركجور يجيب انه « ثقافة العالم المسيحى » ، التى أصبحت أسوأ عدو للمسيحية وللوعى : ان ذلك العالم المسيحى الذى يصبح فيه كل فرد ـ كما يصبح غيره من ملايين الافراد ـ مسيحيا بغير ضجة وبلا عنت او ارهـــاق ويصبح شأنه شأن كثيرين غيره مسيحيا مثل « الشعب المسيحى » ، ليس مجرد نسخة رديئة فحسب من الطبعة ، نسخة مليئة بالاخطـــاء المطبعية ، لكنه يجعل كذلك المسيحية عبثا لاجدوى منه ـ ان العالم المسيحى ليس سوى اصطبل يتألف من الساسة ورجالات الدولة ، والقساوسة ثم علاقة تكافل بينهـــم من ناحية وبين الطبقة المثقفة ونخبة المفكرين من ناحية أخـــرى ؛ فالرجل المسيحى يعرف ـ عن طريق المصادفة وبطريقة عابرة ـ مرة كل أسبوع ولمدة ساعة (فى الكنيسة) انه على نحو بهيمى موجود روحى ـ وتلك نتيجة « الثقافة المسيحية ، ثقافة القساوسة الذين أساءوا استخدام فكرة الاقتراب من الله فى المسيحية ، فظنوا أن الناس بذهابهم الى الكنيسة قـــد تنازلوا وتعطفوا ، وذهبوا ليشرف الله بحضرهم ، فوجودهم فى الكنيسة شرف لله : وهكذا أصبح كثير من الناس يفتقرون الى الروح بل ساعدهـــم القساوسة وشجعوهـــم على ذلك ، فوصلوا الى أدنى درجـــات الذات البشرية ، وهى الذات المادية المفتقرة الى الروح ، فتراهم يشكرون الناس ، نيابة عن الله على زيارتهم للكنيســـة ـ ويضفون عليهـــم القـــاب التقـــوى والورع ·(٥٤) ·

ولقد كان الفلاسفة الهيجليون هم أساســـا الذين عرضوا المسيحية للخطر باساءتهم فهم العلاقة بين الله والانسان ، وبعدم حرصهم على وجود

---

(٥٤) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 247.

المسافة بينهما مهما كان الاقتراب الذى توحى به علاقة الله ـ الانسان فى المسيحية ـ وتجاهل هذه المسافة ادى الى ان يذهب واحد من الفلاسفة هو « ديفيد شتراوس David Strauss الى القـــول بأن الله ـ الانسان هو الجنس البشـــرى ! وتلك فوضى فى الفـــكر النظرى انتقلت عـــدواها الى السياسة . فلا شك أن الفكر النظرى هو الذى هيأ المناخ الروحى والعقلى الذى كان يعمل على تغذية القوى الثورية لحكم الغوغاء السطحى وللتأليه النظرى للانسان . ومن هنا فلابد أن يخجل الفلاسفة النظريون من أنفسهم عندما يشاهدون الأحوال السياسية المتردية فى البلاد : « فهناك عدد كبير من الفلاسفة شارك فى نشر هذه النظرية الخاصة بسيطرة الجنس البشرى وتفوقه على الافراد . ولابد انهم الآن قد شعروا بالغثيان عندمـــا انحطت نظريتهم وتحولت الى القول بأن : الغوغاء هم الله . (٥٥) ومن هنا كان علينا جميعا ان نعترف انه : « اذا اريد للنظام ان يتدعم فى الوجود . وقبل كل شيء اذا اردنا لارادة الله ان تتدعم . فالله ليس الها للفوضى والاضطراب ولكنه اله للنظام ـ فينبغى علينـــا أن نتذكر بصفة اساسية ، أن كل انسان فرد يحيى هو نفسه وجوده كانسان فرد . انه اذا ماسمح للافراد ان تتحد فيما يسميه ارسطو « بجموع الحشد » ـ وهى صفة يتميز بها الحيوان ، فانه لن ينقضى وقت طويل حتى يصبح هذا التجريد الها ... وكما تعلـــم الشعب فى امم مختلفة أن جموع الحشد ترعب الملك ، وأن الصحافة اليومية ترهب مجلس الشورى Privy Councel كذلك اكتشفوا اخيرا أن جموع البشر ترهب الله . وسميت هذه النظرية بنظرية الله ـ الانســـــان أو النظرية التى تقول ان الله والناس متحدان(٥٦) ! .» وهذا ناتج من تجاهل الاختلاف الكيفى المطلق بين الله والانسان الذى يقع فى مركز التقـــارب بين الله والانسان . والطريق الوحيد للخروج من هذه الفوضى السياسية والاجتماعية والدينية هو أن ترفض جميع المعسكرات الثقافية : اللاهوتية ، والهيجلية وفكرة تأليه الشعب التى اعتنقتها البرجوازية الســـادية . وهى برجوازية « تفتقر الى الروح » كما سبق أن بينا ـ وان كان أقواها جميعا « الهيجلية » التى خرجت منها الفكرة الثورية التى تقول « ان صوت الشعب

---

(٥٥) S. Kierkegaard: Sickness Unto Death P. 249.
(٥٦) Ibid, P. 248 - 249.

هو من صوت الله » . ثم تطورت الفكرة الى ان اصبح يعتقد أنه عندما يرتكب « الشعب او الجمهور المبجل المحترم » جريمة وهــو جميع فانها لاتعود يعد ذلك جريمة وانما تصبح « ارادة الله »...(٥٧) .

ان علينا أن نتجنب كل اشكال التجريد الفلسفى والسياسى .ولابد لكل فرد من مواجهة فرديته العينية الخاصة . وشخصيته هو بوصفه فردا دينيا واخلاقيا . وينبغى عليه ان يقاوم غوايته « ذوبانه » فى جموع الحشد . وان يقف فى وجه التجريد سواء أكان مايسمى باسم « الشعب » او ذلك الكيان الدينى المسمى بالكنيسة . ان علينا ان نعمل على اخراج الذات البشرية من صورة اليأس الدنيا ــ الافتقار الى الروح ــ لكى نصل بها الى الصورة العليا : التحدى . وفى سبيل هذه الغاية كتب كيركجور كتابه الشهير « المرض حتى الموت » الذى اعتبره بعض الباحثين بمثابة الاعلان عن « الدستور الروحى للفرد » . فى مقابل الدستور السياسى الذى ظهر فى الدانمارك فى نفس العام الذى ظهر فيه الكتاب ١٨٤٩ .(٥٨) .

والحق ان كيركجور ابتعد عن الاحداث السياسية فى عصره ، وهى احداث كانت تموج بالوان شتى من التفاعل والغليان الثورى واكتفى هو بما يحمله فى داخله من غليان وراح يحلل المجتمع بطريقته الخاصة اعنى غير المباشرة . لكن ذلك يحتاج الى ان نقف قليلا عند الأحداث السياسية نتعرفها أولا ونعرف موقف كيركجور منها بعد ذلك .

* * *

لو اننا عدنا الى الوراء قليلا لنعرف احداث اوربا ، لوجدنا ان الثورة الفرنسية كانت قد عملت على نشر الكثير من المبادىء الهامة فى جميع انحاء القارة (لاسيما الحرية والاخاء والمساواة ــ وهى المبادىء التى ارتكزت عليها) واحدثت تغيرات هائلة فى نظم الحكم ، وفى الخريطة الاوربية . غير ان هذا المد الثورى انحسر بعد هزيمة نابليون (فى ١٨ يونيو ١٨١٥) ، ومن ثم أخذ الحكم الفردى المستبد يستعيد مكانه من جديد وراحت الحكومات الرجعية تدعم نفسها فيما يمكن أن نسميه : « بالثورة

---

(٥٧) Ibid, P. 253.

(٥٨) Bruce H. Kirmmse: Psychology and Society P. 168 (in Kierkegaard's Truth-Yale University Press 1981).

المضادة » التى توجت باجتماع الدول الاوربية فى مؤتمر كارلسباد عام ١٨١٩ للتصديق على مراسيم « مترنخ » الشهيرة الخاصة بالتحكم فى الصحافة ، وارهاب الجامعات ، وكبت حرية الرأى فى شتى انحاء المانيا ، وبذلك اصبح « مترنخ » قوة تبث الرعب فى قلوب الأحرار فى داخل المانيا وخارجها واصبح هذا الاسلوب فى الحكم هو السائد فى النمسا والمجر والمانيا والدانمارك .. الخ .

غير ان هذا الكبت الشديد ادى الى غليان عنيف ظل بخاره يتجمع يوما بعد يوم حتى انفجر عام ١٨٤٨ (وكان مترنخ نفسه قد ادرك تردى الاوضاع التى وصلت اليها النمسا عندما قال عام ١٨٤٧ ان النمسا تعانى من داء مميت) ! فقد ادت سياسته القائمة على القمع والكبت ، ومناوأة الاتجاهات القومية والتحريرية الى الافلاس لا فى النمسا وحدها ، بل فى المانيا واوربا كلها — وعلى ذلك فقد شهدت القارة الاوربية فى عام واحد هو عام ١٨٤٨ ثورات فى كل مكان : ثورة فى فرنسا ضد تقييد حق الانتخابات ، ثم امتدت الشرارة الى المانيا والنمسا ، وزاد تلك النيران اشتعالا النسيم الثورى القادم من ايطاليا .. وفى مارس ١٨٤٨ كانت العروش تهتز فى جميع انحاء اوربا .

وما حدث فى اوربا امتد بالطبع الى الدانمارك المتاخمة لالمانيا ، بالاضافة الى اشتعال نيران الحرب مع جارتها بسبب دوقيتين كانتا مصدر متاعب لاتنتهى للدانمارك منذ ان ضمهما الملك كريستيان الاول عام ١٨٤٨ الى التاج الدانماركى ، وهاتان الدوقيتان هما « شلزفج وهولشتاين .. Schlewing - Holstein ولم تكن مصادفة ان كتب كيركجور « المرض حتى الموت » خلال الأشهر الخمسة الاولى من عام ١٨٤٨ ، وهى اشهر الغليان كما قلنا ، وقد شهدت الدانمارك فيها تغييرا ثوريا من نظام الحكم الملكى المطلق الذى يقوم على نخبة ضئيلة من الافراد الى نظام الحكم الدستورى اللبرالى القائم على سيادة الشعب . ولقد كانت الاشهر التى تلت « المرض حتى الموت » أشهر اضطراب عنيف سواء فى الدانمارك بصفة عامة ، أو من حياة كيركجور بصفة خاصة . ونحن نعرف انه كان يرد جانبا عظيما من اضطرابه الى التغيرات السياسية والاحداث الاجتماعية التى تقع من حوله والتى تابعها عن كثب لكنه لم يشارك فيها قط ! وفى منتصف ١٨٤٩

جاءت لحظة لالتقاط الانفاس بالنسبة لكيركجور ولمجتمعه . ففى يونيو ١٨٤٩ تم اعلان الدستور الديمقراطى الليبرالى الجديد وفى الشهر التالى ، وبعد سنة من التردد ، نشر كيركجور كتابه « المرض حتى الموت » الذى كان هو نفسه بمثابة اعلان عن الدستور الروحى للفرد(٥٩) .

لكن اليس ثمة تناقض فى قولنا انه كان يرد اضطرابه الى الاحداث السياسية مع انه لم يشارك فيها قط ؟ الواقع انه ليس هناك تناقض ، لأن كيركجور لم يفكر فى المشكلات التى شغلت معاصريه لانها — ايا ماكانت صورتها — لم تحمل معنى ولم تكن ذات مغزى خاص بالنسبة له فهو لم يشارك قط فى الصراعات السياسية والاجتماعية التى تجرى من حوله ، ولم يشغل نفسه على الاطلاق بالحرب التى دارت بين بروسيا والدنمارك بسبب الدوقتين الشهيرتين عام (١٨٤٨ — ١٨٤٩) ، بل لم يرد لها ذكر فى يومياته الا وهو يشكو من انها اخذت منه خادمه « اندرز فيسترجور Anders Westergaard » فحرمته من الخدمة ! كما انها احدثت ارتباكا فى ميزانيته ، وجعلت احواله المالية تضطرب ، فضلا عن انها منعته من القيام ببعض الرحلات التى اعتاد ان يقوم بها !

اما صراع « الجماهير » من اجل الحرية ، وكفاح « الشعب » ، فى سبيل اقامة حياة نيابية يكون له فيها اليد الطولى — والحركة الليبرالية التحررية التى كانت تدافع عن حقوق الانسان — وهى الوان من الكفاح توجت بتسليم الملك فى النهاية بدستور ١٨٤٩ — ذلك كله لم يعره كيركجور أدنى اهتمام ..(٦٠) .

لكن ماالسبب الذى جعل كيركجور يبتعد تماما عن البيئة السياسية والاجتماعية من حوله .. ؟ ! الواقع ان كيركجور لم يؤمن على الاطلاق بنوع الديمقراطية الذى يعتمد على السماح للاغلبية بان تقرر كل شىء :

---

(٥٩) Bruce H. Kirmmse : Psychology and Society P. 168 (in: Kierkegaard's Truth. The Disclosure of the self) Yale University Press 1981.

(٦٠) J. Hohlenberg : S. Kierkegaard P. 276.

فما هو هام وحقيقى بالنسبة له هو الانسان الفرد لا الجموع . ولا العامة ولاالجماهير .. الخ .

لكن عندما نقول ان كيركجور كان يضع نصب عينيه انقاذ « الفرد » من الضياع . وتخليص « الشخصية » البشرية من الطقوس الشكلية فى لكنيسة التى ادت الى انفصام هذه الشخصية ، وانه شعر أن مهمته الاساسية ابراز هذا الوجود الفردى العينى . لكى يسترد مكانه اللائق بعد أن ضاع فى زحمة الجماهير سواء فى الشارع أم فى الكنيسة الخ الخ ـ عندما يكون ذلك هو الدور الذى قام به كيركجور الا يعنى ذلك اننا « نتسمق » التضية التى طرحناها طوال هذا البحث ؟ الاوهى انه لم يتصل قط بالواقع العينى الحى الذى ظل طوال حياته يتحدث به . وأن خبراته القليلة المحددة هى التى كانت باستمرار محور تفكيره ومدار تأملاته ؟ ! وأن اتصاله بالحياة والمجتمع كان باستمرار اتصالا غير مباشر ، اعنى من وراء حجاب ؟ !

الواقع أن اهتمام كيركجـــــور « بالفرد » . وبالذات البشـــرية . وبالشخصية العينية الحية .. الخ ـ يؤكد ماقلناه ولاينفيه ! وربما جـــاء اللبس كله من كلمة « الفرد » التى يستخدمها نيتشه بعد ذلك بمعنى خاص جدا .

ولكى نفهم منظور كيركجور ، وهو نفسه سيكون منظور نيتشه فيما بعد ، علينا أن نقف قليلا عند الصراع الذى يدور فى فترات هامة من تاريخ الانسانية الروحى بين الكيف والكم .. لقد سبق أن أشرنـــا مرارا الى الاهميـــة التى يضفيهـــا كيركجور باستمرار على الكيف بوصفه المعيـــار الحقيقى لكل ماهو روحى ، على عكس الكم الذى تتميز به المادة ، ومن ثم يرفضه فيلسوفنا معيارا لكل ماهو بشرى . لأن الانسان هو أساسا روح وليس مادة .(٦١) والنتيجة المترتبة على التركيز على الكيف واعتباره وحده المقياس الحقيقى لكل رقى وتقدم ـ نتيجة خطيرة للغاية اذا ماانعكست على المجتمع وعلى صنوف البشر جميعا . ذلك لأن الكيف يعنى أساسا التفرقة بين الناس وهو يكره المساواة . ويؤمن بالفرد ولايعنيه شىء من الجموع

---

(٦١) لاشك أننا نجد هنا كثيرا من الافكار التى قال بهـا برجسون فيما بعد .

بوصفه مجموع وحدات متساوية أو متشابه . ومن ثم فاذا نظر الكيف الى الاشياء فانه لايهتم الا بما تميز منها وتفرد وكانت له خصائص تخصه هو وحده . ولهذا فان الكومة من الرمال لاتساوى كلها أكثر مما تساويه حبه رمل واحدة لان الصفة لم تتغير باضافة هذا المجموع الهـــائل من ذرات الرمال الى هذه الحبة : « فمائة الف مليون من البشر يكون منهم كل فرد متشابها مع الآخر لاتساوى الا واحدا - اما فى اللحظة التى يظهر فيها من بينهم شخص يختلف عن هذه الملايين أو عن هذا الواحد ، فهاهنــا فقط يصبحان اثنين - فكل وحدة فى عالم الحساب تعد وتحسب . اما فى عالم الروح فليس هناك عد ولاحساب ، أو بمعنى اكثر دقة مايعد هو المتميز . وهذا يعنى انه ليس هناك عد(٦٢) » .

اما نظرة الكم فهى تجعل الاشياء جميعا متساوية ولوشذت احـــدى الوحدات قليلا تغافلت عن هذا الشذوذ ولم تحسب له حسابا ، ان الكم يجعل الناس جميعا فى صورة واحدة ، ويطبق عليهم مقياسا واحـــدا وشعاره « المساواة ! » ، وصيحة انصاره فى كل مكان هى : « نحن جميعا متساوون وليس ثمة « اناس » أعلى من اناس » ــ الخلاصة أن النظرة الكيفية تقول بالارستقراطية وتؤمن بالامتياز ، فى حين أن النظـــرة الكميـــة تقـــول بالديمقراطية وتؤمن بالمساواة .(٦٣)

وبهذا المقياس نظر كيركجــور الى مجتمعــه : أحـــداثه السياسية والاجتماعية فراح يهاجم الديقراطية والمساواة والشعب والجمهور والحشد ... الخ لانها تمثل « الكم » الذى هو أكبر « أعداء الروح » ، ولايستخدم فى حالة الانسان الا « لعد » البشر كحيوانات ! ــ

« هناك حشرات تدافع عن نفسها ضد أعدائها بأن تثير غبارا حولها . وكذلك الانسان يدافع عن نفسه ، غريزيا ، ضد الفكر ، وضد الروح ، بأن يلجأ الى الأعداد لان الأعداد هى العدو الطبيعى للفكر والروح ...

---

(٦٢) Quoted by J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 280.

(٦٣) د . عبد الرحــمن بدوى : « نيتشــه » ص ٢٥٤ ــ ٢٥٥ من الطبعة الخامسة ــ وكالة المطبوعات بالكويت عام ١٩٧٥ .

« وعندما يريد الناس حماية أنفسهم من التعامل مع الفكر ومع الروح ، فانهم يلجأون الى الاستعانة بالكتائب ، والفيالق ، والملايين — التى تكافح موحدة قواها لطمس الروح . ان الانسان لايرتبط ارتباطا مباشرا بالاعداد الا بوصفه حيوانا(٦٤) . »

والحق ان الهجوم العنيف الذى شنه كيركجور على الكم والحساب والاعداد .. الخ لما تقوم به من تزييف للحقيقة فى المجتمع ، سوف ينعكس منطقيا انعكاسا سيئا على آرائه الاجتماعية والسياسية مهما حاول بعض الباحثين تخفيف وقعها على القارىء بقوله : « انه من الواضح ان كيركجور كان محافظا »(٦٥) .

الحق أن آرا ءه السياسية كانت « رجعية » شديدة الرجعية ، تحمل قدرا غير قليل من الاستعلاء ، والارستقراطية تستبق على نحو مثير ماسوف يقوله فردريك نيتشه بعد سنوات قليلة . فكيركجور يهاجم جميع الأسس التى تقوم عليها « الديمقراطية » ، والحركات الثورية الليبرالية التى استهدفت تحرير المواطن من استعباد الحكام : « فهو لم يؤمن قط بنوع الديمقراطية الذى يسمح للأغلبية بأن تقرر كل شىء .. (٦٦)» . ويذهب الى ان فكرة الأغلبية .. Majority فكرة بالغة الحمق ، فلا يمكن أن يقال ان الحقيقة تعتمد على عدد المؤيدين لها ! العكس تماما هو الصحيح : الحقيقة دائما فى جانب الأقلية ، وهذه الأقلية هى دائما أقوى من الاغلبية ، ذلك لأن الأقلية قد تشكلت ، بصفة عامة ، ممن لهم رأى حقيقى فعلا ، فى حين أن قوة الأغلبية ليست سوى وهم أشاعته عصابة لارأى لها ، وفى اللحظة التى يتضح فيها ان الأقلية هى الأقوى تراها تأخذ برأى هذه الاقلية التى تصبح عندئذ أغلبية . أعنى أنها تصبح زيفا ولغوا فارغا من جديد عندما تضم الى صفها العصابات ومعها الكم كله فى الوقت الذى تكون فيه الحقيقة مرة أخرى مع أقلية جديدة ..(٦٧)» ولاشىء يجعل كيركجور يضطرب ويثور أكثر من ادخال عمليات الاقتراع والتصويت » فى المسائل

---

(٦٤) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 353.

(٦٥) J. Hohlenberg : S. Kierkegaard P. 276.

(٦٦) Ibid.

الروحية ومن هنا فقد شن هجوما عنيفا على اتباع جروند فيج Grundtivg الذين نظموا حزبا سياسيا اسموه « اصدقاء الفلاح » أرادوا به ادخال آراء متحررة فى الكنيسة ..(٦٨) وكانت اسوأ شكوى لديه من المطران مينستر« انه وافق على أن يعين فى البرلمان، ومن ثم فقد راح يباشر عمليات الاقتراع فى شئون الكنيسة بدلا من أن يؤكد الحق التاريخ المطلق للكنيسة فى الاستقلال عن آراء الاغلبية !

ولقد ادى هجوم كيركجور على هيجل والهيجلية الى مهاجمة تصورات كلية معينة تتضمن دفاعا عن المساواة والكرامة الأساسية للانسان . فهو يرى ان الانسانية الخالصة هى سلب . وتجريد محض من الفــرد وتسوية وتستطيع لكل القيم الوجودية . أن الشىء الوحيد الذى يطلبه المجتمع من السلطات هو أن تترك « الفرد » فى سلام ولاتحرمه من هذا المطلب الوحيد الذى يحتاج اليه . والأمر الذى يلوم كيركجور من اجله الحكومة بشدة ليس هو انها أساءت استغلال القوة بل انها لم تستغلها على النحو كاف ممـــا ادى الى اعطاء المعارضة الثورية دورا اكبر مما ينبغى ! : « لقد كان يرى بوضوح أن اولئك الذين يستولـــون على السلطة بتلك الطــرق الثورية يكونون فى العادة ــ من الناحية الأخلاقية والعقلية معا ــ أدنى من أسلافهم الذين أخذوا مكانهم . وكان يدرك تماما أن مايهم ليس مضمون الأفكار التى تطرح بل نظرة الفرد اليهــا . الصـــدق الذاتى للأفراد القائمين بها . ومن هذه الزاوية فقد كان على يقين من أن «الامــــور تسيـــر من سىء الى أسوأ »(٦٩) .

* * *

(٦٧) Quoted by J. Hohlenber: Ibid, P. 280.

(٦٨) نيقولاى فردريك جروندفيج بطل دينى وشاعر عظيم اهتم بالحياة الاجتماعية اهتماما كبيرا . وقد أراد للكنيسة ان تلتحم مع الجماهير ومن ثم نادى بآراء تحررية جدا . ولاشك أنه أوقد جذوة النار الروحية والاستقلال فى الشعب الدانماركى فى وقت كانت روحه منهارة وموارده وكيانه كلــه معرض لخطر أن تجتاحه المانيا ورغم ذلك كله فانكيركجور لم يتأثر وهاجم آراءه !

(٦٩) Ibid, P. 277.

السؤال الذى سبق ان طرحناه مازال قائما ٠٠ الا يمكن ان نقول ان هجومه على هيجل ، والكنيسة ، والديقراطية ٠٠ الخ ، كان من اجل انقاذ الفرد من الضياع على الاقل من وجهة نظره هو التى كانت ترى : « ان مبدأ الاجتماع فى عصرنا ليس ايجابيا بل سلبيا ، انه : هروب ، وتشتت ، ووهم ٠ ويسير جدل هذا الاجتماع على النحو التالى : كلما قوى الاجتماع الافراد افسدهم ، انه يقويهم بالعدد ، بالجمع والالتصاق معا فتزداد الاعداد ، لكنه من وجهة النظر الاخلاقية يضعفهم ٠٠ »(٧٠) ٠ فكيركجور يهاجم الاجتماع من « أجل الفرد » الذى اتحد مع الشمول الكلى فى مجتمعه بحيث ضاع كل معنى للتفرد وللشخص وللمسئولية الذاتية ٠(٧١) ٠ والعملية التى تتبخر بواسطتها الفردية داخل الجموع يسميها كيركجور بالتسوية والتسطيح Levelling وهو يردها الى فكرة المساواة يقول : « جدل العصر الحاضر يتجه نحو المساواة ، والنتيجة المنطقية لها ، رغم انها نتيجة خاطئة ، هى التسوية والتسطيح ، بوصفها الوحدة السلبية لتفاعل سلبى بين الأفراد ٠٠ »(٧٢) ٠ وعملية التسوية او التسطيح هذه لها ابعادها السياسية والاجتماعية والدينية : ففى عالم السياسة يكون هناك الرأى العام ٠٠ (٧٣)الذى يعبر عن نفسه فى الصحف ، وهى صحف لا أثر فيها للفكر ، كما يتحول الأفراد الى شفرات غفل من الاسم لوجهات نظر الآخرين ، وينقلب الفعل الشخصى الى « فرجة لاشخصية » وكنتيجة لذلك كله « نتيجة لعملية التسوية والتسطيح تخلص الجيل من الفرد ، ومن كل ماهو عضوى وعينى ، واحل محله مايسمى بالانسانية ٠٠ Humanity والمساواة العددية بين انسان ٠٠ وانسان ٠٠ »(٧٤) ويؤكد كيركجور أن

---

(٧٠) S. Kierkegaard: The Present Age P. 79 Trans. by A. Dru, Happer Torchooks 1962.

(٧١) Mark Taylor : Aesthetic Therapy : Hegel and Kierkegaard P. 3 50 (in Kierkegaard's truth, yale University Press 1981).

(٧٢) S. Kierkegaard : The Present Age P.

(٧٣) الرأى العام عنده هو رأى الأغلبية ، ورأى الأغلبية يعتنقه من لارأى له : قارن « العصر الحاضر » ص ٦١ من ترجمة دروا السالفة الذكر ٠

(٧٤) العصر الحاضر ص ٨١ ترجمة الكسندر درو ٠

النتيجة الهامة للتطورات السياسية والاجتماعية والدينية فى العصر الحديث هى فقدان الذات الفردية الاصيلة ، وضياع الذات الفردية ينعكس فى الحركة الفلسفية والدينية عموما وفى المذهب الهيجلى على وجه الخصوص .. ومايحتاجه العصر ، فى رأى كيركجور ، هو اعادة : التميزات ، والفروق الكيفية ، والتقابلات ، والتعارضات ، كعنصر مكون للوجود الزمنى وانبثاق للفردية الاصيلة .(٧٥) وها هنا يلتقى كيركجور ونيتشه على صعيد واحد، ويظهر واضحا من هو « الفرد » الذى اجهد نفسه فى الدفاع عنه .

الفرد الذى يدافع عنه كيركجور هو الفرد « المتميز أو « المتفوق » ، أو « الخارق العادة » أو « المستثنى » أو هو الانسان الأعلى كما سيقول نيتشه فيما بعد ، وليس هو الفرد العادى « المتوسط القدرات الذى يكون واحدا بين كثيرين ! ولهذا تراه يهاجم المتوسط فى القدرات بعنف » : الوسطية Mediocrity هى المبدأ الذى يشكل الجمهور العريض من « الجنس البشرى . غير أن مايطلبه المطلق ومايطلبه الله من الناس — كشرط أول للدخول معه فى علاقة — هو أن يفرق ويفصل فيما بينهم .. والحق أن الجرائم الكبرى تجعل هذه « العلاقة اكثر امكانا من الوسطية ، لان الجرائم الكبرى تعزل وتفرق بين الناس ..(٧٦) » .. « الصور التافهة والخسيسة للمسيحية التى ظل المطران مينستر يذيعها لسنوات طويلة ، قد شجعت القدرات المتوسطة ودعمتها ، وكان من الطبيعى أن تسهم فى الحقيقة القائلة بانه من المرجح جدا ألا تجد انسانا واحدا فى الدانمارك لم تستعبده الوسطية(٧٧) » .

الفرد الذى يسعى كيركجور الى انقاذه ليس شخصا عاديا لكنه ذو مواهب نادرة ، تجعله « غريبا » عن الجماهير التى لاتملك سوى السخرية منه » والقاء النكات على نحو لايخلو من حسد وهذا شىء طبيعى تماما لأنهم بعد أن يضحكوا من هذا العظيم سوف يعودون الى الاعجاب

---

(٧٥) قارن مقال مارك نايلون « العلاج الجمالى : هيجل وكيركجور » ص ٣٥٠ .

(٧٦) S. Kierkegaard : Lest Years P. 165.

(٧٧) Ibid, P. 61.

به .. وبهذه الطريقة يجد الحقد والغيظ Resentiment (الذى يتطوى على الحسد) متنفسا له .. ولقد اتخذ هذا الغيظ عند اليونان صورة طـــرد العظماء ونفيهم بغير محاكمة Ostracism . وذلك لون من «الدفاع عن النفس من جانب الجماهير لكى تحافظ على التوازن فى مواجهة الصفات الفائقة للبارزين . صحيح أن الرجل المتفوق قد تم طرده ونفيه من البلاد لكن كل انسان يعرف معنى «العلاقة الجدلية التى ينطوى عليها هذا النفى من حيث انه **علامة على التفوق** . ولهذا فسوف يكون أمرا يدعو السخرية أن يطرد المجتمع شخصا تافها لاوزن له ، مثلما يدعو للسخرية أن يعين هذا التافه حاكما دكتاتوريا على الناس : ان الطرد علامة سلبية على العظمة ! وكان « ايليا أبو ماضى » كان يعبر عن فكرة كيركجور فى بيته الشهير :

لم يطلبـوك بذمهـم لو لم ... تك منهم أجـل وأعظمـا

والرجـل الذى قال لأرستيد Aristides . (٧٨)لقد اقترعت الى جانب طردك من البلاد ، لاننى لم أطق أن أسمعهم يقولون عنك انـك الشخص الوحيد العادل » لم ينكر بهذه العبارة تفوق « أرستيد » وامتيازه ولكنه يقرر شيئا عن نفسه ، انه يقرر أن علاقته بالشخص المتميز هى علاقة حسد بدلا من أن تكون علاقة حب واعجاب لكنه فى جميع الاحوال لم يقلل قط من هذا الامتياز(٧٩) .

والغيظ أو الحقـد عنـدما مايثبت أقـدامه يتحـول الى عمليـة تسوية وتسطيح ، تريد أن تخنق كل تميز وكل « تفـرد » بحجة المساواة . ولابـد أن يكون واضحـا أن المغـزى العميق لعمليـة التسطيح يكمن فى القول بأنها تعنى سيادة مقولة « الجيل » على مقولة « الفرد »(٨٠) . لقد كان المجموع الكلى للأفراد فى العالم القديم لايوجد الالكى يعبر عن قيمة الفرد المتفوق . أما الآن فقد تغير معيار القيمة وأصبح التساوى ، كذا وكذا من عدد الناس يساوى الفرد ، ولايحتاج المرء لشىء سوى التأكد

---

(٧٨) أحد رجالات السياسة فى أثينا وقد اشتهر بالعدل حتى قيل عنه أنه أعدل أهل زمانه كانت حياته حوالى ٥٣٠ ـ ٤٦٨ ق . م .

(٧٩) S. Kierkegaard : The Present Age P. 49 - 50.

(٨٠) Ibid, P. 52.

من انه جمع العدد الصحيح لكى يكون شخصية هامة . اما الفرد فى العالم القديم فلم يكن له ادنى قيمة وسط الجموع . لأن الفرد المتميز يبزهم جميعا، اما عصرنا الحاضر فقد اتجه نحو المساواة الرياضية التى تنتهى الى القول بتساوى كل الفئات .. فيما سبق كان الفرد المتميز يسمح لنفسه بكل شىء . اما الفرد فى الجموع فهو لاشىء على الاطلاق .(٨١) .. الخ .

كيركجور اذن ، لايدافع عن الفرد العادى الذى يكون وسط الجموع لان هذا الفرد « لاشىء » . لاقيمة له ولايستحق الدفاع عنه ، انه يدافع عن « المستثنى » عن « رجل المواهب » الخارق للعادة .. وشيئا فشيئا سوف يشكل لنفسه مقولة بالغة الأهمية هى **مقولة الأوحد** Unique التى ستعارض الفلسفة الهيجلية بأسرها . لان سحيها هو وحدة الذى يستطيع الدخول الى محراب الايمان . الم يقل السيد المسيح : اجتهدوا للدخول من الباب الضيق ؟ ! « الم يقل سقراط من قبل « ان باب الرذيلة واسع يدخله الناس جماعات اما باب الفضيلة فضيق لايدخله الا شخص واحد » — هو « الاوحد » التى يستطيع الدخول الى مضايق الايمان فيتفتح الطريق امامه ثم ينغلق عليه . وهذا الباب الضيق لايعبره فى المرة الواحدة سوى شخص واحد . ولايستطيع المرء المرور الا بشرط اساسى هو الا يكون له دليل يدله أو رفيق يهديه « وفارس الايمان لايستطيع أن يساعد أى فارس آخر ، والفرد المتطور من الناحية الروحية يحمل معه فى قبره سر تطوره . هاهنا لايوجد مجتمع ولاتالف اجتماعى . ويتوجه كيركجور بالحديث الى هذا الأوحد قائلا » : من أنت ؟ انى لأجهل ذلك . وهل أنت موجود ؟ انى أجهل ذلك أيضا . ورغم هذا فانت رجائى ، وسرورى ، وفخرى » . وكيركجور يتنبأ بمجىء الاوحد كما يتنبأ نيتشه بمجىء الانسان الأعلى ، وهو يعرف أن الأوحد غير موجود تماما كما أن نيتشه يعرف أن الانسان الأعلى غير موجود(٨٢) .

ان « مقولة الأوحد » « هى التى يفهم كيركجور بمنظورها الوضع الاجتماعى والسياسى القائم ، والذى يسعى الى تحرير الأفراد العاديين . مقولة الاوحد نقد لكل القيم الاجتماعية السائدة انها الفأس التى تحطم

(٨١) S. Kierkegaard : The Present Age P. 52 - 3.

(٨٢) J. Wahl: Etudes Kierkegaardiennes P. 270 - 271.

المذهب ، والنوع ووحدة الوجود ، والتاريخ ، انها المقولة المسيحية الحاسمة فاذا اتحد الناس ظهر الخطأ : « افهم من كلمة الحشد العنصر العددى ، سواء أكان العدد عددا من أصحاب الملايين أو عدد من الصعاليك(٨٣)ألم يقل القديس بولس : « الستم تعلمون أن الذين يركضون فى الميدان جميعهم يتسابقون ، لكن واحدا ينال السبق » ؟(٨٤) ·

فلسفة كيركجور السياسة أرستقراطية تمجد الكيف وتكره المساواة ، وبالتالى لاتعترف بشيء اسمه الديقراطية ــ واذا كان هيجل : « اثبت أن أكمل وجه للفرد يتحقق فى حياته الاجتماعية ، واتجه الاستخدام النقدى للمنهج الجدلى الى اظهار أن الحرية الفردية تفترض مجتمعا حرا ، وأن التحرر الحقيقى للفرد يقتضى بالتالى تحرر المجتمع ··(٨٥) » فقد هاجمه كيركجور بعنف : « لأن كل فرد فى أعماق فرديته الباطنة ، منعزل عن الآخرين جميعا فهو منفرد أساسا ، وليس ثمة اتحاد واشتراك أو شمول ينازعه سيطرته ··(٨٦) »

والحق أنه هاجم كل فيلسوف يمجد مايسمى « بالشعب » أو الجمهور ــ تماما كما فعل نيتشه عندما وصف الفلاسفة بأنهم « حمير يجرون عربة اسمها : الشعب » · : « لقد خدمتم الشعب ، ودعمتم خرافاته ، ياأيها الفلاسفة المشهورون ! لكنكم لم تخدموا الحقيقة قط ! ولهذا السبب يحترمكم الناس ··· انكم دائما كالحمير تجرون عربة الشعب(٨٧) ! »

والحق أن كيركجور ــ ومعه نيتشه ــ أخطأ خطأ فادحا فى فهمهم للمساواة ، ومن ثم كراهيته للديمقراطية والاشتراكية وغيرها من النظم السياسية والاجتماعية التى تقف وراء هذه « المساواة بين الناس » ، ! « فالحملة على حركة اجتماعية ذات صبغة عامة بحجة أنها تتعارض مع

---

(٨٣) Cité par J. Wahl: Etudes P. 271.

(٨٤) الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس : الاصحاح التاسع عدد ٢٤ ·

(٨٥) هربرت ماركيوز العقل والثورة » ص ٢٥٨ ترجمة د · فؤاد زكريا الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٠ ·

(٨٦) نفس المرجع السابق ص ٢٥٩ ·

(٨٧) F. Nietzsche: Thus Spoke Zorathustra P. 126 - 127 Trans. by R. J. Hollingdale (Penguin Books 1969).

مبدأ الفردية ينم عن قصور ذهنى شديد .. أيستطيع أحـــد بعـد كل هذا الشوط الهائل الذى قطعته الانسانية فى مضمار العلاقات الاجتمـاعية أن يتصور الفرد على أنه كيان منعزل يمكنه أن ينمو وحده ، ويزداد نموا بقدر استقلاله عن المؤثرات المحيطة ؟ ان الذهن الفردى لاينمو تلقائيا وانما يزداد عمقا كلما ازدادت الاشعة التى تتلاقى فيه .وليس معنى ذلك أن يكون الذهن سلبيا يتلقى محتواه من الخارج فحسب ، اذ انه يؤدى مهمة أساسية هى تنظيم هذه الاشعة ، والقدرة على تكوين مركب متجانس منها . وعلى ذلك فليس مما يحط من قدر الفرد مطلقـا أن تزداد علاقته الاجتمـاعية عمقا ، وأن يتداخل ذهنه فى اذهان الجماعة المحيطة به على الدوام ..(٨٨)».

ومن ناحية اخرى فان « المساواة » بين البشر التى تنادى بهـا الديمقراطية لاتلغى الفروق الفردية بين الناس .انها ليست « تسوية » أو « تسطيحا » يختفى معها كل « تفرد » ويلغى أى « نتوء » . ليست عملية تتـم على « سريـر بروكرست Procrustes (٨٩) بحيث تقضى على أن « شذوذ » و « تسوى » كل ما هو نشاز ! ان المساواة فى الديمقراطية تعنى أن يتساوى الجميع ، لافيما بينهم ، ولكن امام شىء آخر هو القانون ! ومن هنا تتاح الفرصة امام الجميع لاظهار مواهبهم وتفوقهم وفروقهم الفردية بغير « حسد » ، ومن ثم لايعامل المتفوق معاملة سيئة كما يقول كيركجور ولايخلقه الحسد كما كان يقول فى عبارته الشهيرة : « الحسد يعـامل الانسان معاملة سيئة ، حتى يمنعه من أن يكون هو المستثنى ، ومع ذلك فان المرء يصبح مستثنى من خلال هذه المعاملة السيئة ، ومن ثم فان الحسد هو الذى يخلق المستثنى ..(٩٠)ان الحسد ، بل الكراهية والمقت ، يخلقهما ذلك الاستعلاء المتغطرس الذى يظن انه من طينة مختلفة عن طينة البشر ، ذلك التعالى الذى لايتحدث عن نفسه الا بلغة « المخلص » ، ذلك الغرور الذى

---

(٨٨) د. فؤاد زكريا نيتشه ص ١١٥ ـ ١١٦ دار المعـارف بمصـر طبعة ٢ .

(٨٩) قاطع طريق فى الميثولوجيا اليونانية كان يدعو الغرباء لزيارته ثم يرغمهم على النـوم فى سريره الوحيـد ، فان كانوا أطول قطع الزيادة وإن كانوا أقصر شدهم حتى الموت .

(٩٠) S. Kierkegaard: The Journals (Last Years) P. 146.

يجعل من « المسيح » عند كيركجور النظير والمثيل والقرين . أما « نيتشه » فهو لايكتفى بأن يكون شبيها فحسب لكنه يقول : « اذا كانت هناك آلهة فكيف أطيق ألا أكون إلها ؟ ! وكثيرا ما كان يكتب الى أصدقائه قائـــلا : « لقد تمضيت فى هـــذا الزى : لـكنى أنا أنت ! » او يوقع رسالتـــه باسـم « المسيح » أحيانا : و « عدو المسيح » أحيانا أخرى ! — ولو اقتصر الأمر على أمثال هذه العبارات لقلنا انها لون من « هذيان العظمة » . لكن الأمر أعمق من ذلك : انها فلسفة الارستقراطية . فلسفة الصفوة الممتازة التى تمقت أن يكون هناك اقتراع أو تصويت عام يخول لكل انسان أن يقف موقف القاضى من كل شيء . وتطالب باعادة نظـام التصـاعد الى عرشـه من جديد ، وتدعو الممتازين الى اعلان الحرب على « العامة » ، و « الجموع » ، و « الحشد » ، و « الدهماء » ... الذين يضايقون الآخـرين « كالذباب » ! ولاغرو أن يستخدم كيركجور ونيتشه نفس الالفاظ فى وصف « الجماهير » : فهى « ذباب » أو « حشرات » أو « بهائم بشرية » !

* * *

نحن هنا لانناقش أفكار كيركجور الفلسفية فسوف يكون هناك مجال واسع فى الجزء الثانى من هـذا الكتاب لمثل هذه المناقشة . لكننا أردنا أن نسوق كلمة تعقيب على فـكرة « الفرد » الذى أراد كيركجور انقـاذه من الضياع ، ومن أجله هاجم الكنيسة كما هاجم هيجل ، وانتقد المفكرين فى عصـره ، وتصـدى بالتفنيد لمن أسماهم « بثورى الشوارع » الذين ألهوا الشعب وطمسوا معالم « الفرد » الخاصة . فنفـذوا سياسيا نفس التعاليم الدينية التى يروجهـا رجـال الدين الذين اذابوا الفـرد فى ذلك الكيـان « المجرد » المسمى بالكنيسة ، فطبقوا عمليـا ما كان يقـول به الهيجليون نظريا ، وهـو الاهتمام « بالكلى المجـرد » بوصفه الحقيقيـة الموضوعيـة (والموضوعية تعنى العمومية أيضا) التى لا تتأثر بعلاقتها بالفرد . وهكذا نرى قوى التزييف واحـدة وان تعـددت أشكالها (وكان كيركجور يذكرنا بالعقل الكلى عنـد هيجل الذى يسرى فى جميع المجـالات بحيث لا تكون الا نسخا خاصة من فكرة واحـدة !) فاتخذت مرة الشكل الدينى ، وأخرى

الشكل الفلسفى أو السياسى والاجتماعى ٠٠ الخ(٩١) ٠٠ وهكذا أيضا نجد اتساقا بين الافكار التى يسوقها كيركجور فى المجالات الفلسفية المختلفة . فلاشك أن فكره الدينى يتسق تماما مع تصوره الفلسفى للطبيعة البشرية التى عبر عنها فى نظريته عن اليأس تعبيرا يتفق أتم الاتفاق مع فكرة بسكال عن « عظمة الانسان وبؤسه » ٠ كما أن هذه النظرية بدورها تصور الانماط الاجتماعية المختلفة ، وتعبر عن موقفه السياسى من أحداث العصر لاسيما كراهيته للتيار اللبرالى والحكم الديمقراطى وتفضيله للحكم الفردى الذى يتسق مع نظرة الاستعلاء الارستقراطية ، وهى نتيجة حتمية لفكرة الكيف التى جعلها المقياس الحقيقى لكل ما له قيمة ٠ ولما كان الكيف وثيق الصلة بالمشاعر والانفعالات والعواطف والوجدانات التى هى بطبيعتها فردية ومتباينة من شخص الى آخر ، فاننا حين نجعله المقياس ، فاننا فى نفس الوقت نضع أساسا للتفرقة والتمييز بين الناس ونرفض المساواة والعمومية ٠ ولاشك أن هذه الخيوط كلها سوف تتجمع لتلقى بنا فى عالم اللامعقول ، لأن الاعتماد على المشاعر والعواطف وما اليها من أمور وجدانية يجعل الاحتكام الى العقل مستحيلا ؛ ذلك لأن العقل عام ومشترك بين الناس ولهذا كان أساس الاتفاق بينهم والتوحيد لاتجاهاتهم ، العقل أساس « الموضوعية والعمومية والمساواة » ، أما الذاتية ، والتفرد ، والتمايز ، فهى تضرب بجذورها فى « اللامعقول » ٠ ولهذا اصطبغت الفلسفات العقلية بصبغة العمومية ، فى حين اتسمت الفلسفات اللاعقلية بالنزوع الى الفردية ــ وكلما أوغلنا فى « اللامعقول » وصلنا الى الفردية المطلقة ٠ والحق أن هذا الضرب من الفردية هو ما كان يعمل كيركجور على انقاذه ، انه كما سبق ان ذكرنا « الفرد الخارق » ، « والمستثنى » ، أو « الأوحد » ــ وباختصار شديد هى « كيركجور نفسه » ! حقا انه أراد أن يخلق مجتمعا يتألف من أشباهه من العباقرة : « الذين يأتون مثل العاصفة ، فى اتجاه معاكس للريح ، ويرعبون الناس ، وينطفون

---

(٩١) قارن قوله ان عملية التسوية أو التسطيح يمكن أن تقوم بها احدى الطبقات ــ الخاصة مثل طبقة رجال الدين أو طبقة البرجوازيين أو طبقة الفلاحين ٠٠ الخ العصر الحاضر ص ٥٩ ــ ٦٠ ٠

الجو .. »(٩٢) . او جماعة من « القديسين » الذين لاهم لهم فى هذه الدنيا سوى الاتصال المباشر بالله وعبور الهــوة التى تفصــل بين المتناهى واللامتناهى . بين الانسان والمطلق - بقفزة - واحـــدة ! لقفهما محاولات مكتوب عليها أن تفشل لأنهـا متناقضة مع نفسها . فما دام القياس الكيف والتفرد اصبحت كلمة « الجماعة » أيا كان لونها مستحيلة منطقيا .

وما دمنا قــد اشــرنا الى التناقض المنطقى ــ وما اكثــره فى فــكر كيركجور ! فلنشــر الى ملاحظة أخـرى هى انه من الغريب بل من المذهل حقا ، أن نجد هذا الثائر » الذى يشبه نفســه بالعاصفة التى تطهر الجو . يرفض هذه الثورة نفسها فى ميدان السياسة متعللا بحجــة واهية هى أن الذين يستولون على السلطة بالقوة سوف يكونون باستمرار أدنى ــ خلقيا وعقليا ــ من القائمين عليهــا بالفعل : ثم ان الذين اعتادوا السلطة وظلوا فيها فتــرة طويلة يسهل باستمرار التعامل معهم لانهم الفــوا الحــكم فلن يصيبهم الغــرور ولن يتأثروا به فيشــعرون باهميتهم الخاصــــة ! وانه لن عجيب أيضا أن نجــد باحثا لامعا مثــل « هولنبرج » يحاول أن يبرر مثــل هذا الموقف الرجعى الوغل فى اللامعقول : « ان احترام الوضع القائم الذى كان يؤكده كيركجور باستمرار لم يكن يعتمد على الايمان الاعمى بالسلطة . بل على الاعتراف بواقعــة أن أولئك الذين اعتادوا السلطة هم دائمــا اقل شعورا باهميتهم الخاصة ، وبالتالى يســهل التعامل معهم أكثــر من أولئك الذين لايعرفون بعــد ماذا يعنى أن تتسلم مقاليد الحكم . وهو يفضل مثل هاملت أن يتحمل الالام والشرور الموجــودة بــدلا من أن نلقى بانفسنا فى أحضــــان أناس لانعرف عنهم شيئا . فلقــد كان مذهبــه المحافظ من ذلك النوع الذى يخشى الجديد . لا لأن الجــديد باستمرار أســوأ من القــديم وانما لأنه يحتاج الى التكيف والتوافق مع أساليب جــديدة فى الممارسة ، وتلك باستمرار مضيعة لا لزوم لهــا للوقت وللجهــد الذهنى .. »(٩٣) .
ولست أدرى كيف يمكن أن يكون « ثائرا » ذلك الذى يحــرص على أن تبقى

---

(٩٢) S. Kierkegaard: The Journals P. 324 (Oxford) Eng. Trans. by A. Dru.

(٩٣) J. Hohlenberg: S. Kierkegaard P. 277.

الاوضاع كما هى بلاتغيير بحجة أن « من تعرفهم خير ممن لم تعرفهم بعد » ! كيف يمكن أن يكون « ثائرا » ، ومع ذلك يخشى الجديد لأنه يتطلب منه « تكيفا جديدا » وتوافقا مع أساليب جديدة لم يألفها من قبل ؟ وماذا يمكن أن تعنى « الثورة » ما لم يكن من أبسط معانيها أن تأتى بشىء جديد ؟ ! أم أن المسألة ليست سوى « مرجل » يغلى بداخله فحسب دون أن يحرك شيئا قط ؟ ! : « خارجيا كان كيركجور متمسكا بالقانون مخلصا الى أقصى حد للنظام القائم فى المجتمع ، ولم يسمح لنفسه قط أن يتزلق فى أية محاولة للتغيير حتى ولو كان أبسط وأقل تغيير ممكن من النظام القائم . لقد كان ينظر الى المجتمع نظرته الى الطقس والجو ، والرياح ، والشتاء ، والصيف ، فهى كلها أمور ينبغى الا يضيع فيها المرء وقته وجهده وفكره . ذلك فى التحليل النهائى ليس لها معنى : ان الشىء الوحيد المهم هو الانسان وموقفه تجاه الفكر (٩٤) افسدته فلسفة « محافظة » أم رجعية عاتية — تلك التى لاتقبل أدنى تغيير ولو طفيف فى الوضع القائم فى المجتمع ؟ ! ثم من هو هذا « الانسان » الذى يركز عليه ويجعله هاما الى هذه الدرجة ؟ أيستطيع أحد بعد كل هذا الشوط الهائل الذى قطعته الانسانية فى مضمار العلاقات الاجتماعية أن يتصور الانسان على أنه كيان منعزل يمكنه أن ينمو ويصل الى المطلق فيتحقق له الخلاص بغض النظر عن المؤثرات المحيطة به ، ودون أدنى اكتراث بالمجتمع من حوله ؟ الحق أن هذا الموضوع يحتاج الى وقفة طويلة لنقارن بين كيركجور وهيجل فى مضمار « التجريد » ، و « العينية » ، والاهتمام بالواقع الحى ، والانشغال بدنيا الناس من ناحية والعيش مع الذات فى دنيا الاوهام والخيالات من ناحية أخرى — فلنرجىء الحديث المفصل الى الجزء الثانى من هذا البحث . ولنتابع الآن كيركجور فى مؤلفاته ومنهجه وهو موضوع الفصل القادم .

(٩٤) Ibid, P. 278.

الفصل السابع

المؤلفات .... والمنهج

« هــــذه الكتب كالمــرآة : اذا تطلع اليهــا فــرد ، فلايمــكن أن يتــوقع أن يشاهـــد رسولا .. » !

س. كيركجور : « المادية »

الفصل السابع

المؤلفات .... والمنهج

يقـول « جان فال » : « ان مؤلفات كيركجور لاتعرض علينا مذهبا تاما مكتملا . ذلك لانه عن طريق هـذه المؤلفات نفسهـا كان يتكون هـو نفسه » . « نشاطى كمؤلف هو تطورى الخـاص وهـو تربيتى ذاتها(١) . فحياته هى التى تشكل فكره ... »(٢) . والحـق أن تطور حياته لاسيما من الناحية الروحية كان يؤثر لا فى نوع الكتب التى يؤلفها فحسب . بل أيضا فى المنهج الذى كان يستخـدمه فى عمليـة التاليف . ومن هنـا فانه كان يستخدم فى بداية تطوره الروحى منهج الاتصال غير المباشـر لاسيما فى مجموعة الكتب التى أطلق عليها هو نفسه « المؤلفات الجمالية » ، ثم عاد واستخدام منهج الاتصال المباشر لاسيما عنـدما أراد أن يكشف عن نفسه وعن رسالته للناس ويدخل فى صـراع مكشوف من المسيحية القائمة التى تعبر عنها الكنيسة الرسمية فى الدانيمارك .

والملاحظ أن كيركجور كان غزير الانتاج للغاية فقـد جمعت مؤلفاته فى أربعة عشـر مجلدا فضلا عما يقرب من ثمانية عشـر مجلدا لليوميات والاوراق ! ولا نغالى اذا قلنـا ان هـذا الفيض الزاخر من الانتـاج كان حصيلة سنوات قليلة لا تزيد عن الثمانية سنوات ! بل أن هيس R. Heiss

---

(١) Cité Par J. Wahl: Etudes P. 48.

(٢) الملاحظ أن هذه الفكرة نفسها التى اقتبسها جان فال عن روتنبك تتعارض مع ما يقوله بعـد ذلك من أن : « التصورات الاساسية فى فـكر كيركجور كانت قد تشكلت منـذ وقت مبكر جدا . فقـد تشـكل مفهومه عن الخطيئة عـام ١٨٣٦ ، وتصوره للايمان ، ونظريته عن المفـارقة ، وكذلك مجموعة أفكاره الاساسية عام ١٨٣٥ » رغم أن جان فال يرى أنه ليس ثمة تناقض بين الفـكرتين من حيث أن تطور حياته كان يعمق ما تشـكل لديه من أفكار ـ قارن كتابه « دراسات كيركجوردية » ص ٤٨ لاسيما حاشية ٢ .

ليذهب الى انه : « فى فترة قصيرة جدا لا تزيد الا قليلا عن سنتين ظهر الجزء الاكبر من مؤلفاته .. »(٣) . وهذا طبعا شىء بالغ الغرابة لاسيما اذا عرفنا انه من الناحية الجسمية كان ضعيفا هشا لا يقوى على بذل الجهد العنيف ومن الصعب ان تجد له نظيرا فى تاريخ الفلسفة من حيث الغزارة والحمية والخيال الملتهب باستثناء فردريك نيتشه : ولقد عبر هو نفسه عن هذه الغزارة فى الانتاج بقوله : « لقد قيل عن الشاعر انه يضرع الى ربات الفنون Muses لكى تبعث اليه بالافكار . غير ان ذلك لم يكن حالى قط بل لقد منعتنى فرديتى حتى من ان افهم ذلك — وانما كنت على العكس فى حاجة الى الاستعانة بالله لكى يحمينى من ثروة الافكار .. »(٤) .

ويقول ايضا « ان الافكار لتأتى الى كما تأتى الفاكهة الساحرة فى حدائق القصص الخرافية وهى افكار غنية دافئة نابعة من صميم الفؤاد .. »(٥) ولهذا السبب كان يضع فى كل حجرة ادوات مكتبية خاصة اقلاما ودفترا خاصا ليسجل بسرعة هذه الافكار المتلاحقة ! وكان يصف نفسه بانه يحمل قلما مجنحا : « يبدو لى اننى املك قلما مجنحا ! اجل : وحتى ولو كان عندى عشرة اقلام ما كان فى استطاعتى ان احافظ على السرعة او الاحق الافكار الغنية التى تتدفق من تلقاء نفسها »(٦) .... والغريب انه ، مع هذا الفيض الزاخر من الكتب ، كثيرا ما كان يثور على نفسه ويمتنع على الكتابة تماما ويسأل : « اكتب .. » ؟ « لمن .. ؟ ويجيب « اكتب للموتى الذين كنت تحبهم فى الماضى .. » و « هل سيقرؤننى .. ؟ » « نعم لأنهم سيعودون كنسل جديد . » « لكنه يصيح فى النهاية بنغمة سوداوية » : « كلا .. »(٧) . وينتهى المونولوج : بالامتناع عن الكتابة ! ويروى « هولنبرج » اننا لانجد تدوينة واحدة فى يومياته من نوفمبر ١٨٥٣ حتى مارس ١٨٥٤(٨) . مع انه كان فى احيان اخرى يفاخر بانه الف كتابا

---

(٣) R. Heiss : Hegel : Kierkegaard and Marx P. 220.

(٤) Quoted by F. Brandt : S. K. P. 25.

(٥) Ibid, P. 25 - 26.

(٦) Ibid.

(٧) Fear & Trenbling, P. 13.

(٨) Hohlenberg : op. cit., P. 232.

ضخما مثل « أما ـ أو » فى ثمانية أشهر(٩) . وانه فى نفس العام الذى ظهر فيه « أما ـ أو » نشر كتابين أصغر حجما صدرا فى يوم واحد (هو ١٦ اكتوبر ١٨٤٣) وهما أيضا عبارة عن رسائل « موجهة الى ريجينا اولسن » والكتابان هما : « الخوف والقشعريرة » الذى صور فيه تضحيته بحبه ، والثانى « التكرار » الذى يعالج تجربة حبه اليائس بطريقة اراد بها ان يطلع « ريجينا » على حبه الأبدى ...

وسوف نعرض فى نهاية هذا الفصل لمؤلفات كيركجور بشىء من التحليل السريع مع ترتيبها ترتيبا زمنيا وفقا لتاريخ صدورها - لكن بغض النظر عن هذا الترتيب الزمنى فاننا نستطيع ان نقسم هذه المؤلفات ثلاثة اقسام كبرى (وهذا التقسيم لايشمل رسالة الماجستير التى اعدها عن مفهوم التهكم) هى على النحو التالى :

١ ـ **القسم الاول** : يشمل مجموعة المؤلفات المستعارة والتى اطلق عليها كيركجور نفسه اسم « المؤلفات الجمالية » وهى تحتوى على كتب مثل : « أما ـ أو » فى مجلدين ، « والخوف والقشعريرة » « والتكرار » . « مراحل على طريق الحياة » ، و « مفهوم القلق » ... الخ . وكان اخرها « الأزمة ، وأزمة فى حياة ممثلة مسرح » فى يوليو عام ١٨٤٨ وهذه المؤلفات الجمالية تتميز بخاصتين **الأولى** : أنها كتبت بلغة رومانتيكية شاعرية ، **والثانية** أنها كتبت بأسماء مستعارة .

أما الخاصية الأولى لهذه المؤلفات فهى أننا نجد كيركجور فيها يتحدث بلسان الشاعر ولهذا السبب فانه يصب فيها أحزانه وآلامه وعذابه يقول « روبرت هيس R. Heiss » « على هذا النحو كان انتاجه الأدبى ، بمقدار ما يكون شعرا ، فهو تلحين وغناء لعذابه وآلامه . ولذلك فاننا نستطيع أن نقول مثلا أن المجلد الأول من « أما ـ أو » عمل شعرى رومانتيكى عظيم .. »(١٠) وتلك عند كيركجور خاصية الشعر الأساسية : التعبير عن

---

(٩) وقارن أيضا ما يقوله ولتر لورى من أن كيركجور كتب «التكرار» فى اسبوعين !

A Short Life, P. 157.

(١٠) R. Heiss : op. cit., P. 221.

الام الشاعر وعذابه . ولهذا نجده فى هذا الكتاب يتساءل « من هو الشاعر؟ ويجيب « هو انسان شقى تعس يحمل فى اعماق صدره قلقا عميقا لكن شفتيه قد خلقتا على نحو يجعل الانات والآهات تتحول الى موسيقى ساحرة عذبة .. ويلتف الناس حول الشاعر وهم يقولون « غن مرة أخرى » وكانهم يقولون : تعذب من جديد ، مزق نفسك ، واجعل شفتيك تصوغ العذاب مرة اخرى على نحو ما فعلت من قبل ! ان الانات والآهات تؤلمنا اما الموسيقى فهى وحدها التى تبهجنا .. »(١١) .

٢ ــ **القسم الثانى** : المجموعة الثانية من مؤلفات كيركجور يمكن ان تسمى بالمؤلفات الفلسفية وفيها يتحدث كيركجور بلغة الفيلسوف لا الشاعر. وهذه المؤلفات تقع وسطا بين المجموعة الجمالية الرومانتيكية وبين مجموعة المؤلفات الثالثة وهى الكتب والمؤلفات الدينية عموما . فاذا كانت المجموعة الاولى لاتحمل اسم كيركجور قط بل يضع اسماء مستعارة « كمؤلفين لها ، واذا كانت المجموعة الثالثة الدينية تحمل اسمه هو . فان المجموعة الثانية تحمل الاثنين معا فكتاب « الشذرات الفلسفية » الذى صدر فى يونيو عام ١٨٤٤ يحمل على غلافه اسم المؤلف « يوحنا كليماكوس » وبجواره اسم المسئول عن النشر « س . كيركجور » ! وكذلك تظهر « حاشية ختامية » على هذه الشذرات فى ٢٨ فبراير ١٨٤٦ تحمل أيضا اسم المؤلف المستعار « يوحنا كليماكوس » وبجواره اسم كيركجور كمسئول عن النشر !

٣ ــ **القسم الثالث** : المجموعة الثالثة من مؤلفات كيركجور تشمل مؤلفاته الدينية ــ الكتب والنشرات والمقالات ــ وهى تتسم بخاصتين الاولى أنها تحمل اسم كيركجور كمؤلف لها ، والثانية أنه هنا يتحدث بلغة الواعظ. وهذه المؤلفات تشمل بصفة خاصة على عدد كبير مما أطلق عليه اسم « أحاديث تهذيبية Edifying Discourses أو ارشادية وشو يسميها « أحاديث » وليس عظات Sermons ــ مع أنها عظات دينية بالفعل والسبب أنه « واعظ » بلا سلطة كما كان يقول فهو لايملك سلطة الوعظ او الكرازة وليس قسيسا من الناحية الرسمية ، ومن ناحية أخرى فهى تهذيبية أو

---

(١١) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 19.

ارشادية Edifying وليست من اجل التهذيب أو الارشاد Edification لان المؤلف ليس معلما ولا يدعى لنفسه مثل هذه السلطة(١٢) .

وهذا التقسيم « الثلاثى » لمؤلفات كيركجور قد يستدعى فى الحال نظريته فى الوان الحياة ، أو انواع المراحل الثلاث : الجمالية (وتقابلها المؤلفات الجمالية) ، ثم الاخلاقية أو التمسك بالمبادىء ، (وتقابلها المؤلفات الفلسفية) واخيرا المرحلة الدينية (وتقابلها المؤلفات الدينية) وسوف نعود الى هذه المراحل فيما بعد .

وقبل أن ننتقل الى الحديث عن « منهج الاتصال غير المباشر » عند كيركجور نود أن نسوق على هذا التقسيم الثلاثى لمؤلفاته ثلاث ملاحظات :

الملاحظة الأولى : ان هذا التقسيم الثلاثى للمؤلفات لايساير حياة كيركجور بمعنى اننا لانستطيع ان نقول انه كان فى بداية حياته جماليا فجاءت المؤلفات الجمالية لتعبر عن هذه المرحلة ، ثم انتقل فى حياته الى التفكير النظرى فجاءت مجموعة المؤلفات الفلسفية معبرة عن هذه المرحلة الثانية ، واخيرا انتهى الى الدين فكانت مؤلفاته الدينية تعبيرا عن هذا التطور النهائى ، بل أننا نجده فى جميع مراحل حياته يكتب ما يسميه بالاحاديث الدينية التهذيبية التى يوقعها باسمه فى نفس الوقت الذى يكتب فيه المؤلفات المستعارة التى يوقعها بأسماء شخصيات متخيلة : وهذا طبعا لايمنع من القول بأنه كان فى مرحلة من مراحل حياته « يغلب » عليه الجانب الجمالى على الجانب الدينى مثلا ! ولكى نوضح ما نقول نضرب المثل بالسنوات الاولى التى بدأ فيها يصدر مؤلفاته المنشورة : فقد بدأ باصدار « اما .. أو » فى جزاين فى فبراير ١٨٤٣ وفى نفس العام أصدر « الخوف والقشعريرة » و « التكرار » فى يوم واحد ١٦ اكتوبر ١٨٤٣ ثم مفهوم القلق » فى يونيو ١٨٤٤ وهذه كلها مؤلفات جمالية ولكنه فى نفس العام ١٨٤٤ أصدر « الشذرات الفلسفية » وهى من مؤلفات المجموعة الثانية (المؤلفات الفلسفية) ثم عاد فى العام التالى ليصدر فى ابريل ١٩٤٥ «مراحل على طريق الحياة » ! من المؤلفات الجمالية ، وعام ١٨٤٦ يصدر فى فبراير

(١٢) W. Lowrie: A Short Life of S. K. P. 162.

« حاشية ختامية غير علمية على الشذرات الفلسفية » . من المؤلفات الفلسفية ! وفى أثناء ذلك كله كان ينشر باستمرار أحاديثه الدينية : ففى عام ١٨٤٣ نشر تسعة أحاديث تهذيبية على النحو التالى : « حديثان تهذيبيان » فى مايو ١٨٤٣ ، ثم « ثلاثة أحاديث تهذيبية » أكتوبر ١٨٤٣ وأخيرا « أربعة أحاديث تهذيبية » ، فى نوفمبر ١٨٤٣ ، وهى كلها تعالج موضوعات دينية خالصة وتشرح بعض نصوص الكتاب المقدس مثل « المحبة تستر كثرة الخطايا » (رسالة بطرس الاولى ٤ : ٨) « والرب أعطى الرب أخذ ليكن اسم الرب مباركا » (أيوب ١ : ٢١) ... الخ . ثم فى العام التالى (عام ١٨٤٤) ينشر تسعة أحاديث أخرى على النحو التالى : «حديثان تهذيبيان » فى مارس ١٨٤٤ ، ثم « ثلاثة أحاديث تهذيبية ، فى مايو ١٨٤٤ ، وأخيرا « أربعة أحاديث تهذيبية » أغسطس ١٨٤٤ ، وهى كسابقتها تعالج موضوعات ونصوصا دينية خالصة مثل : « محافظة الانسان على نفسه عن طريق الصبر » (لوقا ٢١ : ١٩) « اذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر » سفر الجامعة ١٢ : ١ .. الخ الخ . وفى العالم التالى . (عام ١٨٤٥) يجمعها كلها فى مجلد واحد يصدر بعنوان « ثمانية عشر حديثا تهذيبيا . فى مايو ١٨٤٥ وهى كلها تحمل اسمه . صحيح اننا فى العام التالى ١٨٤٦ نجد اشارة الى « التفرغ » للتأليف المسيحى عندما يطرح فى الحاشية « معنى أن يكون المرء مسيحيا » . لكنه بعد أن يكتب أحاديث تهذيبية لأرواح مختلفة فى مارس ١٨٤٧ و « أعمال المحبة » فى مجلدين فى سبتمبر من نفس العام يعود الى الكتابة الجمالية عازما احباط أى نقد يمكن أن يوجه اليه لأنه كان فى السابق مؤلفا جماليا فينشر فى يوليو عام ١٨٤٧ دراسة صغيرة بعنوان « الأزمة ، وازمة فى حياة ممثلة » . وكانت المناسبة قيام السيدة هيبرج ... Fru Heiberg (زوجة بروفسور هيبرج) بتمثيل دور جولييت ، وهو يوقع هذه الدراسة بمصطلح لاتينى هو « بين بين .. "Inter.... et Inter....." ... وهو يشير بهذا التوقيع الى أنه كان منذ البداية مؤلفا دينيا وسوف يظل حتى النهاية مؤلفا جماليا !(١٣) يعنى أنه يجمع طوال حياته بين التأليف الجمالى والتأليف الدينى !

---

(١٣) J. Hohlenberg : op. cit., P. 197.

الملاحظة الثانية : ان المؤلفات الجمالية وان كانت تعالج موضوعات شاعرية كالحب ويكتبها كيركجور بأسلوب الشاعر فاننا ينبغى أن نلاحظ كما يقول ولتر لورى W. Lowrie بحق ان كيركجور هو نفسه الذى اطلق على هذه الكتب اسم المؤلفات الجمالية لكن ينبغى « الا نستنتج من هذه التسمية انها لاتعالج الا الحب والموضوعات الجمالية وحدها فهى تشتمل الى جانب ذلك (كما هى الحال فى كتابه : اما .. أو) على كثير من الاهتمامات الميتافيزيقية الأساسية(١٤). فكتابه مثلا « الخوف والقشعريرة » يعالج موضوع حبه لريجينا وتضحيته لهذا الحب فى سبيل هدف اسمى تماما كما فعل ابراهيم عندما اطاع الأمر الالهى فساق ابنه اسحق الى الجبل ليذبحه ! . لكن الكتاب يحتوى مع ذلك على معالجة لكثير من الافكار الفلسفية والدينية مثل فكرة الاذعان او « الاستسلام اللا متناهى » . وفكرة فارس الايمان » . وايضا يثير مشكلة . تعليق الاخلاق » هل يمكن — تحت أى باعث — أن يعطل القانون الخلقى وان امتنع فعل الواجب الاخلاقى ؟ ! كما يثير ايضا فكرة العثرة واللا معقول Absud والمفارقة Paradox ثم ينتهى فى المشكلة الثالثة فى نهاية الكتاب الى دراسة العلاقة بين « العبقرية والجنون » ويقتبس عبارة من Seneca اقتبسها بدوره من أرسطو Aristotle يقول فيها : « لاتوجد عبقرية خالية من مس من جنون » ! ويسترسل فى شرح سبب هذا الارتباط الذى يرده فى النهاية الى غيرة الله من العبقرى !(١٥) .

الملاحظة الثالثة : مع بداية ١٨٤٧ كان كيركجور يقف على أرضه ، على حد تعبيره ويشعر انه « فى بيته » لأن نشاطه فى التأليف الدينى سوف يزداد بشكل واضح « أحاديث تهذيبية لأرواح مختلفة » . مارس ١٨٤٧ (احد عشر حديثا تقع فى ٣٦٨ صفحة) وفى سبتمبر « أعمال المحبة : بعض الدروس المسيحية فى صورة احاديث » (مجلدان يقعان فى ٤٣٢ صفحة) وانتهت السنة فأكمل مخطوطه احاديث مسيحية (تقع فى ٣٥٢ صفحة)

---

(١٤) W. Lowrie : A Short, P. 160.

(١٥) S. Kierkegaard : Fear and Trenbling, P. 116 Eng. Trans. by W. Lowrie.

فضلا عن « معايشة المسيحية » و « الكتاب الكبير عن ادلر » ‥ الخ الخ — وهذه المؤلفات هى التى يقول عنها كيركجور أنها تعبر عنه وتكشف عن جوهر نفسه . وقد نشرها باسمه مشيرا بذلك الى اننا هنا امام ما يحرره ذاته الجوهرية الحقيقية . وما يحرر تعبيرا حقيقيا عن رغباته وافكاره ‥ الخ(١٦) · ولهذا السبب أهدى مجموعة الاحاديث الثمانية عشر : « الى والدى : المرحوم ميخائيل بدرسن كيركجور تاجر الملابس الداخلية السابق فى المدينة · اهدى هذه الأحاديث » ، ولقد اراد كيركجور ان يقول بوضع اسمه على هذه المؤلفات انه يتحمل مسئولية شخصية عن محتوياتها أعنى عن وجهة النظر المسيحية للحياة فى حين أنه كان ينقل وجهات نظر الآخرين فى المؤلفات المستعارة(١٧) ·

ومع ذلك فان هذه المؤلفات الدينية التى يتحمل كيركجور مسئوليتها هى اقل قيمة بكثير جدا من المؤلفات الاخرى ! يقول « هونبرج » ان هذه المجموعة من المؤلفات الدينية هى بالتأكيد الجزء الذى سيجد القارىء الحديث انه يصعب عليه هضمه · ! فعنوانها غير جذاب وشكلها العام كريه وربما منفر أيضا فلن تجدفيها تلك الحياة المتألقة اللامعة ، ولا العقلانية ، أو المفارقات الموجودة فى المؤلفات المستعارة · ان ما تتضمنه هذه المؤلفات من افكار بسيط واضح يسهل فهمه وان كان كيركجور يعبر عنه بخيال جامح وثروة هائلة من التخيل الطبيعى مع اسلوب هادىء ، ولهذا فان القارىء سوف يشعر ، اذا ما ترك نفسه لايقاعها ، انه يستسلم لموسيقى بطيئة الحركة(١٨) · ويقول هيس ‥· R. Heiss عن هذه المؤلفات انها مواعظ بالمعنى الحرفى للكلمة : فهو يتحدث عن الخطاة والاثمين ، ورئيس الكهنة ، والعشار ، والفريسيين ويقتبس نصوصا من الكتاب المقدس وربما بدأت بصلاة ‥·(١٩) · ويقول فيثيوف برانت F. Brandt « ان المؤلفات المستعارة هى أعظم اهمية واكثر قيمة فى كل ما كتبه كيركجور ، لأننا نجد هنا : الفلسفة ، والفن ، واللاهوت تتحد كلها بطريقة لم نرها

(١٦) J. Hohlenber : op. cit., P. 198.

(١٧) F. Brandt : S. K. P. 27.

(١٨) J. Hohlenberg : op. cit., P. 198.

(١٩) R. Heiss : op. cit., P. 221 - 222.

من قبل وهى تشبه فيضا زاخرا من الثروة المتدفقة من عقل لاينضب عقل حاد فريد . ها هنا نجد الاشجان القوية ، والملح الخفيفة ، والجاذبية الهادئة كما نجد التهكم الخفى والحماس العميق مع الاستهزاء الجاد ـ ذلك كله ما يسيطر على مؤلفات كيركجور الجمالية وأنت تجد كل جملة تحمل طابعه وتعبر عن شخصيته ، فهو لايشبه أى كاتب آخر ، أن له لغته الخاصة هى لغة كيركجور !(٢٠) .

وهذه الملاحظة الاخيرة تقدم لنا مفارقة عجيبة ، وما اكثر المفارقات فى حياة كيركجور وأعماله ! وهى أن المؤلفات المستعارة الذى لاتعبر عن شخصية هى الأهم والاكثر عمقا فى حين أن المؤلفات التى يقول عنها أنها تعبير عن جوهره لاقيمة لها من الناحية الفكرية البحتة لأنه هنا مجرد واعظ دينى ! انه اذن « يظهر » بوضوح اكثر عندما « يختفى » وراء قناع ويتجلى عندما يتقمص شخصية رجل آخر ! انه يجيد منهج « الاتصال غير المباشر» الذى يعبر عن حياته أصدق تعبير !

نصل الآن الى المنهج الذى استخدمه كيركجور فى تأليف هذه الكتب . والحق اننا نستطيع أن نقول أن كيركجور لم يستخدم منهجا واحدا فقط ، صحيح انه فى الغالبية العظمى من مؤلفاته (وهى المؤلفات الجمالية والفلسفية) يستخدم ما يسمى بمنهج « الاتصال غير المباشر » . لكنه مع ذلك يستخدم فى مؤلفاته الدينية ، منهج الاتصال المباشر » ، لاسيما فى الفترة الاخيرة من حياته التى اقترب فيها تدريجيا من « المسيحية الحقة » على حد تعبيره ورأى أن مهمته ودوره هو اذاعة « موقفه المسيحى » بين معاصريه وهو ما لايصلح له « المنهج غير المباشر » . « فالفكرة التى كانت تلح عليه تدريجيا ويشعر بوطأتها اكثر واكثر هى أنه فى المستقبل ينبغى عليه أن يتكلم مباشرة ، وأن يعبر عن افكاره على نحو مباشر ، وبالتالى فان انتقاداته لما يسمى بالمسيحية الرسمية ينبغى أيضا أن يقال على نحو مباشر ، والشرط الضرورى أن يظهر بشخصيته هو in Propria Persona ولا يختفى وراء اسماء مستعارة ...(٢١)

---

(٢٠) F. Brandt : op. cit., P. 26 - 27.

(٢١) J. Hohlenberg : op. cit., P. 199.

غير أن « منهج الاتصال غير المباشر » الذى استخدمه فى المؤلفات الجمالية والفلسفية يظل أكثر أهمية : وكيركجور نفسه (وهذه مفارقة جديدة) يقول : ان الاتصال غير المباشر هو خاصيتى الطبيعية نتيجة لما مررت به من خبرات .. »(٣٢) . وهذا يتفق مع ما سبق أن ذكرناه من اتصاله غير المباشر بالواقع ، يقول ولتر لورى ... W. Lowrie مؤكداً هذه الفكرة « أن انطواءه لفترة طويلة منعه من ممارسة ما يسميه بالاتصال المباشر ، وهكذا استخدم واقترح منهج الاتصال غير المباشر مستخدماً الاسماء المستعارة كأداة لهذا المنهج . ويمكن القول بأن منهج الاتصال غير المباشر قد فرضته عليه طبيعته التى كان يعتبرها طبيعة شيطانية ، لكنها من ناحية أخرى كانت الطريقة الوحيدة التى تمكن من خلالها من رسم خريطة لعالم العواطف والانفعالات ..(٣٣) .

وفى منهج الاتصال غير المباشر لاتعرض الافكار على نحو مباشر ، كما كان يفعل فى احاديثه الدينية ــ لكنه يختار طريقا غير مباشر بأن يجعل مثلا شخصيات مختلفة تعبر عن مراحل الحياة المختلفة ان أراد عرضها ، على نحو ما حدث فى « اما .. أو » ، أو « مراحل على طريق الحياة » فها هنا شخصية « الشاب » أو « أ » « أو يوحنا المغوى » تقوم بدور الممثل للحياة الحسية الجمالية فتعرضها من الداخل : مشاعرها وانفعالاتها واحاسيسها بلغة حسية جمالية . فى حين يقوم « القاضى فلهلم » مثلا الرجل الأخلاقى الملتزم ، رب الأسرة الذى يراعى واجباته الاسرية والوظيفية ــ يقوم بعرض تفاصيل هذه الحياة واهميتها . وهكذا نجد أن وصف المراحل التى يمكن أن يمر بها الانسان لايقوم به المؤلفات وانما تعرضه شخصيات هذه المراحل . فليس ثمة حديث مباشر من المؤلف الى القارىء ، وانما لابد أن يكون هناك ممثلون لكل مرحلة يقومون هم بعرضها من الداخل لا من الخارج كما ذكرنا . وهى فكرة ستكون واضحة جدا فى طريقة عرض « سارتر » لأفكاره الفلسفية عندما يفضل « المسرحيات » والشخصيات التى تمثل مواقف معينة بدلا من العرض الفلسفى المباشر . ان عرض الأفكار

---

(٣٢) S. Kierkegaard: The Journals P. 174 (Fontana).

(٣٣) W. Lowrie : A Short Life, P. 155.

عن طريق المسرحية يكسبها حياة وحركة وحيوية ويبعد عنها الجفاف العقلى المشهور عن التاليف الفلسفى وهذه السنة هى التى استنها كيركجور الفلاسفة الوجوديين جميعا . فكتابه « اما ــ أو » بجزئيه ليس الا محاورة طويلة بين « شاب » يمثل الحياة الحسية الجمالية وبين صديقه الاكبر « القاضى فلهلم » الذى يمثل وجهة النظر الاخلاقية . ولهذا نرى الاسلوب فى الكتاب يختلف باختلاف المتحدث . فاذا كان الشاب هو الذى يعرض وجهة نظره فالاسلوب شاعرى جميل أو هو رومانتيكى وغنائى ... الخ . وسوف نرى فى فصول قادمة نماذج منه عندما نعرض للخطابات التى كان يرسلها « يوحنا المغوى » لحبيبته كورديليا . أما اذا كان المتحدث القاضى فلهلم فالاسلوب متزن هادىء فالرجل يتكلم بطريقة الخبير المحنك الذى يهتم بعرض تجاربه واستخلاص المبادىء منها دون أن يلقى بالا الى الزخرفة الادبية أو التنسيق اللفظى ــ وفى هذا الحوار لايتدخل كيركجور بل يترك للقارىء فرصة الحكم أو الفصل بينهما والاختيار بين هذين اللونين من الحياة أو المجالين من مجالات الوجود . أو هو بالاحرى يترك له الفرصة لرفضهما معا ! وما يقال عن هذا الكتاب يقال أيضا على كتابه « مراحل على طريق الحياة » حيث يحاكى افلاطون فى المأدبة ! وشخوص كيركجور هم شخصياته فى كتبه المختلفة « فيكتور ارميتا » ناشر « اما ... أو » و « الشاب » و « القاضى فلهلم » و «يوحنا المغوى» وقسطنطين قسطنطينيوس» مؤلف « التكرار » ... الخ وكل شخصية تدلو بدلوها فى هذه المحاورة : ولا يستخدم كيركجور فى عرضه لآرائه ــ فى المؤلفات الجمالية والفلسفية منهج الاتصال غير المباشر بأن يقدم لنا شخصيات تعرض هى الآراء وفق اعتناقها لها فحسب ، لكنه يجعل منها المؤلفين الحقيقيين للكتب وهو يختار هذه الاسماء بعناية فالمسألة على حد تعبيره لاتأتى عفوا أو بمحض المصادفة بل من طبيعة الانتاج نفسه(٢٤) . وهو لهذا يختار أسماء ذات دلالة خاصة لكل كتاب : فمثلا يختار لكتابه « أما ... أو » شخصية فيكتور ارميتا Victor Ermita وهى تعنى حرفيا « فيكتور الناسك » وهو يمثل شخصية كيركجور نفسه الذى سيرفض « اما ... أو » ، سيرفض الاختيار

---

(٢٤) S. Kierkegaard: Concluding P. 552.

بين الحيـاة الحسية والحياة الاخلاقية ، وسيرى شيئا فشيئا ان الاختيار الحقيقى ليس بين الجمالى والاخلاقى، ولكنه سيكون بين الجمالى والاخلاقى من ناحية ، وبين الدينى من ناحية اخرى ، اذ لن تكون الحياة الاخلاقيـة الا تمهيدا لرحلة أعلى ٠٠(٢٥) ٠ وفضـــلا من ذلك فان كيركجور عندمـا كتب هـذا الكتاب كان قـد اعتزل الحياة تقريبا وعاش كمـا لو كان فى دير(٢٦) ٠

كما انه فى الكتاب التالى « الخوف والقشعريرة » يختار اسما واضح الدلالة هو « يوحنا الصامت » Johannes de Silentio فهو فى الـكتاب يعرض لتجربة حبه القاتل والتضحية التى قام بها تلبية للنـداء الدينى ، وهكذا ضحى « بريجيتا أولسن » تماما كما ضحى ابراهيم بولده اسحق ! وكما أن ابراهيم أخفى عن زوجته سارة ـ وكذلك عن ابنه نفسه ـ ما هـو مقدم عليه طاعة للأمر الالهى ، كذلك كيركجور أو يوحنا الصامت ـ ضحى بريجيتا وسود لها نفسه حتى تنفر منه تلبية لنداء الهى ! وهو لايريـد أن يتكلم ، اذ من واجبه أن يلزم جانب الصمت لكنها فى الوقت نفسه لابد أن تفهم موقفه ! ولهذا نراه يصدر الكتاب بعبارة لهامان Hamann يقـــول فيها : « ما دار من حديث بين تاركونيوس سوبربوس Tarquinius Superbus ونبات الخشخاش فى حديقة القصر فهمه ابنه ولم يفهمه الرسول » ٠ وملخص القصة أنه عندما استطاع ابن الطاغية « تاركونيوس » أن يكسب ثقة شعب جابى Gabii ، بعدما ارسل ، سرا ، رسولا الى والده فى روما يسأله عن الخطوة التالية التى ينبغى عليه أن يقوم بها ٠ لكن والده لم يشأ أن يضـع ثقته فى الرسول فيخبره برده على رسالة ابنه ، وبالتالى لم يطلعه على رأيه واكتفى بأن اصطحبه الى حديقة القصر وسارا يتسامران بينما الأب يضرب بعصاه الرؤوس الطويلة لنبات الخشخـاش ٠ وعـاد الرسول يروى للابن ما حدث، وفهم الابن ما لم يفهمه الرسول ، وهو أن والده يقول له أن الخطوة التالية التى ينبغى أن يقوم بها هى أن يقتل علية القوم فى المدينة فشرع فى

---

(٢٥) J. Wahl : Etudes, P. 56.

(٢٦) W. Lowrie : A Short of Life, P. 155, and J. Wahl op. cit., p. 53.

الحال ينفذ الأمر ! واذا كان يوحنا الحقيقى هو كيركجور الذى لزم الصمت فان على ريجينا أن تفهم سبب تضحيته بها وعدم الزواج منها انه يحبهـا لكن عليه أن يطيع النداء الالهى !

« والتكرار » يقوم بتاليفه قسطنطين قسطنطينيوس .. Constantine Constantinius وهو المجرب الحقيقى الذى يأمل رغم الحب الفاشل الـذى رواه له صديقه الشاب فى امكان « التكرار » الذى فشل فى تحقيقه حسيا او جماليا ــ انه يأمل فى « التكرار » مثلما كان يأمل أيوب فى أن يعود اليه كل شىء مضاعفا (٢٧) .

بل ان كتابه « المقدمات Prefaces » يقوم بتاليفه نقولا نوتابين Nicolos Notabene وهو يدور حول تاليف الكتب وما لهذه العملية من متعة ثم جهود القراء ولا سيما فى الدانيمارك ، وكذلك النقـاد والكتب الجديدة .. الخ . ولذلك كان ... Notabene هو المؤلف وهى كلمة تعنى حرفيا ، الملحوظة او الحاشية كما هو معروف !

اما المؤلفات الفلسفية مثل « الشذرات الفلسفية » (يونيـو ١٨٤٤) ثم « الحاشية على هذه الشذرات فبراير ١٨٤٦ فهى من تاليف شخصيـة شهيرة عند كيركجور هى « يوحنا كليماكوس Johannes Climacus وهو فى الأصل اسم راهب ولد عام ٥٦٩ ومات ٦٤٩ وعاش فى دير بصحراء سيناء وجاء اسمه من كتاب الفه عنوانه Scala Paradisi معراج الفردوس يشرح فيه ثلاثين فصلا (أو ثلاثين درجة !) ما ينبغى على الراهب صيانته من مبادىء وفضائل اخلاقية وطريق الكفاح الذى ينبغى أن يسلـكه حتى يبلغ الحياة الكاملة . ولقد عرف هذا الكتاب فى العصور الوسطى المسيحية وترجم الى عدة لغات منها اليونانية ، ومن ثم انتشر وتداوله الكتاب على نطاق واسع ، غير أن كيركجور ، فى الأعم الأغلب ، لم يقرأ هـذا الكتاب وانما وقع على مقتطفات مقتبسة منه لاسيما اثناء تأديته لامتحان اللاهوت عام ١٨٣٩ فاستخدمه كرمز له هو نفسه عندما شرع عـام ١٨٤٤/٤٣ فى

---

(٢٧) A Kierkegaard : Anthology P. 136 edited by Robert Bretall.

تأليف كتاب عنوانه « يوحنا كليماكوس أو فى وجوب الشك فى كل شىء » ..
Johannes Climacus or De Omnibus Dubitandum est.
ثم استخدمه بعد ذلك كاسم مستعار فى كتابه « الشذرات الفلسفية » الذى صدر فى يونيو ١٨٤٤ ثم كمؤلف « للحاشية الختامية غير العلمية » التى صدرت فى ٢٨ فبراير ١٨٤٦(٢٨) .

أما الاسم المستعار لكتابه : « المرض حتى الموت » الذى صدر فى ٣٠ يوليو ١٨٤٩ فهو « يوحنا انتى كليماكوس ... Johannes Anti-climacus وهو نقيض يوحنا كليماكوس صاحب الكتب الفلسفية الذى أعلن فى الحاشية انه ليس مسيحيا(٢٩) . ولهذا فان انتى كليماكوس — أو المعارض لكيماكوس يعلن انه رجل مسيحى بدرجة غير عادية(٣٠) (يلاحظ أن تعبير anti-climax فى الانجليزية يعنى الخاتمة التى تأتى مخيبة للآمال أو الذروة التى يتبين أنها سقوط واخفاق . أو التصعيد الدرامى الذى يؤدى واقعيا الى موقف تافه غير متوقع . بدلا من أن يصل بالدراما الى قمتها . فهل كان كيركجور يقصد ايضا شيئا من ذلك ؟ !) .

ومما يلفت النظر أنه يتحدث عن هذه الأسماء المستعارة كما لو كانت موجودات حقيقية أو شخصيات « واقعية » فتراه يقول مثلا : « وكما لاحظ يوحنا كليماكوس بحق . فان الغالبية العظمى من الناس تنحرف عند النقطة التى ينبغى أن تبدأ عندها الحياة العليا بالنسبة لهم ، انهم يتحولون الى أشخاص عمليين .....(٣١) » ..وكما ذهب انتى كليماكوس » . بحق . فان الغالبية العظمى من الناس لم تجرب قط الحياة الروحية ولم تمر بالمواجهة الكيفية مع الله ، ان ماهو الهى بالنسبة لهم لامعنى له انه لايزيد عن كونه . لغويا . صيغة أفعل التفضيل لما هو بشرى .. ! »(٣٢) .

---

(٢٨) Niels Thulstrup : Commentry on Philosophical Fragments P. 148.

(٢٩) S. K. Concluding, P. 19.

(٣٠) J. Wahl : Etudes, P. 54.

(٣١) S. Kierkegaard : The Journals, P. 172 (Fontana).

(٣٢) Ibid.

وهو يقول كذلك » : هناك شيء مشترك بين يوحنا كليمــــاكوس ·
ويوحنا » انتى كليماكوس » . لكن الفرق بينهما هو ان يوحنا كلياكوس »
قـــد هبط بنفسه الى مرتبــة دنيــا للغــاية حتى أعلن عن نفســه انه ليس
مسيحيا - اما يوحنا انتى كلياكوس » فقد افترض فى نفسه أنه مسيحى
بدرجة غير عادية ··· اما انا فاعتبر نفسى اعلى من يوحنا كليماكوس ·
وادنى من يوحنا انتى كليماكوس(٣٣)فقد كان كيركجور يعتقد انه لم يبلغ
قط درجة المسيحية لحقة : » لا أجرؤ أن اسمى نفسى مسيحيا . لكنى أريد
الامانة ، وحتى تتحق لابد ان أغامر بشيء ما ·· »(٣٤)رغم كل شيء فانا
لست مسيحيا ··(٣٥) لكنه سوف يحاول ان يدعــم الرابطـــة بين الفكر
والمسيحية : » لقد قيل باستمرار ان الفكر لا مندوحة له عن تدمير المسيحية
وانه عدوها الطبيعى ، وانى لآمل أن ابين ، بعون الله ، أن الفكر الورع فى
استطاعته ان يعقد من جديد اواصر العلاقة بينهما . تلك التى أراد الفكر
السطحى لفترة طويلة ان يفكها ··(٣٦) · وهذا هو الدور الذى من أجله
» اختــرع » شخصية » انتى كليماكوس » لتقــوم به فى ٣٠ يوليو ١٨٤٩
لكنه فى الأعوام التالية سوف يشعر بالحاح مستمر لازاحة الستار (أعنى
لابعاد الشخصيات المستعارة ليقوم هو نفسه بالدور كاملا . ليفضح . كما
فعل بالفعل فى الأعــــداد التسع التى أصدرهـــا من » اللحظة » المسيحية
الرسمية وليبين أن جوهر المسيحية العذاب والألم والمعاناة ليس فى يوم
الأحـــد فقط يوم ذهاب النـــاس الى الكنيسة بل طوال الاسبوع ! ولهذا فان
» يوحنا كليماكوس » فى فترة الاعداد التى سبقت قيام كيركجــور بدوره
مباشـــرة ــ كان يرســـل » عيونه » فى كتـــاب » الحاشية » لتتعقب كل من
استمع الى القسيس وهو يلقى عظاته يوم الاحد ليعرف ماذا فعلوا بقية
الاسبوع ·· ؟ ! ليجد ان القسيس كان يقول لهم : » ثقوا بالله وحده : لان
الانسان لايستطيع ان يفعل لنفسه شيئا · ثم تراهم جميعا ، بما فيهـــم
القسيس نفســه ، ابتداء من يوم الاثنين والأيام التالية لايثقـــون الا فى

(٣٣) Quoted by N. Thulstrup : op. cit., P. 148 - 149.
(٣٤) Cité Par J. Wahl : Etudes, P. 55.
(٣٥) Ibid
(٣٦) S. K. The Journals, P. 146 (Fontana).

قدراتهم وما يستطيعون القيام به ، ولايخافون على الاطلاق ، بل يحاول كل منهم أن يظهر قدراته للآخرين !(٣٧) . ان « الجاسوس » الذى يرسله يوحنا كليماكوس يستمع أولا الى الخطبة العصماء التى يلقيها القسيس فى الكنيسة يوم الاحد ، فيفهمها الجميع ، بما فيهم انا نفسى ، لأن ماتنيها فى معانى اخلاقية ــ دينية يسهل جداً فهمها ، لكنها من ناحية اخـــرى يصعب جدا تنفيذها - ان الطفل الصغير قادر على فهمها والفرد البسيط الفهم قادر أيضا على أن يفهمها تماما على نحو مافيلت ... يفهمها أيضا لاسيما يوم الأحد بخشوع تام (نظريا in abstracto) لكن يوم الاثنين يصعب جدا ان تدرك انها تتعلق بهذا الجزء الدينى البسيط من حياة الفرد اليومية . فتختلط الأمور !(٣٨) .

لكن لماذا لجأ كيركجور الى « منهج الاتصال غير المباشر » فاختار أن تصدر المجموعة الكبيرة من مؤلفاته بأسماء مستعارة ... ! فى رأينا أن السبب الرئيسى هو أن هذه الطريقة تعبر بدقة عن نمط « الوجود » الذى عاشه كيركجور فقد كان باستمرار يختفى وراء ستار وهو هنا يحول الستار الى شخصيات مستعارة ! انه يخلق بخياله عالم الواقع الذى حرم منه ! لكن هناك تفسيرات كثيرة ــ تبدأ بتفسير كيركجور نفسه : اننا نراه احيانا يقول : « لقد استهلكت نفسى فى أسمائى المستعارة . وأحيانا يقول أيضا : « ان منهج الاتصال غير المباشر هو خاصيتى الطبيعية نتيجة لما مررت به من خبـرات ، فأينما ذهبت افـكر فى موضوع الاتصال المباشر .. ولكنى فى نفس الوقت أكتسب فهما أعمق للاتصال غير المباشر ، وأصل الى أسمـاء مستعارة جديدة .. »(٣٩) . وهو يقول فى ملحق أضافه فى نهاية كتابه « حاشية ختامة » بعنوان : « الاعلان الأول والأخير » انه يعترف بأنه مؤلف الكتب التى صدرت بأسماء مستعارة وهو كذلك مؤلف المقالات التى صدرت فى الصدف صحيفة « الوطن » باسم فيكتور الناسك Victor Eremita أو الاخ الساكت Frater Tacitunus لكنـــه يستطرد قائلا :

(٣٧) J. Hohlenberg : op. cit., P. 200.
(٣٨) S. K. Concluding, P. 417.
(٣٩) S. K. The Journals, P. 174 (Fontana).

« ان سبب التاليف المستعار لايرجع الى شيء فى أعماق شخصيتى (وهو بالقطع ليس الخوف من العقاب « !) وانما السبب الجوهرى يمكن فى طابع الانتاج نفسه الذى هو الخطوط العامة المنسوبة للمؤلفين والفروق الفردية بينهم من الناحية السيكولوجية ······ ومن ثم فان ماكتب هو فى الواقع لى . لكن فقط من حيث أننى وضعته على لسان الفردية العينية التى انتجته فهى وجهة نظر عن الحياة معبر فى خطوط مسموعة بوضوح · ورغم ذلك فلا توجد كلمة واحدة فى المؤلفات المستعارة يمكن أن تنسب الى وليس لى رأى فى هذه المؤلفات الا كشخص ثالث ، ولامعرفة بمغزاها الا بوصفى قارئا فحسب(٤٠) · فكأنه هنا لايعترف الا « بالبناء العام » فقط أما هذه الشخصيات فهى شخصيات حقيقية وواقعية ! ولهذا فان كيركجور يرجو القارىء بل « يتوسل اليه » : « الى كل من يحدث أن يقتبس عبارة معينة من هذه الكتب (المؤلفات المستعارة) أن يصنع لى معروفا ويذكر اسم المؤلف المستعار للكتاب وينسبها اليه . أى أن يفصل بينى وبينه ··»(٤١) وهو وفى كتابه « وجهة نظر » يقدم تفسيرا آخر فيقول : « ان القارىء سوف يدرك مغزى الاسماء المستعارة والسبب الذى من أجله لجأت اليها فى كل مؤلفاتى الجمالية . وهو أننى كنت أسير فى حياتى بمقولات مختلفة عنها تماما ··· (٤٢)»ولكن هناك بالطبع أسباباأخرى كثيرة كما يقول « لورى » الذى يستبعد منذ البداية التفسير السطحى الذى يقول ان كيركجور كان بهذه الاسماء المستعارة يقلد الكتاب "الرومانتيكين الذين اعتادوا التوقيع بأسماء غير اسمائهم الحقيقية ! ويدلل « لورى » على خطأ هذا التفسير بأن كيركجور لم يستخدم اسما واحدا وانما أسماء كثيرة ، ومن ناحية أخرى فهو لم يستخدم أسماء كثيرة — لكتب مختلفة فحسب بل انه كان يستخدم أسماء مختلفة للكتاب الواحد : فهناك اسمان اثنان فى كتاب « التكرار » ، وخمسة أسماء فى كتاب « اما ·· أو » وعشرة فى كتاب « مراحل على الطريق » حتى أنه يشبههم بلعبة الصناديق الصينية

---

(٤٠) S. Kierkegaard: Concluding Unscientific Postscript, P. 551.

(٤١) Ibid, P. 552.

(٤٢) Quoted by W. Lowrie in : A Short, P. 154.

التى تجد فيها صناديق صغيرة داخل الصناديق الكبيرة ! ويذهب لورى الى أن هذا الالتجاء المستمر الى عدد كبير من الاسماء المستعـــارة يمكن أن يعزى الى حبه لاثارة المشاكل . وان كان يمكن من ناحيــة أخرى أن يفسر تفسيرا أكثر عمقا بالقول بانه يعكس الانقسامات الكثيرة التى يجدها فى شخصيته(٤٢) . وربما وجد أنه يصعب الاشارة اليها . أو عرضها على نحو عميق الا باكتشافها عند عدد من الناس . لكنه بالتأكيد يحللها بالاستبطان النقدى بطريقة حادة اكثر بكثير مما كانت عليه ! وينتهى « لورى » من ذلك الى القول بانه لا أحد قد اتبع من قبل . وعلى هذا النحو . تلك الحكمـــة السقراطية « اعرف نفسك » . وبالتالى فان أسماءه المستعارة هى فى الجزء الاكبر منها تشخيص لجوانب أو امكانات كان كيركجور قد اكتشفهـــا فى طبيعته الخاصة وهو يقول فى « التكرار » : للفرد ظلال عدة ، كلها تشبهه . وهى بين الحين والحين تزعم لنفسها الحق فى أنها تمثل الفرد نفسه » .. وهذا يفسر لنا السبب العميق فى استخدام اللاسماء المستعارة ... فضلا عن أن انطواءه قد منعه لفترة طويلة من استخدام ماأسماه « بالاتصـــــال المباشر » ومن هنا اضطر الى استخدام « الاتصال غير المباشر » وامتداحه وذلك عن طريق استخدام الاسمـاء المستعـــــارة كأدوات لتحقيق هذه ذكرناه فى الفصل الثانى من انعدام الغاية .(٤٤)وهذا يؤكد ماسبق أن اتصاله بالواقع الحقيقى وانه كان ينظر الى هذا الواقع من وراء ستار ، لقــد حاول مرات عديدة أن يتصل بدنيا الناس لكنــه فشل ، بسبب مزاجه السوداوى وتربيته والعوامل الأخرى التى ذكرناها ، بل انه يخبــرنا أنه حاول الاتصال بذاته نفسها لكنه فشل : « لقد تسبب مزاجى السوداوى ، لسنوات طويلة ، فى عجزى عن أن أقول لنفسى : « أنت » أو أن أخــاطب ذاتى نفسها بهذا اللفظ بين السوداوية و « الانت » الخاصة بى كان يكمن عالم الخيال كله ! لقد استهلكت نفسى فى أسمائى المستعــارة ..(٤٥).

---

(٤٣) قارن أيضا مايقـــوله « روبرت هيس » عن التمزق النفسى والانشطار الداخلىعند كيركجور فى كتابه « هيجل ، وكيركجور ، وماركس » ص ٢٠٦ وماسبق أن قلناه فى الفصل الثانى من هذا الكتاب .

(٤٤) W. Lowrie : A Short Life P. 154 - 155.

(٤٥) S. K. The Journals P. 197 (Oxford).

ويقول أيضا : « أن مثلى مثل من كون ثروة كبيرة لكنـه لم يستطـــع فى النهاية أن يتعرف عليها ، تلك كانت علاقتى بامكاناتى ، وعلى هذا النحو قادتنى الكآبة ·(٤٦)·ويقـول كذلك : « ان مثلى مثل ذلك الشخص الذى كان تعيسا فى بيته فكان يقضى أكبر قدر من وقته خـــارج المنزل ، هكذا جعلتنى كآبتى خارج نفسى ، فجبت عالم الخيال مكتشفا اياه حتى أعيش بطريقة شاعرية(٤٧) ··· » ولهـذا ذهب « جان ڤال » الى أن السبب فى التجاء كيركجور الى استخدام « منهج الاتصال غير المباشر » هو شخصيته المرنة القابلة للطرق ! فهو يحمل امكانات كثيرة ويريد التعبير عنها كلها : « كان كيركجور هذا وذاك ، ولم يكن هذا ولاذاك فى آن معا : فهو المغوى ، وهو رجل الاخلاق ، وهو لم يكن أيا منهما أى أنه لم يكن هذا ولاذاك الا بطريقة مثالية فحسب : انه شاعر ، لكنه يبحث عن المعرفة ، وهو لم يكن واحدا منها وهو فى الوقت نفسه الاثنين معـــا ·· هل تريد أن تنظر اليه كشاعر ؟ سوف تكتشف أنه مفكر ! هل تريد أن تنظر اليه كمفكر ·· ؟ سوف تكتشف أنه شاعر ·· ! »(٤٨) · فهو لم يكن يجد نفسه فى شعور واحد فحسب ، ولم يكن قط على سجيته فى مزاج معين ولايستطيع أن يعبر عن نفسه الا عندما يستسلم لما لديه من امكانيات متعددة لتظهر نفسها كمـــا تريد : « أنا أشبه ما أكون بنهر الوادى الكبير Guadalquivir (٤٩)·فكما أن هذا النهر يغوص تحت الأرض ، فى جزء من مجراه ، ويجرى تحتها ثم يظهر مرة أخـرى على السطح فكذلك أنا : لابد لى أن أجعل ذاتى تغوص تحت الأسماء المستعـــارة ، لكنى أدركت الآن أين سأظهــر من جديد مع أسمى ·· »(٥٠) ·

الا يمكن أن نضيف الى التفسيرات السـابقة ، تفسيرا مستمدا من

---

(٤٦) Ibid.

(٤٧) Ibid.

(٤٨) J. Wahl : Etudes, P. 51.

(٤٩) الوادى الكبير نهر فى إسبانيـــا وترجــع تسميته الى أصل عربى ··

(٥٠) S. Kierkegaard : The Journals, P. 170 (Fontana).

ميدان التحليل النفسى ، هو أن عجزه عن الاتصال المباشر بالمرأة انعكس على طريقته فى مواجهة الناس فى مؤلفاته ؟

الا يمكن أن نقول ان العجز الجنسى الذى تحدثنا عنه فى الفصل الثالث كان من بين العوامل التى منعته من الاتصال المباشر بالواقع ؟ الا يمكن ان نقول مع فيتر Vetter ان حياته المرضى الذى جعله غريبا عن المرأة وغريبا عن العلاقات الجنسية ، جعله أيضا غريبا عن الواقع ؟ بل جعله ينخفض تحت أسماء مستعارة يتحدث بلسانها ، ويعبر عن نفسه من خلالها ، ويبثها عواطفه واشجانه وهمومه ، بل ويسقط عليها ماكان يحلم به احيانا ؟ ! ولعل هذا هو السبب فى أن « اليوميات الجنسية » التى كتبها تحت عنوان « يوميات مغو » قد وصفت بانها لون من التعويض لما كان يستشعره فى اعماقه من نقص : « يوميات مغو ليست سوى خيالات عاجز أو عينين لم يكن قد أغوى فتاة على الاطلاق .. »(٥١) .

غير أن هــذه التفسيرات جميعا تفضى الى نتيجة واحــدة هى : أن كيركجور لم يتصل قط بالواقع العينى الحى ، ولهذا كان من الطبيعى عندما أراد أن يعبر عنه الا يستخدم منهجا مباشرا لأن طبيعته قد تشكلت على نحو لايجعله يعرف ولايجيد سوى الاتصال من وراء حجاب ، سوى الرؤية من وراء حاجز زجاجى ـ أعنى الاتصال غير المباشر !

مؤلفات كيركجور :

سوف نعرض فيما يلى لمؤلفات كيركجور مرتبة ترتيبا زمنيا مع كلمة سريعة عن كل منها :(٥٢)

---

(٥١) سترندرج فى « ابن الخادمة » نشره مولر عام ١٩٠٩ ص ٤١٦ ـ واقتبسه جان ڤال فى كتابه « دراسات كيركجورية » ص١١ حاشية ١ .

(٥٢) اعتمدنا فى هذا العرض على الملحق الرابع الذى أضــافه « ولترلورى » W. Lowrie لكتابه عن كيركجور الجزء الثانى ص ٦٠٥ ، وكذلك على « هولنبرج » س · كيركجور فى مواضع متفرقة ، وأيضا على المختارات التى جمعها « برتول » : ـ

S. Kierkegaard Anthology ed. by R. Bretall

وقد أصدرتها جامعة برنستون عام ١٩٤٦ نيوجرسى .. N. J.

[١] « من أوراق رجل لايزال حيا » بقلم س. كيركجور صدر فى ٧ سبتمبر عام ١٨٣٨ (بعد وفاة والده بشهر بالضبط !) .

وكان كيركجور يعتقد انه سيموت فى الرابعة والثلاثين ، وبعد وفاة والده ٨ اغسطس ١٨٣٨ ظن انه فى الطريق الى المـوت ! وقد كتب هذا الكتيب الصغير كتحليل ونقـد لقصـة أصدرها الكاتب القصصى المعروف هانز كريستيان اندرسن Hans Christian Anderson (١٨٠٥ ـ ١٨٧٥) ـ الذى اشتهر فى الأدب العالمى بقصصه التى كتبهـا للأطفال . ولم يكن فى نية كيركجور نشر هذا الكتيب لكنه نشر رغما عنه ولـهذا فأن عبـارة « لايزال حيا » فيهـا الى جانب قلقه بعد موت والده ـ لون من الاعتذار لأندرسن على السرعة التى كتب بها هذا النقد العنيف لقصته « مجرد عازف كمان Only a fiddler » .

ولقد كانت هذه هى المرة الاولى التى يحاول فيها اندرسن أن يكتب رواية طويلة بعد أن أصبح لاينازع فى كتابة حكايات الأطفال . لكن كيركجور آثاره فى القصة فكرة ، وصفها بالجبن ، تجعل العبقرى شيئا ضعيفا هزيلا تذروه الرياح اذا كانت الظروف غير مواتيـة فرد فيلسوفنا بحنق قائلا : « ان العبقرى أشبه مايكون بالعاصفة الرعدية التى تهب فى اتجاه معاكس للريح ، أنه أشبه بالحريق الهائل التى تهب الريح فتزيدها اشتعالا ! » .

وكان هذا الكتاب أول انتاج أدبى لكيركجور ..

[٢] **مفهوم التهكم** : مع اشارة مستمرة الى سقراط ، « بقـلم س. كيركجور ١٦ سبتمر ١٨٤١ بحـث فلسفى قدمه كيركجـور لنيل درجـة الماجستير من جامعـة كوبنهاجن حاول فيـه أن يبرهن على أن شخصيـة سقراط كانت « شخصية غامضة » طبيعتها « التهكم » وهذا هو السبب فى أن سقراط كان يتحدث باستمرار عن « شيطانه » . وسوف نعود الى الحديث عن هذا البحث مرة أخرى فيما بعد(٥٣) .

[٣] « اما..أو » : شذرةحياة ». بقلمفيكتور الناسك Victor Eremita

(٥٣) ترجم أخيرا الى الانجليزية مع مقدمة وتعليقات بعنوان :
The Concept of Irony "Translated", by Lee M. Capel. New York & Harpper & Brothus.

نشر فى ٢٠ فبراير ١٨٤٣ · ويتألف هذا الكتاب الضخم من مجلدين مختلفين أتم الاختلاف · ويروى لنا « فيكتور الناسك » الناشر المزعوم كيف عثر بالمصادفة على مخطوطين : الأول مجموعة من المقالات ـ يسميها أوراق (أ) الرجل الجمالى · والثانى مخطوطة باليد لرجل أعمال هو القاضى فلهلم ـ الرجل الاخلاقى ·

ولما كان لهذا الكتاب بالذات أهمية كبيرة من حيث أنه أقوى كتبه الجمالية ومن حيث أنه يعرض للمرحلة الجمالية والأخلاقية فسوف نفرد له فيما بعد فصلا خاصا ونسوق مختارات منه لنتبين مدى أسلوبه الشعرى الساحر(٥٤) ·

[٤] « **يوحنا كليماكوس** أو فى وجوب الشك فى كل شيء » ـ عام ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣ ·

وهو مشروب كتاب أراد أن يروى فيه كيركجور تاريخ حياته ويتخذ من اسم يوحنا كليماكوس رمزا لها ·· وهو يبدأ :

« فى مدينة هـ ـ كان يعيش منذ بضع سنوات طالب شاب يدعى يوحنا كليماكوس لم يكن يتطلع قط الى أن يصبح مرموقا فى هـذا العالم بل على العكس كان يجد سعادته فى أن يكون غامضا ··· الخ الخ ··(٥٥) ·

[٥] « **حديثان تهذيبيان** » بقلم س· كيركجور نشره فى ١٦ مايو ١٨٤٣ ·

ـ الحديث الأول عن « انتظار الايمان أو توقعه » ·

ـ الحديث الثانى شرح الآية « كل عطية فهى من الله » · رسالة جيمس

(٥٤) للكتاب ترجمة بالانجليزية بقلم ديفيد سونيسن للجزء الأول ولورى W. Lowrie للجزء الثانى (قارن النصوص المختارة فى نهاية الكتاب)

"Either ..or: A Fragment of life" D. Swenson & Lowrie.

(٥٥) ترجمة أ · درو A. Dru فى المختارات التى ترجمها من الأيام ·

انظر ترجمة طبعة اكسفورد ص ٨٠١ وما بعدها وانظر ايضا طبعة فونتانا ص ٨٠ وقد ترجمناه فى النصوص المختارة فى نهاية الكتاب) ·

(أو يعقوب) الاصحاح الاول : ١٧ (« كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى ») .

[٦] « التكرار : مقال فى علم النفس التجريبى » ، بقلم قسطنطين قسطنطينوس — وقد نشره فى ١٦ اكتوبر عام ١٨٤٣ (فى نفس اليوم الذى نشر فيه الخوف والقشعريرة) .

والكتاب يروى قصة حبه الفاشل لريجينا أولسن وكيف أنه اقلع عن فكرة الزواج منها ، ومع ذلك يظل فى اعماقه الأمل فى امكان « التكرار » وهكذا تصبح مقولة « التكرار » هامة عنده لانه يستمدها من تجربته الشخصية . ولكنه لايروى قصته مباشرة وانما يرويها على لســـان « شاب » صديـق للمؤلف المجرب الحقيقى ، يعرض عليه تجربته التى يعانى منها وتتلخص فى انه يحب يعنف لــكن مزاجه السوداوى يمنعه من الارتباط بمن يحب . ويذرع الشاب أرض الغرفة جيئة وذهابا مرددا ابيات الشاعر بول مولر مرة ومرة :

« الى مقعدى جاءنى حلم ،

من ربيع شـــبابـى ،

شوق عـــارم اليـــك ،

يامن تقفين كالشمس بين النساء » .

وتملأ الدموع عينيه فيلقى بنفسه على المقعد ثم يروح يكرر الابيات من جديد ، ويغمرنى شعور ساحق . ياالهى ! لم أر مثل هذا المزاج السوداوى قط من قبل ... ! (٥٦)

[٧] الخوف والقشعريرة : انشودة جدلية ، بقلم يوحنا الصامت Johannes de Silentio صدر فى ١٦ اكتوبر عام ١٨٤٣ (٥٧)

---

(٥٦) Repetition: An Essay on Experimental Psychology P. 11 - 12 Trans. by W. Lowrie

(٥٧) له ترجمة انجليزية بقلم W. Lowrie وقد طبعه مع « المرض حتى الموت » فى مجلد واحد وقد طبعته جامعة برنستون عام ١٩٤١

ويحتوى على ماياتى : ـ

ـ تصدير

ـ استهلال

ـ سلام على ابراهيم ٠٠ !

مشـــــــكلات :

ـ المشكلة الأولى : هل يمكن أن يكون هناك مايسمى بالتعليق الغائى للأخلاق ؟

ـ المشكلة الثانية : هل كان لابراهيم مايبرره فى اخفاء نيته عن ساره وعن اسحق ؟

خاتمـــة ٠

[٨] « **ثلاثة أحاديث تهذيبية** » بقـلم س٠ كيركجور صـدر فى ١٦ اكتوبر ١٨٤٣ ٠

١ ـ الحديث الأول « المحبة تستر كثرة الخطـــايا » بطرس الأولى ٤ : ٨

٢ ـ الحديث الثانى : الموضوع نفســـه ٠٠

٣ ـ الحديث الثالث « تتأيدوا بالقـوة بروحه فى الانسان الباطن » افسوس ٣ : ١٦ وما بعدها ٠

[٩] **أربعة أحاديث تهذيبية** » ٠ بقـلم س٠ كيركجور ٦ ديسمبر عام ١٨٤٣ ٠

١ ـ الحديث الأول « الرب أعطى ، الرب أخـذ ، فليـكن اسم الرب مباركا » أيوب الاصحاح الأول : ٢١ ومابعدها ٠

٢ ـ « كل عطية حسنة فمن الله » جيمس ١ : ١٧ (رسالة يعقوب) ٠

٣ ـ الموضوع نفسه ٠

٤ ـ « بصبركم اقتنوا أنفسكم » انجيل لوقا الاصحاح ٢١ : ١٩ ٠

[١٠] « **حديثان تهذيبيان** » بقلم س· كيركجور ٥ مارس ١٨٤٤ ·

١ ـ الحديث الاول : « محافظة الانسان على نفسه عن طريق الصبر » لوقا ١١ : ١٩ ·

٢ ـ « يوم الاحد الذى يلى عيد الميلاد » انجيل لوقا ٢ : ٣٣ ـ ٤٠ ·

[١١] « **ثلاثة أحاديث تهذيبية** » : بقلم س· كيركجور ٨ يونيو ١٨٤٤ ·

١ ـ الحديث الأول « اذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر » · سفر الجامعة الاصحاح الثانى عشر آية ١ ·

٢ ـ الحديث الثانى : « نحن غير ناظرين الى الاشياء التى ترى بل الى التى لا ترى ، لأن التى ترى وقتية ، وأما التى لا ترى فأبدية » · كورنثوس الثانية الاصحاح الخامس : ١٨ ·

٣ ـ الحديث الثالث : « ينبغى أن ذلك يزيد ، وأنى أنا أنقص » · انجيل يوحنا الاصحاح الثالث ٣٠ ·

[١٢] « **الشذرات الفلسفية** : أو شذرة فلسفة » بقلم يوحنا كليماكوس، المسئول عن النشر س· كيركجور نشر فى ١٣ يونيو ١٨٤٤ ·

وهو يطرح هذه المشكلة :

ـ هل يمكن أن تكون هناك بداية تاريخية للوعى الأبدى ؟

ـ كيف يمكن أن يكون لمثل هذه البداية أكثر من نفع أو فائدة تاريخية فحسب ؟ !

ـ هل يمكن أن تقوم السعادة الأبدية على معرفة تاريخية ؟

ويحتوى الكتاب على خمسة فصول هى :

الفصل الأول : مشروع للفكر

(أ) المشكلة السقراطية : الى أى حد يمكن للحقيقة أن تعلم ؟

(ب) فى حالة ما اذا كان للخطة مغزى حاسم فى الزمان فما هى : ـ

١ ـ التمهيدات أو الشروط الضرورية لذلك .

٢ ـ وما المعلم . ٣ ـ وما التلميذ . ؟

الفصل الثانى : الله بوصفه معلما ومخلصا (مقال عن التخيل) .

الفصل الثالث : المفارقة المطلقة (نزوة ميتافيزيقية) .

ملحـــق : المفارقة والوعى بالعثرة .

الفصل الرابع : وضع التلميذ المعاصر .

ـ هل الماضى أكثــر ضرورة من المستقبل ؟ عنـــدما يتحقق الماضى بالفعل الا يصبح بذلك أكثر ضرورة مما كان ؟ !

الفصل الخامس : التلميذ من المرتبة الثانية(٥٨) .

[١٣] «**مفهوم القلق** : دراسة سيكولوجية مبسطة لمشكلة الخطيئة الأصلية» . بقلم فيجليوس هوفنيتس Vigilius Haufniensis صدر فى فى ١٧ يونيو ١٨٤٤ .

ويحتوى الكتاب على خمسة فصول على النحو التالى : ـ

مقـــدمة : بأى معنى يكون موضوع هذا البحث مشكلة تهم علم النفس ؟

الفصل الأول : القلق بوصفه شرطا سابقا للخطيئة الأصلية .

١ ـ اشارات تاريخية تتعلق بمفهوم الخطيئة الأصلية .

٢ ـ مفهوم الخطيئة الأولى .

٣ ـ مفهوم البراءة .

---

(٥٨) للكتاب ترجمة انجليزية قام بها فى البداية ديفيد سونسن D. Swenson ثم أضيفت اليها فى الطبعة الثانية شروح نقدية وتعليقات كثيرة بقلم المفكر الدانيماركى Howard V. Hong والشروح Niels Thulstrup
"Philosophical Fragment or A Fragment of Philosophy", Princeton University Press. New Jersey 1961.

٤ ــ مفهوم السقوط ·

٥ ــ مفهوم القلق ·

٦ ــ القلق بوصفه شرطا للخطيئة الاصلية ·

الفصل الثانى : القلق بوصفه الخطيئة الأصلية فى تجربة متقدمة ·

١ ــ القلق الموضوعى ·

٢ ــ القلق الذاتى ·

٣ ــ نتيجة التكوين ·

٤ ــ نتيجة المعطيات التاريخية ·

الفصل الثالث : القلق بوصفه نتيجــة لتلك الخطيئة التى هى انعدام الوعى بالخطيئة ·

١ ــ القلق الناتج عن غياب الروح ·

٢ ــ القلق وموقفه الجدلى فى مواجهة المصير ·

٣ ــ القلق وموقفه الجدلى فى مواجهة الخطأ ·

الفصل الرابع : قلق الخطيئة أو القلق الناتج عن خطيئة الفرد ·

١ ــ قلق الشــــر ·

٢ ــ قلق الخير (القلق الجنونى) ·

٣ ــ الضياع النفسى ــ البدنى للحرية ·

٤ ــ الضياع الروحى للحرية ·

الفصل الخامس : القلق بوصفه وسيلة للخلاص عن طريق الايمان ·

[١٤] « **مقـــدمات** ····· Prefaces » بقـلـم نقــولا نوتابين Nicolas Notabene فى ١٧ يونيو ١٨٤٤ مقدمة عن المقدمات بصفة عامة وكيف خطر على بال المؤلف أن يكتب مقدمات فحسب

١ ـ متعة تأليف الكتب .

٢ ـ جمهور القراء ، لاسيما فى الدانيمارك ، ونافد الأدب .

٣ ـ الكتب كما تعرضها السنة الجديدة ..

٤ ـ بروفسور هيبرج Heiberg : أديبا ، وفيلسوفا ولا هوتيا ، وعالم فلك .

[١٥] « أربعة أحاديث تهذيبية » بقلم س. كيركجور ٣١ اغسطس ١٨٤٤ .

١ ـ الحديث الأول : « الحاجة الى الرب هى أعلى كمال للانسان » .

٢ ـ الحديث الثانى : « الشوكة فى الجسد » كورنثوس الثانية ١٢ : ٧ .

٣ ـ الحديث الثالث : « ضد الجبن » تيماثوس الثانية ١ : ٧ .

٤ ـ الحديث الرابع : « رجل الصلاة الحقيقى يكافح ويفوز ، ويسود الله معه » .

(فى السنة التالية عام ١٨٤٥ ، ظهرت الاحاديث السابقة كلها وهى ١٨ حديثا فى مجلد بعنوان « ثمانية عشر حديثا تهديبيا ») .

[١٦] « **ثلاثة أحاديث فى مناسبات متخيلة** » بقلم س. كيركجور فى ١٩ ابريل ١٨٤٥ .

١ ـ مناسبة الاعتراف .

٢ ـ مناسبة الزفاف .

٣ ـ بجوار القبر .

[١٧] **مراحل على طريق الحياة** « دراسات بقلم كتاب مختلفين جمعها وأعدها للنشر هيلاريوس مجلد الكتب Hilarius Bookbinder .

وقد نشرت فى ٣٠ ابريل عام ١٨٤٥ ـ وقد كان كيركجور قد أطلق

عليها وهى مخطوطة اسم « تصورات الحياة » ثم عدله وجعله « مجالات الوجود » وعاد مرة أخرى الى تعديل العنوان الى « مدارج الوجود » ثم استقر اخيرا على هذا الاسم(٥٩) .

ويحتوى على ما يأتى : ـ

مقـــدمة :

١ ـ الحقيقـة فى الخمر ـ أو السـكر هـــو الحقيقـــة ...... In Vino Veritas .

ذكريات مروية بواسطته by William Afham (وكلمة Afham تعنى حرفيا بواسطته by him أى بواسطة الشخص الذى رتب واعد المأدبة) ثم مجمـوعة أحاديث ترويها نخبـة من المؤلفين منهم « الشـاب » و « قسطنطين قسطنطنيوس » و « فيكتور ارميتا » ويوحنا المغـوى ـ نهاية المأدبة . ملاحظات مختلفـة حول الزواج . رد على اعتراضات يقدمها رجل الأخلاق المتزوج القاضى فلهلم .

٢ ـ « مذنب ... ؟ غير مذنب ... ؟ » قصة عذاب : تجربة سيكولوجية بقلم الاخ الساكت .... Frater Taciturnus .

(أ) القسم الأول : « يوميات فلان .... Quidam Diary » (٦٠) .

(ب) القسم الثانى : « رسالة الى القارىء » .

[١٨] « حاشية ختامية غير علمية على الشذرات الفلسفية : مساهمة وجودية » بقلم يوحنا كليماكوس ، المسئول عن النشر س. كيركجور فى ٢٧ فبراير عام ١٨٤٦ .

الجزء الأول : المشكلة الموضوعية لحقيقة المسيحية .

الفصل الأول : وجهة نظر تاريخية .

١ ـ الكتب المقدسة .

(٥٩) J. Wahl : Etudes, P. 48 (Note 2).

(٦٠) أو « مذكرات شخص ما » !

٢ ــ الكنيســة ·

٣ ــ شاهد من العصور على حقيقة المسيحية ··

الفصل الثانى : وجهة نظر تأملية نظرية ·

الجزء الثانى : المشكلة الذاتية : علاقة الذات بحقيقة المسيحية ، أو مشكلة كيف يصبح المرء مسيحيا ··· ؟ !

القسم الأول : كلمة عن لسنج ······ Lessing ·

الفصل الأول : تعبير عن العرفان لـ « لسنج » ·

الفصل الثانى : بعض القضايا التى يحتمــل أن تنسب الى لسنج أو هى منسوبة اليه بالفعل ·

١ ــ الفكر الذاتى ينتبه الى جدل الاتصال

٢ ــ الفكر الذاتى سلبى بقدر ما هو ايجابى فى علاقته بالحقيقة ·

٣ ــ ذهب « لسنج » الى أن حقــائق التاريخ العارضــة لا يمكن أن تكون أساسا لبرهان على حقائق العقل الأبدية ·

٤ ــ ذهب لسنج الى القول بأن الله لو قبض بيده اليمنى على الحقيقة كلهــا ، وبيده اليسرى على بذل الجهــد والسعى اليها ثم أعطــاه حــرية الاختيار : فان لسنج سوف يختار الثانية ·

(أ) مذهب منطقى ممكن ·

(ب) مذهب للوجود مستحيل ·

القسم الثانى : المشكلة ذاتها :

السعادة الأبدية للفــرد تتقرر فى الزمان من خــلال علاقة تاريخيــة بشىء ما ·

الفصل الاول : أشجان وجودية .

ــ تعبير جوهرى عن الاشجان الوجودية : العذاب ، الحظ وسوء الحظ كمبدأين لوجهة نظر الحياة الجمالية فى مقابل العذاب كمبدأ لوجهة نظر الحياة الدينية .

ــ التعبير الحاسم عن الاشجان الوجودية : الاثم . البحث يسير الى الوراء وليس الى الامام . التذكر الأبدى لاثم المرء هو أعلى تعبير عن العلاقة بين الوعى بالاثم والغبطة الابدية .

الفصل الثانى : الوجه الجدلى للمشكلة .

١ ــ التناقض الجدلى الذى يؤدى الى فسخ الاتصال : أن تتوقع الغبطة الأبدية عن طريق علاقة بشىء ما يقع فى الزمان .

٢ ــ التناقض الجدلى فى القول بأن الغبطة الأبدية تقوم على العلاقة بشىء تاريخى .

٣ ــ التناقض الجدلى فى القول بان الواقعة التاريخية المطروحة ليست واقعة تاريخية بسيطة ، لكنها تتشكل بما يصير تاريخيا ضد طبيعته ، وبالتالى تشكل بفضل اللامعقول absurd .

ملحـــق :

١ ــ الوعى بالخطيئة ..

٢ ــ امكان العثرة .

٣ ــ لوعة التعاطف .

خاتمـــة :

حول المسيحية الطفلية .

ملحـــق :

من أجل تفاهم مع القارىء .

« **الاعـــلان الاول والأخـــير** »

[١٩] « **الكتاب الكبير حول أدلر** » ·· The Big Book About Adler

انشغل كيركجور بمشكلة « أدلف بطرس أدلر » القسيس الذى فصلته الكنيســة لزعمه انه رأى المسيح وانه أمره بكتــابة أشياء وتمزيق أشـياء أخـــرى ·

وقد كتب كيركجور هذا الكتاب ، ثم أعاد كتابته مرتين فيما بين عامى ١٨٤٦ ـ ١٨٤٧ لكنه لم ينشــره (وهو الآن المجـلد السابع من مجمــوعة أوراقه) ·

ويدرس كيركجور فى هذا الفصل كيف اصطدم « أدلر » بالنظام القائم بوصفه معلما فى كنيسة الدولة ·

الفصل الأول : الموقف التاريخى ·

ويحتوى على ما يأتى : ـ

الفصل الثانى : ما يسمى بعامل الوحى (أو ظهور المسيح) منظورا اليه من منظور التطور الحديث كله ·

الفصل الثالث : « أدلر » يتخلى عن موقفـــه الأســاسى ، أو أنه لم يفهم نفسه ، أو انه لم يؤمن حقا بأنه قــد مر بتجــربة الوحى (ظهور الســيد المسيح) ·

الفصل الرابع : التفسير السيكولوجى لموقف « أدلر » باعتباره « ظاهرة » . وبوصفه هجاء للفلسفة الهيجلية وللعصر الحاضر ·

[٢٠] « **نقــد أدبى** » : بقلم س· كيركجور · ١ مارس ١٨٤٦ (وهو عبارة عن نقد لقصة لا يعرف اسم مؤلفها « جيلان ·· **Two Ages** » لــكن الجزء الأخير عرض لفلسفة كيركجور الاجتماعية) ·

[٢١] « **احاديث تهذيبية لأرواح مختلفة** » بقلم س· كيركجور ١٣ مارس ١٨٤٧ ·

الجزء الأول : حديث عرضى (مهدى الى « ذلك الفرد ») طهارة القلب ·
تعنى أن تريد شيئا واحدا ·

الجزء الثانى : « ماذا يمكن أن نتعلمه من زنابق الحقل وطيور السماء ··· ؟ » ·

(أحاديث حول الاصحاح السادس من انجيل متى : آيات ٢٤ وما بعدها) ·

الجزء الثالث : انجيل العذاب ، أحاديث مسيحية ·

ـ « من لا يحمل صليبه ويأتى ورائى » لوقا ١٤ : ٢٧ ·

ـ « لأن نيرى هين وحملى خفيف » انجيل متى ١١ : ٣٠ ·

ـ « كيف يكون النير هينا حين يكون العذاب ثقيلا ·· ؟ ! » ·

[٢٢] « **أعمال المحبة** » بقلم س· كيركجور ٢٩ سبتمبر ١٨٤٧ بعض التأملات المسيحية حول شكل الأحاديث ·

١ ـ حياة المحبة المستوردة واكتشافها من ثمارها ·

٢ ـ أ ـ عليك أن تحب ··

ب عليك أن تحب جارك ·

٣ ـ أ ـ « المحبة لاتصنع شرا للقريب ، المحبة هى تكميل الناموس » رومية ١٣ : ١٠ ·

ب ـ « المحبة من قلب طاهر ، وضمير صالح » تيماثاوس الأولى ١ : ٥ ·

٤ ـ « واجبنا أن نحب الناس الذين نبصرهم » رسالة يوحنا الاولى ٤ : ٢٠ ·

٥ ـ « المحبة تبنى » كورنثوس الاولى ٨ : ١ ·

٦ ـ « المحبة تحتمل كل شىء ، وتصدق كل شىء ، وترجو كل شىء ، وتصبر على كل شىء » كورنثوس ١٣ : ٧ ·

٧ ــ « المحبة لا تطلب شيئا لنفسها » كورنثوس الأولى ١٣ : ٥ .

ــ « أما الآن فيثبت الايمان والرجاء والمحبة » كورنثوس الاولى ١٣ : ١٣ .

[٢٣] « جدل الاتصال الأخلاقى ، والاتصال الأخلاقى ــ الدينى » ١٨٤٧ .

(مجموعة تعليقات على كتاب لم يكتمل وهى الآن تقع فى ٤٧ صفحة من مجموعة أوراقه) .

[٢٤] « أحاديث مسيحية » بقلم س كيركجور ٢٦ ابريل ١٨٤٨ .

الجزء الاول : قلق الوثنى :

١ ــ قلق الفقر متى ٦ : ٣١

٢ ــ قلق الوفرة متى ٦ : ٣١

٣ ــ قلق الوحدة متى ٢٥ : ٣٢

٤ ــ قلق الكبرياء متى ٦ : ٢٧

الجزء الثانى : تعليقات مبهجة فى صراع العذاب .

١ ــ الفرح بأن الانسان يتعذب مرة ويربح الى الابد .

٢ ــ الفرح بأن البلوى لاتدمر الأمل لكنها تزيده .

٣ ــ الفرح بأنك كلما ازددت فقرا استطعت أن تجعل الآخرين أكثر غنى .

٤ ــ الفرح بأنك كلما كنت أكثر ضعفا أصبحت أكثر قوة امام الله .

٥ ــ الفرح بأنك بمقدار ما تخسر زمانيا تظفر أبديا .

٦ ــ الفرح بأننى عندما أظفر بالكل « لا أخسر شيئا قط » .

٧ ــ الفرح بأن المحنة نجاح .

الجزء الثالث : الافكار التى تجرح من الخلف ـ من أجل التهذيب والاشاد ·
ـ خطب مسيحية ، شعار على ظهر الغلاف ·

ـ القضية المسيحية لاتحتاج الى دفاع ، انهـا بالفعـل لاتخدم عن طريق الدفاع عنها ان ذلك عدوان عليها ·

١ ـ « احفظ قدمك حين تذهب الى بيت اللـه ، فالاستماع اقرب من تقديم ذبيحة » · سفر الجامعة الاصحاح الخامس : ١ ·

٢ ـ « هانحن قد تركنا كل شىء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ » متى الاصحاح التاسع عشر : ٢٧ ·

٣ ـ كل شىء سوف يسير لصالحنا عندما نحب الله ·

٤ ـ قيامة الاموات ستكون للكل للصالح والطالح ·

٥ ـ خلاصنا الآن اقرب مما كنا عليه عندما امنا لأول مرة ·

٦ ـ ستكون مباركا حقـا عنـدما تؤلك السخرية من أجـل قضية حسنـة ·

الجزء الرابع : أحاديث حول التناول أيام الجمع ـ أحاديث مسيحية ·

١ ـ وقال لهم ، شهوة اشتهيت ان آكل معكم هـذا الفصح قبـل أن اتالم » · لوقا ٢٢ : ١٥ ·

٢ ـ « تعالوا الى ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » متى ١١ : ٢٨ ·

٣ ـ « خرافى تسمع صوتى ، وانا أعرفهـا ، فتتبعنى ·· » يوحنا ١٠ : ٢٧ ·

٤ ـ « الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها » ·· كورنثوس الأولى ١١ : ٢٣ ·

٥ ـ « ان كنا ننكره ، فهو أيضـا سينكرنا » · تيموثاوس الثانيـة ٢ : ١٢ ·

٦ ـ « ان لامتنا قلوبنا ، فالله أعظم من قلوبنا ·· » رسالة يوحنا الأولى ٣ : ٢٠ ·

٧ ــ « وفيما هــو يباركهم ، انفرد عنهم واصعد الى السماء » لوقا ٢٤ : ٥١ ·

[٢٥] « الازمة · وازمة فى حياة ممثلة » ــ والمقال يدور حول ممثلة المسرح السيدة هيبرج ······ Fru Heiberg زوجة بروفسور هيبرج ــ وكانت المناسبة قيامها بتمثيل دور جوليت فى مسرحية شكسبير الشهيرة · وقــد نشــرها كيركجور مسلسلة على أربع حلقــات فى صحيفة الوطن من ٢٤ ــ ٢٧ يوليو ١٨٤٨ وتعتبر اخر مؤلفاته الجمالية وقــد وقعها بامضاء : « بين بين ··· Inter et Inter » وقد أراد به أنه بين الحين والحين يكون جماليا وأيضــا يكون مؤلفا دينيا أو هو الاثنان معا طول حياته ! · وبعد وفاته نشرت الحلقات الاربع كاملة فى كتاب واحد ·

[٢٦] « **زنابق الحقل وطيور السماء** » بقلم س· كيركجور ١٤ مايو ١٨٤٩ ·

وهى تحتوى على ثلاثة أحاديث دينية : ــ

١ ــ « انظروا الى طيور السماء ، وتأملوا زنابق الحقل » ·

٢ ــ « لا تقدر أن تخدم سيدين » ·

٣ ــ « انظروا الى طيور السماء انها لاتزرع ولا تحصد » ·

(وهى تدور حول شرح أيات من الاصحاح السادس من انجيل متى) ·

[٢٧] « **رسالتان صغيرتان أخلاقيتان ــ دينيتان** » بقلم هـ· هـ· فى ١٩ مايو ١٨٤٩ ·

---

(٦١) هى جوهانا لويس هيبرج Johanna Louise Heiberg (١٨١٢ ــ ١٨٩٠) زوجــة جوهان لودفيج هيبرج وكانت أشــهر ممثلة للمســرح فى زمانها وكانت محبوبة لرواد المسرح فى كوبنهاجن ، وقد أهدى اليها زوجها كل ما كتب وهى التى قدمت ابسن الى الدانيمارك ·

١ ـ « هل يحق للمرء أن يسلم نفسه للموت من أجل الحقيقة ؟ » .

٢ ـ حول الفرق بين العبقرى والرسول .

[٢٨] « **المرض حتى المـوت** : عرض سيكولوجى مسيحى للتهذيب والصحوة » بقلم يوحنا انتى كليماكوس ـ المسئول عن النشر س. كيركجور ٣٠ يوليو ١٨٤٩ .

مقـــدمة :

القسم الأول : المرض حتى الموت هو اليأس .

١ ـ فى أن اليأس هو المرض .

(أ) اليأس هو مرض الروح ، أو الذات ولهذا فهو يتخذ صورا ثلاثا :

ـ اليأس فى ألا يكون المرء على وعى بأن له ذاتا .

ـ اليأس فى ألا يريد أن يكون ذاته ..

ـ اليأس فى أنه يريد أن يكون ذاته .

(ب) الامكان والفعل فى حالة اليأس .

(جـ) اليأس هو « المرض حتى الموت » .

٢ ـ شمول هذا المرض .

٣ ـ صور المرض أعنى أشكال اليأس .

١ ـ اليأس من زاوية التناهى واللاتناهى .

(أ) يأس اللاتناهى يرجع الى نقص التناهى .

(ب) يأس التناهى يرجع الى نقص اللامتناهى .

٢ ـ اليأس من منظور : الامكان والضرورة .

(أ) يأس الامكان يرجع الى نقص الضرورة .

(ب) يأس الضرورة يرجع الى نقص الامكان .

٣ ـ اليأس من منظور الوعى .

(أ) اليأس الذى هو جهل بواقعة أنه يأس .

(ب) اليأس الذى هو وعى بأنه يأس .

— يأس المرء بسبب انه لا يريد ذاته ، يأس الضعف .
— اليأس مما هو دنيوى أو من شىء دنيوى .
— اليأس مما هو أبدى أو من ذات المرء ..

القسم الثانى : اليأس هو الخطيئة .

الفصل الأول : تدرج الوعى بالذات (العامل المحدد : امام الله) .

ملحـــــق : تعريف الخطيئة يحمل فى جوفه امكان العثرة . ملحوظة عامة حول العثرة .

الفصل الثانى : التعريف السقراطى للخطيئة .

الفصل الثالث : فى القول بان الخطيئة ليست سلبا وانما هى ايجاب .

ملحـــــق : لـكن الا تكون الخطيئـة على ذلك ، بمعنى ما ، شيئا عظيم الندرة ؟ !

[٢٩] « **رئيس الكهنة** » و « **العشار** » و « **المرأة التى كانت خاطئة** » و « **ثلاثة أحاديث عن التناول أيام الجمع** » .. بقـــلم س. كيركجور ١٣ نوفمبر ١٨٤٩ .

١ — « ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب فى كل شىء مثلنا بلا خطية » . الرسالة الى العبرانين ٤ : ١٥ .

٢ — « أما العشار فوقف من بعيد لايشاء أن يرفع عينيه نحو السماء » انجيل لوقا ١٨ : ١٣ .

٣ — « من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها احبت كثيرا .. » انجيل لوقا ٧ : ٤٧ .

[٣٠] « **وجهة نظر حـول أعمالى كمؤلف** » : كتبها كيركجور عـام ١٨٤٨ ونشرت عام ١٨٥٩ أى بعد وفاته بأربع سنوات .

الجزء الأول : التباس الانتاج الادبى كله .

الجزء الثانى : تاويل الانتـاج الأدبى كله . وبنـاء على ذلك يكون المؤلف مؤلفا دينيا .

[٣١] « **الفرد** » تعليقان . حول أعمالى كمؤلف . بقلم س. كيركجور نشر بعد وفاته بأربع سنوات عام ١٨٥٩ . ويتضمن :

مقـــــدمة :

١ ـ حول الاهداء الى « ذلك الفرد » المؤرخ عام ١٨٤٦ .

٢ ـ كلمة حول نشاطى الأدبى الى « الفرد » .

[٣٢] « **الحيـاد المسلح** : او موقفى كمـؤلف مسيحى من العـالم المسيحى » . (تعليقات حول كتاب بهذا الاسم كتب عام ١٨٤٩) .

[٣٣] « **حول أعمالى كمؤلف** » بقلم س. كيركجور (١٨٤٩) قبـل ٧ أغسطس عام ١٨٥١ .

[٣٤] « **معايشة المسيحية** » بقلم أنتى كليماكوس قام بنشره س. كيركجور سبتمبر ١٨٥٠ .

دعـوة : « تعالوا الى ياجميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم » متى ١١ : ٢٨ .

١ ـ **وقفـــة** : ـ

(أ) من الذى أطلق هذه الدعوة ؟

(ب) هل يمكن للمرء أن يتعلم أى شىء عن المسيح من التاريخ ؟

(جـ) هل يمكن للمرء أن يتعلم من التاريخ أن المسيح هو الله ؟

(د) هل نتائج حياة المسيح اكثر أهمية من حياته ؟

٢ ـ **الداعى** : ـ

(أ) الفترة الأولى من حياته .

(ب) الفترة الثانية .

٣ ـ الدعوة والداعي .

٤ ـ المسيحية بوصفها المطلق .

المعاصرة مع المسيح .

ـ « طوبى لمن لا يعثر فى » ـ معانى العثرة .

[٣٥] « **حديث تهذيبي** » بقلم س. كيركجور ٢٠ ديسمبر ١٨٥٠ .

ـ « المرأة التى كانت زانية » .

[٣٦] « **حديثان حول التناول أيام الجمع** » بقلم س. كيركجور ١٨٥١ مهداة الى شخص « غير مسمى » (يقصد ريجينا) مقدمة (جديدة وهامة) .

١ ـ « **الذى يغفر له قليل يحب قليلا** » لوقا ٧ : ٤٧ .

٢ ـ « **المحبة تستر خطايا كثيرة** » رسالة بطرس الأولى ٤ : ٧ .

[٣٧] « **من أجل فحص ذاتى** » بقلم س. كيركجور ١٠ سبتمبر ١٨٥١ .

ـ « فاذ نحن عالمون مخافة الرب نقنع الناس » كورنثوس الثانى ٥ : ١١ .

ـ **ما المطلوب ليرى المرء ذاته ، بغبطة حقيقية ، فى مرآة الكلمة** ...

ـ المسيح هو الطريق ـ أعمال الرسل الاصحاح الأول من ١ ـ ١٢ .

ـ « الروح هى التى تهب الحياة » ـ أعمال الرسل الاصحاح الثانى الثانى من ١ : ١٢ .

[٣٨] « **احكموا بأنفسكم !** » أراد كيركجور بهذا الكتاب أن يكشف زيف المسيحية الرسمية فى الدانيمارك ، واختار هذا العنوان المثير لاغراء الناس وهو يريد أن يقول لهم اقرأوا هنا ما تأمر به المسيحية الحقة ثم احكموا بانفسكم على ما تقول الكنيسة ! ولقد كتب هذه الدراسة عامى

١٨٥١ و ١٨٥٢ ولكنها لم تنشر الا بعد وفاته باحدى وعشرين سنة أى عام ١٨٧٦ !

١ ــ « فتعقلوا واصحوا » ــ بطرس الاولى ٤ : ٧ ·

٢ ــ « المسيح هو النموذج » ــ لا احد يخدم سيدين » ·

[٣٩] مجموعة مقالات فى « صحيفة الوطن ···· The Fatheland

١ ــ اكان المطران مينستر شاهدا على الحقيقة ؟ ! أعنى شاهد عدل على الحقيقة ؟ ! ١٠ فبراير ١٨٥٤ ·

٢ ــ « هنا مربط الفرس » ! ٣٠ ديسمبر ١٨٥٤ ·

٣ ــ « الراعى مولر يتحدانى » ــ ١٢ يناير ١٨٥٥ ·

٤ ــ « المشــكلة مع الأسقف مارتنسن ····· Martensen ٢٩ يناير ١٨٥٥ ·

٥ ــ « شاهدان جديدان على الحقيقة » ٢٩ يناير ١٨٥٥ ·

٦ ــ « بمناسبة موت المطران مينستر ··· Mynster » ٢٠ مارس ١٨٥٥ ·

٧ ــ « أهى عبادة مسيحية أم انها استخفاف بالله ؟ ! ٢١ مارس ١٨٥٥ ·

٨ ــ « ما الذى ينبغى عمله . سواء بالنسبة لى أو لغيرى ؟ ! » ٢٢ مارس ١٨٥٥ ·

٩ ــ « الموقف الدينى » ــ ٢٦ مارس ١٨٥٥ ·

١٠ ــ « اطروحة ــ اطروحة واحدة فحسب » ٢٨ مارس ١٨٥٥ ·

١١ ــ « ملح » للعالم المسيحى ــ هو افســاد للمسيحية . « العالم المسيحى هو ارتداد عن المسيحية » ٣٠ مارس ١٨٥٥ ·

١٢ ــ « ماذا أريد ؟ ! » ٣١ مارس ١٨٥٥ ·

١٣ ــ « بالاشارة الى اقتراح غفل لى » ·· ٧ ابريل ١٨٥٥ ·

١٤ ــ « أيكون من الصواب الآن أن نكف عن دق ناقوس الخطر ؟ » ١١ ابريل ١٨٥٥ .

١٥ ــ يالها من عقوبة مروعة ؟ ٢٧ ابريل ١٨٥٥ .

١٦ ــ « نتيجة » ــ ١٠ مايو ١٨٥٥ .

١٧ ــ « مناجاة مع النفس » ١٠ مايو ١٨٥٥ .

١٨ ــ « بخصوص افتراض مستحيل حول اهمية معارضتي ، وتأويل المسيحية الذى ادعمه » ١٥ مايو ١٨٥٥ .

١٩ ــ حــول الطبعة الجديدة من كتــابى « معايشة المسيحية » ١٦ مايو ١٨٥٥ .

٢٠ ــ صمت الأسقف مارتسن هو :

١ ــ أمر لا يغفر بالمعنى المسيحى .

٢ ــ أمــر مضحك .

٣ ــ أمر لاذع للغاية .

٤ ــ هو من اكثر من زاوية جدير بالازدراء : ٢٦ مايو ١٨٥٥ .

[٤٠] « **هذا ينبغى أن يقال : اذن فلنقله الآن** » . ! بقلم س كيركجور ١٦ مايو ١٨٥٥ .

[٤١] « **اللحظــة** ...... The Instant » .

عشــرة أعــداد .

العــدد الأول :

١ ــ افتتاحيــة .

٢ ــ **حول مقال** « هــذا ينبغى أن يقــال » أو كيف يتم انجــاز أمر حاسم ؟

٣ ــ هــل للدولة ما يبررها ــ أعنى الــدولة المسيحيــة ، فى جعل المسيحية مستحيلة ، أن كان ذلك ممكنا !

٤ ــ « **تناول دواء مقيئا !** » .

العدد الثانى : صدر فى ٤ يونيو ١٨٥٥ ·

١ ــ « الى القارىء » ·

٢ ــ « المهمة المزدوجة » ·

٣ ــ « راحة البدن والسعادة الابدية » ·

٤ ــ البشرى يحمى الالهى !

٥ ــ « سلام على الجنس البشرى » ، أو برهان على أن العهد الجديد لم يعد حقيقة !

٦ ــ كلنا مسيحيون !

٧ ــ صعوبة واحدة بصدد العهد الجديد ·

٨ ــ فلنسلم باننا مسيحيون : فمن هو الله اذن ؟ ! ·

[٤٣] « ادانة المسيح للمسيحية الرسمية » بقلم س· كيركجور يونيو ١٨٥٠ ·

العدد الثالث من اللحظة : صدر فى ٢٧ يونيو ١٨٥٥ ·

١ ــ الدولة المسيحية ·

٢ ــ هل للدولة ما يبررها فى غواية الشباب ؟ !

٣ ــ هل للدولة ما يبررها فى القسم الذى تطلبه ولا يحافظ عليه بل يكون تناقضا ذاتيا ؟ ·

٤ ــ هل للدولة ما يبررها فى اساءة قيادة الناس أو فى اساءة حكمهم حول ماهية المسيحية ؟ !

٥ ــ فلتفحص الدولة المسألة كلها وستجد أنها على خطأ ·

٦ ــ اذا ارادت الدولة حقا أن تخدم المسيحية عليها أن تلغى ١٠٠٠ رتبة كنسية مما لها دخل خاص ·

العدد الرابع اللحظة ، صدر فى ٧ يوليو ١٨٥٥ ·

١ ــ « تشخيص طبى » !

٢ ــ ماهو الشىء المروع حقا ؟

٣ ــ « الحقيقة والأحياء ·

٤ ــ « المسيحى الحقيقى / وكثرة من المسيحيين » ·

٥ ـ الكل مسيحيون فى « العالم المسيحى » وحيث يكون الكل مسيحيين فلا يكون للعهد الجديد وجود .

٦ ـ صعوبة مهمتى .

٧ ـ الرسمى / والشخصى .

العدد الخامس من « اللحظة » .. صدر فى ٢٧ يوليو ١٨٥٥ .

١ ـ نحن جميعا مسيحيون ، دون أن يكـون لدينا أدنى فكـــرة عن المسيحية .

٢ ـ العبقرى / المسيحى .

٣ ـ مسيحية رجل الروح / ومسحيتنا نحن :

٤ ـ مسيحية العهد الجديد ومسيحية « العالم المسيحى » .

٥ ـ حيث يكون الكل مسيحيين فان المسيحية ، فى الحال لايكون لها وجود .

٦ ـ ثورة التحدى وثورة النفاق ، أو حول الارتداد عن المسيحية .

٧ ـ حلف اليمين أو الرسمى والشخصى .

٨ ـ الضمانات الدينية العصرية .

٩ ـ « احذروا من الكتبة الذين يرغبون المشى بالطيالسة ويحبون التحيات فى الاسواق والمجالس » . لوقا ٢٠ : ٤٦ .

العدد السادس من « اللحظة » صدر فى ٢٣ أغسطس ١٨٥٥ .

١ ـ موجز وحاد .

٢ ـ معيار الارتداد عندنا .

٣ ـ خوف معظمنا من الخطأ .

٤ ـ فى أننا نحن « العالم المسيحى » لسنا فى المكان الصحيح الذى طلب المسيح والعهد الجديد من المرء أن يكون فيه ليكون مسيحيا .

٥ ـ ملاحظات قليلة .

٦ ـ التفسير المعتاد للكتاب المقدس .

٧ ـ المسرح والكنيسة .

العدد السابع من « اللحظة » • صدرفى ٣٠ أغسطس ١٨٥٥ ••

١ ـ لماذا يحب الناس ـ « الشاعر » قبل أى شيء آخر ، ولماذا كان الشاعر ، من وجهة نظر دينية ، هو أخطر الناس جميعـــا ؟ ! لأنه جميل ونبيل وسام وغير انانى فانظر مدى خطورته لو ادعى انه قسيس !

٢ ـ اصطياد الناس : أراد المسيح ان يجعل الرسل صيادين للبشر • لكن القساوسة الذين هم عمليون اكثر من المسيح حولوا ذلك الى وسيلة نافعة لأكل العيش •

٣ ـ أى نوع من الاشخاص تسمى به الرجل المسيحى ؟

٤ ـ أولا مملكة الله ـ نوع من القصص القصيرة •

٥ ـ العالم المسيحى من جيل الى جيل هو مجموعة من اللامسيحيين •

٦ ـ تثبيت العماد وحفل الزواج ، أهى كوميدية مسيحيـــة أم شيء أسوأ من ذلك ؟

٧ ـ التربية المسيحية للأطفال (لا سيما فى البروتستانتية) تقوم على كذبة فهى كذب محض •

٨ ـ حقيقة الراعى الرسولى بالنسبة للمجتمع •

٩ ـ حول الفائدة الظاهرة فى دعواى •

العدد الثامن من « اللحظة » ـ صدر فى١١ سبتمبر ١٨٥٥ •

١ ـ المعاصرة ، الأمر الحاسم هو علاقتك بالمعاصرة •

٢ ـ الانسان لا يعيش الا مرة واحدة •

٣ ـ أبدية ليندم الانسان فيها •

٤ ـ ماالذى يمكن تذكره من الناحية الابدية ؟

٥ ـ صورة للحياة ، وصورة من الحياة •

٦ ـ الاستقامة الالهية ••

العدد التاسع من « اللحظة » صدر فى ٢٤ سبتمبر ١٨٥٥ •

١ ـ الأمور تجرى على هذا النحو •

٢ ـ لابد من الاعلان عن المثـل الاعلى والا فان المسيحيـة من حيث أساسها العميق ستكون مزيفة •

٣ ــ جرعة اشمئزاز للحياة .

٤ ــ عليك بالثرثرة وسوف تجد ان كل المشاكل قد انتهت .

٥ ــ « القساوسة هم من اكلة لحوم البشر ، والحــق انهــم من ذلك النوع الكريه ! »

٦ ــ القساوسة لا يبرهنون على حقيقة المسيحية فقط لكنوهـــم كذلك يفسدون البرهان !

العدد العاشر من « اللحظة » (١) .

(لم ينشر ، وانما وجد على مكتبه عندما مات)

١ ــ انا اسميه خداعا بصريا .

٢ ــ كيف يمكن لك أن تؤمن يامن تتلقى الشرف من الناس ؟

٣ ــ بم يجيب الصدى ! !

٤ ــ ان جريمة « العالم المسيحى » يمكن مقارنتهــــا بمن يريد ان يستحوذ على ارث بغير حق !

٥ ــ متى تأتى « اللحظة » ؟

٦ ــ مهمتى !

٧ ــ ملاحظات قليلة !

٨ ــ العبادة الالهية للقساوسة . القساوسة والممثلون ، القساوسة كشاشة عرض . الوثنية ومسيحية العالم المسيحى .

٤٣ ــ ثمانية عشر مجلدا من اليوميات .

---

(١) سبق أن ذكرنا ان ولتر لورى W. Lowrie جمع المقـالات التى هاجم فيها كيركجور « المطـــران مينستر » فى صحيفة الوطن ، مع الأعداد العشرة التى صدرت من « اللحظة » ، وترجمها واصدرها فى مجلد واحد تحت عنوان « مهاجمة العالم المسيحى » Attack upon Christendom .

نصـــــوص مختـــــارة

القسم الأول

نصوص تدور حول تربية كيركجور وشخصيته وعلاقته بوالده

يوحنا كليماكوس
أو فى وجود الشك الكلى

Johannes Climacus or : De Omnibus Dubitandum est

« فى مدينة هـ كان يعيش منذ بضع سنوات طالب شاب يدعى « يوحنا كلياكوس » . لم يكن يتطلع قط أن يصبح مرموقا فى هذا العالم . وانما كان يجد على العكس سعادة ومتعة فى أن يعيش حياة غامضة وصامتة . ولقد حاول المقربون منه ، وكذلك معارفه ، أن يفسروا طبيعته المغلقة وفراره من كل اتصال لا لزوم له بالناس - حاولوا أن يفسروا ذلك مفترضين أنه اما سوداوى المزاج واما أنه يحب . وأولئك الذين أخذوا بالتفسير الاخير لم يخطئوا كثيرا على الرغم من أنهم يخطئون ان ظنوا أن احلامه كانت تنصب على فتاة . فأمثال هذه المشاعر كانت غريبة تماما على قلبه . وكما كان مظهره الخارجى رقيقا وأثيريرا كذلك كانت روحه بنفس الدرجة ، أبعد كثيرا من أن يسحرها جمال امرأة . ومع ذلك فمن الصواب أن تقول انه كان فى حالة حب ، أو كان مأخوذا بالحب .. لكنه حب الأفكار أو بالاحرى أو حب التفكير .... فحين كانت رأسه المفعمة بالفكر تميل كما تميل سنبلة القمح الناضجة ، فلم يكن ذلك بسبب سماعه صوت المحبوب ، وانما كان لأنه يصيخ السمع لهمس أفكاره الخافت ، وحين كان وجهه يبدو حالما ، فلم يكن ذلك بسبب أن صورتها كانت تحوم أمام عينيه ، بل لأن حركات الافكار أصبحت مرئية . لقد كانت متعته أن يبدأ من فكرة واحدة يتسلق منها خطوة خطوة عن طريق التسلسل المنطقى الى فكرة أعلى . لأن التسلسل المنطقى كان بالنسبة له « معراج الفردوس .. Scala Paradisi وكانت سعادته تبدو له أعظم كثيرا من سعادة الملائكة . فعندما يصل الى فكرة اعلى كان يجد فرحة لا توصف ، فيطرب لها فى حماس بالغ . وينهمك

فى السير فى الطريق نفسها حتى يصل الى النقطة التى كان قد بدأ منها · ولكنه لاينجح دائما فى تحقيق ذلك ، ولذا يصبح مغموما لان حركة السير ناقصة . وعندئذ يبدأ من جديد فان تجسح هذه المرة فان روحه تطير من الفرح ، وبسبب هذه السعادة الغامرة لم يكن يستطيع النوم طوال الليل ، وانما يروح يستعيد الحركة ذاتها لعدة ساعات ، لأن صعود الفكر وهبوطه، ثم صعوده وهبوطه مرة أخرى كان يشعره بمتعة لا تعادلها اى متعة أخرى. وفى الأوقات التى يكون فيها سعيدا ، كانت خطواته رشيقة خفيفة كأنه ينساب ، اما الأوقات الاخرى فان قلقه يكون مرعبا · وهو لم يلحظ ان الناس يبتسمون منه · ومن ناحية أخرى نادرا ما يلتفت اليه المرء ، أو ينظر اليه بارتياح ، وهو يغذ السير بخطوات رشيقة كما لو كان يرقص ، وهو بدوره لم يعر الناس التفاتا ، ولم يفترض لحظة واحدة أنه قد يكون هناك من يلتفت اليه . لقد كان ، وسيظل ، غريبا عن هذا العالم ·

على الرغم من ان طبيعة كليماكوس كانت تبدو ملحوظة لمن لا يعرفه معرفة وثيقة فانها لم تكن قط مستحيلة التفسير لكل من يعرف شيئا عن حياته المبكرة ، انه الآن فى الواحدة والعشرين من عمره ولقد يظل على هذا النحو باستمرار ، الى حد ما ، فالاستعداد الروحى الذى كان لديه فى مرحلة الطفولة لم يحبط بل طورته ظروف مناسبة ، فالمنزل لم يكن يقدم له ألوانا من التسلية واللهو · ولم يكن يخرج الا نادرا ، ولهذا تعود منذ فترة مبكرة أن ينشغل بنفسه وبأفكاره الخاصة وحدها ، ولقد كان والده رجلا متجهما قاسيا ، لكنه كان يخفى تحت مظهره الجاف العابس خيالا متوهجا لم يخمده تقدم السن · وعندما كان يوحنا يطلب من والده ان يسمح له بالخروج من المنزل · كان — فى العادة — يرفض · لكن الوالد كان بين الحين والحين ، وعلى سبيل التعويض ، يتناول يد الطفل الصغير ويسير معه فى أرض الغرفة جيئة وذهابا · كان ذلك يبدو فى البداية بديلا هزيلا عن الخروج · لكنه ، مثل مظهر الوالد الجاف ، كان يخفى شيئا تحته مختلفا أتم الاختلاف · وكان الاب يترك ليوحنا تحديد المكان الذى سيذهبان اليه ، هكذا يخرجان من باب المنزل الى القلعة المجاورة ، أو يذهبان الى الشاطىء أو يسيران فى الشارع أينما شاء يوحنا ، فالاب مستعد لكل شىء وخلال

رواحهما وغدوهما فى أرض الغرفة يصف الأب جميع ما يشاهدانه : بحييان المارة ، يتجنبان العربات . يستمعان الى الضوضاء الصاخبة فيخفت صوت الاب : فطائر هذه المراة مغرية اكثر من أى وقت مضى . كان الاب يصف أقل التفاصيل واصغرها بدقة متناهية وبسرعة ووضوح حتى ليصبح كل شىء واضحا امام يوحنا وضوح النهار ، لدرجة ان الطفل كان يشعر بالارهاق والتعب بعد نصف ساعة من بداية هذه النزهة كما لو كان قد قضى يوما باكملة خارج المنزل .. وسرعان ما تعلم يوحنا من والده كيف يمارس قدرته السحرية . فما كان قصصا فى البداية اصبح الآن دراما : وانعكست الاية . وكانا يتحدثان فى الغدو والرواح . فاذا ماسارا فى طرق مألوفة لهما راقب كل منهما الآخرين بدقة وحدة حتى يتأكد انه ذكر كل شىء ولم يتغاضى عن شىء قط . أما اذا كان الطريق غريبا غير مألوف ليوحنا . ابتكر أشياء وذكرها ، فى حين أن الاب بخياله الهائل كان قادرا على تشكيل كل شىء واضحا امام يوحنا وضوح النهار ، لدرجة أن الطفل كان يشعر كمواد تتألف منها الدراما التى يجرى وضعها . كان يبدو ليوحنا كما لو أن العالم يظهر الى الوجود ويخلق من جديد وينبثق من العدم مرة أخرى أثناء هذا الدوار . وكما لو كان الاب هو « الله » ويوحنا هو ابنه الحبيب المرخص له بابدء أغرب الافكار كما يحلو له حتى ولو كانت تعبر عن غرور أحمق . لهذا لايصده الأب أبدا . ولا يضجر به ولكنه يوافق دائما على كل شىء لكى يرضى يوحنا .

بينما كانت الحياة فى منزل الاب تسير على هذا النحو المفضى الى تطوير خياله ـ الذى كان فى جانب منه جماليا لكنه فى جانب أكبر عقلانيا . كان هناك جانب آخر فى روحه يتشكل بقـوة وأعنى به احساسه بالفجائية والدهشة . ولم يكن ذلك يتم بالوسائل السحرية التى يستخدم عادة لجذب انتباه الأطفـــال بل بواسطة شىء أعلى كثيرا . فقد كان والده يحمل فى أعماقه ، وبكل قدرته اللامتناهية على الخيال ، قدرة على الجدل لا تقاوم . فحين كان والده لأى سبب من الاسباب ينخرط فى نقاش مع شخص ما ، كان يوحنا يتحول كله الى آذان صاغية . والسبب أن النقاش كان منظما ومرتبا وجادا . فقد كان الأب يسمح لخصمه باستمرار أن يعرض وجهة

نظره كلها ، فاذا ماانتهى من عرض دعواه سأله الأب ، بدواعى الحيطة والحرص ، عما اذا كان يريد أن يضيف شيئا اخر قبل أن يبدأ فى الرد عليه وكان يوحنا يتابع كلام الخصم بانتباه شديد ويشارك بطريقته الخاصة فى الاهتمام بالنتيجة التى يصلان اليها · ويتخلل ذلك لحظة صمت ثم يبدأ الأب فى الرد على خصمه · آه ! احترس ! فى لمح البصر سوف تنقلب المنضدة راسا على عقب · أما كيف يحدث ذلك فقد كان لغزا أمام يوحنا وان كانت روحه تشعر بالغبطة والبهجة لهذا المنظر !

ويعـود الخصم الى الحـديث من جديد ، وكان يوحنا ينتظر بفـارغ الصبر ماذا سيحدث ، وفى مثل طرفة العين ينقلب كل شىء من جـديد : ماكان سهل التفسير أصبح الآن لا يمكن تفسيره · وماكان يقينـا أصبح الآن شكا ·· وهكذا دواليك · أن سمك القرش عندما يمسك بفريسته لابد أن ينقلب على ظهره لأن فمه فى جانب البطن : والظهر مظلم أسود فى حين أن البطن مضىء أبيض ، وهكذا تجد نفسك أمام منظر مدهش عندما تتبدل الألوان · وكان يوحنا يشاهد تبديلا مماثلا عندمـــا يستمع الى أبيه وهو يصول ويجول فى احدى المناقشات · صحيح أنه نسى ماقيل ـ سواء ماقاله أبوه أو ماقاله الخصم ـ لكن قشعريرة الروح لا يمكن أن تنسى ··· ! ولقد مر بخبرات مماثلة فى حياته المدرسية فعرف فى المدرسة كيف ان كلمة واحدة يمكن أن تغير الجملة كلها ، وكيف أن الوصل فى الجملة الخبرية يمكن أن يلقى ضوء مختلفا على الجملة كلها · وكان يوحنا كلما كبر أشركه والده فى الاستماع الى مناقشاته ، فيغدو أكثر انتباها الى هذه القوة التى لايمكن تفسيرها · وبدا كما لو كان الأب يتفق على نحو خفى مع ماكان يوحنـــا يوشك أن يقوله · وهكذا فان كلمة واحدة يمكن أن تشوش كل شىء تماما · وفى المجالات التى لايفيد فيها رأى الخصم وانما يشرح رأيه الخـــاص فحسب . كان يوحنا يستطيع أن يفهـــم كيف وصل والده الى هذا الرأى وماهى سلسلة الخطوات التى سوف يسير فيها حتى يصل الى النقطة التى يريدها · ويظن يوحنا الآن ان السبب الذى من أجله كان والده قادرا على أن يقلب كل شىء راسا على عقب بكلمة واحد ، لابد أن يكون نسيانه شيئا فى السلسلة التى ينظم فيها أفكاره ·

ماكان الأطفال الآخرون يصلون اليه عن طريق ما فى الشعر من سحر وفتنه . ومافى القصص الخرافية من دهشة وتعجب كان هو يصل اليه عن طريق سكون الحدس وتبدلات الجدل . ولقد كانت تلك هى متعة الطفل ثم اصبحت لعبته المفضلة ، وغدت بعد ذلك بهجة شبابه . ولهذا فان حيـاته شهدت اتصالا نادرا اذ لم تعرف الانتقالات المختلفة التى تتميز بها عادة فترات النمو المختلفة . وعندما كبر يوحنا لم يكن لديه لعب يتخلى عنها ، لانه قد تعلم أن يلعب بتلك الامور الجادة فى حياته . ومع ذلك فهى لم تفقد بهذا اللعب شيئا من سحرها وفتنتها . ان الفتـاة الصغيـــرة تظل تلعب بدميتها حتى تتحول هذه الدمية فى النهاية الى حبيب Lover لأن حياة المرأة كلها هى الحب . ولقد كان لحياته اتصالا مماثلا فقد كانت كلها فكرا .

وأصبح كليماكوس طالبا فى الجامعة ، واجتاز « امتحانه الثانى » حين بلغ من العمر عشرين عاما ، ومع ذلك فلم يتغير فيه شىء ، فمازال غريبا عن العالم ، رغم أنه لم يتجنب الناس أو يتحاشاهم بل على العكس كان يسعى للقـاء من هم على شاكلته من الناحية الروحية . ومع ذلك فلم يتحدث الى واحد منهم بحرية أو اباحية فيكشف مكنونات صدره ولم يقدم لأحد منهم مفتاحا يفهم به ما يدور فى باطنه كانتشهوته الجنسبة أبعد أغوارا من ذلك بكثير . وكان يعتقد أنه لابد أن يحمر وجهه خجلا اذا ماتحدث فى مثل هذه الأمور ، فقد كان يخشى أن يفشى بمعلومات أكثر أو أقل ممـــا ينبغى . ومن ناحية أخرى فقد كان يصغى بانتباه شديد ، دائما ، كلمـــا تحدث الآخرون . تماما كالفتاة الصغيرة التى وقعت فى حب عميق لاتكون على استعداد للخوض فى حديث عن خبرتها الخاصة فى الحب ولكنهـــا تصغى بانتباه شديد اذا ماتحدثت لداتها عن خبراتهن فى الحب ، وتشعر بشغف عارم لتتبع كل اشارة تصدر عنهن ، كذلك كان يوحنا يصغى لكل شىء بانتباه كبير وهو صامت . فاذا ماعاد الى الدار قلب النظر فيمـــا قاله الفلاسفة ، ولاغرو فقــد كان من الطبيعى أن يكون ذلك المجتمع الذى يبحث عنه .

لم يحدث له أبدا أن رغب فى أن يكون فيلسوفا أو رغب فى أن يهب نفسه تماما للفكر النظرى ، ولم يكن قط متهورا أو طائشا الى هذا الحد .

صحيح ان التفكير كان هواه ، ولم تكن روحه تنجذب الى شىء سواه ، الا انه مع ذلك كان يعوزه التأمل المتانى الذى يكتشف العلاقات الاكثر عمقا . لقد كان يغريه الغث والسمين على حد سواء لكى يبدأ منهما تفكيره . ولا اهمية بعد ذلك للنتيجة التى يصل اليها : ان ما يهمه وما يمتعه هو الحركات وحدها . والحق انه لم يفشل فى احيان كثيرة ، فى ملاحظة انه كثيرا مايبدأ من نقاط مختلفة ومتنوعة تماما لكنه يصل باستمرار الى نفس النتيجة وينتهى نفس النهاية . لكن ذلك لم يشغل باله على نحو جاد . فقد كانت بهجته الدائمة أن يستمر دوما فى الاندفاع فحسب . وكلما توهم أن امامه متاهة فانه لابد فى النهاية أن يعثر على طريق للخروج . وان مابدأ ذات مرة فى البحث عن هذا الطريق فلن يستطيع شىء أن يقف أمامه . فاذا ماشعر أن البحث شاق ، وأن الجهد مضنى ، وأحس بالاعياد بعد ساعة من البحث لجأ الى استخدام طريقة بسيطة جدا : هى أن يغلق الحجرة على نفسه ويحول كل شىء الى عيد ومرح بقدر مايستطيع ثم صاح بعدئذ بصوت مرتفع وقاطع : *انا اريده (الحل) وسوف أصل اليه . ولقد سبق له أن* تعلم من أبيه أن الانسان يستطيع أن يكون مايريد . ولقد ثبتت له حياة والده هذه النظرية ولم تتزعزع ثقته فيها . ولقد كانت التجربة تضفى على نفس يوحنا لونا من الكبرياء لايمكن وصفه ، فلم يكن يعرف ولايطيق أن يعتمد قط على ارادة ضعيفة ، فهو قبل أن ينطق بكلمته المشحونة بالطاقة والنشاط يكون على استعداد لعمل أى شىء ، ثم يكون أمامه بعد ذلك هدف اسمى هو أن ينفذ بارادته الصلبة وسط الغابة الكثيفة من المشكلات المتنامية . ولقد كانت تلك أيضا مغامرة تثير حماسه ، وعلى هذا النحو كانت حياته ، فى جميع الأحوال ، مغامرات رومانتيكية ، رغم أنه فى هذه المغامرات لم يكن بحاجة الى السير فى غابات أو الى قطع مسافات فكل مايمتلكه هو : حجرة صغيرة ذات نافذة واحدة .

ورغم أنه انجذب بروحه نحو المثل الأعلى فى فترة مبكرة فان ثقته واطمئنانه للواقع لم يضعف أبدا . وظل المثل الأعلى الذى يغذيه على صلة وثيقة به . كان ذلك يتم على نحو طبيعى حتى لقد أصبح هذا هو واقعه من ناحية ، واصبح من ناحية أخرى قادرا على اكتشاف المثل الأعلى فى الواقع

من حوله . ولقد اسهم مـزاج والده السوداوى فى الوصـول الى هذه النتيجة ، ولم يكن يوحنا يعرف ان اباه شخصا غير عادى الا بعد ذلك بفترة طويلة . ولقد ادهشه جدا ، كما لم يدهشه اى انسان بنفس هذه الدرجة ، ان يعرف هذه الحقيقة . لقد كانت اتصالاته بالناس محدودة فلـم يتصل اتصـالا مباشرا الا بقلة من الناس حتى انه لم يكن يملك مقياسا يحكم به عليه . واذا كان والده ، بمقاييس انسانية غير عادى فتلك حقيقة لم يكن يعرفها من المنزل فذلك آخر شيء يمكن أن يتعلمه هناك . وأحيـانا عندما كان يزور اباه يقول : « انا أصلح لشيء . انا لااستطيع أن انجز شيئا » . ان رغبتى الوحيدة هى أن اجد مكانا فى مؤسسة خيرية ... »(١) . ولم يكن ذلك مزاحا ، فلم يكن فى كلمات والده أى اثر للسخرية أو التهكم ، بل على العكس كانت الكلمات تحمل جدية قاتمة أرعبت يوحنا . ولم تكن تلك على الاطلاق ملاحظة عابرة تقال باستهتار عابث . لان الأب كان يستطيع ان يبرهن على أن أكثر الناس تفاهة فى هذا العـالم يصبح عبقـريا اذا ماقورن به . ولاغناء فى البحث عن برهان مضاد ، لأن قدرة الاب الجدلية التى لاتقاوم كفيلة بأن تنسى المحاور مابين يديه من أدلة (وهذه الموهبة الجدلية نفسها تناقض دعواه) وكفيلة أيضا بأن تسمر الانسان فى نظرة محدقة لوجهة النظر التى يعرضهـا كما لو لم يكن فى العـالم كله شىء سواها .

لقد كان يوحنا ـ وهو الذى اختبأت نظرته الى الحياة كلها فى أعماق والده ، ان صح التعبير ، بمقدار مالم يكن هو نفسه يرى الا أقل القليل ـ اقول كان يوحنا يجد نفسه غارقا فى تناقض أربكـه وحيرة مدة طويلة . يتعلق بارتيابه فى ان يكون والده متناقضا مع نفسه . ان لم يكن بطـرق اخرى ، فعلى الاقل بالبراعة الفائقة التى يتمكن بواسطتها من التغلب على خصمه واسكاته . وعلى هذا النحو لم تكن ثقة يوحنا فى الواقع Reality

---

(١) وكان يشير كيركجور بذلك الى حادثة وقعت بالفعل ، وصديق الاسرة الذى يشير اليه هو المطران مينستر .

من حوله . ولقد أسهم مزاج والده السوداوى فى الوصول الى هذه النتيجة ، ولم يكن يوحنا يعرف أن أباه شخصا غير عادى الا بعد ذلك بفترة طويلة . ولقد أدهشه جدا ، كما لم يدهشه اى انسان بنفس هذه الدرجة ، أن يعرف هذه الحقيقة . لقد كانت اتصالاته بالناس محدودة فلم يتصل اتصالا مباشرا الا بقلة من الناس حتى انه لم يكن يملك مقياسا يحكم به عليه . واذا كان والده ، بمقاييس انسانية غير عادى فتلك حقيقة لم يكن يعرفها من المنزل فذلك آخر شىء يمكن أن يتعلمه هناك . واحيانا عندما كان يزور اباه يقول : « أنا أصلح لشىء ، أنا لا استطيع أن أنجز شيئا ، ان رغبتى الوحيدة هى أن أجد مكانا فى مؤسسة خيرية ... »(١) . ولم يكن ذلك مزاحا ، فلم يكن فى كلمات والده أى أثر للسخرية أو التهكم ، بل على العكس كانت الكلمات تحمل جدية قاتمة ارعبت يوحنا . ولم تكن تلك على الاطلاق ملاحظة عابرة تقال باستهتار عابث ، لأن الأب كان يستطيع أن يبرهن على أن أكثر الناس تفاهة فى هذا العالم يصبح عبقريا اذا ماقورن به . ولاغناء فى البحث عن برهان مضاد ، لأن قدرة الاب الجدلية التى لاتقاوم كفيلة بأن تنسى المحاور مابين يديه من أدلة (وهذه الموهبة الجدلية نفسها تناقض دعواه) وكفيلة أيضا بأن تسمر الانسان فى نظرة محدقة لوجهة النظر التى يعرضها كما لو لم يكن فى العالم كله شىء سواها .

لقد كان يوحنا ـ وهو الذى اختبأت نظرته الى الحياة كلها فى أعماق والده ، ان صح التعبير ، بمقدار مالم يظن هو نفسه يرى الا أقل القليل ـ اقول كان يوحنا يجد نفسه غارقا فى تناقض أربكه وحيرة مدة طويلة . يتعلق بارتيابه فى أن يكون والده متناقضا مع نفسه ، ان لم يكن بطرق أخرى ، فعلى الاقل بالبراعة الفائقة التى يتمكن بواسطتها من التغلب على خصمه واسكاته . وعلى هذا النحو لم تكن ثقة يوحنا فى الواقع Reality

---

(١) وكان يشير كيركجور بذلك الى حادثة وقعت بالفعل ، وصديق الاسرة الذى يشير اليه هو المطران مينستر .

ضعيفة . فهو لم يشرب المثل الأعلى من الكتب التى تعلم الانسان أن المجد الذى تصفه لايوجد فى العالم ، ولم يشكله رجل يعرف كيف يجعل معلوماته قيمة بل علمه رجل كان يعرف ، على العكس ، يجعل معلوماته لا أهمية لها . وليست قمينة بشىء بقدر الامكان .

The Journals P. 108 Eng. Trans. by A. Dru (Oxford).

The Journals P. 80 Eng. Trans. by Dru (Fentana).

الزلزال الاكبـــر

« تصف طفـل ياهو . وهــو يحمل فى قلبـه نصف اله ... » .

جـوته

(١٨٣٥)

« عندئذ حدث الزلزال الاكبر فوقع الانقلاب المروع الذى فرض على فجاة قانونا معصوما جديدا لتفسير جميع الظواهر . لقد توسمت أن علو سن أبى لم يكن بركة من الله بل بالأحرى لعنة ، وأن المواهب العقلية الرائعة التى تنعم بها أسرتنا لم يقدر لها الا أن يمزق بعضها بعضا : وأبصرت فى أبى كائنا شقيا كتب عليه أن يعيش بعدها جميعا وكأنه صليب قائم على قبر جميع آماله . عندئذ شعرت بصمت الموت ينمو حوالى . لقد كتب على هذه الاسرة أن تدمل على كاهلها خطيئة ، وأن يسلط عليها عقاب من الله . لقد كتب عليها أن تزول وأن تمحوها يد الله القوية فتبيد كما تبيد تجربة فاشلة . وكان يصعب على احيانا أن اتخلص من الفكـــرة التى تراودنى وهى أن والدى اراد تعزيتنا بالدين ، وبالقول بأن عالما افضل سوف ينفتح أمامنا اذا ما فقدنا كل شىء فى هذا العالم ، واذا ما باغتنا العقاب الذى كان اليهود يطلبونه ، دائما ، لأعدائهم : أن تمحى ذكرانا تماما ولايبقى لنا أثر ... »

* * *

مايو ١٨٤٧

عزيزى بطرس

عيد الميلاد الذى كتبت تهنئنى به وتقول عنه « : انه عكس الافكار التى اعتدت ان تدور بذهنك مرات كثيرة » لايزال يطوف بذهنى كثيرا ايضا · فانا الآن فى الرابعة والثلاثين ، وبمعنى ما ، فقد حدث ذلك على نحو غير متوقع ، وانا مندهش لذلك غاية الدهشة اجل وفى استطاعتى الان ان اقول دون انا اخشى ان اضـــايق نفسى · انك انت ايضـــا بلغت سن الرابعة والثلاثين ، لقـــد كان لدينـــا ــ والدى وانا ــ اعتقاد بأن احدا من افـــراد أسرتنا لن يجاوز الرابعة والثلاثين ··· فهذه السن هى الحد الذى يمكن لنا أن نبلغه ، أما ولدنا فهو الذى سوف يبقى بعدنا ·····

The Journals, P. 120 - 121 (Fontana).

* * *

(١٨٣٨) ـ

كتب وهو فى الخامسة والعشرين ابياتا من مسرحية الملك لير تصور العاطفة والصراحة التى كانت قائمة من كورديليا والملك لير (كيركجـــور ووالده) عندما كانا أسيرين فى طريقهما الى السجن ولايعرفـــــان كيف يخرجان منه :

الملك لير : لا ! لا ! لا ! لا ! ! تعالى بعيدا الى السجن فهنـــاك سنكون بمفردنا ونغنى كما تغنى الطيور فى القفص · وحينما تطلبين منى أن أباركك أركع امامك واسالك الغفران(١) ·

وهكـــذا سنعيش ونتعبد ونغنى ونروى أساطير الأولين ونضحك من الفراشات الذهبية ، ونسمع الناس البؤساء يتحـــدثون عن أخبـــار البلاط ونتحدث معهم أيضا ونتكلم عمن يخسر ومن يكسب ، من هم المرضى عنهم. ومن المغضوب عليهم ، ونزعم اننا نفهم سر الأحداث فى هذه الدنيا كما لو

---

(١) مما له دلالة ان يحذف كيركجور هذه الأبيات الأربعة وهى غاية الاهمية حيث تصور اعتراف والده المتواضع له بخطاياه انظر :
W. Lowrie : S. Kierkegaard: Vol. 1, P. 188.

كنا عيون الالهــة - ونظل هنا داخل أسوار السجن بينما تتبدل الاحــوال بأحزاب العظماء وشيعهم فى مدها وجزرها تحت تأثير القمر » .
The Journals, P. 40 (Fontana).

* * *

(١٨٣٦) فبراير .
« ان الناس لايعرفون عنى الا أقل القليل حتى أنهم لا يفهموننى عندما أشكو من سوء فهمهم لى » .

مارس
« الفرق بين الرجل الذى يواجه الموت من أجل فكــرة وشبيهه الذى يسعى الى الموت من أجل الاستشهاد ، هو أن الأول يعبر عن فكرته تعبيرا كاملا بالموت فان الاحساس الغريب بالمرارة النـــاتج من الفشل هو الذى يستمتع به حقا الرجل الثانى : فالاول يستمتع بانتصاره والثانى يستمتع بعذابه .

* * *

ـ « الأفكار الثلاث الكبرى (دون جوان ، فاوست ، واليهودى التائه) تمثل الحياة خارج الدين باتجاهها الثلاثى ـ وعندما تدمج هذه الأفكار فى الفرد وتصبح متوسطة ، عندئذ فقط تبدأ الاخلاق والدين فى الظهور » .

* * *

« كان انسان يسير وحيدا فى الطريق وهو يتأمل فكرة الانتحار : وفى هذه اللحظة نفسها تسقط عليه صخـــرة فترديه قتيلا فيموت وهو يردد : الحمد لله ! » (فونتانا ص ٥٠) .

* * *

« عدت الآن توا من حفل كنت فيه الحياة والروح ، ذكاء لاح ينساب من شفتى ، كل من بالحفل يضحك ويعجب بى ، لكنى خـــرجت وينبغى أن أرسم خطا طويلا بطول مدور الكرة الأرضية ــــــــــــــــــــــ

كم أشتهى أن أقتل نفسى برصاصة ! فى استطاعتى أن أتجرد من كل شىء لكنى لا أستطيع أن أتجرد من نفسى ، بل لا أستطيع أن أنساها حتى وأنا نائم » . (فونتانا ص ٥١) .

* * *

ـ « مايسميه شلايرماخر Schleiermacher « بالدين » ، وما يسميه الهيجلون « بالايمان » ، هو من حيث الاساس ليس الا الشرط الاول المباشر لكل شيء ـ السائل الحيوى ـ الجو الروحى الذى نتنفسه ، والذى لايمكن تحديده بدقة بهذه الكلمات » .

The Journals, P. 50 - 52 (Fontana).

(١٨٣٧) ١٧ يناير

« كثير من الناس يصلون الى نتائج حياتهم مثل اطفال المدارس بأن يخدعوا مدرسيهم وينقلوا الجـواب من الكتـاب بـدلا من أن يمروا بهاهم أنفسهم »(٢) .

* * *

« عندما تناديني الفكرة : ان اهجر كل شيء .. عندما تشير الى أن أسير خلفها .. فانني لا أسيء الى احد باخلاصي لفكرتي ، ان كأس النشوة يقدم الى من جديد .. فليعيش الكفاح العالي للفكر ، فليعش الخط الأخلاقي في خدمة الفكر ... » .

* * *

« عندي شوكـة في الجسد مثل القديس بولس ، ولـهذا السبب لم أستطع الدخول في العلاقات العامة ولـهذا السبب استنتجت أن مهمتي خارقة للعادة ... »

(عام ١٨٥٥)

« لم يفهم الأطباء مرضي ، لقد كان مرضي نفسيا وهم يريدون علاجه بالعقاقير » ...

(عام ١٨٥٥)

* * *

« خطبتي لها ، وفسخ هذه الخطوبة ، يكونان علاقتي بالله : فهي اذا شئنا أن نتحدث من منظور الهي : خطوبتي مع الله » .

* * *

(عام ١٨٥٢)

---

(٢) اليوميات ص ٥١ ـ ٥٢ طبعة فونتانا .

« قمـة المأساة هى أن نكون غير مفهومين : ومن هنـا كانت حيـاة المسيح هى قمة المأساة المبهمة غير المفهومة : اذ لم يفهما أحد من الشعب . ولا من الفريسيين ولا من التلاميذ . لم يفهما أحد على الرغم من انها كانت الرسالة الأسمى . ومن هنا ايضا كانت المأساة فى حياة أيوب . الذى كان وهو يتعذب يحيط به مجموعة من الاصدقاء لاتفهمه وامرأة (هى زوجته) تسخر منه .. ومن هنا أيضا حياة البغى ومثلها مثل حياة رجل اخذ يتأمل الاشياء البعيدة بتفكير عميق ثم وقع على اناس لا يفهمونه .. » .

(١٠ أكتوبر عام ١٨٣٤)

* * *

« فى جنس الحيوانات ، لايمكن للفرد ابدا أن يكون أعلى من الجنس : أما فى الجنس البشرى فقد خلق الانسان على صورة الله ، ومن ثم فان الفرد هنا هو باستمرار أعلى من الجنس وأعلى من النوع » .

(١٨٥٠)

* * *

القلق وعدميـة الوجـود

« أنا أغز الوجود باصبعى فلا تفوح منه سوى رائحة العدم : أين أنا ؟ ماهو هذا الشىء الذى أسميه بالعالم ؟ ماالذى أغرانى بهذا الشىء وتركنى الآن هنا .. ؟ ! من أنا ؟ كيف جئت الى هذا العالم .. ؟ لماذا لم استشر ، لماذا لم أتصل اتصالا مباشرا بعاداته وتقاليده بل قذف بى فى قلبه كما لو كنت قد جىء بى من عند تاجر رقيق . ؟ !

* * *

« أحيانا أخرى أكون أكثر هدوء ، فلا أقرأ ولكنى أجلس منكمشـا تماما أشبه بالاطلال البالية وأحملق فى كل شىء . ويبدو لى عندئذ كما لو كنت طفلا صغيرا يتسكع فى غرفته أو يجلس فى ركن منها يلهو بلعبته . عندى احساس غريب . فلست أفهم ماالذى يجعل الأقوام النامية مشبوبة العاطفة على هذا النحو . فلست أدرى ماالذى يتشاجرون حـوله . ومع ذلك فلا أستطيع أن أمنع نفسى من الاصغاء . عندئذ يبدو لى أن الأشرار

من الناس وهم الذين أعطوا لايوب هذا البلاء الرائع «صدقاؤه الذين يجلسون الآن وينتحبون عليه . عندئذ أبكي بصوت مرتفع ! انه قلق بلا اسم : قلق الحياة والناس والعالم . وكل شيء يعتصر قلبي » .
(النصوص الثلاثة مقتبسة من التكرار)

« كل أزهار قلبي باردة كالثلج .. »

* * *

« اكتابي هو أكثر أصدقائي اخلاصا . وأنا معه أحب العالم لأني احب هذا الاكتئاب .. » !

« مثلي مثل من ورث ميراثا كبيرا لكنه لم يستطع في النهاية أن يتعرف عليه ، هكذا قادتني كآبتي .. : فكنت كمن يقضي أكبر وقت ممكن خارج نفسي عندما كنت أجوب عالم الخيال ... ! كآبتي تسبب لسنوات طويلة في عدم قدرتي أن أقول لنفسي : « انت » لذاتي نفسها . بين السوداوية و « الانت » يكمن عالم الخيال ، لذا استهلكت نفسي في أسمائي المستعارة ! » .
(يوميات عام ١٨٥٤)

حول القدوم الى الحياة والرحيل عنها

« استمع الى صرخة المخاض عند الأم لحظة الميلاد ، ثم انظر الى حشرجة من يصارع الموت في لحظاته الأخيرة ، ثم قل لنا بعد ذلك أيمكن لوجود يبدأ على هذا النحو وينتهي تلك النهاية أن يخصص لبهجة أو متعة .. ؟ »

لست أشك لحظة في أننا نحن الموجودات البشرية نمر على هاتين النقطتين مر الكرام أو نفعل جهدنا لكي يكون مرورنا بسرعة بقدر مانستطيع ونتعجل بسرعة قدر مانستطيع نسيان صرخة الميلاد ، وفي تحويلها الى متعة وبهجة فنقول أن هذه الصرخة تهب الحياة لمخلوق جديد . وعندما يموت شخص فاننا نقول في الحال انه قد غلبه النعاس فهو ينام في هدوء وراحة ، فالموت عندنا نوم ، هادىء وكل مانقوله لايصدر من زاوية الميت أو الفقيد ، بل نقوله من منظورنا نحن ، حتى لا نفقد شيئا من متع حياتنا

الدنيا . فنحن نحور كل شيء لكي يخدمنا ، وحتى يساعدنا في زيادة متعنا وبهجتنا بالحياة التي نحياها فيما بين صرخـــة الميلاد وحشرجة الموت . بين صرخة الام لحظة الميلاد وتكرار نفس الصرخة عندما مايموت الطفل يوما ما .

افرض أن هناك مبنى فخما ضخما قد اعد لتقديم كافة المتع والمباهج لكن اقيم في مدخل هذا المبنى سلم لحظيرة دواجن : قذر يثير الاشمئزاز . ويستحيل ان تصعد درجاته دون أن تلطخ ثوبك وتلوث نفسك بالقاذورات . ولكي يؤذن للمرء بالدخول فانه لابد له أن يحتقر نفسه ، وعندمـا يطلـع النهار تتلاشى اللذة والمتعة وتنتهي بالطرد بركلة قدم ، مع أن الجهود كانت طوال الليل تبذل للاحتفاظ بالمتعة واللذة وجعلها شديدة ..

(علم ١٨٣٨) .

لا يـوم بغير دمــــوع

يناير ــ « التهكم ينمو على نحو شاذ شذوذ اكباد الأوز في ستراسبورج Strassburg وينتهي بأن يقتل الفرد » .

ابريل ــ يتهمني السياسيون بانني اتناقض باستمرار . لـكنهم هنـا أساتذتي . لأنهم باستمرار يجـدون أكثـر من شخص يناقضـونه أعني : انفسهم » !

ابريل ــ « المفارقة تعبر عن اشجان Pathos الحيـــاة العقلية ولما كانت العقول العظيمة هي وحدها العرضـة للاشجان والانفعال فان المفكر العظيم هو وحده الذي يتعرض لما أسميه بالمفارقات التي ليست سـوى افكار عظيمة لكنها مازالت أجنة . » .

٦ يوليو ــ « الأفكار الثابتة هي أشبه ماتكون بتشنجات عضلة القدم: أفضل علاج لها أن تدوس عليها ... »

٧ يوليو ــ الله خلق الاشياء من عدم وهذا شيء رائع ، أجل ! لكن هناك ماهو أروع منه لقد جعل من الخطـاة قديسيين .. ! (فونتانا ص ٥٨ ــ ٥٩)

* * *

« كثيرا ما درست طبيعة الخطيئة الأولى لكن المقولة الاساسية منها قد اغفلت وهذه المقولة هى : القلق . فهو مايحددها بالفعل . ذلك لان القلق هو رغبة فيما يخشاه المرء . انه نفور مع تعاطف · القلق هو القوة الغريبة التى تمسك بزمام الفرد ولايستطيع منها فكـــاكا . ولا هو يريد ذلك . لأن الفرد خائف . لكن مايخشاه المرء ينجذب نحوه · والقلق يجعل الفرد بلا حول ولاقوة . وتحدث الخطيئة الاولى باستمرار فى لحظة ضعف . ومن ثم فهى ينقصها اية مسئولية ظاهرة وهذا النقص نفسه هو الشرك الحقيقى ··

والمرأة اكثر قلقا من الرجل . وهذا هو السبب الذى جعـــل الحيـــة تختارها كهدف لهجومها وتخدعها من خلال قلقها ·

* * *

١٨٤٥

هناك طائر يسمى طائر العاصفة وانا هو هذا الطائر ·· ! فعندمـــا تبدأ العواصف فى التجمع يظهر الأفراد : أمثالى ! (فونتانا ص ٩٥)

* * *

٧ فبراير ١٨٤٦ :

« اى رعب يمكن ان ينتاب رجلا كان ذات يوم طفـــلا صغيرا يرعى قطيعا من الغنم فى سهول جوتلند وعندما احس الجوع والعذاب والحرمان تسلق ربوة ولعن الله ــ ولم يستطع الرجل أن ينسى هذه الواقعة حتى بعد أن بلغ الثانية والثمانين !

(فونتانا ص ٩٦)

* * *

« عزائى : أن أحدا لن يستطيع بعد وفاتى أن يجد بين أوراقى تفسيرا واحدا لما كان يملأ حياتى كلها لن يجـــد الكلمات التى تفسر له كل شىء ، والتى حولت مايسميه العالم تافها الى حادثة ذاتها اهمية بالغة عندى ، وما أعتبره انا نفسى بغير مغزى لو نزعت عنه السر الشارح الذى يفسر كل شىء » ·· (فونتانا ص ٨٥)

* * *

« يقول الفلاسفة ان الحياة لابد أن تفهم بأن ننظر اليها الى الوراء من حيث الماضى وهذا حق تماما ! : لكنهم ينسون القضية الاخرى وهى أن الحياة لابد أن نعيشها الى الامام من حيث لمستقبل • واذا ماتأمل المرء هذه القضية لاتضح له شيئا فشيئا أن الحياة لايمكن أن تفهم على الاطلاق فى الزمان ببساطة لأنه لاتوجد لحظة جزئية واحدة اجد منها النقطة الساكنة الضرورية التى استطيع أن افهمها منهـا ــ أعنى من حيث المـــاضى • »
(فونتانا ص ٨٩)

« أنا مدين لأبى بكل شىء منذ البداية . لقد كان رجاؤه يتحقق حين ينظر الى بعين سوداوية ثم يقول : « انظر ! لقد أصبح فى استطاعتك أن تحب المسيح حبا حقيقيا » •

* * *

« ربما كان فى استطاعتى أن أروى مأساة طفولتى : التفسير الخفى لمرعب للدين الذى كان نذيرا مرعبا لى أشعله خيالى ، كذلك كيف أصبح الدين عثرة أمامى ــ ربما كان فى استطاعتى أن أروى ذلك كلــه فى قصة أجعل عنوانها « الأسرة اللغز » : على أن تبدأ هذه القصة بطريقــة دينية تماما حتى لايستطيع أحد أن يهجس بالمأساة وحتى ترن الكلمة ويتحول كل شىء الى رعب » •

* * *

« ياأرحم الراحمين ! كم أخطأ أبى فى حقى ! أجــل لقد اقترف فى حقى خطأ مروعا بكآبته : شيخ طاعن يحمــل طفلا مسكينا كل كآبته ــ ومع ذلك فهو أفضل الآباء ! • » ١٨٤٧

« كم ملأ أبى روحى بالقلق ــ بالقلق أمام المسيحية » ! ١٨٤٨

« لازلت اذكر ذلك الانطباع الذى انتابنى حين سمعت أبى يقول لى : هناك جرائم لايستطيع الانسان النجاة منها الا بعون من الله » !

« لهذا يجب علينا أن نكون على حذر فى تربية الأطفال . فلا نجعلهم يؤمنون بما هو سىء وبالأسوا وبما هو شر ، ولا بالوساوس الملحة ، ولا نوقظ فى نفوسهم بملاحظة عابرة الشعور بالقلق الذى يجعل النفس الطاهرة

البرينة والتى لم يشارك عودها بعد يعزو بها بسهولة فتشعر انها يائسة ·· ويل لن يظهر العشيرة ! ·· » فبراير ١٨٣٧ ، فونتانا ص ٥٢ ـ ٥٤)

« انا مغلق على نفسى كشجرة الصنوبر المتوحدة ، متجها الى ذاتى ومتطلعا الى اعلى ، لا القى حوالى ظلا - وليس ثمة سوى العصفور هو وحده الذى يستطيع ان يبنى عشه وسط غصونى » · ١٨٣٧ ، فونتانا ص ٥٥)

جليل فى اول اغسطس ١٨٣٥

على هذا النحو كانت تظهر امامى الامور كما حاولت ان اوضح من قبل ، لكنى الآن كلما حاولت ان افهم حياتى بوضوح بدت لى تلك الاشياء على نحو مخالف وكما انه لابد ان يمر بالطفل وقت طويل قبل ان ينفصل عن الاشياء ويتميز عنها ، وقد تمس الحاجة الى الانفعال احيانا ، على نحو سلبى فيقول مثلا : « انا أضرب الحصان ـ » مميزا نفسه عن الاشياء ، فكذلك يجد المرء هذه الظاهرة نفسها حتى فى اعلى المستويات الروحية · ومن هنا فقد اعتقدت انه ربما كان من الممكن ان اصل الى توازن اكثر لو اننى قمت بدراسة أخرى ووجهت قواى نحو هدف آخر · ولاشك اننى سوف انجح على الاقل لفترة من الزمن فى طرد بعض المخاوف والمضايقات وان كان الضيق سوف يعود مرة أخرى اقوى مما كان تماما كما تعود الحمى على نحو متزايد ، بعد تناول كوب من الماء المثلج · ان ماينقصنى فى الحقيقة هو ان ارى نفسى بوضوح ، ان اعرف ما يجب على ان اعمله ، لا ما ينبغى على ان اعرفه الا بمقدار ما تسبق المعرفة العمل بالضرورة · ان المهم ان افهم مهمتى فى هذه الدنيا · وان ادرك تماما ما يريد منى الله ان افعله · اريد ان اجد حقيقة تكون لى انا : ان أجد الفكرة التى اكرس لها محياى ومماتى · اى فائدة تعود على لو اننى درست جميع المذاهب الفلسفية ، واستطعت عند الحاجة ان اراجعها وان اعيد النظر فيها ، وان ابين ما فى كل منها من متناقضات وعدم اتساق ؟ ـ اى فائدة تعود على ان استطعت ان اطور نظرية فى الدولة ، ورتبت جميع التفصيلات فى كل واحد ، وبنيت بهذا الشكل عالما لن اعيش فيه ، لكنى اعرضه فحسب امام انظار الآخرين ؟ ·

اي فائدة يمكن ان تعود على لو انني استطعت ان افسر معنى المسيحية ان لم يكن لذلك التفسير مغزاه العميق على وعلى حياتي ..؟ اي فائدة تعود على اذا ماوقفت الحقيقة امامي عارية وباردة لاتبالي كثيرا ان عرفتها ام لم اعرفها أحدثت في رعشة خوف وليس دعوة ثقة ..؟! حقا ان في [illegible] ان ارى الاخرين ينعمون بثمرات [illegible] مثلي

أي فائدة يمكن أن تعود على لو اننى استطعت أن أفسر معنى المسيحية ان لم يكن لذلك التفسير مغزاه العميق على وعلى حياتى ٠٠؟ أى فائدة تعود على اذا ماوقفت الحقيقة امامى عارية وباردة لاتبالى كثيرا ان عرفتها أم لم اعرفها واذا ما احدثت فى رعشة خوف وليس دعوة ثقة ٠٠٠؟ ! حقا ان فى استطاعتى ان افعل ذلك : فى استطاعتى ان ارى الآخرين ينعمون بثمرات مكرى ويتمثلونها غير ان مرقفى سوف يزداد حزنا وغما وسيكون مثلى مثل اولئك الاباء الذين اضطرهم فقرهم الى ارسال ابنائهم بعيدا عنهم فتركوهم تحت رعاية اناس اخرين ٠ وانا لا انكر اننى تعرفت على أمر مطلق للمعرفة والفهم ، وهو أمر كان له تأثير كبير على كثير من الناس .لكن هذا الامر لابد ان يصبح بطريقة حية جزء منى ٠ وانا ادرك الان ان هذه مسألة حاسمة ، وهى ماتتعطش اليه نفسى تعطش صحارى افريقيا الى الماء ، فهذا بالفعل ماينقصنى ٠ اننى أشبه ما اكون برجل استاجر منزلا وقام بتأثيث غرفه دون ان يواتيه الحظ فى العثور على المحبوبة التى تشاركه حياته : حلوها ومرها ، افراحها واتراحها ٠ ولكى يواتينى الحظ فاعثر على الفكرة (كان ينبغى على ان اقول : ان اعثر على نفسى) لن يفيد فى شىء أن القى بنفسى فى الحياة اكثر من ذلك ٠ وهذا ماكنت اقوم به بالفعل حتى الان ، فقد كنت اعتقد انه من الخير لى ان القى بنفسى فى دراسة القانون لكى ارهق ذهنى بمشكلات الحياة المعقدة المتشابكة ٠ وهنا كنت التقى بمجموعة هائلة من التفصيلات التى افقد نفسى فى دوامتها ٠ وربما استطعت ان أكون من هذه الوقائع المعطاة كلا متنوعا عن السرقة مثلا ، وان اتتبعها فى جانبها المظلم (وهنا ايضا تتجلى روح المشاركة فى اعلى صورها) ٠ ولهذا السبب وددت أن اكون محاميا فى المحاكم العليا حتى اذا ماوضعت نفسى فى دور شخصى آخر استطعت أن اجد بديلا عن حياتى الخاصة ، وان اجد فى التغير الخارجى لونا من التسلية ٠ والحق أن هذا هو ماكان ينقصنى لكى أعيش حياة انسانية بمعنى الكلمة ٠٠ (وليس حياة لاعلى أسس موضوعية كما يقولون ، أى شىء ليس لى على أية حال ، وانما المعرفة أو الفهم وحدها) حتى أستطيع بذلك أن أرسى قواعد تطورى الفكرى على أسس ترتبط ارتباطا وثيقا بجذور حياتى العميقة وتنمو معها ، من خلال ماهو الهى ان صح التعبير ، حتى ولو كانت الدنيا كلها سوف

تنهار . ان هـذا هو ماينقضنى وماتصبو اليه نفسى وما أكافح من أجله .
والا فان الانسان سوف يقترب من حافة الجنون بالغا مابلغ علمه :
فما الحقيقة ان لم تكن الحياة من أجل فكرة ... ؟ ! كل شىء فى البداية لابد أن يعتمد على مسلمة Postulate لكن فى اللحظة التى لاتعود هذه المسلمة خارجية عن الانسان أو بعيدة عنه ، لأنه يعيشها — عندئذ ، وعندئذ فقط لاتكون مسلمة بالنسبة له .

أليس مما يثلج صدرى ويشيع فى نفسى البهجة والسرور أن أجد أن نفرا من العظماء قد عثروا على تلك اللؤلؤة الثمينة التى من أجلها يبيعون كل شىء وحتى حياتهم نفسها ، وأن أراهم يسيرون فى الحياة بخطى ثابتة دون أن تكون لهم مهنة محددة أو وظيفة معينة ؟ ! انى اكتشفتم فى ذلك الطريق الوعر عازمين على بلوغ هدفهم ، وانى لاكن لهم احتراما عظيما حتى اذا لم يستطيعوا تحقيق ذلك العزم . ان فعـل الانسـان الداخلى ، ذلك الجانب الباطنى ، الجانب الالهى فيه ، هو الذى يعنى كل شىء ، وليس تكديس المعلومات والمعارف . لأن هذه كلها سوف تزاد يقينا(١) ، وعندئذ لن تكون المعلومات كلها خليطا من المعارف أو تفصيلات متناثرة لايجمعهـا نظام ولانسق System ولانقطة مركزية واحدة تلتف حولها . ولقد فتشت طويلا عن هذا المركز : فى بحر من اللذات ليس له قرار وفى هاوية المعرفة ، فتشت عبثا عن نقطة ألقى فيها بمرساتى . ولقد شعرت بقوة لاراد لها : قوة اللذة التى تسلمنى كل منهـا الى لذة تاليـة ، وأحسست بذلك الوجد الخادع الذى تستطيع اللذة أن تحدثه ، لكنى أحسست كذلك بالملل Ennui والسأم وذلك اللون مذ التشتت الذهنى الذى يعقب تلك الحالة . لقد ذقت ثمـار شـجرة المعـرفة ، وكثيـرا ما استمتعت بذلك المـذاق ! غير أن هذه المتعة لم تكن تبقى ألا لحظة المعرفة فحسب ، ثم تمضى دون أن تخلف بصماتها العميقة داخل نفسى . وانه ليبدو لى أننى لم أشرب من كأس الحكمة ، لكنى سقطت فى هذه الكأس ، لقد بحثت ، بغير تذمر ، عن مبدأ أقيم عليه حياتى ، بأن حاولت أن أومن بأنه لما كانت الاشيـاء تسير

---

(١) ربما يوضح فكرة كيركجور هنا قول السيد المسيح « اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم .. » متى ٦ : ٣٣ فالمهم هو الجوهر هو الحقيقة التى يتمثلها الانسان فى سلوكه وأفعاله .

وفق قوانين لاتتغير ولا تتبدل فانها لا يمكن أن تكون على نحو مخالف لما هى عليه الآن ·

ولما كنت لاأستطيع أن أكيف الاشياء وارتبها لتنسجم مع ذهنى فقد تواجعت عن هذه المهمة مدركا قدراتى الخاصة كالقس المنهمك الذى اعتزل الوعظ واكتفى بمعاش التقاعد · فماذا وجدت ؟ ! لم أجد نفسى · وهى التى كنت أبحث عنها (وكنت أعتقد أنهـــا وضعت فى صندوق مغلق بقفل لولبى بحيث لو ضغطت عليه الظروف الخارجية فسوف ينفتح الصندوق من تلقاء نفسه) · وعلى ذلك فان أول شىء ينبغى على أن أتخذ فيه قرار هو البحث عن مملكة السماء والعثور عليها · لكنهـــا لما كانت جرما سماويا · اذا ماتخيلناه فى عملية تكوينه لنفسه ـ فانه ينبغى على بادىء ذى بدء ـ لا أن أحدد مدى ضخامة سطحه الخارجى وما هو الجرم الآخر الذى يمكن أن يحركه · بل ينبغى أولا وقبل كل شىء أن نترك القوى المركزية · سواء الطاردة منها أو الجاذبة تنسج فى انسجام وجود هذا الجســـرم · ثم ندع الباقى يسير فى مجراه · كذلك : بالمثل من العبث أن نحدد للانسان أولا جميع الأسس والقواعد الداخلية والخارجية : ان الانسان ينبغى عليه أن يعرف نفسه أولا قبل أن يعرف أى شىء آخر · وبعد أن يفهـــــم نفسه من الناحية الداخلية · وأن يرى طريقه على هذا النحو · فانه فى هذه اللحظة وحدها سوف تنعم حياته بالسلام وسوف يكون لها معنى · وفى هذه الحالة وحدها سوف يتمكن المرء من التخلص من رفيق السفر البغيض والذى هو تهكم الحياة الذى يتجلى أوضح مايكون فى ميدان الفهم والمعرفة · وسوف تكون البداية الحقيقية للفهم هى الجهل (كما ذهب سقراط) . تماما مثلما أن البداية الحقيقية للعالم هى أن الله خلق الاشياء من العدم ·

ورغم اننى مازلت بعيدا جدا عن بلوغ فهم كامل لنفسى فقد حاولت أن أحتفظ بفرديتى ـ مع احترام عميق لمعناها ـ مرتبطة بعلاقة العبادة بالله الذى أجهله · محـــــاولا أن أتجنب الاتصـــــال الوثيق بتلك الظواهر التى تمارس قوتها الجذابة أثرا عظيما على نفسى · كما حاولت أن أسيطر على هذه الظواهر وأن أدرسها دراسة فردية وأفحص أهميتها على حياة الناس · لكنى طوال الوقت كنت أحترس كالفراشة من الاقتراب من اللهب · ولـــم يكن لدى سوى أقل القليل مما يمكن أن أخسره أو أربحه من حياة الناس

العادية · من ناحية : لان مايسمى عادة بالحياة العملية لم يكن يعنينى الا قليلا ، ومن ناحية اخرى بسبب البرودة وعدم الاكتراث التى يعالجون بها أعمق العواطف والانفعالات الروحية فى الانسان · وقد زادتنى هذه الطريقة بعدا عنهم · ان احدا من رفاقى وزملائى ـ باستثناء قلة ضئيلة جدا منهم ـ لم يكن له اثر خاص على · ان الحياة التى لاتكون واضحة لنفسها تكشف لامحالة عن سطح غير مستو · ان هؤلاء الزملاء قد توقفو عند الوقائع الجزئية ، وتنافرها الظاهر ولم يكن لدى الرغبة فى أن احلها فى اتفاق أعلى أو أن أدرك الرابطة الضرورية التى تجمع بينهما · ومن ثم فقد كانت فكرتهم عنى باستمرار أحادية الجانب · وكانت النتيجة اننى لم أعد القى وزنا كبيرا او صغيرا لما يقولون بل ابتعدت الآن عن تأثيرهم وأثرهم السىء المحتمل على نطاق حياتى · وهكذا عدت من جديد الى نفس النقطة حيث يتعين على أن ابدا حياتى بطريقة مختلفة · سوف أركز الآن نظرة محدقة الى داخل نفسى وأبدأ فى العمل بجد واهتمام ، اذ بهذه الطريقة وحدها أستطيع ، كالطفل أن أطلق على نفسى لفظ « انا » مع أول فعل واع أقوم به أستطيع أن أقول « أنا » بمعنى عميق ·

لكن الصبر ضرورى من أجل الوصول الى تلك الغاية فلن يستطيع الانسان أن يجنى فى الحال ثمار ما بذر من بذور ، وسوف اضع فى ذهنى منهج ذلك الفيلسوف الذى أمر تلاميذه بالصمت ثلاثة أيام وسوف يصلون جميعا ـ بعدها الى معرفة الصواب والحق · وليس فى استطاعة المرء أن يولم أو يحتفل دينيا فى الفجر وانما عندما تغيب الشمس · وكذلك فى عالم الروح من الضرورى أولا أن نعمل لبعض الوقت قبل ان تلمع الانوار وتشرق الشمس بكل بهائها · اذ على الرغم من انه قيل ان الله يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ، ويرسل المطر على العادل والظالم(*) · فليس ذلك كذلك فى عالم الروح · وهكذا يسبق السيف العزل ـ فأنا أعبر نهر روبيكن Rubicon !

(*) اشارة الى قول السيد المسيح : « صلوا لأجل الذين يسيئون اليكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين ·· » متى ٥ : ٤٥ ·

وتلك طريق تفضى بى ، بالتأكيد الى صراع ونزال(١) ، لكنى لن أستسلم ، ولن احزن على الماضى ، ولم الحزن ؟ ! اننى سوف اعمل بكل طاقتى ولن اترك وقتا اضيعه فى الحزن كالرجل الذى وقع فريسة الرمال المتحركة التى غابت فيها قدماه فراح يضيع الوقت فى حساب مدى ما غاص من جسمه بالفعل ناسيا أن كل لحظة تمر عليه يعوض بالفعل اعمق واعمق · سوف اغذ السير واسرع الخطى فى الطريق الذى اكتشفته محييا كل من القاه على طول الطريق دون ان انظر الى الوراء كما فعلت زوجة لوط(٢) ، لكنى سوف اتذكر ان ما ينبغى على ان اصارع من اجله هو المرتقى : الصعود الى قمة الهضبة(٣) ·

هكذا فهمت نفسى فى أعمالى الادبية كلها

، انا فرد شقى باعمق معنى للكلمة تمصر بقوة — منذ ايامه الأولى فى هذا العذاب أو ذاك ، حتى وصلت الى حافة الجنون ، وهو شقاء لابد أن تكون جذوره العميقة كامنة فى عدم التناسب بين الجسد والروح · لأن الجسد لا علاقة له قط بالروح عندى (وهذا هو الأمر الخارق للمألوف) بل على العكس ربما بسبب العلاقة المشدودة الى حد التوتر بين الجسد والروح اكتسب ذهنى قوة ومرونة نادرتين ·

رجل عجوز يحمل على كاهله كآبة وسوداوية هائلة (ولن أقول لماذا)

=
البحر الادرياتى وكان يشكل خط الحدود بين ايطاليا والمقاطعات ، ولم يستطع القادة الرومان بجيوشهم الجرارة عبور هذا النهر · ومن هنا اعتبر عبور قيصر نهر روبيكون عام ٤٩ ق·م عملا بطوليا ، واتخذت عبارة عبور نهر روبيكون » لتعنى القيام بخطوة حاسمة » ·

(١) روبيكون Rubicon نهر صغير فى ايطاليا القديمة يصب فى

(٢) اشارة الى القصة التى رواها سفر التكوين عن تدمير « سدوم وعموراء » « بكبريت ونار من عند الرب من السماء » ، وقد خالفت زوجة لوط الأمر الالهى : « لا تنظر الى ورائك ولا تقف فى كل الدائرة ·· ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح ·· » سفر التكوين الاصحاح التاسع عشر ١٧ و ٢٣ و ٢٦ ·

(٣) هذا النص مأخوذ من « اليوميات » « ترجمة الكسندر درو ص ١٥ وما بعدها — وكذلك طبعة فونتانا ص ٤٤ وما بعدها ·

وابن أنجبه فى شيخوخته وورث عنه كل هذه الكآبة . لكنه فى الوقت نفسه كانت لديه مرونة ذهنية جعلته قادرا على اخفاء هذه الكآبة . ولما كان ذهنه سليما أساسا لم تستطع الكآبة أن تكون لهـا الغلبة عليه ، لكنـه بالمقابل لم يستطع أن يتخلص منها ، بل كان فى الاعم قادرا على حملها .

كانت هناك فتاة صغيرة (حركت فى بكبرياء البنت قوى عملاقة فجعلتنى أرتاب واشق طريقا أخرج به مما ظننته غلطـة حزينة يائسة طريقا للخروج فأفسخ خطبتنا ، لأنها فى البداية فقط أطلقت تلك القوى الرتابة كما لو كانت لم تهتم بها أدنى اهتمام) ولقـد وضعت هـــذه الفتاة الصغيرة على عاتق ضميرى جريمـة اغتيال فى أعظم اللحظات اجـــلالا ورهبة . وأبوها القلق المضطرب يكرر مؤكدا أن فسخ الخطوبة قـد يكون فيه موت الفتاة ، وسواء أكانت مجرد ثرثرة فحسب أم لا فذلك لم يعد يعنينى .

منذ تلك اللحظة فصاعدا سوف أكرس حيـاتى مع كل ذرة من قدراتى المتواضعة لخدمة فكرة ما .

وعلى الرغم من أننى لا احب قط الانضباط بسر ، وعلى الرغم من أننى أرفض رفضا قاطعا التحدث مع الآخـرين عن الجانب الداخلى عنـدى ، فقد اعتقـدت مع ذلك أن من واجب الانسان الا يتغاضى عن هذا العامل وهو أن يسعى لطلب النصيحـة من شخص آخـر . وان كنت اشـترط فقط الا تكون المسألة مجرد ثقة حمقاء وانما اتصال وظيفى وجاد . ولهـذا فقد استشرت طبيبا عمـا اذا كان يعتقد أن التنافر بين الجانب الجسمى والجـانب النفسى عندى يمكن أن يحل بطريقـة أستطيع معها أن أحقق العام . لكنـه شك فى امكان ذلك . فسألته عما اذا كان يعتقـد أن ذهنى يمكن من خـلال اعمال الارادة أن يكون قادرا على اصلاح هذا التنافر الاساسى واعادة تشكيله . لكنه شك أيضا فى ذلك . ولم ينصحنى حتى بأن أطلق العنان لارادتى كلها — وكانت لديه فكرة عنها . والا فسوف أمزق كل شىء الى أشلاء .

منذ هـذه اللحظة اخترت : اخترت هذا التنافر المحزن بعذابه المنتظر (الأمر الذى سوف يدفع بلا شك كثيرين ممن لديهم الاحساس الكامن لفهمه — الى الانتحار) ولقد كنت أنظر اليه دائمـا على أنه شوكة فى الجسد : حدى وصليبى . واعتبرته المهر الغالى الذى باعنى به الله القادر على كل شىء ،

قوة عقلية . لا نظير لها بين المعاصرين . ولم يملأ الغرور وجودى لأنه كان ملتصقا **بالتراب بالفعل** . حتى لقد أصبحت رغبتى ألما مرا وهوانا يوميا .

« ولقد فهمت نفسى — دون أن ألجأ الى الافشاء بشىء — فى أن على أن أقوم بالتأكيد على أهمية العام فى عصر فاسد منحط . وأن أجعله محبوبا ومقبولا عند الآخرين جميعا الذين يقدرون على تحقيقه . وأن انحرف بهم الطريق لجريهم وراء الشاذ والخارق للمألوف . ولقد أدركت واجبى على أنه يشبه ذلك الرجل التعس الذى يحب الناس ويرغب فى مساعدتهم ليكونوا سعداء » .

« لكن لما كانت مهمتى فى الوقت نفسه متواضعة ومحاولة ورعة لأن أقوم بشىء طيب لاصلاح ما ارتكبت من أخطاء فقد راعيت بصفة خاصة الا يخدم جهدى كبريائى وغرورى أعنى أننى ينبغى على ألا أخدم الفكرة أو الحقيقة بتلك الطريقة التى تجعلنى أحصل على امتيازات دنيوية نظير هذه الخدمة . ولهذا فقد كنت على يقين أننى أعمل بعدم تذمر وباذعان حقيقى » .

« ولقد اعتقدت كذلك ابان عملى أننى تعلمت أن أفهم على نحو أفضل ارادة الله بالنسبة لى : أننى أحمل نير الآلام الذى وضعه الله فوق كاهلى وربما لهذا السبب أنجزت ما هو مستثنى .

« ان الجدارة التى أستحقها فى الأدب **ترجع الى أننى** : حددت السمات الحاسمة لمحيط الوجود البشرى كله بوضوح جدلى وعلى نحو أصيل لم يسبقنى اليه أحد من قبل على حد علمى . كلا ! ولم تكن بين يدى كتب أستعين بها أو استمد منها النصيحة . **والسبب الثانى** هو الفن الذى استخدمته فى توصيل هذه الفكرة أعنى الصورة التى عرضتها فيها أو الانجاز المنطقى . لكن لا أحد لديه الوقت الكافى ليقرأ . أو ليدرس على نحو جاد . والى هذا الحد فان انتاجى حتى هذه اللحظة ضائع مثلما تضيع أطباق الطعام الشهية الفاخرة أمام الفلاحين .

The Journals, P. 169 - 171 (Oxford).

The Journals, P. 106 - 108 (Fontana).

* * *

« أبانا الذى فى السموات ! لا تكن مع الخطايا عونا علينا ، بل كن عونا لنا على خطايانا ، حتى لا نذكر ذنوبنا كلما فكرنا فيك ، بل نتذكر غفرانك . عندئذ تمحو حلاوة الغفران مرارة الخطيئة لأن الله محبة ! » .

The Journals. P. 217 (Oxford).

« أبانا الذى فى السموات ! افتح مصاريع عينى ، واجعل سيل الدموع ينهمر ، ليغسل حياتى الماضية كلها . تلك التى لم تكن فاضلة امام عينيك ! » .

نفس المرجع السابق ص ٦٩

« أنا ذابل شاحب للغاية ، وبلا فرحة حتى اننى لا أجد شيئا يملأ نفسى ، بل لا ارى شيئا يمكن أن يشبعها - آه ! حتى ولا غبطة السماء ! » نفس المرجع ص ٨٥ .

« فى استطاعتى أن أشك فى كل شىء ، نعم فى كل شىء » ص ٨٨ .

« شكى مرعب وفظيع ولا شىء يمكن أن يحتويه » ص ٨٧ .

* * *

« يظهر أن مهمتى هى أن أكون عارضا للحقيقة بقدر ما أكشف عنها . محطما فى الوقت ذاته كل سلطة ممكنة » ١٨٤٣ .

* * *

كتب فى ١٩ أبريل ١٨٤٨ .

« لقد تغير وجودى الداخلى كله ، فلم أعد مغلقا على نفسى : انكسر القيد ولابد أن أتكلم ، لقد منحنى الله القادر على كل شىء : النعمة ! » .

ثم كتب فى ٢٤ أبريل ١٨٤٨ .

« كلا ! كلا ! صمتى وسرى لا يتحطمان ! » .

* * *

« لن يستطيع أحد أن يهجس بما يدور فى داخلى ، تلك هى حياتى سوء تفاهم مستمر .. الكل يكرهنى ! » .

* * *

« قد يكون السر على درجة كبيرة من الرعب حتى أن صاحبه الذى يطويه بين جنباته لا يستطيع أن يتحدث عنه لا الى نفسه ولا الى الآخرين · لانه سيكون فى هذه الحالة كمن يرتكب خطيئة جديدة والمرء عندما يرتكب امرا مرعبا لا يكون ملكا لنفسه بعد ذلك ·· » ·

* * *

« العباقرة مثلهم مثل العاصفة يأتون فى اتجاه معاكس للريح ويرعبون الناس ، لكنهم ينظفون الجو » ··

* * *

« مهمة الرسول ان يعمل على نشر المسيحية ، وان يضم اليها اناسا ·· فى حين ان مهمتى هى أن انزع عن الناس الوهم بأنهم مسيحيون » ·

* * *

« دعونى أتنفس الايمان بحرية ! » ·

« يوجد فينا ينبوع متدفق نستطيع منه ان نصيخ السمع للخرير الهادىء ، الهادىء والعميق فى ان معا ، عندما يخلد الكون كله الى الراحة والسكون — فى هذا الخرير ، وفى هذا الينبوع يوجد الله » ! ١٨٤٩ ·

* * *

« أحيانا يكون من الصحة أن يظل الجرح مفتوحا : فالجرح المفتوح قد يفيد صحيا وقد يكون من الضرر أن يلتئم ! » ·

* * *

ثلاثة أشياء أشكر الله عليها

١ — اننى لم أهب الحياة لانسان قط ·

٢ — أنه منعنى من ان أصبح قسيسا ·

٣ — اننى عرضت نفسى ، بارادتى ، لشتائم صحيفة « القرصان » ·

اليوميات ترجمة سميث ص ٣٠٢

القسم الثاني

علاقته بريجينا أولسن
ورأيه في المرأة

٨ مايو ١٨٣٧ :

« اه يالهى ! كيف يستطيع الانسان أن ينسى بسهولة تلك القرارات التى عزم عليها ! لقد عدت مرة أخرى مؤقتا الى هذا العالم لبعض الوقت . اه ! ماذا يفيد الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه(١) . لقد حاولت اليوم ٨ مايو ١٨٣٧ مرة أخرى أن انسى نفسى لا فى ضجيج العالم وضوضائه . فهذا بديل لاغناء فيه ، بل بأن أحاول أن أذهب الى ال روردام .. Rordams . وأن أتحدث مع بوليت Bolette . لكن ملاك الرب وقف فى طريقى حائلا على نحو ما يحول دائما بينى وبين كل فتاة بريئة شاهرا سيفا من نار ! أشكرك يالهى لأنك غمرتنى برحمتك ولم تتركنى أصاب بالجنون ! لم أكن خائفا على هذا النحو .. أشكرك مرة أخرى لانك استجبت الى .

« اليوم يتكرر نفس المنظر من جديد ، رغم أننى ذهبت الى ال روردام وشكرا لك يالهى ــ لماذا يستيقظ هذا الشعور الآن ــ آه ! كم أشعر بالوحدة(٢) . آه ! ملعون ذلك المتعجرف الذى يرضى بالوحدة ــ الكل سوف يحتقرنى الآن ــ لكنك أنت يالهى لاترفع يدك عنى الآن ــ دعنى أحيا وأكون أفضل مما أنا عليه .. » .

The Journals, P. 54 - 55 (Fontana).

* * *

٢ فبراير عام ١٨٣٩ :

« آه ! ريجينا يامليكة قلبى ! يامن تختبئين فى أعمق أعماق فؤادى ! فى أكثر أحلام حياتى عظمة ! هناك على بعد متساو من السماء والجحيم

---

(١) اشارة الى عبارة السيد المسيح الشهيرة انظر انجيل مرقس الاصحاح الثامن : ٣٦ .

(٢) تعتقد ريجينا أن هذه التدوينة كتبت نتيجة أول لقاء لهما وما أحدثه كل منهما من انطباع على الآخر ــ قارن اليوميات حاشية رقم ٢ من طبعة فونتانا .

توجد الوهية مجهولة ! آه ! هل أصدق حقا حكايات الشعراء التى تقول ان المرء عندما يرى محبوبته لأول مرة يتخيل انه سبق له أن رآها منذ مدة طويلة . وأن الحب كله مثل المعرفة كلها ليست الا تذكرا . وأن الحب ايضا له فى الفرد نبواته ، وأنواعه واساطيره ، وعهده القديم ؟ ! أينما يممت وجهى لا أرى فى وجه أى فتاة الا آثار جمالك . لكن يبدو لى انه ينبغى على أن امتلك جمالهن جميعا حتى يتسنى لى أن أعثر على جمال يساوى جمالك ! وانه ينبغى على أن ابحر حول العالم كله حتى أعثر على المكان الذى أفتقده ، والذى يتجه نحوه أعمق اسرار وجودى كله — وفى اللحظة التالية سوف أجدك قريبة منى ، حاضرة بجوارى تملئين روحى بقوة حتى ليتغير كيانى وأتمنى لو كنت معى هنا .

انت ياإله الحب الأعمى ! هلا كشفت لى ما تراه مخبوءا فى ضمير الغيب .. ؟ ! هل سأجد ما ابحث عنه هنا فى هذا العالم ، هل سوف أخبر خاتمة المقدمات الغريبة لحياتى كلها ، هل سأضمك بين أحضانى ، أم : أن الأمر هو تقدم الى الامام ؟ ..

The Journals, P. 61 - 62 (Fontana).

* * *

علاقتى « بهـا » :

٢٤ أغسطس ١٨٤٩ .

« ريجينا أولسن — رأيتها لأول مرة فى منزل آل روردام .. Rordams حقا لقد رأيتها هناك من قبل لكنى لم أكن أعرف شيئا عن أسرتها (فقد كنت بمعنى ما مسئولا عن شعور معين نحو بوليت روردام ، فقد كان لها فى وقت مبكر تأثير ما على ، وربما كان لى عليها نفس التأثير لكن ذلك كله كان بريئا وعلى نحو عقلى) .

« وحتى قبل وفاة والدى كنت قد اتخذت قرارا نحوها . ولقد مات أبى (٩ أغسطس ١٨٣٨) فانشغلت فى الدراسة استعدادا للامتحان ، وخلال هذه الفترة كلها تركتها تنفذ الى أعماق كيانى . ثم دعيت لزيارة

أسرتها ، وذهبت بعد ذلك الى جوتلند ، وربما استطعت أن أقول اننى كنت خلال ذلك اغازلها بأن اعيرها كتبا أو أشير عليها بقراءة فقرات معينة ·

وعدت فى اغسطس ، وكنت استغل الفترة من ٩ أغسطس حتى بداية سبتمبر فى الدنو منها بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ·

وفى ٨ سبتمبر غادرت منزلى ، وأنا عازم على أن أضع حـــدا لهـــذا الموضوع · والتقيت بها فى الشارع أمام منزلها · واخبرتنى أنه لايوجد أحد فى المنزل ، واعتبرت ذلك دعـــوة لى فغادرت بانتهـــاز الفرصـــة التى كنت اريدها · وذهبت معها الى البيت وجلسنا وحدنا فى غرفة المعيشة · وعندما وجدتها مضطربة لوجودنا وحدنا رجوتها أن تعزف على البيان كما كانت تفعل من قبل فى المرات السابقة · وبدأت تعزف · لـــكن ذلك لم يغير من الامر شيئا ، وفجأة تناولت النوتة الموسيقية واغلقتها على نحو لا يخلو من عنف وألقيت بها على البيان وأنا أقول « اه ! لم تعـد تعنينى الموسيقى فى شىء ، انما أنت من أبحث عنها ! أنت من كنت أبحث عنها منذ عامين ! » · وظلت صامتة ولم افعـــل شيئا لكى أحركهـــا · لكنى حذرتهـــا من نفسى ، حذرتها من مزاجى السوداوى · وعندما تحدثت عن شليجل Schlegel قلت · « فلنضع هذه العلاقة بين قوسين ، وقبل كل شىء فالأولوية لى »·· (ملحوظة : لم نتحدث عن شليجل الا يوم ١٠ سبتمبر ، أما يوم ٨ فلم نذكر عنه شيئا) ·

ظلت صامتة تماما · وأخيرا تركتها وغادرت المنزل لاننى كنت أخشى أن يحضر أحد ويرانا معا ويراها مضطربة على هـــذا النحو · وذهبت فى الحال الى والدها المستشار أولسن وعرفت أننى كنت قد أثرت فيهـــا تأثيرا شديدا ، ولـــذا خشيت أن يساء فهم زيارتى أو أن أسىء الى سمعتها · لم يقل والدها شيئا لا بالايجاب ولا بالسلب ، لكنـــه لم يكن يمانع فيما اعتقد وطلبت لقاءها · والتقيت بها بعـــد ظهر العاشر من سبتمبر ولم أقـــل كلمة واحدة لاقناعها ولكنها هى التى قالت : نعم !

وفى الحال وسعت علاقتى بالاسرة كلها ، وحولت براعتى نحو أبيها الرجل الذى أحببته باستمرار ·

لكنى داخليا ، شعرت فى اليـــوم التـــالى أننى قمت بخطوة خاطئة ،

عانيت دون أن أتكلم ويبدو أنها لم تلحظ شيئا بل على العكس كانت روحها مرتفعـة ·

ولقـد كان ذلك خطرا بمعنى ما · فقـد اعتقدت انهـا لو لم تكن قد تأثرت تأثرا عميقـا أكثر مما تكشف عنه كلماتهـا : « لو ظننت انى لم آت اليها الا بحكم العادة لفسخت الخطوبة فى الحال » · فلو لم تكن قد تأثرت تأثرا عميقا ، اذن ، لأنقذت ، واستجمعت قواى من جديد ، وبمعنى اخـر فلابد لى من أن أعترف بضعفى وبأنها أربكتنى بعض الوقت ·

ثم حشدت قواى كلهـا للعمل ، والحق انهـا انهارت وحدث العكس تماما فقد منحتنى نفسها تماما ، لقـد كانت تعبدنى · وانا أحمـل ، الى حد ما ، وزر ذلك ، ففى الوقت الذى أدركت فيـه صعوبة الموقف بوضـوح كامل وادركت أننى لابـد أن استخدم أقصى طاقتى لكى انفجر من خـلال سوداويتى اذا لزم الأمر ــ قلت لها : « استسلمى لى ، ان كبرياءك واعتدادك بنفسك يجعـل كل شىء سهلا امامى » · وكانت تلك كلمـات صادقة تماما وامنية بالنسبة لها وان كانت سوداوية خائنة غادرة بالنسبة لنفسى(*) ·

والآن استيقظ من جديد مزاجى السوداوى . ولقـد كان اصلاحها لى يلقى بعبء « المسئولية » كلهـا على كاهلى ، فى حين أن غرورها كان فى كثير من الأحيان يعفينى من المسئولية · ولقـد اعتقدت ، وهذا هو رأيى · ان ذلك لم يكن سوى عقاب من الله ·

ليس فى استطاعتى أن أحـدد بوضوح ما هى الانطباعات العاطفيـة التى خلفتها ريجينا فى أعماقى · لكن ثمة شىء مؤكد : أنها وهبتنى نفسها ، وكانت تقريبا تعبـدنى وتطلب منى أن أحبهـا مما أثر فى وحرك مشاعرى لحد أننى على وشك أن اغامر بكل شىء من أجلها اما الى أى حـد كنت أحبهـا فهـذا ما تكشف عنه واقعـة اننى حاولت باستمرار أن أخفى عن نفسى مـــدى تأثيرها على نفسى وهـو موضوع لم يكن يرتبط بالانفعالات

(*) لكنها الى حـد ما كانت ترتاب فى حالتى لأنهـا كثيرا ما كانت تجيب « أنت لست سعيدا قـط ، ومن ثم يتسـاوى عنـدك بقيت معك ام لم أبق » · ولقد قالت لى أيضا ذات مرة انها لن تطلب منى شيئا على الاطلاق لو انها ظلت معى فحسب ·

الجياشة . لو لم اكن تائبا نادما . لو لم تكن لى حياة ماضية Vita ante acta لو لم اكن سوداويا . لكان ارتباطى بها قد جعلنى سعيدا اكثر مما كنت احلم فى أى يوم من الايام . لكن لما كنت . ويالللاسف ! .. على نحو ما انا عليه . فان على أن أقول اننى يمكن أن اكون سعيدا فى شقائى بدونها اكثر مما لو كانت معى . لقد اثرت فى وحركت مشاعرى . ولقد كنت احب . بل أكثر من ذلك ، أن أفعل لها كل شىء .

لكن هناك احتجاجا الهيا وهذا ما فهمته . العرس . وكان على أن اخفى عنها ذلك كله والا لاقامت الامر كله على اساس غير سليم ..

كتبت لها رسالة وأعدت خاتم الخطوبة . والرسالة موجودة بنصها كلمة كلمة تحت عنوان « تجربة سيكولوجية »(*) . وبكل ما استطيع من قوة جعلت علاقتى بها مجرد تاريخ فحسب فلم اتحدث لأحد عنها قط . ولا لشخص واحد . وبقيت انا صامتا صمت القبر . وما أن يصل الكتاب اليها حتى أود أن تنتبه اليه .

فماذا فعلت ؟ بيأسها النسائى اجتازت الحدود . لقد كانت تعرف بوضوح اننى سوداوى المزاج ، وأن قلقى يدفعنى الى الحدود القصوى . حدث العكس . لقد أوصلتنى الى النقطة التى يدفعنى فيها القلق الى الحد الاقصى . وهذا شىء مؤكد . لكنى عندئذ كنت أرغم طبيعتى كلها بطاقتى الهائلة على التخلص منها : لم يكن ثما ما يمكن عمله سوى شىء واحد هو أن أصدها بكل قوتى .

وخلال شهرين من الخداع راعيت أن اكون فى غاية الحذر ق حديثى المباشر معها من حين لآخر فكنت اقول لها : أرجو أن تسلمى . وتتركنى اذهب . انت لن تتحملى ذلك . وكانت تجيب بانفعال انها يمكن أن تتحمل أى شىء ماعدا تركى لها .

كذلك حاولت أن أعطى الانطباع بأنها هى التى فسخت الخطبة حتى اجنبها كل اهانة . لكنها رفضت قائلة : ان كنت ساتحمل الأخرى (اى

(*) فى كتابه « مراحل على طريق الحياة » بقلم الأخ الساكت .

فسخ الخطوبة) فسوف اتحمل هذه أيضا (اى أن يكون هو السبب) · ثم قالت بطريقة لا تخلو من نغمة سقراطية فى حضورها لن يلاحظ احد شىء ولن يفوه بكلمة اما ما يقوله الناس فى غيابها فهى لاتكترث به ·

انها لحظة عذاب مرعب ان تكون على هذا النحو من القسوة وعلى هذا القدر من الحب كما فعلت أنا · لقد ناضلت كما تناضل النمرة · ولو لم اكن مؤمنا بأن الله قد أصدر قرار الرفض ·· Veto لكانت قد انتصرت ·

وعندما تركتها ذهبت مباشرة الى المسرح لانى كنت اريد أن اقابل صديقى اميل بويزن ···· Emil Boesen (وهذا هو السبب الذى من أجله شاعت أقاويل فى كوبنهاجن تقول اننى نظرت فى ساعتى وسألت أسرتها عما اذا كانوا يريدون شيئا أكثر من ذلك أو ما اذا كان فى ذهنهم شيئا يريدون أن يقولوه فليتفضلوا بسرعة لانى ذاهب الى المسرح) ·

انتهى العرض ، وما أن تركت مقعدتى حتى جاءنى المستشار أولسن Olsen وقال : « هل يمكن أن اتحدث معك قليلا ؟ » ، وذهبنا سويا الى منزله · وقال والدها « سوف يكون فى ابتعادك عنها موتها ، انها فى يأس كامل » فأجبته » : سوف أذهب وأخفف عنها ، لكن كل شىء انتهى · فقال « انا رجل يحترم نفسه ، وقد يصعب على أن أقول لك لاتفسخ خطبتك بابنتى ، لكنى ارجوك الا تتركها » · ولقد كان بالفعل رجلا نبيلا طيب القلب ولقد تأثرت بكلامه تأثرا عميقا ، لكنى لم أترك نفسى انزلق مع حديثه بحيث يقنعنى ، وبقيت مع الاسرة حتى العشاء · وتحدثت معها وانا خارج · وفى صبيحة اليوم التالى تلقيت منه رسالة يقول لى فيها ان ابنته لم تنم طول الليل ، ويطلب منى أن أذهب لأراها ، وذهبت وحاولت اقناعها ، فسألتنى : « ألن نتزوج أبدا ؟ وأجبت : « نعم ! ربما بعد عشر سنوات عندما اكون قد انغمست فى طيش الشباب ، عندئذ سوف احتاج الى دماء شابة لتجدد لى شبابى » · ولقد كانت تلك قسوة ضرورية · عندئذ قالت لى : « سامحنى فيما سببته لك من الم » وأجبت « اننى انا الذى ينبغى أن أطلب منك الغفران والسماح » · فقالت : « أوعدنى أن تفكر فى » فوعدتها · فقالت « قبلنى » ففعلت بلا عاطفة · ياأرحم الراحمين !

وهكذا افترقنا حيث قضيت الليل كله أنتحب فى فراشى ، لكنى

تصرفت تصرفا عاديا فى اليوم التالى بروح افضل عن ذى قبل . وكان ذلك ضروريا . وعندما اخبرنى شقيقى انه يريد الذهاب الى اسرتها ليبين لهم اننى لم اكن نذلا . اجبته « لو ذهبت الى هناك فسوف اقتلك برصاصة » . وسافرت الى برلين وعانيت كثيرا اذ كنت افكر فيها كل يوم وحتى الآن حافظت على وعدى لها كما كنت اصلى من اجلها مرة او مرتين فى اليوم على الاقل . بالاضافة الى مرات اخرى كثيرة كنت أفكر فيها .

ولم امكث فى برلين سوى ستة أشهر مع ان نيتى فى البداية كانت ان ابقى سنة ونصفا . وعودتى الى كوبنهاجن بهذه السرعة لابد انها لفتت نظرها . ولقد كان . فوقفت تنظرنى بعد أن انتهى الاسقف مينستر من القاء عظته يوم الأحد الأول بعد عيد الفصح . لكننى رفضت وكنت عازما على صدها . ولم أكن أود لها ان تعرف اننى كنت افكر فيها عندما كنت غائبا . وفضلا عن ذلك فقد عرفت من سيبرن Sibbern انها قالت انها لا تطيق رؤيتى . لكن الامر لم يكن على هذا النحو عندما رأيتها وان كنت مضطرا الى الاعتقاد بانها لا تريد أن تتحدث معى .

بالنسبة لبقية الأحداث : فقد اتخذت فيما يبدو أعظم خطوة حاسمة فى حياتها تحت رعايتى . وبعد قليل من خطبتها الى شليجل Schlegel اكتشفت وجودى فى احدى الكنائس ولم استطع أن اتجنب النظر اليها فأومأت لى برأسها مرتين ورددت عليها وهذا يعنى « ينبغى عليك أن تتخلى عنى فأومأت وكذلك فعلت أنا على نحو ما يفعل الأصدقاء بقدر الامكان » .

وبعد أن تمت خطبتها الى شليجل عام ١٨٤٣ قابلتنى فى الطريق وحيتنى كأصدقاء وبطريقة ودية بقدر المستطاع . ولم استطع أن أفهمها لاننى لم اسمع عن الخطوبة لقد نظرت اليها نظرة فاحصة فحسب ثم هززت رأسى محييا . ومن المؤكد أنها كانت تعتقد أننى عرفت بموضوع الخطوبة وتطلب منى الموافقة عليها .

وعندما نشر اعلان الزواج عام ١٨٤٧ كنت موجودا فى الكنيسة .

The Journals, P. 69 - 75 (Fontana).

* * *

فى ٢٣ يناير ١٨٤١ :

كتب اليها كيركجور مهنئا بعيد ميلادها الثامن عشر .

« حبيبتى ريجينا ! ·

أتمنى من اللــه أن يبعث اليك بعــام جديد سعيد كثير البسمات قليل الدموع ! لقــد أرسلت لك مع خطابى هذا منــديلا ، أردت أن تضعيه تحت وسادتك حتى اذا ما استيقظت من نومك ذات ليلة ، فجــأة ، مذعورة ، من حــلم مؤلم ، وعجزت عن السيطرة على دموعك ، عنــدئذ جففيهــا بهــذا « القماش الكتانى » ثم تذكرى اننى أنا الذى أرسلته اليك ، واننى كنت أود لو كفكفت لك الدمع بنفسى ·· !

أما حين تكونى مسرورة مطمئنة كأرملة فقيرة تبرعت بكل ما عنــدها فأصبحت أغنى من العالم كله ، عندئذ اسندى رأسك الى الوسادة نفسها ، وسوف يذكرك هــذا القماش الكتانى بى أيضــا ، سوف يذكرك بأنك كنت الشخص الوحيــد الذى كفكف دموعى ، كما أنه سوف يذكرك أيضــا بأنك كنت الانســانة الوحيـــدة التى رأت تلك الدموع · ومن ثم فحين تتمنين لنفسك يكون من الســهل عليك أن تشاهدى صــورتى مطبوعة على هــذا القماش · لقـــد جففت فرونيكا Veronica (المقدسة عرق المسيح بقماش غال من الكتــان ومكافاة لها على ذلك انطبعت صــورة المسيح على هــذا القماش ، وحين طبقته خمس مرات وجدت فى حوزتها خمس صور للمسيح (*) · ولابد لــكى تكونى قادرة على رؤية صورتى على هــذا القماش ــ لابد أن تصوريها بنفسك وهذا ما أعرف أنك قادرة على القيام به ، أرأه ! لاتصورى صــورتى كشخص قلق مضطرب لايعرف السلام والسكينــة شخص يسكنه حزن دفين كالروح القلقة التى تحــوم هنا وهناك ! وانما صوريها كشخص طيب رقيق يملؤه الامل والثقــة ، ومهما يكن من أمــر ، فانا لا أود لهــذا القماش أن يفارق مخدعك ··

المخلص

س· ك·

(*) كانت فرونيكا تتابع المسيح وهو فى طريقه الى الصلب وأشفقت عليــه والعرق يتصبب منه فجففت له وجهه بمنديلها ومكافاة لهــا انطبعت صورة السيد المسيح على المنــديل واسم فرونيكا نفسه يدل فى الأصل على الصورة التى انطبعت فهو مكون من مقطعين Vera أى حق و icon أى صورة فتكون كلمة فرونيكا تعنى « الصورة الدقة » ·

كتب كيركجور وصيته الأخيرة الى شقيقه بطرس ووضعها فى مظروف كتب عليه : « الى شقيقى بطرس : يفتح بعد وفاتى » ٠

« أخى العزيز :

وصيتى بالطبع أن ترث خطيبتى السابقة مدام ريجينا شليجل الميراث الضئيل الذى تركته ، فاذا لم تشأ أن تأخـذه لنفسها فاننى أرجو أن تقوم هى بتوزيعه على الفقراء ٠

اما ما أرغب فى قوله ، وفى الافصاح عنه هو اننى اعتقد أن الخطوبة كانت ومازالت بالنسبة لى رابطـة كالزواج تماما ٠ ومن ثم فان ممتلكاتى الخاصة لابد أن تؤول اليها تماما كما لو كانت قد تزوجتها(*) ٠

« لقـد أحببتها كثيرا : وكم كانت خفيفة كأنها طائر ! لكنهـا ايضـا كانت صلبـة كما لو كانت فكرة ! كنت أتركهـا ترتفع ، فتعلو ، وتعلو ! ثم امد يدى لتحط عليهـا وهى ترفرف وتنطق باسمى ! لقـد نسيت ، ولم تعرف قط اننى أنا الذى جعلتها خفيفـة ! وكانت فى لحظات أخـرى تلقى بنفسها تحت قدمى ولا تريد الا ان تتأملنى ، وتنسى كل شىء » !

كتب عام ١٨٤٣ يقول :

« بدأت محبا وانتهيت موجها للضمير ، لن أجعل أبدا مما هو مقدس خادما لدينى لقد كنت أحنى الرأس لـكى أبحث فى الوقت نفسه عن وجود آخر تحت العنصر الدينى ٠٠ » ٠

* * *

« اننى أعتقد ، بحق ، ان علاقتى بهـا يمكن ان تسمى باسم « الحب اليائس » اننى أحبهـا وهى لى ، وأمنيتها الوحيدة أن أظل بالقرب منها ٠ وأسرتها ترجو منى ذلك وتلك أعظم أمنياتى كلهـا ٠ ورغم ذلك ينبغى على أن أرفض ٠ ومن أجل أن يسهل الأمر عليها أجهـدت نفسى حتى أحملهـا

(*) رفضت ريجينـا وزوجهـا القيـام بتوزيع الثـروة على فقراء الدانيمارك حتى دون أن يعلما مقدارها ٠

على الاعتقاد بانى لست سوى مخادع وقح لا اهمية له .. وذلك حتى يسهل عليها ان تكرهنى .. » .

* * *

« لقد كانت أمنيتى الوحيدة هى القدرة على البقاء بجانبها . ولكن فى اللحظة التى شعرت عندها بأن الأمر سينحرف انحرافا سيئا — ويالها من لحظة فقد جاءت متاخرة جدا — ازمعت أن ادفعها الى الاعتقاد بأننى لا احبها . وها انذا الآن مكروه من الجميع لعدم اخلاصى ... وهو سبب ظاهر فى شقائها ... فى حين اننى كنت مخلصا فى قرارى شأنى معها دائما ... » .

القلق هو الذى قادنى الى الافراط

برلين فى ١٧ مايو ١٨٤٣ :

لو كان عندى ايمان لبقيت الى جانب ريجينا . شكرا لله . وليتمجد اسمه ! فانا أعرف ذلك الآن : لقد كنت على حافة الجنون فى تلك الأيام . لكنى استطيع أن أقول اننى تصرفت نحوها تصرفا سليما من الناحية الانسانية . ربما قيل أنه كان ينبغى على الا اقدم على خطبتها اصلا . غير اننى منذ أن خطبتها وانا اتصرف نحوها بامانة . ولقد احببتها من وجهة نظر جمالية بمعنى اسمى بمراحل من حبها لى . ولهذا عاملتنى بكبرياء فى البداية ثم ارعبتنى بصرخاتها بعد ذلك . لقد بدأت منذ قليل فى كتابة قصة أطلقت عليها اسم « مذنب .. ؟ غير مذنب ! » وسوف تتضمن هذه القصة أشياء يندهش لها العالم . لأننى خبرت تجربة الشعر فى السنة والنصف التى خطبتها فيها اكثر من خبرة جميع القصص مجتمعة . لكنها كانت تجربة مستحيلة بالنسبة لى . ولم أكن أرغب فى أن تتبخر علاقتى معها فى الشعر فقد كانت واقعا يختلف عن ذلك اتم الاختلاف . فريجينا لم تتحول الى أميرة من أميرات الجن الخرافية بل انها كان يمكن أن تكون زوجتى . آه ياالهى : لقد كانت هذه هى رغبتى وأمنيتى الوحيدة لكن كان على أن أتخلى عنها ..

صفحة ممزقة من اليوميات

.... لابد أن يكون ذلك قد حدث بالقطع . لكن عندما يتعلق الامر بالزواج فان كل شيء لا يمكن ان يباع كما هي الحال حين تهبط المطرقة (حين تباع الاشياء في المزاد العلني !) ان المهم هنا هو الامانة . قليل من الامانة تجاه الماضي . هنا ايضا كانت مهامتي واضحة ..

لو لم أكن قد فضلتها على نفسي . كزوجتي في المستقبل . لو لم أكن فضلت كرامتها على كرامتي لكان على في هذه الحالة أن أظل صامتا وأن أحقق رغبتي ورغبتها بالزواج . وهناك ألوان كثيرة من الزواج تخفي حكايتها على هذا النحو . لكنني لم أرد أن يحدث ذلك . اذ لو كنت قد تزوجتها وخفيت عنها كل شيء لتحولت الى خليلة وليست زوجة وربما كنت قتلتها : لكنني من ناحية أخرى لو كنت قد فسرت لها كل شيء اذن لاشركتها في أمور مرعبة : علاقتي بأبي ، ومزاجي السوداوي ، والليل الأبدي الذي يحوي داخل نفسي ، ضلالي ، ألوان اللذة والافراط التي قد لا تكون امام الله مرعبة الى هذا الحد . ذلك لأن القلق هو الذي قادني الى الافراط ، وعندما بحثت عن شيء أتعلق به : اهتز الانسان الوحيد الذي كنت أحترمه لقوته وقدرته .. » .

اليوميات درو ص ١٢١ — ١٢٢

المرأة عامل اذلال للرجل

« كل شيء يعتمد على النساء ، رائع ! كن على يقين اذن ان كل شيء يعتمد على تفاهات ، ولغو فارغ ، أو انه يعتمد (ان شئنا أن نتحدث بطريقة مهذبة) على العلاقات الجنسية . حتى الآن في استطاعتنا أن نقول ان النساء جعلن الحياة الاجتماعية أكثر نبلا : فلم نعد نقتل أحدا ولم نعد نشرب الخمر ولم نعد نقيم الحفلات الصاخبة كما كان يفعل أولئك الأبطال القدامى — وتحولت الشهوة فاصبحت مهذبة وأخفينا التلميحات حول العلاقات الجنسية . وهذا هو معنى النبالة الاجتماعية .. !

على هذا النحو عرضت شخصياتي المختلفة للموضوع . ومن ثم فان الهجوم العنيف الذي شنه « شوبنهور » على المرأة ينبغي ألا يلام عليه . فمهمة المرأة هي اذلال الرجل وجعله شيئا تافها .

.... لابد أن يكون ذلك قد حدث بالقطع . لكن عندما يتعلق الأمر بالزواج فان كل شيء لا يمكن أن يباع كما هي الحال حين تهبط المطرقة (حين تباع الأشياء في المزاد العلني !) اذ المهم هنا هو الامانة ، قليل من الامانة تجاه الماضي . هنا أيضا كانت شهامتي واضحة ..

لو لم أكن قد فضلتها على نفسي ، كزوجتي في المستقبل ، لو لم أكن فضلت كرامتها على كرامتي لكان على في هذه الحالة أن أظل صامتا وأن أحقق رغبتي ورغبتها ونتزوج . وهناك ألوان كثيرة من الزواج تخفي حكايتها على هذا النحو . لكني لم أرد أن يحدث ذلك ، اذ لو كنت قد تزوجتها وأخفيت عنها كل شيء لتحولت الى خليلة وليست زوجة وربما كنت قتلتها : لكني من ناحية أخرى لو كنت قد فسرت لها كل شيء اذن لاشركتها في أمور مرعبة : علاقتي بأبي ، ومزاجي السوداوي ، والليل الأبدي الذي يعوي داخل نفسي ، ضلالي ، ألوان اللذة والافراط التي قد لا تكون أمام الله مرعبة الى هذا الحد ، ذلك لأن القلق هو الذي قادني الى الافراط ، وعندما بحثت عن شيء أتعلق به : اهتز الانسان الوحيد الذي كنت أحترمه لقوته وقدرته .. »

اليوميات درو ص ١٢١ ـ ١٢٢

المرأة عامل اذلال للرجل

« كل شيء يعتمد على النساء . رائع ! كن على يقين اذن أن كل شيء يعتمد على تفاهات ، ولغو فارغ ، أو أنه يعتمد (اذ شئنا أن نتحدث بطريقة مهذبة) على العلاقات الجنسية . حتى الآن في استطاعتنا أن نقول أن النساء جعلن الحياة الاجتماعية أكثر نبلا : فلم نعد نقتل أحدا ولم نعد نشرب الخمر ولم نعد نقيم الحفلات الصاخبة كما كان يفعل أولئك الأبطال القدامى ـ وتحولت الشهوة فأصبحت مهذبة وأخفينا التلميحات حول العلاقات الجنسية . وهذا هو معنى النبالة الاجتماعية .. !

على هذا النحو عرضت شخصياتي المختلفة للموضوع ، ومن ثم فان الهجوم العنيف الذي شنه « شوبنهور » على المرأة ينبغي ألا يلام عليه . فمهمة المرأة هي اذلال الرجل وجعله شيئا تافها .

المرأة تذل الرجل ، وفى استطاعة المرء أن يقول بصفة عامة ان الرجل المتزوج يشـعر فى قرارة نفسه بالخزى والخجل ، لأنه أصبح أحمق ، فكل الاحاديث الطنانة ايام الحب ، وكل ما كان يدور حـول الجميلة وتجسيد الجمال والنعمة وامتلاكها الذى هو قمة السعادة انتهى الى ذعر كاذب ، وتلك أول ضـربة يتلقاها الرجل ... والضربة الثانية التى يتلقاها الرجل أنه وحبيبة القلب « جولييات » (التى كان لهـا بدورها نفس تجربته) يتفقان على أن يبقى هذا الموضوع سـرا بينهما بحيث يخفيان الدقيقة عن العالم كله ـ يتفقـان على الكذب فيقولان الزواج هو السـعادة الحقيقيـة وانهما بصفة خاصـة سعيدان غاية السعادة ... ومواصلة الكذب تهبط بالرجل الى أحط درك ، لـكن الأمـر مختلف بالنسبة للمرأة ، فقد ولـدت كاذبة ، فهى مخلوق لا يكون سعيدا قط اذا لم تكن هناك ولو كـذبة صغيرة ، وفى استطاعتك أن تكون على يقين قبليا a priori انه عنـدما يتعلق الأمر بالمرأة فسوف يكون هنـاك باستمرار كـذبة صغيرة . وبمعنى ما نستطيع أن نقول انها بريئة بالنسبة لهـذا الموضوع ، فهى لاتستطيع أن تفعل ازاءه شيئا ولايمكن للمرء أن يفكر فى أن يغضب من هذا الكذب ، بل على العكس يستطيع ان ينظر اليـه على أنه فى أعلى درجة خاصيـة محبوبة ، كذلك هو قدرها الطبيعى الذى تستخدم فيه معظم دهائها لاضعاف الرجل .

وكلما سارت القصة ، أعنى قصة الزواج ، دخلت فيها مع المرأة كل حماقات التناهى والمادية والأنانية التى هى من خصائص المرأة . لأنهـا بوصفها زوجة ، وأما ـ آه !

ها هنا أنانية لا يكمن للرجل أن يتصـورها على الاطلاق ، ولقد غلفها المجتمع بمزايا وسماها حبا ، لـكن لا ! الواقع أنها أعظم قدر من الانانية وحب الذات ، لاتبدأ ، وهذا صحيح تحب نفسـها لكنها من خـلال حبهـا لزوجها حبا أنانيا ، وحبها لكل من ينتمى اليها تنتهى الى حب ذاتها . ومنذ هـذه اللحظة نجـد أن الأفـكار وجميع التطلعات العليا اللامتناهية تنادى الرجـل .

وتختلف المرأة اختلافا تاما عن الرجل من حيث انها ترتبط ارتباطا خطرا بالتناهى ، وفى حياتهـا لحظات تعطى انطباعا خادعا بأنهـا ترتبط

باللامتناهى . وهى اللحظات التى يقع فيها الرجل فى الشرك . وهى كزوجة متناهية تماما .

وهذا هو السبب الذى جعل الكنيسة تركز على اهمية احتفاظ المرأة بعذريتها اكثر من الرجل . وكرمت الراهبة أكثر من الراهب . لأن المرأة عندما تتخلى عن هذه الحياة الدنيا وتقلع عن الزواج فانها تتخلى عن الكثير أكثر من الرجل » .

The Journals : The Last Years P. 68 - 70.

آخر خطوة فى الاشارة « اليها »

نوفمبر ١٨٤٩ :

« لم تتغير رغبتى فى أن تهدى كتبى بعد موتى اليها والى المرحوم والدى . انها سوف تنتمى الى التاريخ . لكن كل شهرتى أعنى وصيتنا سوف تكون مشتركة سوف تنتمى اليك ، ياعزيزتى الصغيرة ريجينا » .

سوف يكون وجودى ، على نحو مطلق مؤكدا لحياتها . ويمكن ايضا أن ينظروا الى أعمال كمؤلف على انها نصب تذكارى أقيم تكريما وتشريفا لها . سوف آخذها لندخل التاريخ معا ، وانا بكل ما لدى من مزاج سوداوى ليست لى سوى رغبة واحدة أن أسحرها . وهناك لن تذكرنى ، هناك سوف أمشى بجوارها مثل سيد الاحتفال ، أقودها بنصر وأنا أقول : افسحوا مكانا صغيرا لها من فضلكم ، لعزيزتى الصغيرة .. ريجينا !

لم يكن من الممكن أن أدخلها التاريخ على أنها زوجتى ، وهذا موضوع لايمكن أن يناقش . كان يمكن أن تكون « مدام فلان » ، لكنها لن تكون فى هذا الوقت : حبيبتى ! لابد أن تروى على أنها قصة حب تعسة فى الوقت الذى ستظل فيه عندى : حبيبتى « التى أدين لها بكل شىء » .

* * *

المرأة والرجل

المرأة هى الانانية مجسدة .

واشتياقها وتحرقها الى الرجل ليس سوى أكثر ولا أقل من انانيتها .

ولاتعرف المرأة نفسها انها انانية . او ان هذا الاخلاص والتفـــانى الذى تدعيه للرجــل ليس ســوى انانية . انها باستمرار لغز امام نفسها . والطبيعة تخفى بدهاء هذا السر عنها . اذ تتخذ الانانية صورة الاخلاص والتفانى . ولو قدر للمرأة ان تعرف كم هى انانية . لما اصبحت انانية .

قصة الرجل والمرأة كلها عبارة عن مكيدة نسجت خيوطها بطريقة خفية .نها مؤامرة قصد بها تدمير الرجل كروح . والرجل فى الأصل ليس أنانيا لكنه يصبح كذلك لكى ينتقم لنفسه عندما يواتيه الحظ ويتحد بامرأة . وهذا الاتحاد الذى يعرف بصفة عامة باسم : الزواج .. وما أن يدخـــل الرجل فى هذه الشركة حتى يفقد تماما كل ما هـــو سام . وهذا هو السبب الذى جعل المسيحية .وكل وجهات النظر العميقة عن الحياة تلقى بالشك والريبة حول العلاقة بالجنس الآخر ! لانها تفترض انك عنـــدما تذهب الى التعامل مع الجنس الآخر فان ذلك يعنى : انحطاط الرجل .

وهذا هو السبب فى أننا نسمع عند اللصوص والمستويات الدنيا من البشر أن واجب كل انسان هو أن يتزوج وأن الزواج هو الحياة الشريفة الحقيقية ... » .

The Journals : The Last Years P. 92 - 93 Eng. Trans by R. G. Smith.

الجنس الضعيف

« تستفيد المرأة من العويل والنحيب وماشابه ذلك . اذ بمساعدتها تعانى أقل مما يعانى الرجل الصامت الكتوم . وقد تغرى هذه الحقيقة المرء لان يقول أن المرأة هى الجنس الاقوى . لانه اذا كان من خصائص القوة أن يدافع المرء عن نفسه ضد العذاب . فان المرأة فى هذه الحالة تكون افضل من الرجل .

لكن الحقيقة هى ان القوة تكمن فى القدرة على قبول العذاب وتحمله. فى حين ان الضعف يكمن فى الدفــــاع عن النفس بكل وسيلة ممكنة ضد العذاب . ان ضعف المرأة كامن فى انها تبدأ فورا فى التضـــرع والبكاء والأنات دفاعا عن نفسها ضد العذاب . ان ضعفها يكمن على وجه الدقة فى أنها تستطيع بواسطة النحيب والعويل أن تخفف من العذاب والمعاناة .

فى حين تكمن قوة الرجل فى انه لايملك أية وسيلة للتخفيف من العذاب أو التلطيف من المعاناة · وبالتالى فبفضل هـذه القوة ــ وتلك مفارقة ــ يصل الى عذاب اكبر من عذاب الجنس الآخر الضعيف ، لكنها فى الواقع ليست مفارقة اكثر من الحقيقة التى تقول ان الصحة مطلب ضرورى وشرط اساسى يسبق المرض ، فهناك مرض ليسمو من الصحة بالقدر الكافى الذى يوقعهم فى المرض !

·· لو كنت أبا وكانت لى ابنة أغواها مغو ، فاننى لن أتخلى عنها على الاطلاق لكن لو كان لى ابن وأصبح صحفيا فسوف اقول اننى فقدته !

* * *

نفس المرجع السابق ص ٩٨

القسم الثالث

الكنيسة القائمة ، ورأيه فى رجال الدين والتـدين المزيف

الواقـــع

« كيف يمكن أن تحصل الى الـــواقع ؟ ! بسيط جـــدا : بأن تتحدث بطريقة معينة مع أناس معينين تعيش بينهم ..

خذ مثلا : فى كل عصر يوجد مجرمون تعاقبهم السلطات ، وهناك أيضا مجرمون (ولما كان العالم يزداد فسادا فقد أصبحت لهـــم الغلبة) لاتعاقبهم السلطات . وهكذا نجد فى عصرنا لاسيما فى عصرنا لاسيمـــا فى المدن الكبرى ، سيادة لرذيلة اسمها : القذف وتشويه سمعة الآخرين ! تخيل الآن قسا ، أراد أن يقوم بواجبه : ان عليـــه فى هذه الحالة أن يكون شاهدا على رذائل عصره ، لكن معظم القساوسة يتهربون من هذه المهمة — وهكذا لايصلون الى الواقع .. !

Last Years P. 315.

الكنيســة القائمـة

« التهمة التى أوجهها الى الكنيسة القائمة هى أن كل شىء يبنى على كذب : عبادة الله ليست سوى سخرية من الله ، والمشاركة فيها جريمة . وفى الوقت ذاته فاننى أود أن أسوق اتهـــاما أعظم بأن أبين أن الكنيسة القائمة نفسها تعرف أن كل شىء يقوم على الكذب ، وأن هذا هو السبب فى عدم القيام بأى فعل .

آه ! انه لأمر مرعب حقا أن يفكر المرء فى الاعماق التى هوت اليها الكنيسة القائمة ، والى أى حد بلغت التفاهة والنزعة (المادية) والقدرات (المتوسطة) وألوان الكذب !

لكن لهـــذا السبب نفسه — وستشع هـــذه الحكمة البارعة للكنيسة القائمة على مجرى الزمن ! — دفن المطران مينستر على أنه شـــاهد على الحقيقية ، بل على أنه أحد الشهود العدول على الحقيقية ! » .

The Last Years P. 307.

الوضع المسيحى فى الدنمـــارك

١٢ مايو ١٨٥٥

الوضع المسيحى فى الدنمارك هو ان الكل مسيحيون ! وان الدنمارك دولة مسيحية ! هذا شىء اول ·

والشىء الثـــانى هو أن نسأل أى لون من المسيحية ؟ أهى مسيحية العهد الجديد ؟ ان المسيحية يمكن ان توصف بطرق شتى فهى مثلا سيطرة النظرة الابدية وغلبتهـــا على النظرة الزمانيـــة وهى تمسك الانســـان بما هو أبدى ، ونسيانه كل ماهو دنيوى فينظر اليه على أنه« ضاع » ، ومن ثم يعرض نفسه للعذاب والاضطهاد من اجل ماهو ابدى وعلى ضوء هذا التفسير فلننظر مرة أخرى الى الحياة فى الدنمـــارك فى «الدولة المسيحية حيث يعيش المسيحيون وحيث تكون جميعا مسيحين :

لنجد مجتمعا مسيحيا تعيش فيه مجموعة من القساوسة يحلفون أغلظ الايمان(١) · ولمدة ¾ ساعة فقط لاغير كل يوم احد يتعلم الناس من هؤلاء القساوسة أن «المسيحية هى نبذ العالم والاقلاع عن كل ماهو دنيوى ــ ثم بقية ساعات يوم الأحد ، وبقية أيام الاسبوع كلها ــ يتعلم هؤلاء القساوسة أنفسهم من هؤلاء الناس وبصفة خاصة عن طريق الأمثلة (والأمثلة كما تعرف تختلف فى أثرها اختلافا كبيرا عن «الكلمات) أن المسيحية ، وكذلك حياة الانسان الجادة هى : الكفاح من أجل الدنيا ! ··· » ·

Last Years : P. 341.

« احذورا القساوسة ، أولئك «الذين يسيرون فى أردية طويلة ويضعون زيا رسميا ويقلبون المسيحية الى عكس ماأراد المسيح ! » ·

تخلصوا من المسيحية «الرسمية ، وافتحوا الباب ليدخل الاضطهاد تلك هى اللحظة التى ستعود فيها المسيحية الى الوجود ! » ·

---

(١) أى عكس ماطلب المسيح : « أقول لكم لا تحلفوا «البتة ·· » متى ٥ : ٣٤

الايمــــان

« لايعرف الايمان فى العهد الجديد على نحـــو عقلى بل على نحو اخلاقى : انه يشير الى علاقة شخصية بين الله والانسان . ولايمــان (كتعبير عن الاخلاص) مطلوب على انه اعتقاد ضد الفهم ، انه اعتقاد لايرى الانسان من خلاله ولهذا يتحدث الرسول عن **طاعة الايمان** (رسالة بولس الى اهل رومية ١ : ٥) .

ولقد اتى الخلط من أن تصور الايمـــان جــاء من فلاسفة مدرسة الاسكندرية ، كما أن القديس اوغسطين نفسه قد خلط تصور الايمـــان بالتعريف الذى استمده مباشرة من افلاطون (فى الجمهورية) .

Last Years P. 336.

العالم المسيحى يكافح من أجـل المثل الأعلى

« نحن نضحك من الرجل الذى يبحث عن منظاره بينما يضعه بالفعل فوق انفه !

غير أن كفاح العالم المسيحى يثير ضحكا اكثر وسخرية أعظـــم ! فالحقيقة بصدد المثل الاعلى المسيحى هى أنه وجد فى المسيح ، الذى عاش بين الناس وقدم لهم الأنموذج » ـ وهذا المثل الأعلى مرتبط بشخصية فرد ، وبالتالى فأى حديث عن الكفاح من أجل المثل الأعلى يرتبط به ولكى يفعل المرء ذلك عليه أن يضع نفسه فى أول الطريق المفضى الى وجود هذا المثل الاعلى ، ان علينا أن نعود اليه لو أردنا الكفاح حقا !

لكن العالم المسيحى قلب الأمر على النحو التالى : المثل الأعلى ، أو الانموذج الذى على غراره تكون مسيحيا هو هدف يقع فى المستقبل وعلى مسافة بعيدة منا ، وهذا الهدف هو ماينبغى علينا أن نكافح من أجله !

Last Years P. 336.

* * *

النفـــاق

« القاعدة العامة فى كل اتصال دينى هى أن يكون صادقا . ولم ؟ لأن المطلب الدينى يستهدف الفعل ، أى العمل بناء على ماقيل . وتلك هى على وجه الدقة الحركة التى تميز ماهو دينى عما هو جمالى ، فما هو جمالى ،

حسى يقود الى الكآبة انه يأتى سريعا ويزول سريعا ، فهو لحظة ويستغرق لحظة . أما المجال الدينى فهو اللحظة التالية : هو اللحظة الحاسمة ، إن عليها يبنى ما سأفعله . واذا لم أنتبه الى ذلك جيدا فاننى أكون قد غيرت هذه اللحظة سواء فى الكنيسة أو فى ترتيلة غنائية — غيرتها الى متعة حسية جمالية .

وهذا هو السبب فى أن كل مايقال او يغنى فى الكنيسة ينبغى أن يكون صادقا وليس عظيما أو رائعا أو ساحرا ... وما الى ذلك ، لا الى الحد الذى يجعلنى أبكى ويجعل دقات قلبى تزداد ، لا ! بل أن الأهم هو أن يرتبط ارتباطا وثيقا بقدر الامكان بالعمل ، أعنى **بما سوف افعله بناء عليه** ..
Last Years P. 312.

ملاحظات صغيرة

المسيحى يخاف من الناس

٢٣ سبتمبر ١٨٥٥

تصور العهد الجديد للرجل المسيحى هو أنه الرجل الذى يخاف من الله لا من الناس(*) ، وهذا يتطلب كل مالدى المسيحى من صراع ، لكن ما أن يصبح الرجل مسيحيا لخوفه من الناس حتى تختفى المسيحية . ولهذا السبب فان المرء يرى أنه من اللغو الاعتقاد بأن المسيحية الحقة انما توجد فى « الكنيسة » حيث يلتقى عدد كبير من الناس ! فلا شىء ضد روح المسيحية من مثل هذا القول حيث الاعتقاد الحيوانى فى عدد الناس !
Last Years P. 357.

حقيقة الأمر مع المطران مينستر

لقد كان مينستر ، كشخصية ، ضعيفا ، لكنه كان لديه فى الوقت نفسه احساس عارم ، ومذاق قوى للاستمتاع بالحياة ، لا فقط بالمتع البسيطة ، بل بالمتع النقية الخالصة ، وبانقى المتع جميعا وهى : أن يكرمه الناس ، ويقدرونه ، ويحترمونه بوصفه رجلا جادا ، رجلا ، له شخصية ، رجل مبادىء يقف كالطود الشامخ عندما يهتز كل شىء ..

(*) « فأجاب بطرس والرسل : وقالوا ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » أعمال الرسل ، الاصحاح الخامس : ٢٩ .

ولقد كان يمتلك قدرات عقلية عظيمة فهو متحدث لامثيل له . وهو ذكي حاذق على نحو بارز .

هذه الصفات مجتمعة هي المطران مينستر . وهذه الصفات مجتمعة أيضا هي التي أحدثت ـ من وجهة نظر مسيحية ـ خلطا واضطرابا لجيل بأسره ! . لأن ضعف شخصيته لم يظهر الى النور قط ، بل كان يغطيه ذكاؤه وحذقه . ولم ير أحد قط استمتاعه بالحياة . وانما كان ينظر اليه على أنه حرية ورعة للروح . وذلك نقاء جديد ! . في مقابل قلق التقى ..

ان ما يجعل مثل هذا الحذق على هذه الدرجة من الخطورة (وهو مايمكن البرهنة عليه من مواعظه) هو أنك قد لاتجد في أي جيل رجلا له مثل هذه النظرة البوليسية المدققة (والمسيحية) يستطيع أن يرى على نحو قاطع الغش والنصب ويشير اليهما . فهاهنا نظرية خالصة لكنها خداعة لدرجة أنك لاتستطيع أن تعثر في أي مكان وبأية طريقة على نقطة واحدة لم تغير فيها هذه الحذاقة من العنصر المسيحي .

وعلى هذا النحو كان عليه أن يقول كلمات وعظات هامة جلبت الخلط والاضطراب الى المسيحية . لكن في الجانب الآخر للمتحدث أعنى حياته كان حذقه البارز أيضا عونا له . وفيما بين ساعات الصمت والهدوء حيث يقف واعظا في الكنيسة ، وبين حياته الشخصية يوجد صدع عميق ، لكنه كان يعرف ببراعته الفائقة كيف يحول ـ موضوعيا ـ دون أن يلتقيا ، وكيف يبقى باستمرار على وجود مسافة بينه وبين كل شيء ، وكل موقف أو حادث يمكن أن يكشف عن حقيقة وضعه كرجل جاد وبين الشخصية العالية التي ترفعها « الساعات الهادئة » في الكنيسة . ساعات الوعظ وتجعل كل انسان يحترمه .

هكذا كان المطران مينستر دون مواربة ودون أن أخفي شيئا . واني لأعترف أنني فتنت به بعض الوقت ـ للأسف ! فتلك هي طبيعتنا البشرية ـ لكن من ناحية أخرى كان حكمي عليه منذ الدقيقة الأولى هو نفسه حكمي عليه الآن ...

The Journals : The Last Years P. 325.

* * *

وهو يقول ليوبزن على فراش الموت :

« ليس لديك فكرة عن النبات المسموم الذى كانه مينستر ! ليس لديك فكرة عن الفساد الذى نشره حوله ، لقد كان صنما ، وكان يحتاج لتحطيمه الى قوة عظيمة ، وكان يمكن للصراع ان يكون مميتا — وتلك كانت الحال مع الكلب الذى انتصر على الخنزير البرى ! » ·

الشخصى والرسمى

١٧ مايو ١٨٥٥

« تعتمد المسيحية على تلك النظرة الى الوجود الانسانى التى تقول ان أى خلاص يتوقف على أن تكون لك شخصية أو أن تصبح شخصية · وبالتالى فكل من أراد أن يعلم الناس المسيحية : ممنوع عليه بكل الطرق أن يهرب الى الموضوعية ، أو أن يخفى شخصيته · لكن كل مايقـوله وكل مايعمله لابد أن يؤكد شفافيته الشخصية الخالصة أعنى : أن تكون حياته هى تعاليمه ··

Last Years, P. 343.

* * *

« القساوسة هم من أكله لحوم البشر ، والحق انهم من ذلك الصنف الكريه ! »

* * *

« القساوسة ممثلون هزليون ، بل هم أكثـر احتقـارا من الممثلين الهزليين ، انهم لصوص يسرقون رأس المال المقدس ، انهم لصوص يسرقون الشهداء ، انهـم يأكلون جثث الشهداء ·· القساوسة هم أكثر النـاس قساءا ·· ! » ·

* * *

« انا لاأريد الا الأمانة ·· وحيثما تكون الامانة : أكون ! »

* * *

٢ يوليو ١٨٥٥

على هذا النحو يربى الطفل فى العالم المسيحى : انه يخرج فى هدوء تام الى العالم حيث يقال له : هناك فى السماء اله قادر على كل شىء . فلو صادفتك متاعب فى هذه الدنيا او امور سيئة . فما عليك الا ان تصلى له . وسوف تجد انه يعينك عليها .

والحق ان القول بأن هـذه هى المسيحية ليس سـوى كذب ممقوت . كلا ! ان المسيحية هى تلك التى تقول : يوجد فى السماء اله حب قادر على كل شىء ، يحب ويريد أن يحب وهو لهذا الغرض يريدك أن تموت ، فهو عدوك اللدود ، انه يكره كل ماتحبه حبا مباشرا . ان عليك ، ان استطعت وان كنت ذكيا ، أن تحدثه عما تريد وعما تخافه لانه يجب فقط أن يساعدك — على أن تموت !

ومع ذلك فمن الواضح ان الانحراف الذى طرا على المسيحية كان من الطراز الأول اذ كان لابد للمعيشـة الكـاذبة . معيشة الاف من الافراد والعائلات — ان تزدهر .

هكذا يربى الطفل فى العـالم المسيحى فيقـال له : « أبوك وأمك شخصان يحبهما الله ويرضى عنهما ، غير أن حكاية مولدك بصفة خاصة بوصفها انجازا لهما هى شىء يرضى عنه الله تماما » .

كذب ممقوت !

« ان هذا الانجاز هو جريمة من وجهة النظر المسيحية ، انه جريمة فى عين الله ، وتزداد حقارة الجريمة لأن من ارتكبوها ، ومن يهمهم الأمر، لايعانون منها ، وانما الذى يعانى منها هو شخص برىء ، قذف به ، عن طريق الميـلاد ، بين زمرة المجرمين القائمين فى صميم الوجود البشرى .

ومع ذلك فان من الواضح أن الانحراف الذى طرا على المسيحية لابد ان يكون انحرفا من الطراز الأول !

Last Years P. 346.

* * *

أن تكون مسيحيا

٢ يوليو ١٨٥٥

أن تكون مسيحيا هو أكثر ألوان العذاب رعبا ، انه يعني ، ولابد ان يعني ، أن يكون لك جحيمك هنا على الأرض !

ماالذي يرتعد منه الانسان ... ؟ بالتأكيد هو الموت ، وقبل أي شيء اخر هو : سكرات الموت التي يتمنى أن تكون قصيرة بقدر المستطاع !

لكن « أن تكون مسيحيا » يعني أن تكون في حالة موت : فلا تكترث بالعالم وأن تكره نفسك ، وأن تعيش أربعين سنة على هذه الحال !

وليس ذلك فحسب ، بل هناك ما هو أخطر :

ان الذين يلتفون حول فراش المحتضر لا يضحكون منه عادة ، ولا يكرهونه ، ولا يلعنونه ، ولا يشمئزون منه لانه يرقد في الفراش يعاني ألم الموت . أما أنت فسوف تعاني هذه الأمور جميعا فهي جزء من كونك مسيحيا وهي تظهر من تلقاء نفسها فهي التعبير عن المسيحية الحقة في هذا العالم .

ثم تأتي بعد ذلك الغواية ، ويأتي معها امكان العثرة في كل لحظة ، العثرة التي لاتفهم ان هذا هو الحب الالهي ، وهذا هو حب الله الذي تعلمه المرء من طفولته ولاشيء غيره !

ومع ذلك فالله محبة ، ومحبة لانهاية لها ، لكنه لايمكن أن يحبك الا اذا كنت رجلا يموت ! ومع ذلك فهذا فضل الهي ، وفضل لامتناه : أن يتحول العذاب الأبدي الى عذاب زماني !

لكن ويل للكذبة الخائنين ! ويل لهم : أولئك الذين استحوذوا في أيديهم على مفاتيح السماء ! فوقفوا على الأبواب دون أن يدخلوا هم أنفسهم ولايسمحوا لغيرهم بالدخول !

Last Ysars P. 347 - 8.

« كل الجهود تبذل لتكـــوين دولة مسيحية ، وأمة مسيحيـــة ، هي مجهودات غير مسيحية ، بل هي ضد المسيحية ! لأن أي جهد من هذا القبيل لابد أن يتم على حساب التقليل والتهوين من تعريف الـــرجل المسيحي ، وبالتالي فهو ضد المسيحية ، وهو نتيجة لاقـــرار الدعوى الزائفة القائلة بأننا جميعا مسيحيون ، وأنه من السهل جـــدا على الانســـان أن يكون مسيحيا .

المسيحية هي سيادة « واجباتنا تجاه الله » ـ في حين انه قد تقرر منذ أمد بعيد انه ليس لله واجبات علينا ، وتقرر مع ذلك اننا نحن جميعا مسيحيون - والحق أن هذا بالضبط هو مايتألف منه العـــالم المسيحي اليوم ، لكن كل الصراعات التي ذكرها العهــد الجديد سوف تغدو مستحيلة ما لم تكن لنا واجبات تجاه الله ! » .

Last Years P. 334.

* * *

يقول كيركجور (اليوميات ٨٣٩)

« ان الوحي المسيحي لايعبر فحسب عن شيء لا يقدمه الانســـان لنفسه ، لكنه يعبر كذلك عن شيء لم يطرأ قط على ذهن انسان ، لافكرا ولاخيالا ، ولا ماشئت من أسماء ! » .

* * *

« قال السيد المسيح : الذي يحبني يحبه أبي ، وأنا أحبه ، وأظهر له ذاتي (يوحنـــا : ١٤ : ٢١) غير أن ذلك يصدق على كل شيء وفي كل مكان ، فالشيء الذي يحبه المرء يظهر له نفسه ، والحقيقة تظهر نفسها لكل من يحبها ... الخ . ومن السهل أن يعتقد المرء أن الحب هو التقبل السلبي وأن المحبوب ، أو مايظهر نفسه هو الايجابي لأنه يصل اليه ، لكن الحقيقة أن المتقبل لانه محب فان الشيء الذي يحبه يظهر له بسبب أنـــه هو نفسه يتحول الى شبيه بالمحبوب ، فالطـــريق الاســـاسي للفهـــم هو أن تصير كالمحبوب ، لأن المرء لايفهم الا بمقدار مايصبح متحـــدا مع الشيء الذي يحبه » .

عن اللاهوت

اليوميات ترجمة درو ص ٢٧٤

يبدو أن هـذا هو الموضوع الذى تمعنت فيـه كثيرا . لكنى هنا ايضا تملكنى الشك وترددت فى صعوبات كثيرة . وقابلت معضلات اكثر . ويبدو لى أن المسيحية تقدم فى هذا الميدان متناقضات بلغت من الضخامة حدا عاقت معه ، على الاقل ، وجود النظرة الواضحة . ولقد نشأت فى وسط محافظ لـكنى ما أن بدأت أفـكر لنفسى حتى بـدا ذلك الصنم الضخم (الكنيسة) يترنح أمامى شيئا فشيئا . وأنا أقول بقوة انه صنم ضخـم أو تمثال هائل فهو مجموعة ضخمة من العناصر تجمعت على مدى العصور واندمجت فيما بينها حتى اصبح من الصعب الاقتراب منها ... »

اليوميات ترجمة درو ص ٨ (اكسفورد)

* * *

« الله روح : فاذا أنت لم ترد أن يكون الله اباك . فلن يكون اباك ، انه لايستطيع ذلك ولاهو يريده » (عام ١٨٥١)

* * *

« الوعظ الرسمى قد عرض الدين بطريقة مزيفة عندما ذهب الى القول بان المسيحية ليست سواء ، عزاء وسعادة ، ... الخ . وبالتالى كان للشك ميزة ، هى أن يكون قادرا على أن يقـول بأنفه : أنا لا أريد أن أكون سعيدا عن طريق الوهم ..

لو كانت المسيحية قد عرضت بطريقة صحيحة على أنهـا عذاب أو معاناة تزداد كلما تقدم المرء فيها : لكنا قد نزعنا سلاح الشك أو على اية حال . لكنا قد أضعنا عليه الفرصة فى أن يكون ألما أعلى فى الوقت الذى نستطيع فيه تجنبه . »

Fontana P. 209.

* * *

« أنا أود أن أتخلص من « القسيس » حتى تزدهر المسيحية . فمادام هناك قساوسة فسوف تكون المسيحية مستحيلة .

واذا كان المفكر الحر الذى يكره المسيحية كراهية عمياء يفترض فى

أدب جم أن القساوسة المسيحيين يؤدون واجبهم . فانى أقول انهم حلفاء مع فارق واحد : ان القساوسة هم اكثر أعداء المسيحية خطرا ... » !

Last Years P. 365.

* * *

« وهذا هو السبب فى أن ملايين المسيحيين يعيشون فى العالم المسيحى ، لأن « القس » ينظر اليه على أنه الرجل الذى يعرض المسيحية فى أعلى صورها . وداخل هذه الحدود يكون الفرد مسيحيا ، حتى انه ليصبح من التجديف أن يحاول المرء أن يكون مسيحيا أفضل من القسيس !

كلا ! كل من يتخيل انه أصبح مسيحيا داخل الحدود التى يرسمها القسيس فى عظاته بحيث يسير مع الجماهير ، ويندمج مع القطيع الذى يحدده القسيس هو رجل يغش نفسه !

لقد كان مسيحيو العصور الأولى يعتقدون أن مهمتهم بالدرجة الأولى هى القفز وراء الاسوار التى يضعها « القسيس » وتلك هى أبسط وأسهل بداية يمكن أن يبدأ منها الانسان »

Last Years P. 366.

* * *

« مهمة الرسول أن يعمل على نشر المسيحية ، وأن يضم اليها أناسا .. .. فى حين أن مهمتى أن أنزع من الناس الوهم بأنهم مسيحيون .. » .

رجل الدين يعظ

« كان القسيس يلقى عظاته يوم الأحد الماضى فيقول للناس : « ينبغى عليكم الا تثقوا فى هذه الدنيا ، ولاتثقوا فى الناس ، بل لا تثقوا حتى فى أنفسكم ! ثقوا بالله وحده ، لأن الانسان لايستطيع أن يفعل لنفسه شيئا ».ولقد فهمنا جميعا كلامه ،لأن مافيها منمعانى أخلاقية ،وأخلاقية – دينية يسهلجدا فهمه ، لكنه من ناحية أخرى يصعب جدا عمله وتنفيذه . ان الطفل الصغير قادر على فهمها ، والفرد البسيط العادى ، قادرا أيضا على فهمها كما قيلت بالضبط ، لكن العمل لا لانستطيع أن نقوم بشىء منه على الاطلاق ! ان ذلك كله يفهم يوم الاحد بخشوع ورهبة بفهم نظريا فقط . لكن يوم الاثنين

يكون من الصعب للغاية أن نقول أن هذا الوعظ وتلك المعـــانى الأخلاقية كانت تتعلق بهذا الفرد الجزئى ، وبهذا الوجود العينى النسبى الذى تقع فيه حياة الفرد اليومية ، حيث يتعرض الرجل القوى لغواية النسيـــان : نسيان التواضع ! كما يتعرض الرجل المتواضع لغواية الخلط بين تواضعه أمام الله ومراعاة الاحترام لمن هـــم أعلى منه · وعندمـــا يجأر القسيس بالشكوى من أن الناس لايعملون بنصائحه ، فاننا نستطيع كذلك ان نفهم مايقول · غير ان هذا الفهم يصبح بالغ الصعوبة فى اليوم التالى حتى ان الشخص المعنى يشارك هو نفسه فى الاثم فى هذه الحــــالة الجزئية · عندئذ يضيف القسيس « تلك حقيقة ينبغى عليكم باستمرار تذكرهــــا » · ونحن جميعـــا نفهم ذلك لأن الكلمات الفخمـــة التى تقـــول : « **كل شيء** يسهل **باستمرار** فهمها ، لكن الشيء البالغ الصعوبة هو أن تفعلها ، هو أن تفعل فى العالم شيئا بصفة مستمرة ··· وفى كلام القسيس اشارة الى شيء يوجه الانتباه على نحو غير مباشر الى هذه الصعوبة ، بل أن هناك بعض الأمور قد وضعت بطريقة تشير الى أنه هو نفسه يصعب عليه تنفيذها باستمرار ، أو انه قد فعلها قط من قبل !

اليوم هـــو يوم الاثنين ولدى الجاسوس(*) فسحة من الوقت ليخرج ويتصل بالناس بأولئك الذين كان القسيس يعظهم ويلتقى بواحد منهـــم ويدور نقاش يوجهه الجاسوس الى النقطة التى يريدها ويقول : « هذا كله صحيح تماما · لكن لايزال هناك شيء لاتستطيع أن تعمله ، فانت لاتستطيع أن تبنى قصرا بأربعة أجنحة ، وطوابق من الرخام » ···· ويجيب الآخر : « كلا ! انت على حق تماما فى ذلك · وكيف يكون فى استطاعتى أن افعل ذلك ودخلى يسد بالكاد حاجاتى الضرورية وربما استطعت أن أقتصد منه قدرا ضئيلا كل عام لكنى بالقطع لاأملك المال الذى يمكننى من اقامه قصر ، ثم اننى الى جانب ذلك لاأفهم شيئا فى مهنة البناء » · ويتضح من ذلك أن هذا الرجل لايملك القوة فيتركه الجاسوس لغيره ·

يلتقى بعد ذلك بشخص عظيم الأهميـــة فيتملق غروره وكبرياءه ثم

(*) هو الشخص الذى يرسله يوحنا كليماكوس ليرى التدين الزائف عند الناس وعند رجل الدين فى آن معا !

يتحول النقاش الى مسألة بناء القصر : « لكن قصرا ذا أربعـــة اجنحة وطوابق من الرخام سوف يكون باهظ التكـــاليف بالنسبة لك ؟ » فيجيبه الآخر : « ماذا تقـــول ؟ ! يبدو انك نسيت انتى بالفعل اسكن فى مثل هذا القصر الذى وصفته تماما ! » · هذا شخص ، اذن لديه القـــدرة والقـــوة فيتركه الجاسوس وهو يبعث باخر التهانى لهذا الرجل القوى ! ثم يلتقى الجاسوس بعد ذلك بشخص ثالث ويدير معه الحوار حول نفس موضوع القصر كما حدث مع الشخصين السابقين . فيقول الرجل هذه الملاحظات : « اجل » . ان المصير المخصص لهذا البشر غريب حقا ! فقدراتهم وامكاناتهم تختلف على نحو متزايد : فهذا قادر على أن يفعل الكثير و لآخر لايستطيع أن يفعل الا اقل القليل · ومع ذلك فكل موجود بشرى كان يصبح قادرا على أن ينجز شيئا مالو أنه تعـلم من التجربة والمعـرفة المتاحة للعالم أن يلزم مجاله وحدوده »(**) · · ·

« حاشية ختامية غير علمية » ص ٤١٧ ـ ٤١٩ ·

* * *

لقد جعلت الدولة من القساوسة موظفين رسميين عندها . فكما انها تقوم برصف الطرق واقامة الجسور ، وتنظيم مياه المجارى · · · الخ فانها فى الوقت نفسه أقامت مؤسسة مهمتها سعادة العـــالم الآخـــر بأبخس الأثمان · · ! » ·

* * *

« الراعى البروتستانتى فى زماننا لا سيما فى الدانيمارك هو واعظ خصوصى تدفع له ليخطب بحماس متدفق ويقـول ، تقريبـا ، كل مايخطر على باله ! »

Last Years P. 254.

* * *

(**) معنى ذلك ان الناس جميعا يتجهون الى الدنيا خلافا لما كانوا يستمعون اليه فى الكنيسة !

يتحول النقاش الى مسألة بناء القصر : « لكن قصرا ذا أربعـــة اجنحة وطوابق من الرخام سوف يكون باهظ التكـــاليف بالنسبة لك ؟ » فيجيبه الآخر : « ماذا تقـــول ؟ ! يبدو أنك نسيت أننى بالفعل أسكن فى مثل هذا القصر الذى وصفته تماما ! » • هذا شخص . اذن لديه القــدرة والقــوة فيتركه الجاسوس وهو يبعث بأحر التهانى لهذا الرجل القوى ! ثم يلتقى الجاسوس بعد ذلك بشخص ثالث ويدير معه الحوار حول نفس موضوع القصر كما حدث مع الشخصين السابقين . فيقول الرجل هذه الملاحظات : « أجل » ، ان المصير المخصص لهذا البشر غريب حقا ! فقدراتهم وامكاناتهم تختلف على نحو متزايد : فهذا قادر على أن يفعل الكثير والآخر لايستطيع أن يفعل الا أقل القليل • ومع ذلك فكل موجود بشرى كان يصبح قادرا على أن ينجز شيئا مالو أنه تعلم من التجربة والمعـرفة المتاحة للعالم أن يلزم مجاله وحدوده »(**) • • •

« حاشية ختامية غير علمية » ص ٤١٧ ـ ٤١٩ •

* * *

لقد جعلت الدولة من القساوسة موظفين رسميين عندها ، فكما أنها تقوم برصف الطرق واقامة الجسور ، وتنظيم مياه المجارى • • • الخ فانها فى الوقت نفسه اقامت مؤسسة مهمتها سعادة العـــالم الآخـــر بأبخس الأثمان • • ! » •

* * *

« الراعى البروتستانتى فى زماننا لا سيما فى الدانيمارك هو واعظ خصوصى تدفع له ليخطب بحماس متدفق ويقـول ، تقريبـــا ، كل مايخطر على باله ! »

Last Years P. 254.

* * *

(**) معنى ذلك ان الناس جميعا يتجهون الى الدنيا خلافا لما كانوا يستمعون اليه فى الكنيسة !

القسم الرابع

أسلوب كيركجور

النصوص فى هذا القسم مأخوذة كلها من المجلد الأول من كتابه الشهير « اما ... أو » ص ١٩ حتى ص ٤٠ من الترجمة الانجليزية بقلم ديفيد سوينسن وهى تتألف من مجموعة من الحكم والأقوال المأثورة وتنتهى بمحاضرة فى النشوة والوجد » – وهى بصفة عامة تمثل على نحو جميل ورائع أسلوب كيركجور الذى يسوده العاطفة الجياشة والانفعالات والسخرية والتهكم فى كثير من الأحيان حتى ليسخر من نفسه ، ومن حياته، ومن تركيبه البدنى الشائه !

حـــكم وأقوال مأثورة

يقول كيركجور نفسه فى « الحاشية » : « ان أول فقرة فى هذه الاقوال المأثورة تضع شرحا فى الوجود ، فى صورة عذاب الشاعر ...»(١) . والحق ان كيركجور فى هذه الفقرة يصف دوره كشاعر بل يصف انتاجه الأدبى كله ، وهو يريد أن يقول ان مؤلفاته ليست سوى ألحان عذبة يعبر فيها عن آلامه وأحزانه ويعتصر فيها نفسه ليقدمها الى الناس الذين يتلذذون بهذه الآلام(٢) . وهو لهذا يبدأ فيتساءل عن تعريف للشاعر :

[١] « من هو الشاعر ؟ . ! انه انسان شقى تعس ، يخفى فى صدره عذابا عميقا ، ولكن شفتيه خلقتا على نحو يجعل الأنات والآهات تتحول الى موسيقى ساحرة عذبة ان حظه هو حظ أولئك الضحايا الاشقياء الذين تعذبهم نار هادئة داخل تمثال الثور النحاسى الذى أعده الطـــاغية : فلاريس .... Phalaris »(٣) . لكن صرخاتهم لا تبلغ آذان الطاغية لتبث الذعر فى قلبه وانما تصل الى اذنيه لترن رنين الموسيقى العذبة . !

ويلتف الناس حول الشاعر وهم يقولون : « غن لنا مرة أخرى !

---

(١) S. Kierkegaard : Concluding, P. 226.

(٢) كان كيركجور يعتقد أن مؤلفاته كلها ليست سوى حـــوار مع النفس أو « مونولوج » داخلى طويل ــ يقول مثلا :

« اننى على نقيض غيـــرى من الوعاظ ، فبينما هــم يرهقون أنفسهم بمخاطبة الآخرين فانى لا أتحدث الا الى نفسى وحدها .. ! » انظر

S. Kierkegaard: The Journals Eng. Trans. by A. Dru Oxford University 1959.

(٣) تروى الأساطير أن فلاريس .. Phalaris طاغيـــة أجريجنتم Agrigentum كان يشـــوى المساجين فى مملكته بأن يضعهم داخـــل ثور نحاسى ضخم ويوقد تحته نارا هادئة ، ثم توضع قصبتان تشبهان المزمار فى منخار الثور بطريقة فنية بارعة بحيث تتحول أنات المساجين وصرخاتهم حين تصل الى أذنيه الى نغمات وألحان موسيقية عذبة .

« وكأنهم يقولـــون له » تعذب من جديد ! ، مزق نفسك ! ، ولتزدد نفسك آلاما ، اجعل شفتيك تصوغ العذاب مرة أخرى على نحو مافعلت من قبل ، ان الانات والاهات تؤلنا أما الموسيقى فهى ، وحدها ، التى تبهجنا ٠٠ » ، ثم يأتى النقاد سراعا ليقولوا : « ان هذا العذاب هو ماينبغى أن يحدث تماما طبقا لمبـادىء علم الجمال ٠٠ ! » ـ « صدقنى اننى أفضل أن أكون راعى خنازير تفهمـــه الخنـــازير ، عن أن أكون شــاعرا لا يفهمــه الناس ٠٠ ! »(٤) ٠

وهو فى فقرة تالية لايطيق الناس جميعا لأنه لا أمل فيهـــم ويفضل الصغار فما زال يحدوه الرجاء بالنسبة لهم : ـ

[٢] « أنا أفضل أن أتحدث الى الأطفال ، اذ لايزال من الممكن أن يأمل المرء أن يصبحوا موجودات عاقلـة ، أمـــا أولئك الذين أصبحـــوا كذلك بالفعل ٠٠٠٠ ـ ياالهى !(٥) ٠

وأيضا :

[٣] « ما أسخف البشر ! انهم لم يستخدموا قط الحريات التى لديهم، ومع ذلك يطالبون بالحريات التى ليست عندهم : لديهـــم حرية التفكير ، لكنهم يطالبون بحرية الكلام ! » ٠

ثم يسخر من الحياة ككل :

« وكأنهم يقولـــون له « تعذب من جديد ! ، مزق نفسك ! ، ولتزدد نفسك آلاما ، اجعل شفتيك تصوغ العذاب مرة أخرى على نحو مافعلت من قبل ، ان الانات والاهات تؤلمنا أما الموسيقى فهى ، وحدها ، التى تبهجنا ٠٠ » ٠ ثم يأتى النقاد سراعا ليقولوا : « ان هذا العذاب هو ماينبغى أن يحدث تماما طبقا لمبــادىء علم الجمال ٠٠ ! » ـ « صدقنى اننى أفضل أن أكون راعى خنازير تفهمـــه الخنـــــازير ، عن أن أكون شـــاعرا لا يفهمــه الناس ٠٠ ! »(٤) ٠

وهو فى فقرة تالية لايطيق الناس جميعا لأنه لا أمل فيهـــم ويفضل الصغار فما زال يحدوه الرجاء بالنسبة لهم : ـ

[٢] « أنا أفضل أن أتحدث الى الأطفال ، اذ لايزال من الممكن أن يأمل المرء أن يصبحوا موجودات عاقلــة ، أمـــا أولئك الذين أصبحـــوا كذلك بالفعل ٠٠٠٠ ـ ياالهى !(٥) ٠

وأيضا :

[٣] « ما أسخف البشر ! انهم لم يستخدموا قط الحريات التى لديهم، ومع ذلك يطالبون بالحريات التى ليست عندهم : لديهـــم حرية التفكير ، لكنهم يطالبون بحرية الكلام ! » ٠

ثم يسخر من الحياة ككل :

[٤] ألسن المتقدمة تحقق أحــلام الشباب ! انظر الى دين سويفت Dean Swift ،(٦)فى شبابه بنى مستشفى للأمراض العقلية ، وعندما

---

(٤) S. Kierkegaard : Either..or Vol. 1, P. 19.

(٥) ذكر سارتر عبارات مماثلة ـ قارن عدد خاص من « عالم الفكر » الذى صدر عن سارتر ٠

(٦) دين سويفت (١٦٦٧ ـ ١٧٤٥) أديب انجليزى يعد أعظم كاتب ساخر فى الأدب الانجليزى فى النصف الأول من القرن الثامن عشر ٠ ولد بأيرلندا لكنه قضى معظم حياته فى انجلترا حيث احتل مكانا مرموقا فى عالم الأدب والسياسة ، كان من رجال الكنيسة ، غير أنه كانت له أكثر من صلة غراميــة وعاطفية أشهرها مع تلميــذته « ستيلا » التى خلـــدها فى مؤلفه : « مذكرات الى استيلا » أشهر أعماله : رحلات جلفر « عام ١٧٢٦ ، أصيب بالجنون فى نهاية حياته ودخل المستشفى الذى بناه فى شبابه !

تقدمت به السن أصبح أحد نزلائها ... ! »(٧) .

وأيضا :

[٥] « هناك مناسبات معينة تجعل المرء يشعر بتعاسة لاتنتهى : كأن يرى موجودا بشريا وحيدا تماما فى العالم ، على نحو مارأيت منذ أيام : فتاة فقيرة تسير وحدها فى طريقها الى الكنيسة لتثبيت العماد ! »

وهو يعتقد أن اللذة لايمكن أن تنفصل عن الألم ، وهذا ماسوف يجعل رجل الحواس يشعر فى النهاية بالمرارة والألم :

[٦] « هناك حشرات معروفةجيدا تموت فى نفس اللحظة التى تمارس فيها الجنس والتناسل . وتلك هى الحال مع كل فرح ومع كل متعة . ان اللحظة القصوى المفعمة بالمتعة مقرونة دائمـــا بالموت » . وهو مع ذلك ، يعترف بفضل الألم :

[٧] « أنا أقول عن ألمى مايقوله الرجل الانجليزى عن بيته : ان ألمى هو قلعتى : وكثير من الناس يعتبرون الألم من أفضل نعم الحياة ..»(٨) .

ويحس أن جميع الطرق مسدودة أمامه :

[٨] « اننى أشعر بشعور لاعب الشطرنج عندما يصيح به الخصم : قف ! هذه القطعة لايمكن أن تتحرك ! »(٩) .

ويرد ذلك الى سوء حظه الذى لايستطيع التغلب عليه :

[٩] « واأسفاه ! ان أبواب الحظ لاتفتح الى الداخل ! ولذا فان المرء لايستطيع أن يجبرها على أن تنفتح اذا مادفعها بغضب ، لكنها تفتح الى الخارج ، ومن ثم فليس فى استطاعة المرء أن يفعل شيئا ... ! » .

---

(٧) ذكره أيضا فى اليوميات .

(٨) كتب كيركجور هذه التدوينة فى يومياته أيضا يوم ١٢ فبراير عام ١٨٣٩ أنظر اليوميات ص ٦٢ من طبعة فونتانا .

(٩) ذكر كيركجور هذه التدوينة نفسها فى يومياته بتاريخ ٢١ مايو ١٨٣٩ قارن ص ٦٣ من طبعة فونتانا .

ويعبر عن طبيعته السلبية التى تهدم ولاتبنى : -

[١٠] « فى اعتقادى أن لدى الشجاعة التى تجعلنى أشك فى كل شيء ، وفى اعتقادى أن لدى الشجاعة التى تجعلنى أدخل فى نزال مع أى شخص ، لكنى لاأملك الشجاعة التى تمكننى من أن أعرف شيئــا ، ولا الشجاعة التى تجعلنى أملك شيئا ٠٠ ! » .

ويقول ، وكأنه يتذكر الايام الأولى التى التقى فيها بريجينا أولسن :

[١١] « ليست هناك فترة فى عمر المرء أجمل ولا أروع من الأيام الاولى للحب حيث يجد المرء فى كل لقاء ، وفى كل نظرة ، شيئــا جديدا يسترجعه فى المنزل ويستمتع به ٠٠٠ » .

لكنه يستدرك بسرعة عائدا الى طبيعته السوداوية المتشائمة :

[١٢] « نظرتى الى الحياة لا معنى لها على الاطلاق ! ويبدو لى أن هناك روحا شريرة وضعت فوق أنفى منظارا احدى عدساته تكبر الأشياء على نحو مخيف ، والأخرى تصغر الأشياء بنفس الدرجة ٠٠ » .

وأيضا :

[١٣] « أصبحت الحياة بالنسبة لى أكثر مرارة عن ذى قبل ، لكنى مع ذلك ينبغى على أن أتجرعها كالدواء ببطء ونقطة نقطة ٠٠ ! » .

ويقول أيضا :

[١٤] « لا أحد يعود بعد الموت ٠ ولا أحد يدخل الدنيا بدون بكاء ٠ ولا أحد يسأل : متى تريد أن تدخل الى الحياة ، ولا أحد يسأل : متى ترغب فى الرحيل عنها ! » .

[١٥] « الزمان ينساب ، والحياة حلم ، والناس يقولون وهلم جرا ٠ لكنى لا ألحظ شيئا من ذلك ، فالزمان ساكن ، وأنا معه ٠٠ » !

ويروى لنا كيف يمضى يومه :

[١٦] « عندما أستيقظ كل صباح أتجه فورا الى فراشى لانام من

جديد ! لكن شعورى يكون افضل فى المساء عندما ماأطفىء النور وأجذب اللحاف على رأسى ! عندئذ أجلس منتصبا فى فراشى من جديد وأنظر الى الغرفة برضا يفوق الوصف : وطابت ليلتك من تحت اللحاف »(١٠) .

وأيضا :

[١٧] « أنا اقســـم وقتى كما يلى : نصف الوقت للنوم ، والنصف الآخر أحلم فيه ! اننى لا أحلم أبدا عندمـــا أنام اذ لابد أن يكون ذلك أمرا يرثى له .. ! »(١١) .

[١٨] « وعلى ذلك فلست سيدا لحياتى ، فأنا لست سوى خيط واحد فحسب بين خيوط كثيرة ينبغى أن تغزل داخل نسيج الحياة ! حسن جدا : حتى اذا لم يكن فى استطاعتى أن اغزل ، ففى استطـــاعتى على الأقل أن أقطع الخيط .. ! »(١٢) .

والنتيجة :

[١٩] « ما الذى أصلح له ؟ لاأصلح لشىء ، أو أنا أصلح لكل شىء ! تلك موهبة نادرة ، وانى لأتساءل هل سيقدرها العالم .. ؟ ! »(١٣) .

[٢٠] « ينبغى على المرء أن يكون غامضــا ، لا بالنسبة للآخـــرين فحسب ، بل بالنسبة الى نفسه أيضا ! »(١٤) .

[٢١] « فرجيل Virgil الساحر(١٥) ، لكى يجدد شبابه ، قطع نفسه أشلاء ، ووضعها فى قدر يغلى لمدة أسبوع ، ثم استأجر رجلا يراقب القدر حتى لا يختلس متطفل النظر الى المرجل . لكن المـــراقب لم يستطع مقاومة الاغراء ، وكان ذلك بعد فوات الأوان ، فقد اختفى « فرجيل » وهو

(١٠) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 25.

(١١) Ibid, P. 27.

(١٢) Ibid P. 30 - 31.

(١٣) S. Kierkegaard : Either..or Vol. 1, P. 26.

(١٤) Ibid, P. 26.

(١٥) طوال العصور الوسطى كان ينظر الى الشـــاعر الرومانى فرجيل Virgil على أنه ساحر ومشعوذ !

يصرخ كالطفل الصغير. وأنا بالمثل اختلست النظر الى القدر مبكرا جدا ، قدر الحياة وتطورها التاريخى ، ومن المرجح ألا أكون قادرا أن أصبح شيئا أكثر من طفل ... ! »(١٦) .

[٢٢] « دع الآخرين يشكون من أن هذا العصر هو عصر شرور وآثام . أما أنا فاشكو من أنه عصر تعس لأنه بلا عاطفة أفكار الناس فيه رقيقة هشة كالنسيج الهش ، والناس أنفسهم يرثى لهم : أفكارهم أتفه كثيرا من أن تكون شريرة أو اثمة .. ! »(١٧) .

[٢٣] روحى مثقلة حتى أن الفكر لم يعد قادرا على مقاومتها . كما لاتستطيع أية خفقة من جناح أن تساعدها على النهوض فى الهواء . ولو أنها تحركت فلكى تنزلق الى الأرض كسرب منخفض من الطيور يشعر بدنو عاصفة رعدية : فوق صدرى يعشعش الهم والقلق الذى ينبىء بقدوم زلزال .. ! »(١٨) .

[٢٤] « حدث أن اندلعت النيران فى أحد المسارح وظهر المهرج ليحذر الناس فظنوا انها دعابة وصفقوا له ! فأعاد تحذيره لكنهم صاحوا فيه ! وأنا بالمثل أعتقد أن العالم سوف يصل الى نهايته وسط تصفيق عام من جميع المفكرين الذين يعتقدون أنها مجرد نكتة أو دعابة ! »(١٩) .

[٢٥] « أفضل برهان على بؤس الوجود ، هو البرهان المستمد من تأمل أمجاده .. ! »(٢٠) .

[٢٦] « ياله من مصير بائس ! عبثا تحاول أن تعيد رسم تجاعيد وجهك كالبغى العجوز ! عبثا تحاول أن تقرع أجراسك الحمقى ! أنك ترهقنى ! دائما نفس الشىء : لااختلاف ، دائما خمر قديم فى زقاق جديدة ! تعال ،

---

(١٦) S. Kierkegaard : Either..or Vol. 1, P. 76.
(١٧) S. K. "Either..or", Vol. 1, P. 27.
(١٨) Ibid, P. 28.
(١٩) Ibid, P. 30.
(٢٠) Ibid, P. 28.

ثم ومت ! لا تعد بشيء وسوف يكون لديك كل شيء ! »(٢١) .

وخلف السخرية يلمع بريق ملكة نقدية لاذعة يقول عن الفلسفة :

« ٢٧ » مايقوله الفلاسفة عن الواقع Reality مخيب للرجاء تماما كاللافتة التى تراها على نافذة محل تقول : « هنا كواء » . ولكنك عندما تحمل ملابسك وتذهب لكيها تجد أنك أحمق : لأن اللافتة لم تكن سوى لافتة معدة للبيع فحسب ! »(٢٢) .

ويقول عن حبه للعزلة والانطواء :

« ٢٨ » ليس لى الا صديق واحد فحسب ذلك هو الصدى .. Echo ولم كان الصدى صديقى ؟ لانى أحب آلامى وهو لايسلبنى اياها . وليس لى سوى شخص واحد أودعه سرى : ذلك هو صمت الليل ! ولم كان مستودع سرى .. ؟ ! لأنه يصمت .. ! »(٢٣) .

٢٩ ـ « الكفاح الاجتماعى وما يدحض عليه من تعاطف جميل ينتشر رويدا رويدا : ففى مدينة ليبزج .. Leipzig تشكلت جمعية أخذ أعضاؤها على أنفسهم أوثق العهود الا يتعاطفوا مع الخيل المتقدمة فى السن وأن يأكلوا لحمها .. ! »(٢٤) .

٣٠ ـ « تقول الاسطورة ان بارمينسكوس ... Parmeniscus فقد القدرة على الضحك حين كان فى كهف ترفونوس .. Trophonius لكنه استردها فى جزيرة « ديلوس .. Delos » عندما رأى كتلة من الصخر بغير شكل معروضة على أنها صورة للالهة ليتو .. Leto وهذا ـ ما حدث لى ، فعندما كنت صغيرا نسيت فى كهف « ترفونيوس .. » كيف أضحك . وعندما كبرت فتحت عينى وأدركت الواقع عندئذ بدأت أضحك . ومنذ ذلك التاريخ لم أتوقف عن الضحك ! فقد عرفت أن معنى الحياة هو أن تؤمن من معيشتك . وأن هدف الحياة : أن يبلغ المرء منصبا

---

(٢١) S. K. "Either..or", Vol. 1, P. 99.
(٢٢) Ibid, P. 31.
(٢٣) Ibid, P. 33.
(٢٤) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 33.

رقيما . وأن الحب هو أن تحلم بالزواج من وريثة . وأن الصداقة هي المساعدة في المتاعب المالية . وأن الحكمة هي ما تقره الاغلبية . وأن الحماسة هي تدبيج خطبة . وأن الشجاعة هي أن تخاطر فتفقد عشرة دولارات . وأن الرقة هي أن تقول على مائدة الطعام : « أهلا ومرحبا ! » . وأن التقوى هي أن تذهب مرة كل عام للتناول من العشاء الرباني ! عرفت ذلك كله ، وضحكت .. »(٢٥) .

٣١ ـ حياتي لامعنى لها على الاطلاق . عندما أستعرض مراحلها المختلفة أجد أنها تشبه كلمة .. Schnur في القاموس . فهي تعني أولا خيط وتعني ثانيا زوجة الابن (الكنة) . والشيء الوحيد الذي ينقصها هو أن تعني ثالثا جمل . ورابعا منفضة للنفايات ! »(٢٦) .

٣٢ ـ « حياتي تشبه الليل الأبدي ! عندما أموت في النهاية سوف يكون في استطاعتي أن أقول مع أخيل .. Achilles : « لقد أنجزت دورك وكنت لي الحارس الليلي ! »(٢٧) .

٣٣ ـ « ربما كان باستطاعتي أن أصل الى معرفة الحقيقة ، أما السعادة فانني يقينا لن أبلغها . فماذا أفعل ؟ ! يقول الناس : عليك أن تنجز شيئا في العالم . أينبغي علي ، اذن ، أن أنشر حزني في العالم ، وأن أسهم في تقديم برهان جديد على بؤس الوجود وشقائه وأن اكتشف عيبا في الحياة البشرية لم يلحظه أحد حتى الآن .. ؟ ! ربما ظفرت في هذه الحالة بمكافأة نادرة هي أن تصبح شهيرا كالرجل الذي اكتشف بقعا على سطح المشتري .. Jupiter ، لكني ، مع ذلك أفضل أن أظل صامتا .. ! »(٢٨) ..

٣٤ ـ « الحياة فارغة ولامعنى لها . نحن نذهب لندفن رجلا ، نتبعه الى القبر ، ثم نهيل عليه ثلاث حفنات من التراب ، نركب عربة الى المدفن .

---

(٢٥) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 33.
(٢٦) Ibid, P. 35.
(٢٧) Ibid.
(٢٨) "Eiteh..or", Vol. 1, P. 34.

وتركب عربة اخرى نعود بها الى البيت . ويكون عزاءنا الفذ أن امامنا حياة طويلة ؟ ! وكم تطول حياة تبلغ سبعين عاما ... ! لم لاننهيها نحن فى الحال ؟ ! لم لانبق ونخطو معه الى القبر ، ثم تجرى قرعة لنرى من ذا الذى سيتصادف ويكون اتعس موجود بحيث يكون هو الذى يهيل آخر ثلاث حفنات من التراب على آخر ميت .. ؟ ! »(٢٩) .

٣٥ ـ « ليس هناك شىء أكثر خطورة على من الذكرى ! اللحظة التى اتذكر فيها بعض العلاقات هى اللحظة التى اتوقف فيها عن الوجود . ويقول الناس ان الفراق يحيى الحب . وهذا حق . لكنه يحييه بطريقة شاعرية تماما . والحياة التى تعيش برمتها فى الذكرى هى التى يمكن تصورها على اكمل وجه . فالذكرى تشيع على نحو اكثر ثراء من الواقع ، وتمتلك من الامان ما لايمتلكه اى واقع . ان الحياة التى نتذكرها قد انتقلت بالفعل الى الابدية ولم يعد لها علاقة بما هو زمانى .. »(٣٠) .

٣٦ ـ « سوف يكون المرء بالغ السذاجة لو ظن انه يستطيع ان يغير قدره لو انه اخذ يصيح ويصرخ فى العالم ، من الأفضل ان يتقبل الاشياء كما تقع ودون ان يحدث ضجة . »(٣١) .

ويتهكم كيركجور من نفسه ولاسيما تكوينه الجسمى الشاذ : ـ

٣٧ ـ « عدم التناسب فى تكوينى الجسمى يرجـع الى ان قوائمى الامامية قصيرة اكثر مماينبغى ، فاذا مثل حيوان الكنجارو .. Kangaroo يتكون جسمى من قوائم امامية قصيرة جدا ، وارجل خلفية طويلة جدا . وعندما اجلس اكون عادة فى سكون تام . لكنى اذا تحـركت ترتب على ذلك ان اقفز قفزة كبيرة تثير ذعر جميع اولئك الذين ارتبط معهم بروابط القربى او الصداقة ! »(٣٢) .

وتنتهى هذه الاقوال الماثورة بمحاضرة يسميها كيركجور « اما .. او محاضرة فى النشوة Either..or: An ecstatic Lecture يعرض فيهـا

---

(٢٩) Ibid, P. 28 - 29.
(٣٠) S. K. "Either..or", Vol 1, P. 31 - 32.
(٣١) Ibid, P. 32.
(٣٢) S. K. Either..or Vol. 1, P. 35.

مجموعة من البدائل لكى يختار القارىء من بينها مايروقه وليس فيهـا فى الحقيقة اى لون من الاختيار . ولعل وجود البدائل ، وكـذلك عنوانهـا « أما ٠٠ أو » هو الذى جعل هيس ٠٠ Heiss يقول عن هذه المحاضرة انها تمثل اللحن الاساسى الذى يتردد طوال الكتاب(٣٣) ٠

ويبدأ كيركجور هذه المحاضرة بما يمكن أن نسميه بعمومية الاسف أو الندم الذى يسوقه عن الزواج ، والمرأة ، وما فى العالم بصفة عامة ٠ « لو أنك تزوجت فسوف تندم ، واذا لم تتزوج فسوف تندم أيضـا ٠ فاذا تزوجت أو لم تتزوج فسوف تندم فى الحـالتين ٠ وسواء تزوجت أم لم تتزوج فسوف تندم فى الحالتين ٠٠ »(٣٤) ٠

وتتكرر نفس النغمة بالنسبة للعالم أيضا :

« اضحك من حماقات وسخافات العالم وسوف تندم ، ابك عليهـا وسوف تندم أيضا فاذا ماضحكت أو بكيت على سخافات العالم وحماقاته فسوف تندم فى الحالتين ٠٠ ! »(٣٥) ٠

وكذلك بالنسبة للمرأة :

ثق فى المرأة وسوف تندم ، لاتثق فيها وسوف تندم أيضا ، وسواء عليك وثقت فى المرأة أم لم تثق فيها فسوف تندم فى الحالتين ! »(٣٦) ٠

« اشنق نفسك وسوف تندم ، لا تشنق نفسك وسوف تندم أيضـا ، سواء شنقت نفسك أم لا فسوف تندم فى الحالتين ! »(٣٧) ٠

ثم يقول كيركجور معلقا هذا الندم « الكلى » : « أيها السادة : هذا

---

(٣٣) R. Heiss op cit., P. 235.

(٣٤) س ٠ كيركجور « اما ٠٠ أو » مجلد ١ ص ٣٧ وهو يروى فى هامش النسخة الاصلية أن ديوجنس اللايرتى كان ينسب الى سقراط عبارة مماثلة عن الزواج !

(٣٥) S. K. Either..or Vol. 1, P. 37.

(٣٦) Ibid.

(٣٧) Ibid, P. 38.

هو جوهر وملخص كل فلسفة ! • »(٣٨) وعلى الرغم من أن هذه المحاضرة خاصة « بالنشوة » فانها تتضمن سخرية واضحة من الفلسفة الهيجلية • فهو يقول ساخرا من الهيجلية :« ان فلسفتى على اقل تقدير يسهل فهمها فليس لها سوى مبدأ واحد ، وحتى هذا المبدأ الواحد.. فأنا لا أنطلق منه لاننى لو فعلت فسوف أندم ، واذا لم أفعل فسوف أندم أيضـــا . ولو بدا لأحـد من مستمعى الكرام أننى فعلت شيئا من ذلك ، فان هذا لايرهن الا على شيء واحد هو أن هذا المستمع ليست له موهبة فلسفية . ولو بدا فى حجتى أى لون من الوان التقدم فان ذلك يبرهن على الشيء نفسه ! • أما أولئك الذين فى استطاعتهم متابعتى رغم أننى لا أقوم بأى تقدم ، فاننى سوف اكشف لهم الآن عن الحقيقة الأبدية التى بفضلها تظل هذه الفلسفة داخل ذاتها دون أن تسمح بأية فلسفة أعلى . لأننى اذا ماانطلقت من المبـدأ الذى أومن به فسوف أجد أنــــه من المستحيل على أن أتوقف . لأننى اذا ماتوقفت فينبغى على أن أندم . واذا لم أتوقف فينبغى أن أندم كذلك ! لكن اذا لم أبدأ أصلا فاننى لن أتوقف أبدا لأن انطلاقى الأبدى متحد فى هوية واحدة مع توقفى الأبدى : ولقد أوضحت التجربة أنه ليس من الصعب على الفلسفة اطلاقا أن تبدأ . بل على العكس تماما انها تبدأ من العدم وبالتـــالى تستطيع أن تبدأ باستمرار لــكن المشكلة عنــد الفلسفة ، وعنــد الفلاسفة معا ، هى أن تتوقف . ولقد تجنبت هذه المشكلة فى فلسفتى اذ لو ظن ظان أننى عندمــا أتوقف الآن فاننى أتوقف حقيقة فـــان ذلك يبرهن على أنه تعوزه البصيرة النظرية . لاننى لم أتوقف الآن وانما توقفت عندما بدأت • وهذا يعنى أن فلسفتى تتمتع بميزة خاصة هى الايجــاز ، كذلك من المستحيل تنفيدها ، اذ لو ناقضنى أحد فسوف يكون لى الحق ، بغير شك ، أن أقـــول عنه أنــه مجنون • وهكذا نجد أن الفيلسوف لايعيش باستمـــرار من وجـــهة نظر الابدية •• لكنه يعيش كذلك لبضع ساعات فحسب •• »(٣٩) •

وواضح أن الفلسفــة التى يقصدها كيركجـــور فى هذه الفقرة هى الفلسفة الهيجلية ، وهو يتهكـــم من البداية التى يبدأ منها هيجل لبنــــاء

---

(٣٨) Ibid. P. 38

(٣٩) S. Kierkegaard : Either..or Vol. 1.

مذهب ، اذ يعتقد كيركجور أن هذه هى احدى المشكلات التى واجهت هيجل ولم يستطع التغلب عليهـــا فانتهى الى الفائها زاعمـــا أن مذهبه لن يبدأ من افتراضات سابقــة لكنه يبــدأ بداية مطلقة . بداية موضــوعية خالصة هى ماأطلق عليه اسم « الوجود الخالص » الذى الذى يعنى العدم . لــكن اذا كان هيجل نفسه يعترف بأن الفكر حركة لا متناهية فكيف استطاع هو ، فيمــا يقول كيركجور ، أن يوقف هذه الحركة لكى يبدأ مذهبه . . . ؟ كلا ! ليس ثمة شىء اسمه بداية بلا افتراضات سابقة . لانه حتى اذا لم نفترض شيئا آخر على الاطلاق ، فان الفصل الذى اجرى فيـــه هذه البداية من جميـــع الافتراضات الاخرى هو نفسه مفترض . . »(٤٠) تلك هى المشكلة البدا : التى يسخر منها كيركجور فى الفقرة السابقة ، وهى فى رأيه كعب اخيل فى الفلسفة الهيجلية(٤١) وتحتوى المحـــــاضرة على خليط من التأملات والسخريات الأخرى التى يطلقها كيركجور هنا وهناك . فهو احيانا يصف نفسه بأنه أتعس انسان ، واذا كان يتمنى الموت مبكرا ، ويتخيل نفسه وقد مات طفلا صغيرا وحمله أبوه ظهر يوم من أيام الآحاد الى المقابر ليدفنه وهو يتمتم ببضع كلمات لايفهما الا هو ! ويقول انه لم يكن سعيدا فى يـوم من الايام قط ! ومع ذلك فهو يبدو للناس كما لو كانت السعادة تصحبه فى الحل والترحال : « بل انه يسير بين الناس سعيدا مرحا كمالو كان اله ! حتى أن النـــاس يحسدونه على سعـــادته ، عندئذ يضحك منهم »(٤٢)وتنتهى المحاضرة بتخيله أنه صعد الى السماء :

« حدث لى شيئا رائع فقد صعدت الى السماء السابعة حيث وجدت الآلهة يعقدون اجتماعا ، وبنعمة الهية خاصة سمح لى بأى أبدى رغبة . لكن عطارد قال : « اطلب شيئا واحـــدا فقط : الشباب ، أو الجمـــال ، أو القوة ، أو طول العمر ، أو غادة جميلة ، أو أى شىء آخر . لكن اختر شيئا واحدا فقط » . ولقد شعرت للحظة بالحيرة والضياع ثم وجهت خطابى الى

(٤٠) S. Kierkegaard : The Journals P. 134 Eng. Trans. by A. Dru.

(٤١) Jean Wahl : Etudes Kierkegaardiennes, P. 117.

(٤٢) S. Kierkegaard : "Either..or", Vol. 1, P. 39.

الآلهة قائلا : « لقد اخترت شيئا واحدا هو أن يكون الضحك مصاحبا لى باستمرار . ! » لم يقل أحد منهم شيئا ، لكنهم استغرقوا فى الضحك ! وبذلك استنتجت أن رغبتى قد قبلت وأن الآلهة تعرف كيف تعبر عن رأيها .. ! »(٤٣) .

---

(٤٣) S. K. Ibid, P. 41 - 42.

رقم الايداع بدار الكتب المصرية
١٩٨٢/٢٤٨٤م

الترقيم الدولى
٩٧٧ ـ ٧٢٢٢ ـ ٧٢ ـ ٠

دار الثقافة للطباعة والنشر
٢١ شارع كامل صدقى ـ الفجالة
ت ٩١٦٠٧٦ ـ القاهرة